

الإمبراطورية الفارسية

عبر التاريخ

الجزء الثاني

أ. ت. أولمستد

الدار العربية للموسوعات

الإمبراطورية الفارسية

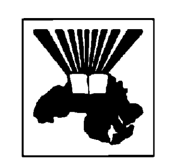
عبر التاريخ

اسم الكتاب: الإمبراطورية الفارسية عبر التاريخ

المؤلف: أ. ت. أولمستد

الطبعة الأولى: ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ

ISBN 978-9953-563-96-1 (مجلدين)
ISBN 978-9953-563-98-5 (المجلد الثاني)



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

الإمبراطورية الفارسية
عبر التاريخ

تأليف

أ. ت. أولمستد

مجموعة مترجمين

المجلد الثاني

الدار العربية للموسوعات

الفصل الثاني والعشرين
الاحتفالات بالانتصار من خلال الدبلوماسية

سايمون وبركليز في أثينا:

منذ الانتصار الذي حققه التاج في أريميدون Eurymedon أصبح سايمون المرشد ذائع الصيت في السياسة الأثينية، عندما ثار العبيد في إسبرطة قام بإقناع الأثينيين بالاستقالة بمساعدته، وهي جماعات منسجمة مع مفهوم الحرب تكونت عند الهضبة، وبالنسبة لفكرة الجماعة الهلينية Hellenic كانت لا تزال موجودة بدلاً من الجماعة الديلانية Delian ، والذي ساعد هو نفسه في تنظيمها، ولكن كان هناك آخرون في إسبرطة يفكرون بطريقة مختلفة، فقد تم رفض المساعدة المقدمة بامتهان؛ لذا عادت القوات الأثينية إلى الديار، وفي ظل هذه الظروف كان من الواضح أن الشك وعدم الثقة التي دبت بين أثينا وإسبرطة لا بد وأن تصل إلى ذروتها.

إن اسبرطة نفسها كانت تحاول؛ لذا فقد شجبت الحرب السابقة، وقد بدأ تحالف جديد في عام 462 مع كل من تيسالي Thessaly وآرجوس Argos وكليهما من الفرس ذائعي الصيت ورديئي السمعة، وذلك أثناء الحرب ضد البرابرة، إن تأثير سايمون الذي لا يزال متمسكاً بسياسة الصداقة مع إسبرطة قد انخفض، ومقاومة التغير التي تقع تحت قيادته قد فقدت عموميتها.

لقد أدخل إيفيالتس Ephialtes الديمقراطية في القوة، إن احتفالاتهم بالنصر كانت مميزة بسايمون نفسه في ربيع عام 461، ولكن ذلك لم يعنِ أن أثينا قد أعدت العدة بعد للعودة إلى اتجاهها الديمقراطي المعتاد بالنسبة للصداقة مع إمبراطوريتها البربرية، وقد كان ديمقراطية Democrat كافية في السياسة الوطنية، وكانت في القلب، وكليهما كان أرستقراطيًّا وإمبرياليًّا في الواقع -إن لم يكن نظريًّا- فإن الجماعة الديلانية Delian قامت فعلاً بالثورة في الإمبراطورية الأثينية، وإن أثينا استطاعت بصعوبة بالغة أن تخمد المحاولة الأولى لانسحاب أحد حلفائها.

إن بركليز Pericles لم يستطع أن يخيف أرتاكسركسيس (Artaxerxes) وأن يدع محاولة استعادة الجزية التي كانت تدفعها المدن الإغريقية إلى أثينا، حيث إن خسارتهم لم يُعترف بها رسميًّا، وخلال الفترة القصيرة التي كان فيها إيفياليتس Ephialtes يتولى القيادة، أبحر أطولا من أثينا بقيادة ميما إلى الشرق في بحث غير مجزٍ عن الأسطول الكبير لفارس وتبعه في ذلك المسلك نفسه بركلي؛ لذلك فقد تجددت الحرب ضد البرابرة، وكان الهدف الأصلي للقوات الديلانية لهذا السبب مبرراً، وبالرغم من أنه قد كان خطأ كبيراً لهذا القائد الديمقراطي أن يكمل إبطاله للسياسة العادية للديمقراطية، وللتأكد، فقد كان هناك سبب إغريقي ربما قد تم توضيح أن القوات الديلانية مهما كان عيبها الوحيد الفعال ذا ثقل ضد الإمبريالية الفارسية.

ولكن الضرائب الباهظة وضعت على حاشيتها دافعاً جديداً نحو القومية، والتي كانت تغضب الثورات الحديثة في الإمبراطورية، إن القومية الإغريقية ظلت وليدة في المهد بالنسبة لكل ولاية على حدة حتى بالنسبة إلى الولاء هنا، فإنه يميل نحو التجزئة بدلاً من المدينة ككل خاصة عندما كانت المعارضة تحت السيطرة، والآن نجد أن الخاضعين لأثينا من المواطنين أصبحوا غير راضين أن أعداء أثينا ويمكن

أن يقوموا دائماً بإعلان الحرب المشكوك فيه من أجل الحرية، والذي هو عمليًّا يعني حرية ولاية مستقلة في المدينة يحكمها حكام غير ديمقراطيين ومعارضون للقيادة في أثينا، مثال ذلك موقف تنظيم الدبلوماسية الفارسية كما كانت سابقاً عن طريق الذهب الفارسي.

الثورة في مصر:

والآن، المباحثات في صوصا قد فشلت، لقد أحضر بركليز أسطولاً بنحو مائتي (200) سفينة ينوي تحديد الحرب من خلال غزو قبرص Cyprus ، وقبل الإبحار كانت هناك فرصة أفضل سانحة لإزعاج فارس، إن انحراف إيناروس ابن باسماتيك Ienheru, Psammetichus - وعلى غرار خط سايت القديم Sait - حصل على ملكية مشكوك فيها على الليبيين من ماريا التي تعلو الفرعون Mareia, Pharos .

وقريباً، بعد النقوش التي ظهرت من خلال الحفريات في وادي الحمام، والتي -أي النقوش- تعود إلى أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، جاءت الأنباء عن الثورة الباكتيرية Bactriam ، وبمساعدة مدعٍ آخر اسمه أميرتايوس Amyrataeus من سايس أيضاً قام إيناروس بطرد جامعي الضرائب المكروهين، كذلك المرتزقة ممن يجمعون الضرائب، وفي وقت قصير أصبحت مصر في حالة ثورة؛ لذا فقد طلب إيناروس المساعدة من أثينا في عام (460).

إن التحالف مع مصر كان يوفر إمداد الحبوب الذي لا يتأثر بالخطر خلال رحلتها الطويلة من جنوب روسيا، وخلال المناطق الهلينية الخطيرة Hellespont ؛ لذلك فقد كان لا بد للسفن التي سوف تستخدم في العمليات في قبرص كان لا بد لها من الذهاب إلى مصر بمساعدة الثوار، إن المرزبان أكلامينيس Achaemenes قد قضى عليه في معركة بائسة في بابرميس Papremis ، وتم إعطاء رفاته في سخرية إلى ابن أخته، وقد تم

أخذ ممفيس والاستيلاء عليها دون صعوبة ما عدا الحائط الأبيض الذي ظل في يد الفرس وأتباعهم المواليد من السكان الأصليين.

وفي أثناء الثورة، فإن واحداً من اليهود المرتزقة في فيلة Elphantine وجد أنه من الضروري أن يفاوض من أجل القرض، ولما كان هؤلاء اليهود ليسوا على علاقة وطيدة ومعرفة وثيقة بالسكان الأصليين فإن المصطلحات كانت صعبة، كل شهر كانت الحصة غير الطبيعية يجب أن تستقطع من مرتب المقترض مباشرة من الخزانة، وإذا لم يتم الدفع في الوقت المحدد تتم إضافة الحصة المستحقة إلى أصل الدين، وكعلامة على الحرية الجديدة في مصر، فإن المال كان يتم إعطاؤه ليس عن طريق وزن جوهرة الملك ولكن عن طريق وزن بتاح Ptah ، مما أدى إلى انخفاض القيمة الشرائية للعملة، حيث إن شيكل واحد من كل عشرة أو الضعف بالنسبة للقيمة الطبيعية من المعدن الموجود في العملات يقدم دليلاً غير سار للقواعد المالية للولاية الجديدة للمتمردين.

أعمال عذرا في يهوذا:

بالإضافة إلى الثورة التي حدثت في مصر منذ أغار الأثينيون على فينيقيا Phoenicia ، وفي يهوذا كان هناك فتى مجهول اسمه مالاتشي Malachi يبشر بقدوم يوم القيامة، وكان يدعو إلى ثورة مفتوحة؛ لذا فقد كان كل التركيز منصباً على الموقف الحرج في هذا الوقت بالتحديد، وقد قدم عذرا مخططاً لإعادة تنظيم اليهود إلى البلاط الملكي، والذي وضع إغراءً كبيراً لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) .

بالنسبة للمراتب الكهنوتية الرسمية، فإن عذرا حصل على مرتبتين، فقد كان هو الكاهن الأشهر كقائد ديني بالنسبة لقومه، إن اليهود في بابل الذين هم أجداد هؤلاء المغتربين من اليهود في المنفي، ومؤخراً أصبح كاتب القانون الإلهي في السماء، أو ربما يمكن أن نقول إنه كان سكرتير

الولاية بالنسبة لشؤون اليهود والمسؤول أمام الملك عن تلك الجماعة؛ لذا فقد كان مهتماً بعمل تجمع حقيقي ومستعمرة حقيقية في أورشليم الضعيفة، وقد كانت رغبته الرئيسة هي أن يقدم لليهود في فلسطين القانون الذي لا يزال غير معروف وهو التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام في كتاب جديد للقانون، إن اليهود في بابل كانوا غالباً مواطنين من الدرجة الثانية، حيث إنهم بالنسبة للمواطنين الأصليين يمكن الوثوق بولائهم، فبعضهم كان يشغل مناصب إدارية صغيرة.

إن فارس كانت متسامحة مع العرقيات الدينية المختلفة، ولكن كانت تصر على أن تكون عباداتهم منظمة بصورة جيدة تحت قيادة مسؤولة، وأن هذه الديانة يجب ألا تحجب الخطط عن الثوار، إن رئيس المجتمع اليهودي في بابل كان مكلفاً بإدارة كتابها الجديد في القانون، والذي يسمى بالبيانات Data مثل قانون الملك، ويجب أن نتوقع منه أن يظل على ولائه لكتاب القانون الملكي الذي ترجع إليه سلطته، وإليه ترجع طريقة الديانة اليهودية، وكضابط في الولاية كان عذرا مستحقًّا لامتيازات غير عادية.

لقد كان أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ملك الملوك بالنسبة لعذرا الكاهن، حيث كان قانون الإله السمائي السلام التام، وقد قال: لقد أصدرت قراراً وهو أنه على كل من هم في مملكتي من بني إسرائيل وكهنتهم وكذلك قبيلة اللاويين العبرانية، والذين يرغبون في الذهاب معك إلى أورشليم، سوف يذهبون منذ أن تم إرسالك من قبل الملك ومستشاريه السبعة؛ لكي تقوم بعمل تحقيق عن جده وعن أورشليم فيما يتعلق بالنسبة إلى قانون إلهك، والذي هو في يدك، وكذلك يجب أن تحضر الذهب والفضة التي تم إعطاؤها إلى الملك ومستشاريه لإله بني إسرائيل، والذي بيته في أورشليم، وكل الذهب والفضة التي سوف تجدها في مقاطعة بابل، بالإضافة إلى العطايا التي أعطاها الناس طواعية هم

والكهنة لبيت إلهم في أورشليم، وببقية الفضة والذهب -أفضل الصواب- كما يبدو لك ولإخوتك حسبما تقضي به تعليمات إلهك، كذلك بالنسبة للآنية التي أُعطيت إليك من أجل الشعائر لمنزل إلهك، ارفع يديك عالياً قبل إله أورشليم (القدس)، ومهما كان ما يحتاج إليه بيت إلهك والذي سيعطيك السبب للمنح والاستخدام، فخذ من خزانة القصر الملكي، وأنا أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الملك سوف أصدر مرسوماً إلى كل المسؤولين عن الخزانة عبر النهر أنه مهما كان ما يطلبه منكم عذرا الكاهن الذي يكتب قانون إله السماء يجب أن يُنفذ بكل اهتمام حتى مائة تالنت من الفضة، ومائة من القمح، ومائة من النبيذ، ومائة من الزيت والملح دونما وصف أو تحديد لأي سعر أو ثمن أي شيء يأمر به إله السماء، ويجب أن يُنفذ تماماً من أجل بيت إله السماء حتى لا يغضب على المملكة الخاصة بالملك أو أبنائه، وأوجهك أيضاً إلى أنه ليس من القانوني أن يتم فرض الجزية المالية على الكهنة اللاويين والخدم الذين يخدمون في بيت الرب، ولا يتم فرض أية رسوم للمرور أو ضرائب من أي نوع.

(وقد ورد هذا في الوثائق البابلية) : «وأنت يا عذرا، وبناءً على الحكمة التي يحملها إلهك -كتاب القانون- والذي في يدك، والذي يحدد القضاء والأحكام التي تحكم الناس عبر النهر، والذين يعرفون قانون إلهك ويعلمونه لمن لا يعرفونه، ولكن من لا ينفذ قانون إلهك كما لا ينفذ قانون الملك دع الحكم يصدر عليه بكل دقة وبكل حزم إما بالموت أو بالنفي أو بمصادرة ممتلكاته أو بالسجن.

بعدما تم إقرار هذا المرسوم في صورته الأصلية الآرامية، فإن عذرا لجأ إلى الحَبْر المقدس ليعبر له عن إحساسه، بارك الرب إله آبائنا الذي وضع هذا في قلب الملك، وجعله يضمن لي العطف والتأييد من الملك ومن مستشاريه، ومن كل امرأة؛ ولذا فبقوة من يد إلهه استطاع عذرا أن

يستمر في القول إنه قد جمع القادة من الرجال من المجتمع اليهودي لكي يصحبوه في حملته العسكرية، لقد تجمعوا من نهر أهافا Agava حيث عسكروا هناك لثلاثة أيام، ولم يكن معهم أحد من اللاويين والممثلين يجب أن يتم دعوتهم للاجتماع من كاسيفيا Casiphia (هذا أول ذكر للعاصمة الأخيرة كتيسيفون Ctesiphon .

لقد تمت الدعوة سريعاً إلى الصلاة من أجل تلك الرحلة الناجحة، حيث شرح عذرا ببساطة: لقد كنت خجلاً من أن أطلب من الملك أن يعطينا مجموعة من الجنود والخيالة لكي يساعدوننا ضد أعدائنا على الطريق؛ لأننا قد قلنا للملك من قبل أن يد إلهنا مع أيدي هؤلاء ممن يبحثون عن الخير، ويسألونه الصلاح، ولكن جبروته وسخطه على هؤلاء الذين يهجرونه، وفي التاسع عشر من أبريل عام 458 غادرت العصبة المتزايدة نهر أهافا، ويد إلهم بالقطع معهم، وأنه يحميهم من عدوهم ومن قاطعي الطريق، واستمرت رحلتهم المرهقة حتى انتهت في الرابع من أغسطس، وبعد ذلك بأربعة أيام قام عذرا كإداري حاذق وحريص بوزن كل من الذهب والفضة والآنية في أيدي الكاهن المحلي.

في الثاني من أكتوبر كان عذرا جاهزاً لكي يقدم كتاب القانون الجديد طبيعيًّا، فقد كان مكتوباً باللغة العبرية القديمة، وبالنسبة إلى التوضيحات المقدسة، فقد كانت الآن مع معطي القانون العظيم موسى Moses ، وكما هو طبيعي، فإن غالبية من يستمعون إلى عذرا لم يكونوا يفهمون تماماً ذلك لأنهم كانوا يتكلمون الآرامية الحالية؛ ولهذا، ومع أول تقديم لكتاب القانون الجديد إلى اليهود الفلسطينيين قاموا بترجمته إلى العامية.

الكلمات الأصلية لموسى بالتأكيد كانت تُقرأ بلغة مقدسة، ولكن الترجمة كانت هي المستخدمة في الكلام، ويمكننا أن نكون متأكدين أنه من البداية قد تمت كتابة نسخة باللغة الآرامية، وإعدادها لكي تخدم

وتساعد المترجمين، وتضمن الدقة في الترجمة، ويوماً بعد يوم، فإن القراءة والترجمة استمرت حتى تم اكتمال العمل، إن العمل العظيم لعذرا قد تم، وأصبح كتاب القانون لموسى من الآن فصاعداً مقبولاً بأنه ذو سلطة، إن تأثيره ليس من الممكنً أن يكون مبالغاً فيه.

مهما يكن من يمكن أن يحرز مثل مؤلف كتاب القانون، والذي في الحقيقة قد شاركت فيه العديد من الأيادي عبر العصور، فإن عذرا كان وبحق يعتبر ثاني مكتشف لليهودية تالياً لموسى نفسه، إنه لم يستطع أن ينجح في إيقاف أنشطة الأنبياء بالكلية الذين كانت أحلامهم في مملكة قومية آتية، وقد عاد مرة أخرى، ولكنه قد أوضح الطريق على السياسة الوحيدة الآمنة لجيش الخلاص اليهودي، إن هجر الآمال القومية ينهي الخلافات بالنسبة للقواعد السياسية للأجانب، إن الولاء للقوة وكذلك القبول الكامل للمكانة الفريدة لليهود كحراس للقانون الأخلاقي للرب، ولحسن الحظ، فإن الأجيال التالية في العالم قد تبعوا بصفة عامة الأساس المرشد.

إن القلة الرجعية الذين وجدوا الوقت الكافي لكي يرفعوا راية القومية المنفصلة مرة أخرى قد زادوا فقط البلاء والكرب بالنسبة للأشخاص اليهود، والعمل العظيم لعذرا وهو تقديمه للقانون قد اكتمل، والباقي قد تم تنفيذه بالتفصيل، وبالنسبة إلى إعادة الهيكلة أو إعادة التشكيل، فإن أكثر الأشياء تشجيعاً هو إلغاء الزواج المختلط خلال كل القرون، والذي يعد أشد الأخطار التي تهدد اليهودية.

إن التصاق البذرة المقدسة ببنات الناس على الأراضين ربما يتم التغاضي عنه في مجتمع فيه الذكور هم الأكثرية، ولكن في المستويات الأعلى يكون هؤلاء هم المكروهين الرئيسين، وقد كان هناك تصريح تم نشره، وهو أن الناس يجب أن يتجمعوا في أورشليم (القدس)، ومن يتخلف عن ذلك سوف يُعاقب «بالعبادة والصلوات» بالإبعاد عن حشد

المصلين، والتجمع الذي عُقد في الشتاء في التاسع عشر من ديسمبر من عام 458، والذي قضى بتطليق النساء الأجنبيات تم القبول به في الأساس، وقد تم البدء في عمل اختبارات مفصلة لكل حالة على حدة في الثلاثين من ديسمبر، وانتهت في السابع والعشرين من مارس عام 457.

بعد ذلك عاد عذرا إلى بابل، وكما تقول العادة إنه مات هناك وإن مقبرته المزعومة ربما أنها لا تزال مزاراً حتى الآن، إن كتاب القانون قد تم قبوله ولكن مشكلة الزواج المختلط لا زالت كما هي، إن شعيب Eliashib -الكاهن الأعلى في أورشليم- قد هزئ من الإصلاح أو إعادة الصياغة على الملأ، على الرغم من أن ابنه يوحنا Jehohanan قد أخذ مكان عذرا وحل محله؛ ولأن خصوم عذرا قد قبلوا الزواج الأجنبي لذلك فقد احتكموا إلى دليل الأقسام التاريخية في كتاب القانون نفسه.

وإن أحد هؤلاء الخصوم، والذي يجب ألا يعمينا عن دعايته المدروسة والمخطط لها جيداً، والتي أعادت الصياغة للحدث على أن رث Ruth الموباتي Moabitess هو الجد لهذا اليهودي العظيم الملك ديفيد David .

النجاح الفارسي في مصر:

في هذه الأثناء كان أرتاكسركسيس (Artaxerxes) يقيم العمليات الأثينية، وذلك من خلال إرسال ميجابازوس Megabazus إلى إسبرطة في عام 458، ولقد تم قبول ماله، وتم استخدامه في هزيمة أثينا Athens في طنجرة Tanagra عام 457، أي بعد نحو شهرين أو ثلاثة من قرار عذرا بالإصلاح؛ ولهذا فبعد مرور شهرين استعاد أونوفيتا Oenophyta مكانة أثينا مرة أخرى، وقد نجح عذرا في تهدئة يهوذا Judah ، وبذلك قد مكن من المرور الآمن عبر الحدود من خلال هذا الجيش الهائل الذي

جمعه كل من أرتابازوس Artabazus وميجابازوس Megabazus والذي أصبح الآن حاكماً لسوريا، وفي عام 456 جرح إيناروس Inarus في معركة عظيمة، وتم طرد الأثينيين من ممفيس Memphis إلى بروسبيتش Prosopitis ، وهي جزيرة كبيرة في الدلتا بالقرب من بابريمس Papremis ، وهناك ظلوا محاصرين لمدة أربع سنوات ونصف، وعندما جفت القناة التي تربط فرعي النيل لتكون الجزيرة، فإن الأثينيين قاموا بحرق سفنهم، وبعضاً من رجالهم هرب إلى سيرين Cyrene ، والباقي من الأحياء أخذوا وعداً بالعودة الآمنة إلى الديار من قبل ميجابازوس؛ لذلك فقد استسلموا -كما نقل إيناروس ووثق في كلمة الشرف الفارسية- ولقد تركت إلبو Elbo وهي جزيرة صغيرة مساحتها حوالي ميل مربع كقاعدة عسكرية وحيدة والتي منها يمكن لأميرتايوس Amyrtaeus أن يغير على أراضي المستنقعات في الدلتا.

تانيتاس Thannytas ابن إيناروس Inarus وبوسيريس Pausinis ابن أميرتايوس Amyrtaeus قد تم تعيينهم في أماكن أبويهما كأفراد تابعين صغاراً، وأرسامس Arsames المرزبان الجيد وصل ومعه قوة كبيرة من السفن الفينيقية Phoenician والقوات البرية، بينما أرسلت أثينا أسطولاً مكوناً من خمسين سفينة ثلاثية المجاديف تحت قيادة كاريتيميدس Charitimidos .

إن المقاومة الأثينية قد حطمت ذلك القائد غير الكفء الذي وضع عند مصب نهر النيل، فلقد هاجم أرساميس مع قوته المتحدة، بينما عاد ميجابازوس إلى صوصا حاملاً معه الانتصار، وحاملاً معه إيناروس والقادة الإغريق، وسافاج Sawage أم الملكة أميستريس Amestris طالبت بإعدامهم، ولكن زوج ابنتها ميجابازوس أوضح أنه مرتبط بكلمته، وبمرور الوقت تم إرجاء حكم الإعدام عليهم عام 454.

الإمبراطورية الأثينية:

في أوج انتصاراتها واحتفالاتها بهذه الانتصارات، تلقت أثينا ضربة ساحقة، فقد كان الأثينيون حذرين بقدر ما هم مبتهجين بالانتصار الأخير للفرس، حيث إن شرق المتوسط قد أصبح مرة أخرى بحيرة فينيقية؛ لذا فبمجرد أن أُشيع أن الأسطول الفينيقي يقترب قام الأثينيون بسرعة وبصورة لا إرادية بنقل خزانة الجيش من ديلوس Dilos المكشوفة إلى أكروبوليس Acropolis الآمنة في أثينا، وهذا النقل يميز الاختفاء الأخير لزعيم التحالف الديلاني Delian ، وكذلك فإن الانتقال إلى الإمبراطورية الأثينية كانت تدل عليه لائحة الجزية التي تعتبر مساعدة لا تقدر بثمن بالنسبة للمؤرخ الذي بدء في صيف عام 454، لقد كانت أثينا مرهقة لكي تحارب.

فعندما أعطت الدستور لإرثروا Erthroae والمستشارين كان لا بد أن يقسموا أنهم لن يعيدوا هؤلاء الذين فروا إلى مدين Medes ، لقد عاد ميلتوس Miletus إلى صهره الفارسي، لقد فقد إيفانثيس Evanthes سالاميس Salamis إلى آخر فينيقي، والذي استبدل لغته الأصلية من على العملات المعدنية بلغة قبرص العامية Cypriote والحروف الإغريقية.

لقد كان الفينيقي سيدكميلك Sidqimilk يحكم لايثوس Lapethus ، وقد أصبحت أنا بالميلك Baalmilk ملكاً لسيتيام Citium ، وذلك منذ فترة قصيرة من انتهاء الحرب الكبيرة، وقد قدم على عملاته المعدنية ملكارت Melqart عارياً مرتدياً عصابة للرأس ومعه جلد الأسد والقوس، وفي الجهة المقابلة أسد جالس يزأر بجوار اسمه هو، وبمساعدة من الفرس هاجم بالميلك إيداليم Idalium ، ولكن تم دحره وهزيمته.

لقد عاد سايمون من منفاه الذي استمر عشر سنوات في بداية عام 451، وبسبب تأثيره، فإن المعاهدة مع أرجوس Argos قد انتهت، والهدنة المتفق عليها مع إسبرطة انتهت أيضاً، لقد عادت أثينا مقاومة

للتغير، ومحافظة على القديم، وأصبحت أكثر نشاطاً في مواجهة السياسة الفارسية، وكل ذلك من الممكن أن يتم توقعه، إن أرثميوس Arthmius ابن بثيوناكس Pythonax كان كصديق مثلاً يضيف رسماً لأثينا Cappadocian من زيليا Zeleia الكابادوكية، فلقد تم إرساله إلى اليونان، ومعه أموال كثيرة كي يبطل هذا الاتجاه، إن الأثينيين الخائفين قد صوتوا على أن يجب اعتباره دون المستوى وغير مشرف، وأنه عدو وخصم لأهل أثينا وحلفائهم هو وعائلته؛ لأنه أحضر الذهب من مدين Medes إلى بلوبونيس Peloponnese .

لقد كان هناك لوح برونزي منحوت عليه ومرسوم موضوعاً عن أكروبوليس Acropolis ، حيث إنه كان في الغالب مفوضاً وموضوعاً في القرن التالي، وبعد هذا الاحتفال غير المبهج بالانتصار كان من الطبيعي، وفي بداية عام 450 أن يكون هناك تصويت على تجنب الحرب، وأن قيادتها لا بد وأن تسند إلى سايمون.

لقد تم إرسال نحو ستين سفينة إلى أميراتيوس Amyrtaeus الذي لا يزال محاصراً في المستنقعات في مصر، والمتبقي وهو نحو مائتي سفينة ثلاثية المجاديف والتي تم التصويت عليها رافقت سايمون إلى قبرص، حيث وجد هناك الجزيرة الموالية من خلال أرتاباسوس Artabazus مع ثلاثمائة سفينة من فينيقيا Phenicia مدعومة بالقوات السيلينية Ciliaan لميجابيزوس، وبالرغم من أعدادها القليلة، فإن سايمون لم يتردد في أن يهاجم.

لقد تم القبض على ماريوم Marium وساتيوم Citium الذي وقع تحت الحصار، وفشلت عملية الإمداد بالمؤن والغذاء، ومات سايمون وتم فك الحصار وانتهى عام 449، لقد تم إنقاذ الأبهة الأثينية عندما تم إحباط هجوم بحري وبري مشترك، ولكن الحملة العسكرية عندئذٍ عادت إلى الوطن ملتقطة في طريقها الأسطول الذي تم إرساله لمساعدة

أميرتايوس، وبعد انسحاب الأثيني، فإن أزبال Azbaal ابن باالميك Baalmilk استطاع أخيراً أن يُخضع أيداليوم Idalium ، وكرمز لانتصارات سيتيوم Citium استبدل صورة الأسد المتحدي من على العملات المعدنية الخاصة بأبيه بصورة الأسد المنتصر الذي يفترس الإبل الإغريقية.

سلام كالياس Callias :

والآن، فإن معارضة سايمون واتجاهه المناهض بصورة ثابتة ضد فارس أصبح خارج المضمار، وهناك من لا يكون أية معارضة خطيرة من أجل اقتراح السلام، إن الأحداث المنطقية الصعبة استطاعت أخيراً أن تقنع بركليز Pericles بأن أثينا مدعومة بالقوات الديلانية Delian والتي كانت أصلاً تظهر الدليل على التهديد بعدم الحل، والذي كان يمثل شيئاً بالنسبة إلى الموارد الهائلة للإمبراطورية البربرية.

إن كلا الإمبراطوريتين قد توصلتا إلى ملاحظة أن المناوشات على الحدود كانت ذات أهمية قليلة إذا ما قورنت بالحقيقة التي لا تدع مجالاً للشك في أن إسبرطة ومعها قواتها من بلوبونسيا Peloponnesia هم عدوهما المشترك، ولكي يتجنبا تدخلاتها فقد كانت ميزة متبادلة بينهما أن يقوما بصياغة وإقامة سلام دائم، والذي يجب أن يقلل إلى أقصى حد احتمالية المنازعات الحدودية.

في بداية عام 449 كانت هناك سفارة يرأسها كالياس تم نقلها إلى صوصا، وبالصدفة المدبرة التي لاشك فيها ظهرت في الوقت نفسه سفارة من أرجوس Argos الذين هم حلفاء لأثينا، إن الأرجوسيين أو الأرغوسيين قد ذكروا أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بصداقتهم السابقة مع أبي الملك، وسألوا إذا ما كانت تلك الصداقة لا زالت قائمة أم أنه يعتبرهم الآن أعداءً له، وقد صاروا متأكدين أنها لا تزال قائمة، حيث أكد لهم أنه ليست هناك من مدينة يعتبرها صديقاً حميماً لنا أكثر من أرجوس Argos ، ونحن

متأكدين من تعاون الأرغوسيين، بعد ذلك قام كالياس ومرافقوه من السفراء بالتفاوض مع أرتاكسركسيس (Artaxerxes) وعمل المعاهدة التي عُرفت بعد ذلك بالنسبة للإغريق باسم معاهدة أرتاكسركسيس (Artaxerxes) .

كلا الطرفين قدم تنازلات من أجل التوصل إلى هذا السلام الرئيس لحكماء الولايتين، السلام نفسه كان موضوعاً على قواعد (تمثال كوانني بيليوم)، إن فارس -وللمرة الأولى- قد علمت بفقد المدن الإغريقية في آسيا، والتي دخلت إلى الإمبراطورية الأثينية (اليونانية)، بينما أثينا من جانبها تخلت عن تحريرها المزعوم لهذه المدن والتي في الحقيقية تخص الملك المعظم، وهذا كله لا يدل ضمناً على أن هذه المدن الإغريقية قد تركت بقسوة لتواجه مصيرها المحتوم، فتلك التي تخضع للحكم الأثيني بالطبع تتمتع بالحكم الذاتي، والذي كان مضموناً من خلال دستور التحالف الديلاني، والذي أبداً لم يُصرح به رسميًّا بالرغم من أنه من الطبيعي أن أثينا تفضل أن يتم اختيار ذلك الاستقلال أو الحكم الذاتي من خلال حكومة وطنية ديمقراطية، ولا زالت هناك استثناءات تحافظ على القديم وتقاوم التغير.

لذلك فقد كانت أثينا في وضع ممتاز لكي تطالب بأن تقوم فارس بالمثل بمنح استقلال أو حكم ذاتي مماثل للولايات الإغريقية الصغيرة التابعة لها، وأن تتأكد من أنها لن تكون في خطر بسبب ولاتها الطامحين، وأضاف أرتاكسركسيس (Artaxerxes) شرطاً آخر، وهو أن اللاويين ممن هم في الولاية يجب ألا يُسمح له برحلة أكثر من ثلاثة أيام من ساحل البحر.

وبالنسبة للتحالف الديلاني، فإن المساهمات التي قدمتها بعض المقاطعات المتعاقدة قد تم تقييمها من خلال القوة التي مُنحت للقيادة، وكما أنشأ التحالف في الإمبراطورية تلك المساهمات فإنها قد تحولت إلى

جزية، وكذلك فإن قيمة الضرائب الفردية قد زادت، إن المدن التي ظلت تحت حكم اللوردات الفرس كانت أسعد حظاً، فقد وعد أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بأن تظل قيمة الجزية التي يدفعونها كما كانت مفروضة منذ جيلين سابقين تقريباً بعد نسيان الثورة الأيونية، وأن هذا أصبح الآن مجرد اسم، وذلك في ضوء ازدياد النجاح بالنسبة للولايات الإغريقية الخاضعة للحكم الفارسي، ولكي نتحاشى الجدل، فإن الولايات المتعاقدة قد قامت بضبط حكام الولايات حسب الخطة في نطاق السلطة المدنية في المقاطعة الحدودية للإمبراطوريتين.

إن الحفريات التي تمت في الأطلال المعاصرة أوضحت كيف كان نظام التحصينات المنيعة مقنناً، وكيف أن المدن قد نجحت وازدهرت نتيجة لذلك، وأن القوات المنظمة لم تكن تستطيع أن تسير خلف هاليس Halys ، بينما -وكما رأينا- أنه يجب أن يظل اللاويون في الولاية بعيداً عن البحر.

إن الأسطول الكبير كان مسموحاً له بأن يتفكك، وهذا يعني أن أنشطته من الآن وصاعداً أصبحت محدودة في البحر المتوسط شرق فاسيلس Phaselis ونهر نسيوس Nessus وصخور سيانيا Cyaneean ، وكذلك الجزر الكليدونية Chaledonian ، وربما يمكننا كذلك أن نكون متأكدين من أن المعاهدة كذلك كانت قاصرة على الأسطول الأثيني بالطريقة نفسها، والأهم من ذلك أن أثينا بالتحديد تنكر الدعم المستقبلي للثوار في مصر أو في ليبيا.

الدبلوماسية في مصر معبر النهر:

محمياً بتلك المعاهدة شرع أرتاكسركسيس (Artaxerxes) في تناول مشكلة مصر من أن حجارة البناء من محاجر الحمامات قد طُلبت في عام 448، ومرة أخرى في عام 449، إن أرساميس Arasmes قد تم استدعاؤه

إلى البلاط، وعاد حاملاً معه إيتاروس والأسرى من القادة الإغريق، ودائماً كانت أم الملكة أميستريس تطالب بمعاقبتهم، ولكن ولمدة خمس سنوات ظل أرتاكسركسيس يقاوم إلحاحها، بعد ذلك أعدم إيناروس على الخازوق هو وخمسون إغريقيًّا آخرون تم ضرب أعناقهم، وهناك خاتم اسطواني لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) يصور عملية الذبح بالنسبة للثوار، وهو يرتدي التاج المصري المزدوج، بينما الإغريق المربوطون بالحبال ينتظرون عقابهم، فيما بعد فإن تانيراس Thannyras كان ضامناً لمملكة أبيه.

إن عهده الذي أعطاه قد تم انتهاكه من خلال المخادعين الذين خدعوا الملكة الأم، ولقد عاد ميجابيزوس Megabyzus متقهقراً إلى ولايته عبر النهر وهو نفسه قام بثورة، ولقد قام ابناه زوبيروس Zopyrus وأرتيفيس Artyphis بمساعدته بشجاعة وبسالة، ولكن تم إرسال يوشيرز Usiris المصري إليه بجيش كبير ليقف ضده، وقام القائدان بالمبارزة، حيث قام يوشيرز بإدخال الحربة في فخذ خصمه، ولكنه هو نفسه جُرح في فخده وفي كتفه، وسقط كلاهما من فوق سرج الحصان، ولكن ميجابيزووس حمى خصمه وأمر بالإبقاء على حياته، وأصبح والأسير الذي قام بأسره صديقين حميمين؛ لذلك فعندما بحث الملك كي يستدعي قائده، عاد يوشرز على الفور، ولقد تم إرسال قوة أخرى تحت قيادة مينوستانيس Menostanes ابن أرتاريوس Artarius أخو الملك وحاكم بابل.

لقد كان مينوستانيس أقل حظاً، حيث إنه في المبارزة المحتومة هو الذي جُرح فقط، ضرب في كتفه وفي رأسه وفر هارباً برجاله؛ ولأن شرف ميجابيزوس كان محفوظاً من خلال انتصارين مدويين، فقد شعر أرتاريوس أنه قد آن الأوان للعودة إلى الولاء، وقد كان ميجابيزوس نفسه مستعداً لأن ينذر نفسه ويظهر الولاء ولكن بشرط، أن يظل في ولايته، الملكة

أميستريس Amestris وكذلك الأغا القوي ذو العشرين عاماً أرتوكساريس Artoxares أضافا إلى ذلك تضرعاتهما وتوسلاتهما، وإن أرتاريوس Artarius نفسه وأميتس Amytis زوجة الوالي وأرتوكساريس ويوسيرس Usiris ابن بيتيسس Petisis الذين هبطوا جميعاً إلى ميجابيزوس، والذي بعد إقناع شديد ووعود كثيرة صعد إلى الملك وحصل على عفو نهائي، ولكن هذه الكوميديا التراجيدية انتهت بلا معنى.

عمل نهيمياه Nehemiah :

إن كل الجهود التي قام بها عذرا لم تستطع أن تقنع القلة المتعصبة التي عارضت القانون الجديد الذي تم إدخاله والذي كان بديلاً ملائماً للاستقلال، مدفوعين بالدفاع الناجح للسلطة الملكية لميجابيزوس، حيث قام المتهورون باستعادة حوائط أورشليم من أجل الإعداد لمحاولة أخرى للقيام بالثورة، لقد كان يهوذا Yudah تحت الإدارة المباشرة لساماريا Samaria ، وقد قام الحاكم ريهوم Rehum ومن خلال سكرتيره شمشاي Shimshai بإرسال تحذير إلى الملك.

أولاً ذكروا أرتاكسركسيس (Artaxerxes) في مقدماتهم بأن السكان عبر النهر كانوا موالين سابقين لبابل وإيلام، حيث تم طردهم خارج يورك Uruk وبابل وصوصا عن طريق الملك السوري آشور، وأقاموا في سامريا والمدن الأخرى من مدن المقاطعة، وبعد هذه المقدمة أتوا إلى بيت القصيد، وهو أنه ليكن معلوماً للملك أن اليهود الذين أتوا من عنده قد وصلوا إلى أورشليم، وهي مدينة مليئة بالثورات والشر، وأنهم يقومون بإعادة بنائها ويقومون بإصلاح الحوائط، ويعلم الملك أنه إذا ما تمت إعادة بنائها واكتملت حوائطها فسوف يقومون بدفع الجزية إما بالمال أو بغير ذلك، وفي النهاية فإن ذلك سوف يكون مؤلماً للملوك، الآن، ولأننا نأكل الملح مع القصر؛ ولأنه ليس من الصواب أن نرى الملك مسلوباً،

فإننا لذلك نكتب ونرسل التقارير إلى الملك؛ لذا فإن البحث يمكن أن يجرى في الكتاب المسجل لدى آبائكم؛ ولذا فإنكم سوف تكتشفون في الكتاب المسجل أن هذه المدينة ثائرة ومؤذية للملك وللمقاطعات الأخرى؛ لذا فإنهم يثورون فيها منذ القدم، وبناءً على ذلك فإن هذه المدينة كانت مدمرة ومخربة، وإذا ما تمت إعادة بناء هذه المدينة -نحن ننصح بذلك- وإذا ما تم استعمال حوائطها، فإن الملك لن يكون له مكان عبر النهر.

ولقد أجاب أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ورد قائلاً: «لقد تمت ترجمة الرسالة التي أرسلتموها لنا، وقد أعطيت أوامري، وتم عمل التحريات اللازمة، وتم اكتشاف أن هذه المدينة منذ وقت بعيد رفعت راية العصيان والتمرد ضد الملوك، وتلك الثورات قد تمت فيها، وكذلك فإن الملوك في أورشليم والذين حكموا عبر النهر وكان يتم دفع الجزية والضرائب والأموال لهم، كذلك فقد أعطينا الأوامر الآن بأن يتوقف هؤلاء الرجال عما يفعلون، وألا يتم إعادة بناء تلك المدينة إلا عندما أقوم بإصدار مرسوم مني بذلك، ويجب ألا تكونوا مهملين مخافة أن يزيد التدمير بالنسبة للملك، «وفي نشرة للأوامر الملكية فإن البناء قد توقف بالقوة».

إن اليهود كانوا بدون أصدقائهم المحليين، ومن خلال مساعدة موظف فارسي معين اسمه ميثريداث Mithredath تم إنقاذه من عملية نسخ المحفوظات المحلية من الخطابين اللذين تم ضبطهما، ومعهما نسخ من خطابات خطية من قورش (Cyrus) ، ومن دارا (Darius) ؛ لذا فقد أثبت أن المدينة قد تمت إعادة إنشائها، وأن المعبد قد أُعيد بناؤه بأمر من عثر على الإمبراطورية ومن خليفته العظيم، لقد أثبت كذلك أن السؤال عن حقوق اليهود قد تم بالفعل إعلاؤه، وأنه قد نال عطف الملك دارا (Darius) بالنسبة لليهود، وذلك بناءً على المرسوم المسبق الذي أصدره قورش (Cyrus) .

إن الوثائق قد كُتبت باللغة العبرية القديمة المقدسة، حيث تم تعديلها إلى لغة آرامية أحدث (لا تزال تستخدم في يهوذا)، ثم تم تحويلها إلى دعوة رسمية لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، والدعوى نفسها كانت مكتوبة بلغة آرامية رسمية عن طريق السكرتير الأول في القصر الملكي.

ومنذ أن تولى ريهيوم Rehum مسؤولية البريد الرسمي، فإن الخطاب قد ذهب إلى صوصا، وذلك فقط من خلال وفد خاص كان يرأسه حنانيا Hanania ابن حاكليا Hacaliah أخو نهمياه الساقي لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) والذي له تأثير فعال وحاسم، لقد وصل الوفد الخاص بين السابع عشر من ديسمبر عام 446 والرابع عشر من يناير عام 445.

لقد كان لدى نهمياه شك في أن أبناء جلدته كانوا يخططون لذلك، وعلى الفور طلب الأخبار عن أورشليم وعن اليهود هناك سواء الذين ينحدرون من الذين هربوا عند ترحيل نبوخذنصر Nebudenzza للأجانب، وهؤلاء الذين عادوا من المنفى، ولقد فزع عندما علم أن المنفيين في المقاطعة كانوا في حزن شديد، حيث إن حوائط أورشليم قد تهدمت وبواباتها قد حرقت بالنار، وظاهريًّا كان الملك خارج المدينة، وبالنسبة لخدمات نهمياه، فإنها لن تكون مطلوبة حتى عيد رأس السنة في الثالث عشر من أبريل عام 445.

لقد كانت لديه ثلاثة أشهر متاحة من النعمة، حيث يمكنه البكاء والعويل، ويمكنه الصوم والصلاة، إن مذكراته قد أعطتنا الكلمات التي كانت مستخدمة في الصلاة، وكذلك قد بينت لنا أن الصلاة التي وظفها نهمياه وخصصها كمقدمة أو استهلاك لكل فعل، ولم يكن مفاجئاً لنا أن نجد أن صلاته قد انتهت أملاً في أن إلهه سوف يحقق له نجاح الخطة التي كانت موضوعة بالفعل، وسوف يضمن له التقدير والاحترام لدى سيده، ومن خلال مكانته كحامل للصولجان فقد كان مسموحاً له أن يقوم على

خدمة نساء القصر، ويمكننا بذلك أن نتأكد من أن نهمياه كان آثماً بالرغم من حديثه المعلن جيداً والصريح، فإن مذكراته تدل على الرقة الشديدة للأغا.

وللوهلة الأولى، فإنه كان واضحاً أن خطاب تابييل Tabeel لم يكن مؤثراً، ولم يكن ليفعل شيئاً؛ لأنه بذلك كان يستلزم أمراً عكس المرسوم الملكي، الشيء الذي لم نسمع به في البلاط من قبل، لقد كانت هناك وسائل أكثر مكراً ودهاء يستلزمها هذا الأمر، فقد وقف أمام الملك في ذلة وانكسار، وفي حالة من الحزن المصطنع وذلك في العيد، فسأل أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بشغف عن السبب لما فيه حبيبه، فرد: «أجد الـلـه في عمر الملك إلى الأبد»، هذه كانت الإجابة التي فيها كياسة، ثم استجمع نهمياه شجاعته وأكمل: «ولماذا لا أكون حزيناً بينما المدينة التي فيها قبور آبائي قد أصبحت قفاراً وبواباتها قد احترقت؟»، وبحدة يرد الملك: «وماذا تطلب؟»، ولا يزال نهمياه خائفاً وهو يتنفس بصعوبة ويصلي لإله السماء: «إذا ... إذا كان الملك يتعطف، وإذا كان عبدك ذو مكانة في نظركم فأرجوك أرسلني مرة أخرى إلى يهوذا إلى المدينة التي بها قبور آبائي حتى يمكنني أن أبنيها».

لقد أُجيبت صلوات نهمياه؛ لأنه قد خطط جيداً للخط الذي سيدخل من خلاله، في ذلك الوقت كان تأثير الخمر التي يلاعب بها الساقي سيده قد بدأ، وكذلك الملكة، ومن خلال الترتيبات السابقة كانت تجلس بجوار زوجها، ولحسن الحظ، فإن الملك المترنح سكراً لم يحدد المدينة الموروثة لنهمياه يهوذا بأنها في أورشليم، والتي كان الملك قد أمر تواً بتدمير حوائطها، ولكن السؤال الوحيد الذي سأله إياه هو كم من الوقت تريد أن تغيب، ولم يضيع نهمياه أي وقت، وبالتالي فقد تم تحديد الوقت، وتم إعطاء الإذن بذلك، وقال نهمياه: «من فضلك وإن كان يسمح جلالة الملك بأن يعطيني خطابات لحكام عبر النهر لكي يسمحوا

لي بالمرور حتى أصل إلى يهوذا وكذلك خطاباً إلى عساف Asaph حارس الحديقة الملكية لكي يعطيني الأخشاب اللازمة لكي أُقيم العوارض للبوابات في القلعة الخاصة بالمعبد (تقع في مكان البرج الأخير في أنتونيا)، وكذلك لحوائط المدينة وللمنزل الذي سوف أقطن فيه»، إلى هذا الحد كان الطلب غير ضار أو مؤذ، ومرة أخرى وافق الملك عليه وأعطى الإذن بذلك.

لم يكن هناك وقت ضائع في المغادرة، إن إخلاصه وولاءه لم يكن مساوياً لعذرا، وكذلك فإن نهمياه قد فضل حامية من الفرسان الملكيين؛ ولأن ميجابيزوس قد غادر سوريا لكي يضع سلامه مع الملك فلم يجد نهمياه أية صعوبة في الوصول إلى الحكام الجدد عبر النهر إلى أن وصل إلى الذين قدم لهم التصريح الملكي، اثنان منهم، وهما سانبالات Sanballat -الذي جاء قبله مباشرة إلى سامريا- وطوبيا Tobiah زميله في الدراسة في آمون، وفي اللحظة نفسها أظهرا عداؤهما وحنقهما الشديد، وكانا حزينين، إن نهمياه يخبرنا لكي نتعلم أن رجلاً جاء يبحث عن الخير والسعادة والرفاهية لأطفال إسرائيل.

لقد كانا يتجادلان ويتمنيان أن تكون تلك الأسباب التي أدلى بها ريهيوم Rehum لا تزال متاحة، ولكن استسلام الولاية الثائرة قد حرمها من قواتها الحالية، وأن الأوامر المباشرة من الملك يجب أن تُنفذ.

في أورشليم نفسها كانت هناك آراء منقسمة بالنسبة لوضوح إعادة البناء المقترحة، شعيب Eliashib أعلى الكهنة كان هو نفسه على رأس هذا المشروع، ولقد وضع نهمياه قائمة بعدد من القادة اليهود الذين هم على شاكلته، والعديد من المواطنين القادة مع ذلك حافظوا على أن يكون طوبيا على علم تام بمجريات الأحداث، والرسل بالطبع كانوا بطبيعتهم قد اعتبروا أن أنشطة نهمياه على أنها البداية أو المقدمة بالنسبة للثورة.

بعضهم كان بالفعل يذيع أن الملك في يهوذا، والبعض الآخر قد

يضع نهمياه كحارس ضد الموظفين الرسميين، ومن بين هؤلاء الأنبياء نودياه Noadiah وشيماية Shemaiah ، والذين كانا ينصحانه بشدة بأن يقوم بتحصين المعبد ضد الحصار، ولكن الساقي الأول ليست لديه أية فكرة عن احتمالية الثورة، لقد أوضح بغضب أن الاستعدادات التي تبدو حقيقية من أجل الثورة كانت اختراعات غير صحيحة لسانبالات Sanballat ، وكاقتراح من أجل اللجوء إلى المعبد، فإن هذا هو الرجل الذي هربت من أجله ودخلت المعبد لكي أُنقذ حياته.

إنه يقول إنه قد اكتشف أن سانبالانت وطوبيا قد حذرا شيماية عندما دعاه رئيسه إلى الاجتماع، فرد نهمياه في إيجاز بأنه كان مشغولاً جدًّا، ولقد اعترف أيضاً أنه خائف من هجوم سانبالانت، وبذلك جعل رجاله يعملون وهم مسلحون وتحت حماية الجيش، وفي الثاني من أكتوبر عام 445 اكتمل بناء الحائط وكذلك البوابات في أماكنها، ولقد تبع ذلك احتفال كبير، حيث إن الحوائط قد أُقيمت، وقد أتم نهمياه مشروعه العظيم.

إن أعمال إعادة البناء قد استغرقت نحو اثنين وخمسين يوماً، ومما يذكر أن الحوائط لم تكن مدمرة تدميراً شديداً -حسبما يمكن أن نعتقد- والإصلاحات قد تمت بسرعة وعلى أكمل وجه دون أن يتم إعطاء أي تقدير للجمال أو أية جودة في العمل.

إن الاهتمام الناجح والتقدير الذاتي الساذج لمذكرات نهمياه لا يمكنه أن يعمينا عن الحقيقة بأن سانبالات هو وزملاءه كانت لديهم حالة جيدة، ولكن بناء الحوائط كان بمثابة عمل ملاذ آمن لليهود وسريعاً كما كان الإصلاح فإن نهمياه قد حفظ الخطة الأساسية للمدينة السابقة، وقد استمر هذا دونما أي تغيير أساسي حتى سنوات قليلة بعد المسيح، شيء واحد آخر يدين له به، وهو وصفه الدقيق لتضاريس المدينة، والذي بمساعدته استطعنا أن نفهم بصورة أفضل المدينة المقدسة كما كانت أيام المسيح.

أبو التاريخ في أثينا:

في العام نفسه 445، ظهر هيرودوت (Herodotus) في أثينا، رحلته السياحية الأصلية للعالم والتي نمت حتى أصبحت تاريخاً كاملاً للحرب العظمى التي حارب فيها الإغريق الأوروبيين الغزاة من الفرس، و بعد سفرياته ورحلاته خلال الإمبراطورية الفارسية قام بزيارة مواقع المعارك في أوروبا، وقد وصل إلى أثينا بنجاح، والتي أصبحت مركز إشعاع، حيث إن مدن آسيا كانت خاضعة لحجم الوجود الأجنبي الفارسي واليوناني.

إن قصته في كيفية أن أثينا تقريباً لم تتلقى مساعدة قد صدمت الجموع الكبيرة لدارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) ، والتي كانت محل ترحيب كبير بدلاً من السلام غير الرسمي الذي تم التفاوض عليه، فإن كلاً من نكالياس، فارس، أثينا قد انجرفوا إلى الحرب مرة أخرى، وقد قام هيرودوت (Herodotus) بإعادة سرد التاريخ عام 445، وعلى هذا فقد تمت مكافأته من المال العام.

الفصل الثالث والعشرون

القصص والروايات العالمية الشرقية

أسفار هيرودوت (Herodotus) :

إن هيرودوت (Herodotus) هو «أبو التاريخ»، وقد كانت المدينة التي ولد فيها - هاليكارناسوس - نصف كارية، حيث إن الأسماء الكارية كانت تنتشر فيما بين الطبقات الفنية، ومن المؤكد أن هيرودوت (Herodotus) نفسه كان يمتلك بضع قطرات من الدم الكاري، ونستطيع أن نجزم بأنه كان متعاطفاً مع الشعوب الأناضولية، وقد قام لجداميس مرزبان هاليكارناسوس بطرده هو وعمه الشاعر بانياسيس Panyasis ، فلجأ كلاهما إلى جزيرة ماسوس، وعلى الرغم من أن أثينا كانت تعترف بلجداميس Lygdamis ملكاً على هاليكارناسوس، إلا أن هيرودوت (Herodotus) قد ساعد لاحقاً في طرده منها، وقد استغل هيرودوت (Herodotus) كونه مواطناً فارسيًّا، وقام بالسفر والتنقل كثيراً في جميع أرجاء الإمبراطورية الفارسية، ومن المفترض أنه كان ينفق على نفسه أثناء هذه الأسفار من خلال العمل كتاجر، ولقد عزم في النهاية على كتابة كتاب بعنوان «جولة حول العالم» أفضل من ذلك الذي كتبه هيكاتيوس Hecataeus من قبل.

لقــد قــام هيكــاتيوس بزيــارة مصر -تلــك الأرض التــي كانــت في القــدم

أرض معرفة- والتي تعلم منها الفلاسفة الأيونيون الكثير، وما فعله هيرودوت (Herodotus) هو أنه سار على خطاه، ويبدو أن هيرودوت (Herodotus) قد وصل إليها عندما كانت القوات الأثينية تساعد المتمرد إيناروس (459-456)، ولقد انبهر بها، حيث يقول إنه لا توجد بلد تمتلك مثل هذا العدد الكبير من الأماكن الخلابة، وبالطبع كانت لوكراتيس تلك المستعمرة الإغريقية القديمة الموجودة في الدلتا هي القاعدة التي يعمل منها، ولقد وصلت إلينا إحدى الأواني الزهرية التي تحمل اسمه، وهي دليل حي على زيارته التي قام بها لتلك المستعمرة، ولقد قام هيرودوت (Herodotus) بإجراء استقصاءات في كل مكان في عصر سيس Sais على ساحل البحر وحتى فيلة جنوباً، والتي تقع أسفل الشلال الأول، وعندما قام كهنة منف على سبيل المثال بإخباره بما بدا وكأنه قصة طويلة، سافر إلى هليوبوليس وطيبة للتأكد من صحة رواياتهم.

«كما يقول هيرودوت (Herodotus) ، فإن مصر هي هبة النيل، ولقد كان يُدرك كيف شكلت الدلتا، والدليل على صحة اعتقاده هو التربة السوداء الشهيرة التي كانت تميز بها الدلتا والأصداف البحرية الموجودة على طول المنحدرات النيلية، إلا أنه يرجع تكونهم إلى الأزمة الغابرة، ولا يستطيع أي شخص تفسير الفيضان الذي يحول مصر كل عام إلى بحر، ولكن قام فقط الموظف المسؤول عن تسجيل الكنز المقدس للإلهة أثينا (نيث) في سيس بتقديم تخمينات حول منبع النيل، ولقد أعلن أنه فيما بين Syene وفيلة توجد ينابيع لا قرار لها، كان ينبع منها أحد الأنهار إلى مصر وآخر إلى اليونان، ولقد كان لدى هيرودوت (Herodotus) شك في أن ما يقوله ذلك الرجل هو الحقيقة، ولكنه إذا دقق النظر أثناء زيارته إلى طيبة لكان اكتشف أن هناك مجالاً لهذا المنبع لإله الهلال.

ولقد قدم هيرودوت (Herodotus) وصفاً دقيقاً للعادات الغربية التي شاهدها في الملبس والمأكل والطقوس الدينية الغريبة، والتي كانت في

أغلب الأحوال على النقيض تماماً من العادات والطقوس الإغريقية، كما قام هيرودوت (Herodotus) أيضاً بفحص الحيوانات الغريبة مثل فرس النهر والتمساح، وكذلك أيضاً العنقاء، ولكن فقط عن طريق أحد الرسوم التي تصور هذا الطائر، ولقد كان تخصص الأطباء المصريين في علاج أمراض بعينها هو من الأشياء الجديدة التي وجدها هيرودوت (Herodotus) ، وسببت الأديان بشكل خاص الكثير من الحيرة والدهشة لهيرودوت (Herodotus) ، حيث إنه قام بزيارة جميع المعابد المسموح بزيارتها، كما أنه شاهد جميع الطقوس المسموح للجمهور بمشاهدتها، ولقد رأى أيضاً عبارة بوباستيك Bobastic الذين كانوا من الرجال والنساء، والذين كانوا يصيحون بأحاديث الإفك والنصائح، كما رأى عيد الأضواء في سيس ومباريات المصارعة التي كانت تقام في معبد باريسيس، وكان من الطبيعي أن يقوم هيرودوت (Herodotus) بإجراء مقابلة بين المعبودات المصرية والإغريقية، ولكن كل من إيزيس وحورس وأوزيريس كانت بالنسبة إليه آلهة غريبة تماماً مما اضطره إلى أن يُطلق عليها أسماءها الحقيقة، ويخبرنا هيرودوت (Herodotus) أنه قد حرص على تجنب إفشاء أسرار الألغاز الغامضة، مما يُعطيها انطباعاً غير مسموح به بأنه كان قد تم إدخاله في عقوبة تلك الجماعات السرية، ولقد تعلم العرافة والنبوءات والأبراج، كما قام بوصف عملية التحنيط لكل من البشر والحيوانات بجميع تفاصيلها المخيفة، وإحضار المومياء إلى المعبد.

وعندما وضع هيرودوت (Herodotus) وجهاً لوجه أمام هذه الأدلة الغامرة عن الماضي القوي للمصريين، لم يستطع التباهي بالتفوق اليوناني على ذلك الشعب البربري، والشيء الذي أثار دهشته هو أن المصريين كانوا في الحقيقة يسمون كل هؤلاء الذين لا يستطيعون تحدث لغتهم بـ«البربريين»، ولم يستطع هيرودوت (Herodotus) إبداء أي اعتراض على ذلك، وقد وجد الأشخاص الذين كانوا يعملون كمرشدين لهيرودوت

(Herodotus) في مصر أنه مستمع متلهف لسماع رواياتهم، كما أنه كان يتسم بالسذاجة وسرعة التصديق بشكل عام، ونخشى أن حس الفكاهة المصري سيئ السمعة لم يكن مكافئاً للضغط.

فلقد أثبت هؤلاء الرواة لهيرودوت (Herodotus) أن مصر هي أم كل الحضارات، وكان المصريون هم أول من سمى الآلهة الاثني عشر الذين قام اليونانيون باستعارتهم منهم لاحقاً، وقد استعان المصريون بالشمس في وضع السنة الشمسية، وقسموها إلى اثنى عشر شهراً، يشتمل كل منها على (30) يوماً، ثم أضافوا إليها خمسة أيام إضافية حتى تعود دورة الفصول بشكل متناغم، ولقد أقر هيرودوت (Herodotus) بأن هذا التقويم يتفوق كثيراً على التقويم اليوناني الذي كان يقتضي إضافة شهر كبيس كامل بصورة متعاقبة (سنة تحتوي على هذا الشهر وأخرى لا تحتوي عليه، ومن الأشياء التي أرضت هيرودوت (Herodotus) هي أن المصريين قد أثبتوا له أنهم هم أول من أنشأ المذابح والصور والمعابد والتماثيل، وبالإضافة إلى هذا أيضاً فقد كانت المراسم الدينية والاحتفالات والألغاز الغامضة والإيمان بالخلود تعود كلها في الأصل إلى مصر، ولتتويج كل هذه الروايات قام الكهنة المصريون بإعادة ذلك الدرس الذي كانوا قد لقنوه من قبل لهيكاتيوي Hecataeus على هيرودوت (Herodotus) ، كما أروه أيضاً التماثيل الخشبية الثلاثمائة وخمسة وأربعين التي تمثل أسلافهم المباشرين.

ولقد كان هيرودوت (Herodotus) مستعداً بعد ذلك لتقبل حقيقة التاريخ المصري كما رواه الكهنة في هليوبوليس، حيث إن الآلهة قد حكمت مصر في البداية، وكان آخرها الإله حورس ابن أوزيريس الذي قضى على الإعصار الشرير، ولقد قام مينا - أول ملك يحكم مصر من البشر- بتحويل مجرى النيل حتى يؤسس مدينة منف وشيد فيها معبد فيناسكوس (بتاح)، كم قام الكهنة بعد ذلك -وبالاستعانة بإحدى أوراق

البردي التي تشبه البرديات الموجودة حاليًا- بسرد أسماء الملوك الثلاثمائة والخمسين الذين لم يتركوا أية آثار خلفهم حتى جاء الملك الأخير منهم، والذي قام بحفر بحيرة موريس أنشأ أهراماتها، ولقد قام الفرعون المصري ميزوستريس بغزو آسيا بأكملها بما فيها إقليمي سكيثيا وطراقيا، وترك آثاراً له في فلسطين وأيونيا، والتي قام هيرودوت (Herodotus) بزيارتها في خشوع وتقوى، ولقد قام بعض جنوده بإنشاء مستعمرة في كولخيس؛ وذلك وفقاً لما ذكره كل من الكولخيين والمصريين، وقام سيزوستريس عقب عودته من هذه الحملة باستخدام الأسرى الذين جلبهم معه في حفر القنوات، ولم يسمح لأي شخص منذ ذلك الوقت باستخدام الأحصنة أو العربات، كما قام أيضاً بتقسيم الأرض إلى عزب وقطع متساوية في المساحة، وجمع من المنتفعين بها الإيجار، ولقد تطور علم الهندسة نتيجة لذلك، ولم يكن البابليون موجودين حتى يُفنوا ويعارضون هذه المزاعم المستحيلة، ولكن هيرودوت (Herodotus) أصر على أن كل من المزولة وعقرب المزولة واليوم الذي يتكون من 12 ساعة هي ابتكارات جاءت من بابل.

ولقد سأل هيرودوت (Herodotus) عن حرب طروادة، وكانت الإجابة جاهزة وفورية عند المصريين، حيث أخبروه أن بروتيوس Proteus حفيد سيزوستريس Sesostris قد طرد باريس عندما وصل ومعه هيلين التي سرقها من أهلها، ولكنه أبقى على تلك السيدة الجميلة، وهكذا كان الطرواديون محقين عندما أخبروا اليونانيون الغزاة أن هيلين Helen ليست بحوزتهم، ومن المؤكد بشكل كافٍ أنه عندما سقطت تلك المدينة في أيدي اليونانيين لم يوجد أي أثر لهيلين، فقام مينيلوس بالإبحار نحو مصر واستعاد زوجته، ولقد استعان المؤلف المسرحي يوريبيديس Euripides بهذه القصة كنواة صاغ حولها مسرحيته المسماة «هيلين»، ولقد دار الفصل الذي يتحدث عن اللص البارع حول أيام

الفرعون المصري رامبسينيتوس (رمسيس)، ولقد تحول الحكم الرشيد والازدهار الذي كانت تعيش فيه مصر إلى كبت واضطهاد عندما قام الفرعون خوفو بإجبار شعبه على بناء هرم كبير له، وأيضاً عندما قام خفرع من بعده بإجبار المصريين على بناء هرم ثانٍ له، ولكن الفرعون منقرع الذي قام ببناء الهرم الثالث كان أكثر رفقاً ولطفاً في معاملة المصريين من أسلافه، ثم قام الإثيوبيون بعد ذلك بغزو مصر تحت قيادة سباكوس Sabacus (شباكا) Shabaka ، ولقد نجا سيثوس Sethos (سيتي) Seti من قبضة ستاخاريبوس Sennacharibus أو (سيناخريب) Senacherib -ملك العرب والآشوريين- عن طريق الفئران التي قرضت خيوط الأقواس التي يستخدمها الغزاة.

ولقد مثل هذا المزيج الرائع الأحداث التاريخية الحقيقة والمزيفة الذي تميزت به هذه الرواية لهيرودوت (Herodotus) ، مثل الأسلوب الذي سار على نهجه المؤرخون اليونانيون الذين جاءوا من بعده في تاريخهم لدول الشرق، ومن الأشياء البارزة حقاً التي تستحق الذكر هي التأثير الذي خلفه هذا الأسلوب على المحاولات اللاحقة المتعددة التي كانت تهدف إلى الربط والوصل بين الأشخاص الأسطوريين الشرقيين واليونانيين، ولقد استشهد المؤلف المسرحي الإغريقي سوفوكليس Sophacles حرفيًا بما قاله صديقه هيرودوت (Herodotus) في تصريحه بأن الأعمال التي كان يقوم بها كل من الرجال والنساء في مصر كانت عكس تلك التي يقوم بها الرجال والنساء في اليونان، ولقد علم بأمر المومياوات المصرية، ثم قام هيرودوت (Herodotus) بعد ذلك بالإبحار متجهاً نحو صور، والتي انبهر فيها عندما شاهد معبد هرقليز بدعائمه الزجاجية التي تشبه الزمرد، وقد علم هناك أيضاً أن الفينيقيين هم من قاموا باختراع الأبجدية، كما سمع أيضاً بطقس الختان الغريب الذي كانت تمارسه وتقوم به شعوب معينة في فلسطين وسوريا، ولم ينبهر

هيرودوت (Herodotus) ببابل بتلك الدرجة نفسها، على الرغم من أنه قد قام في بابل بزيارة الأنقاض المهيبة لمعبد بيل Bel ، وسمع من أهلها عن الصورة الذهبية للإله بيل التي نقلها كسركسيس (Xerxes) ، كما استمع أيضاً إلى قصص عن الملكات الشهيرات سميراميس Samiramis ونيتوكريس Nictocris ، وقد أصيب هيرودوت (Herodotus) بصدمة قوية عندما سمع بطقوس الدعارة الدينية التي كانت تتم تكريماً للإلهة مايليتا Mylitta (وهو أحد ألقاب الإلهة عشتار)، كما شاهد أيضاً الانحطاط والتدهور الشديد الذي آلت إليه هذه الأراضي التي كانت غنية فيما سبق نتيجة للضرائب المجحفة.

هيرودوت (Herodotus) كناقل للحكايات والقصص الشرقية:

لقد كان هيرودوت (Herodotus) -أبو التاريخ- أعظم راوٍ للقصص في التاريخ القديم، وقد تجاهل النقاد -القدامى منهم والمعاصرون- وبشكل متكرر عبارة هيرودوت (Herodotus) التي يقول فيها: «هكذا هم يقولون، ولكني لا أصدقهم»، ولكنهم أكدوا على أن هذا رأيه وسخريته نحو قرائه -والتي هي الخاصية الأجمل التي يتميز بها أسلوب هيرودوت (Herodotus) - قد أضعفت وقللت من مصداقيته كمؤرخ، وبمرور مزيد من الوقت عاماً بعد عام أثبتت الاكتشافات الجديدة من الشرق أن النقاد هم الذين كانوا مخطئين وليس المؤرخون، ولقد عرف هيرودوت (Herodotus) ما توصل إليه المؤرخون الذين جاءوا من بعده -ولكن ببطء- أن قصة واحدة جيدة عن أحد الأفراد -حتى إذا كان هذا الرجل لم يكن موجوداً على الإطلاق- قد توضح لنا بصورة أفضل طبيعة نفسية غريبة عما قد تفعله مجموعة كئيبة ومملة عن الحقائق الروتينية.

وإذا كنا قد شهدنا في السنوات الأخيرة إدراكاً ما لهذا المبدأ العام، إلا أننا لا نزال عاجزين عن إدراك أنه توجد لدينا أدلة في هذه الروايات غير

الحقيقية على أحد أهم الحقائق البارزة في التاريخ الأدبي للعالم، ويشتمل تاريخ الشخصيات الأسطورية اليونانية على العديد من الحكايات المأخوذة من الشرق، ولقد سار الشعراء والمؤلفون المسرحيون اليونانيون على هذا النهج نفسه، وبالنظر إلى هذه الروايات ككل، نجد أنها قصص عن الشرق كتبها غربيون بدلاً من أن تكون قصصاً شرقية حقيقية، وهيرودوت (Herodotus) هو أول من قدم قصصاً شرقية حقيقية على نطاق واسع، ولقد لعب بذلك دوراً رئيساً في نقل القصص وروايات الحب الشرقية إلى الغرب وإلينا، وقبل أن يقوم الفرس بفتح أيونيا، كان الليديون قد تمكنوا من دمج الأيونيين اليونانيين في إمبراطوريتهم، ونتج عن ذلك أن أصبحت القصص الأناضولية شائعة هناك، ونستطيع الجزم بأن قصص كريوسوس التي نعرفها جيداً لا تنتمي لهذه الدائرة، حيث إنها تمثل الرواية اليونانية المختلفة الشهيرة التي تثبت أن الطغاة الشرقيين هم دائماً أشرار وأغبياء، ولكن القصة التي تُظهر كيف أن جيجيس Gygis قد اضطر إلى إنشاء أسرة حاكمة هي قصة لم يكن من الممكن ليوناني أن يتصورها، كما أن الغضب الذي ظهر على زوجة كاندوليس Candules عندما اكتشفت أن زوجها قد قام بتعريتها من ثيابها وعرضها أمام المقربين منه، وإصرارها على ضرورة قتل جميع من شاهدوها وهي عارية باستثناء رجل واحد، تتماشيان تماماً مع الحساسية المعروفة عن الشرقيين تجاه انكشاف أجسادهم بشكل غير محتشم أمام الآخرين.

ويأتي من تلك الدائرة الأناضولية الكئيبة والمتجهمة مشهد وفاة ابن كريوسس المسمى أتيس Atys ، حيث إن كريوسوس Croesus قام -بعد أن رأى في منامه حلماً ينذره بأن أتيس كان مقدراً له أن يُقتل برمح حديدي- باتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة للحيلولة دون وقوع ذلك، ولكن أتيس تمكن أخيراً من إقناع أبيه بالسماح له باصطياد الخنازير البرية في جبل الأولمبوس الموجود في ميسيا، ولقد قُتل في حادث عرضي غير مقصود

على يد أعز أصدقائه المُسمى أدراستوس Adrastus ابن العاهل الفريجي جورديياس Gordyas الذي استقبله كروسوس في قصره عندما فر من بلاده والذي قد غسل نفسه طقسيًا من ذنب قتل أخيه، ولم يلقِ الملك الليدي باللوم على آدراستوس Adrastus ، وقد أدرك في النهاية الدرس الذي علمته الآلهة للبشر، وهو أن الإنسان لا يستطيع الهرب من أو تجنب مصيره المقدر له.

ولقد كانت الدائرة الإيرانية هي إحدى هذه الدوائر، وأحد الأمثلة الجيدة على ذلك هو قصة ديوسيس Deoces والذي كان في التاريخ الفعلي مجرد شيخ قرية ثانوي أسره سارجون Sargan ملك آشور وقام بترحيله إلى سوريا، وتبعاً للرواية الساذجة، كان هذا الرجل حكيماً للغاية، كما أنه قام ولبعض الوقت بإرساء العدالة فيما بين جيرانه، ولكن عندما أصبح جيرانه معتادين على تقبل أحكامه، امتنع عن الحكم فيما بينهم بدعوى أنه ينفق وقته على ذلك دون الحصول على أية مكافأة، وكنتيجة طبيعية لذلك، قاموا بجعله ملكاً على ميديا للاحتفاظ بعدالته، وعندها اعتزلهم ديوسيس في القصر الذي بناه في إكباتانا وأصبح من غير الممكن الوصول إليه، وهناك قصة نموذجية ثانية وهي قصة الأميرة مانداني -أم قورش (Cyrus) - التي حلمت بأن شجرة كروم قد نبتت من رحمها، وأن ظلها قد غطى آسيا بأكملها، والحلم الذي رآه قورش (Cyrus) قبل موته مباشرة على يد ملكة الماساجيتاي، والذي رأى فيه دارا (Darius) وقد نبت له جناحان على كتفيه، أحدهما يظلل آسيا، والآخر يظلل أوروبا هو أولى الإشارات التي لدينا عن اعتقاد الملوك الفرس في «المعبد الملكي العظيم» ، والذي بالنسبة للملوك الإيرانيين اللاحقين كان يمثل وبصورة منتظمة جدًا نبوءة بأن الرجل الذي ينزل عليه سوف يصبح ملكاً عما قريب، ولقد شرحت قصة أخرى اعتلاء دارا (Darius) غير المتوقع للعرش من خلال تلك الرواية عن الطريقة الماهرة التي تمكن بها سائسه

أوباروس Oebarus من جعل فرس دارا (Darius) يصهل أولاً قبل باقي أحصنة الستة المتنافسين معه.

أما القصص البابلية فهي تتحدث عن الملكات سميراميس ونيتوكريس، وقد قام المؤلفون اللاحقون بتوضيح قصة الملكة الأولى وأضافوا إليها الكثير، وظهرت إحدى الروايات العالمية المفضلة الأخرى -وهي تلك الرواية عن الحاكم ساردانابالوس Sardanapalus المولع بالترف- للمرة الأولى في تاريخ هيرودوت (Herodotus) ، وهذه القصة ذات أصل آشوري؛ لأن ماردانابالوس هو عبارة عن مزيج بين الاثنين من الملوك الآشوريين وهما آشور-نصر- بال وآشور-باني-بال (663 - 633)، ولقد تم حفظ التراث الشعبي المصري الحقيقي في قصة اللص الماهر الذي نجح في الزواج من ابنة الفرعون رمسيس، ويمكن للواحد منا أن يستمع إلى صورة معاصرة لهذه القصة بعد مرور (23) قرناً ونصف القرن من شفتي جمّال غبي وأمي يقع بيته على حدود مصر، ويخبرنا هيرودوت (Herodotus) أيضاً كيف أنه قد علم من كهنة هيفاستوس في منف أن الملك بسماتك قد اكتشف اللغة الأولى في الظهور عندما قام بإيداع طفلين مع الرعاة، ثم تركهم ليتعلموا التحدث واللغة بدون تدريب، فوجد أن اللغة التي يتحدثونها هي اللغة الفريجية، ومن المحتمل أيضاً أنه قد سمع قصة أكثر نموذجية من الكهنة، فعندما كانت مصر مقسمة فيما بين اثنى عشر ملكاً -وهم الحكام المحليون القانونيون الذين كانوا يحكمون مصر قبل قدوم فراعنة أسرة سيتي - أعلن أحد العرافين أن من سيقوم بسكب الخمر في معبد هفاستوس من كأس برونزية سوف يصبح ملكاً على كل مصر، وفي اليوم الأخير من العيد قام الكاهن المسؤول عن إقامة المراسم بإعداد أحد عشر كأساً ذهبية فقط، وتوجب على بسماتك استخدام خوذته البرونزية، ولقد أدرك الحكام الفرعيون الأحد عشر الباقين أنه قد تم تنفيذ النبوءة دون علمهم،

ولكنهم، وعلى الرغم من ذلك قاموا بطرده إلى المستنقعات، ولقد أخبر كهنة هيكل ليتو الموجود في بوتو، أخبروا بسماتيك رداً على استفساره أن النبوءة الأولى سوف تتحقق عندما يرى رجالاً من البرونز يخرجون من البحرِ، ولقد وصل الكاريون والأيونيون الذين كانوا يرتدون سترات من البرونز من أجل النهب والسلب، فقام بسماتيك بدمجهم في جيشه كمرتزقة، وتمكن بمساعدتهم من أن يصبح حاكماً على مصر بأكملها، وأسس بذلك أسرة سيتي، وتتناول القصص المحلية هذه الفترة نفسها التي اتسمت بالاضطراب والفوضى، ويمثل قيام هيرودوت (Herodotus) بتقديم سرد عابر للقصص الشرقية الخاصة بالأقاليم التي تقع بالقرب من مصر واحداً من إسهاماته ومميزاته التي لا تقل أهمية عما سبق.

حكمة أهيكار Ahiqar :

وهناك، وفي هذه المرة قصة قد حظيت بشعبية وانتشار أوسع، وقد تم نسخها في مستعمرة المرتزقة في فيلة، والتي تقوم على أساس صلب من الحقيقة، ففي عام 698 كان هناك شخص ما اسمه أهيكار والذي كان الضابط الثاني في مدينة بارهالزا Bashalza الآشورية، كما أنه كان أيضاً أحد المسؤولين في مدينة بيت-سين-إبني التي ذكر اسمها في إحدى الرسائل، ومن المؤكد أنه كان هو أهيكار الأصلي الذي تحكي عنه القصة، والذي كان كاتباً حكيماً، وكانت كلماته المكتوبة باللغة الآرامية قيمة جدًّا بالنسبة لهؤلاء المستعمرين اليهود، كما كان أيضاً مستشاراً لآشور بأكملها، وحامل خاتم الملك سيناخريب، الذي كان يعتمد على نصيحته، ولقد مات سيناخريب Senacherib وخلف ابنه إسارهادون Esarhaddon ، ولم يكن لدى أهيكار أي أبناء ذكور؛ ولذلك أخذ ابن أخته المسمى أندين Andin وعلمه ليكون خليفة له، ونستطيع القول إن نادين هذا هو الكاتب نادين الذي ظهر اسمه في إحدى الوثائق التجارية

التي تعود إلى عام 671، والذي كتب أيضاً رسائل لـ«إسارهادون» وآشور-باني-بال، وقد نال نادين عطف الملك، وأصبح من الذين تؤخذ مشورتهم، وكان يجلس أمام الملك وحاشيته مع أهيكار عند بوابة القصر، ولقد ساعد أهيكار نادين في الاقتراب أكثر وأكثر من الملك، وعلمه كيفية الإجابة والرد على جميع الاستفسارات الملكية، ولقد أحب إسارهادون أهيكار كثيراً، وقال: «أطالت الآلهة عمر أهيكار»، وعندما سمعه أهيكار يقول ذلك انحنى أمامه وقدم فروض الطاعة والولاء، وحيث إنه كان رجلاً مسناً، فقد طلب من الملك أن يجعل نادين خليفة له.

ولكن نادين قال للمك: «إن هذا الرجل العجوز قد أفسد الأرض عليك»، مما جعل إسارهادون يستشيط غضباً من أهيكار، فقام باستدعاء نابو-سوم-إسكون Nabu-sun-iskun أحد قادة والده الذين أكلوا من خبزه، ولقد كان هذا الرجل معروفاً هو الآخر باسم «حامل اللجام» للملك سيناخريب، كما كتب له العديد من الرسائل، ولقد كلف إسارهادون نابو-سوم-إسكون بمطاردة أهيكار وقتله، فقام نابو-سوم-إسكون بامتطاء جواده السريع، ووجد أهيكار يمشي بين أشجار الكروم، وعندما رآه أهيكار، قام بشق ملابسه من الحزن والأسى.

ولقد أقر أهيكار بأنه كان خائفاً، ولكنه ذكر نابو-سوم-إسكون كيف أنه هو نفسه قد تم إنقاذه من موت غير مستحق عندما غضب سيناخريب منه، وسعى إلى قتله، وكيف أنه -أهيكار- قد قام بإخفاء ذلك الهارب في بيته بعد إعلان أن المجرم قد تم قتله، وكيف أنه قد قام بعد ذلك بعدة أيام بإحضار نابو-سوم-إسكون أمام الملك سيناخريب، وأذهب عنه سيئاته وجرائمه، مما جعل الملك لا يمسه بأي أذى، بل إنه كان مسروراً لأنه ما زال حيًّا، ثم طلب أهيكار من نابو-سوم-إسكون أن يفعل مثل ذلك معه، وأخبره أن الملك إسارهادون هو ملك رحيم، وأنه سوف يتذكر أكثر من أي شخص آخر كيف أن أهيكار قد خدمه، وسوف يحتاج إلى مشورته، ودعاه إلى قتل

أحد العبيد الخصيان بدلاً منه، وبعد ذلك سوف يتذكر الملك إسارهادون أهيكار، وسوف يرغب في الاستماع إلى مشورته، وسوف يأسى على رحيله، ويُخبر شيوخ القبائل وحاشيته أنه سوف يعطي ثروات عددها مثل عدد رمال الصحراء لمن يجد منهم أهيكار.

وتتوقف الرواية المسجلة في البردية عند هذه النقطة، ولكننا نعلم من بعض النسخ اللاحقة منها أن كل شيء قد حدث كما كان متوقعاً، حيث إن إسارهادون قد عبر عن رغبته في الاستماع إلى مشورة أهيكار، فقام نابو-سوم-إسكون بإحضار هذا المسؤول الذي كان من المفترض أنه قد مات، والذي أخبر الملك بالقصة الحقيقية، وقد نتج عن ذلك أن لحق الخزي والعار بنادين، وتم تسليمه إلى خاله حتى يتولى هو عقابه، ولقد كان عقاب هذا الشرير نادين قاسياً للغاية، حيث إنه كان عليه أن يستمع كل يوم إلى حكم وآمال خاله التي لا تنتهي! وقد تنوعت هذه الحكم والأمثال مع كل نسخة جديدة حتى أصبحت «حكمة أهيكار» خلاصة وافية منتظمة تقوم عليها أفضل الكتابات الأصلية في العالم والمكتوبة باللغات الآرامية والسيريانية والعربية والأرمينية والحبشية، ولقد استشهد ديموقريطوس بهذه الحِكم، كما استخدمها الكاتب الإغريقي إيبوي الذي وضع حكايات على ألسنة الحيوانات، وتم تقليدها ومحاكاتها في النسخة الحالية من التوبيت Tobit ، ويعج «العهد الجديد» بأقواله الحكيمة، كما أن يسوع الناصري قد تكرم واستعان بها في دعوته.

وقد تم حفظ جزء صغير فقط من هذه الحكم في بردية فيلة، ومن المؤكد أننا نستطيع أن نلمس العديد من هذه الحكم والأقوال المأثورة «الأصيلة» في أماكن أخرى، ولكن تلك الأمثال التي تتضمنها هذه البردية -على الأقل- هي في معظمها عبارة عن ترجمات لحكم بابلية أكثر قدماً، حيث إنه نظراً لأن القصة آشورية في الأساس فلا بد إذن أن تكون هذه العِبر والأمثال آشورية هي الأخرى: «ما الشيء الأقوى من

رغوة الخمر في المعصرة؟ سوف يزدهر الابن الذي تم تدريبه وتعليمه والذي تم وضع الأغلال في قدميه، اضرب ابنك إذا لم تكن تستطيع منعه من أن يصبح شريراً، حيث إنني إذا ضربتك يا بني فلن تموت، أما إذا تركتك تتبع هواك سوف تهلك، كما أن توجيه ضربة لأحد العبيد أو توبيخ إحدى الإماء سوف يؤدي إلى تحقيق الانضباط فيما بين العبيد».

«لقد ترك الجحش حمولته، ولن يحملها خوفاً من الأسد، وهذا سوف يجعله يشعر بالعار أمام صاحبه، وسوف يعمل ثقلاً لا يتماشى مع قدرته، حيث إنه سوف يحمل الحِمل الذي يحمله البعير، وهناك شيئان يُعدهما الإله شماش Shamach ميزة، وثالث يُشكل مصدر سعادة له: الرجل الذي يشرب الخمر ويعطي، والرجل الذي يسمع كلمة ولا يفشيها، والحكمة هي شيء ذو قيمة كبيرة حتى بالنسبة للآلهة، كما أن الملك والمملكة سوف يظلان دائماً ملكاً للحكمة، والحكمة هي من الأشياء المقدسة في السماء؛ لأن المقدس قد مجدها وعظمها، وعلى الإنسان أن يحرس لسانه، وألا بركه ليكون السبب في دماره وهلاكه، وعليه أن يحرسه أكثر من أي شيء آخر، وعليه أيضاً ألا يقبح هواه أو يستمع إلى ما تحدثه به نفسه عندما يسمع كلمة ما؛ لأن الكلمة مثل الطائر، إذا ما خرجت من لسان الإنسان لن يستطيع أن يوقفها أو يُرجعها، احصِ أسرارك، وقدم النصيحة بعد ذلك لأخيك بغية مساعدته، لأنه لا يوجد ما هو أشد من عثرة اللسان إلا عثرة القتال.

ولا تكتم كلمة الملك، ولكن دعها تكون ثناءً لأخيك، حيث إن حديث الملك ناعم، ولكنه أمضى وأقوى من سكين ذي حدين، انتبه.. فهناك شيء صعب أمامك، وإياك أن تتأخر على الملك، حيث إن غضبه أسرع من البرق، كما أنه عليك أن تنتبه لنفسك، ولا تجعله يغضب من كلماتك، وإذا أمرك الملك بشيء فعليك أن تُسرع إلى تنفيذه؛ لأنه كالنار المشتعلة، وإياك والتباطؤ لأن ذلك يُثير حنقه وغضبه».

«لقد أرسل العليق إلى الرُمان قائلاً: «من العليق إلى الرمان .. ما النفع الذي تعود به أشواكك العديدة على من يلمس فاكهتك؟»، فأجاب الرمان قائلاً: «أنت كلك أشواك وآلام لمن يلمسك»، وجميع الأشخاص الذين يقابلون الشخص المستقيم يكونون في خدمته، وسوف تنهار بيوت الأشرار خلال العاصفة، كما ستقع بواباتها على الأرض في لحظات الهدوء؛ لأنها ستكون غنيمة للأشخاص المستقيمين».

«عندما رفعت عيني نحوك، وعندما أعطيتك قلبي، قمت باحتقاره عندما نظرت إلى قلة حكمته، وإذا أمسك الشرير بأطراف ثيابك، فاتركها له ثم تقرب من الإله شماش، وهو سيأخذ بأطراف ثوبه ويُعطيها لك».

قال أحد الأشخاص للجحش البري: «دعني أركبك وسوف أطعمك»، فرد عليه الجحش قائلاً: «احتفظ بطعامك وسرجك لنفسك؛ لأنني لن أسمح لك بأن تركبني»، لا تدع الحصى يدخل بين قدمك والحذاء؛ لأن ذلك سوف يُصيبك بقرحة في قدمك، ولا تدع الغني يقول: «أنا عظيم بفضل ثرواتي وغناي»، ولا تُرِي عربيًّا البحر، أو أحد سكان صيدا الصحراء؛ لأن عمليهما مختلفان، وإن من يعصر الخمر هو الذي يجب أن يتذوقه، كما أن من يقوم بتعبئته هو الذي تتوجب عليه حراسته».

«هل تقوم يا بني باستعارة الخبز والقمح الذي تأكل منه وتُطعِم منه أولادك، عليك يا بني ألا تقترض مبلغاً كبيراً، وألا تقترض المال من لئيم، وإذا حدث أنك اقترضت المال، فعليك ألا ترتاح أو يهدأ لك بال حتى تُسدد هذا الدين، ولا مانع من الاقتراض عندما تكون هناك حاجة ماسة لذلك».

«يجب أن تُحافظ على سرية ما تسمعه؛ لأن جمال الرجل هو في إخلاصه، والشيء الذي يجعل منه شخصاً قبيحاً هو قول الكذب بلسانه،

يوضع العرش في البداية للكذاب (أي أنه قد ينتصر في البداية)، ولكن تتغلب عليه أكاذيبه في النهاية، وستبصق في وجهه، وسوف تقطع رقبة الكذاب كعذراء من الجنوب تخفي وجهها، أو كرجل يحضر لعنة».

«لا تحتقر ما هو من نصيبك، ولا تشتهِ أحد الأشياء العظيمة التي منعت منها، ولا تجمع الثروات، أو تضخم من نفسك، ولا تدع الشمس تشرق على ذلك الشخص الذي لا يعتز باسم أبيه وأمه، ولقد تحمس ابني علي وكشف عورات بيتي، فماذا عساي أقول للغرباء؟ لقد كان هناك شاهد شرير ضدي، فمن سيدافع عني إذن؟ من بيتي خرج الحنق والغضب الذي سأتصارع معه؟ وعلى الإنسان ألا يكشف أسراره أمام الأصدقاء حتى لا تقل مكانته في نظرهم».

«ولا تتشاجر أو تفقد أعصابك مع من هو أعلى منك مركزاً، ولا تتبارى مع من هو أنبل أو أقوى منك؛ لأنه سوف يأخذ من نصيبك ليضعه على نصيبه، انتبه .. فهذا هو حال الرجل الضعيف الذي يتصارع مع شخص قوي، ولا تكن شديد المكر، كما لا تدع حكمتك تنطفئ وتخبو، ولا تكن حلواً مع الآخرين خشية أن يستهينوا بك فيبتلعوك، ولا تكن مُراً معهم فيلفظوك ويرفضوك، وإذا عظمك الناس يا بني فعليك أن تتواضع أمام الإله الذي يذل العزيز ويعز الذليل».

«وإن الرجل حسن الأخلاق الذي لديه قلب طيب مثل القوس القوي الذي يشده رجل قوي، وإذا لم يقف الإنسان في صف الآلهة فكيف ستحميه قوته إذا ما سخطوا عليه؟».

الفصل الرابع والعشرون

العلم بدون الدين

المعارضة التي جابهتها العلوم الجديدة في أثينا:

لقد قوبلت العلوم الجديدة التي تم جلبها من الشرق بترحيب أكثر حذراً وتحفظاً من ذلك الترحيب الذي ستقابل به هذه المدينة بعد ذلك بفترة قصيرة الساحرة الأيونية ثارجيليا Thargelia وأخواتها اللاتي اتخذتهم محظيات لها، وكانت المزولة البابلية -التي تُقسم اليوم إلى اثنتي عشرة ساعة- أداة عملية ومحافظة لقياس الوقت، حتى أن إسبرطة قد سمحت لـ«أناكسيمينيس» Anaxemenes بعمل واحدة منها في عاصمتها، ولقد ترك تلميذه أناكساجوراس Anaxaguras -في هذه الأثناء- مدينة كلازو ميناي الفارسية؛ ليزور أثينا، وهناك أصبح مشهوراً خلال عهد باركليز Paricles .

ولقد علمهم أناكساجوراس أن العقل هو الذي رتب الأشياء التي كانت منذ ذلك الوقت متداخلة ومتشابكة مع بعضها، وأن الكون يتكون من جزيئات دقيقة متجانسة، ولكن عندما تحول الحديث عن الأجرام السماوية معلناً أن النجوم تدور في قبة دائرية تعلو مباشرة المحور السماوي، وبدأ في شرح مكونات الطريق اللبني والنيازك والشهب ، هذا بالإضافة إلى الظواهر الجوية والرياح والرعد والبرق، كان يخطو بذلك في

أرض أكثر خطورة، ثم مضى يُعلمها أن القمر يحصل على ضوئه من الشمس، وأنه يحتوي على تلال وأخاديد وحتى مساكن، وأن الشمس هي عبارة عن كتلة من المعدن الساخن لدرجة التوهج، وأن هذه الكتلة أكبر من شبه جزيرة البلوبونيز، ولقد كان هذا كثيراً جدًّا على الأثينيين الذين كانوا لا يزالون يؤمنون بالخرافات، وفي الوقت نفسه الذي كانت أيضاً ترحب فيه بهيرودوت (Herodotus) ، ومنحته منحة من خزانتها العام، تم استدعاء أناكساجوراس للمحاكمة بسبب اتهامه بعدم الورع والفسوق أثناء تدريسه لعلم الفلك وبموالاة الفُرس، فما كان منه إلا أن هرب لينجو بنفسه.

مراجعة التقويم البابلي:

في الوقت نفسه الذي كانت فيه أثينا تعلن أن دراسة الفلك هي من الأمور التي يمنعها القانون، كان الشرق مستمراً في تنقيح دراسة النتائج العلمية التي وصل إليها، وفيما يتعلق بمجال صياغة التقويم العملي، تمتعت بابل منذ عهد «نابو-نصير» Nabu- nasir (عام 747) بميزة وجود ذلك التقويم الذي يتم دورته كل (19) عاماً، ولقد قنع علماؤها في البداية بإجراء تبادل تقريبي بين الأشهر «الجوفاء» و«الكاملة»، أي التي تحتوي على «29» يوماً، وتلك التي تحتوي على «30» يوماً على التوالي، وقاموا بتكييف وضبط تقويمهم ليتماشى مع «الصفة الشمسية» عن طريق إضافة سبعة أشهر أخرى إلى هذه الدورة، ولقد أوضح التجريب المستمر (بحلول عام 443 على أكثر تقدير) أن الترتيب الأكثر فعالية لهذه الشهور السبعة الإضافية هو عن طريق إقحام ستة منها في نهاية السنوات الثالثة والسابعة والثامنة والحادية عشرة والرابعة عشرة والتاسعة عشرة من تلك الدورة؛ لأن أدارو الثاني يبدأ بالقمر الجديد في مارس وينتهي في أبريل، سوف يقطع شهر أولولو التقليدي الثاني الذي بدأ مع القمر الجديد لسبتمبر السنة إلى قسمين متساويين في السنة السابعة عشرة فقط.

وقد كان المصريون يسلمون بأن السنة تحتوي على 365 يوماً بداية من عهد فراعنة الأسرة الثالثة فصاعداً، ويبدو أنه بداية من عهد فراعنة الأسرة الأولى، أخذ الفلكيون يقسمون السنة المدنية التي وضعوها مع سطوع نجم الشعرى اليمانية الذي هو بمثابة «البداية للسنة القمرية»، ومن خلال هذا التاريخ صاروا متأكدين من أنه لا بد من إضافة عدد قليل من الساعات والدقائق لضمان الحصول على الطول الحقيقي للسنة الشمسية، وبحلول هذا الوقت أيضاً كانوا قد تمكنوا من تقدير الوقت الإضافي بثلث يوم، وعلى الرغم من أن الدورة التي تبلغ مدتها 19 عاماً كانت تعمل بصورة خرقاء عندما تم تطبيقها، إلا أنها قطعاً كانت تُعطي نتائج أكثر دقة، فلقد كانت حسابات نابو-ريماني دقيقة للغاية لدرجة أننا لا يوجد لدينا أي سبب يدفعنا إلى الاعتقاد بأن تطوراً مهماً قد يحدث بها قبل جيل أو اثنين من الآن، وفي الحقيقة فإنه يبدو أنه لم يصلنا سوى عدد قليل جدًّا من النصوص الفلكية من الفترة التي تلي نابو-ريماني مباشرة، وإحدى هذه الوثائق والتي يعود تاريخها بالحسابات المناظرة إلى عام 425 هي مجرد مثال على النظام الذي وصفه نابو-ريماني Nabu-Rimani ولكن في تطبيق عملي له، حيث إنه يُشبه تماماً إحدى النتائج (الروزمانات) المعاصرة، فهو يعرض البيانات التي تم حسابها مقدماً في صورة جداول تقطعها خطوط رأسية، بما يُشكل عمودين، حيث يقسم كل شهر إلى خطوط أفقية، ويشير العمود الذي يقع على اليسار على طول الشهر السابق (إما 29 أو 30 يوماً)، وهكذا فإنه يُحدد موعد ظهور هلال الشهر التالي، ثم بعد ذلك تعرف ما هو اليوم الذي سيكون فيه الشهر بدراً (وهو إما يوم 14 أو يوم 15)، ثم بعد ذلك آخر ميعاد سيكون المحاق لا يزال بادياً فيه في السماء، أما العمود الذي يقع جهة اليمين فيحدد اليوم الذي «تسطع فيه الكواكب الخمسة الحقيقية والشعري اليمانية في السطوع الشمسي» أو «تدخل» العالم السفلي في الطور الأخير لهم في نهاية فترتهم.

ولا تزال جميع هذه الحسابات صحيحة حتى يومنا هذا، وهو دليل على أنه حتى في ذلك التاريخ المبكر كانت توجد لدى الفلكيين البابليين جداول دقيقة حول فترات ظهور الكواكب، والشيء الذي لا يزال على الدرجة نفسها من الصحة هو تحديد الاعتدال الخريفي يوم السابع والعشرين من شهر سبتمبر، ولكن الانقلاب الصيفي للشمس، والذي تم تحديد موعد حدوثه بيوم التاسع والعشرين من شهر يونيو متأخر يوماً كاملاً عن التاريخ الذي تحدده الحسابات الحالية، ولم تكن تتم مشاهدة كسوف الشمس الذي يحدث في يوم (20) أكتوبر في بابل؛ لأنه كان يحدث بعد غروب الشمس هناك، ولقد كان الفلكيون يعرفون هذا، ولكنه قام بإضافته ليكمل الجدول وبدون أن يشغل باله بتكرار حساباته، وعلى الجانب الآخر كان خسوف القمر كاملاً، ويمكن مشاهدته في بابل، وتبعاً للحسابات المعاصرة فلقد بدأ في الساعة السادسة مساءً، وستة وثلاثون دقيقة (بتوقيت بابل الحقيقي)، أما الحساب البابلي له فلقد حدد موعد حدوثه قبل التوقيت الذي ذكرناه بأربع دقائق!

وحتى تأكدنا من دقة هذه الحسابات الخاصة بسطوع واختفاء الكواكب في التقويم «المألوف»، فنحن لسنا مستعدين للنصوص المتقدمة التي تعطينا «الأيام الضوئية القصيرة والطويلة، وهي فترات هذه الكواكب الإلهية، حيث إن مدة القمر هي 684 سنة، وهو حساب سهل إلى حدٍ ما، أما المشتري فمدته طويلة، وتصل إلى 344 سنة، وفي الحقيقة فإن كوكب المشتري يتم (29) دورة + 33´ 4^0 في 344 سنة، بينما تكمل الشمس 344 دورة إلا (91) في مدتها، وهذا توضيح جميل جدًّا، ولكن فترة 12 عاماً هي أفضل، ففترة (83) عاماً هي أكثر دقة، وفترته الأكثر قصراً هي 63 شهراً وعشرة أيام، ولقد نسب إلى كوكب الزهرة العديد من الفترات أمثال: أسبوع، 14 يوماً تقريباً، 21 يوماً تقريباً، 63 شهراً، 20 يوماً، في حين سوف نحصل على فترة طويلة

تبلغ 640 سنة إذا ما لجأنا إلى حسابات أكثر تعقيداً، بينما تنسب إلى كوكب المريخ مدة أصغر تبلغ 65 شهراً، ومدة أطول تبلغ 284 سنة، وقد أدرك الفلكي مدى التنوع في هذه السنوات، ولكن المدة الأكبر التي حددها هي أكثر دقة من المدة المعتادة التي تبلغ 79 عاماً، حيث إننا إذا قمنا بطرح يومين من 284 سنة بوليبة، فإن الشمس تكمل 284 دورة + 11َ، في حين أن المريخ يكمل 141 دورة +22َ 1^0؛ ولتحديد مدة كوكب زحل، كان على ذلك الفلكي أن يضرب مدة (51) سنة في (10)، ثم أن يخصم بعد ذلك الزيادة وهي 31َ 1^0، والخطأ الواضح في حسابه وهو (83َ) ربما لا يؤدي على الإطلاق إلى إضعاف مصداقية ذلك العالم القديم؛ لأن الفلكيين المتآمرين يضعون في حساباتهم أنه نتيجة للتأثير المقلق والمشوش لكوكب المشتري، فإن هذا الكوكب قد يختلف عن المعدل الطبيعي له خلال مدة 930 عاماً بمقدار 10 ً 94 َ سواء بالنقص أو بالزيادة.

أثينا تعيد الاتصال بعلم الفلك المصري:

لقد أدت الثورة الأيونية وتواصلها خلال الحروب الفارسية الكبرى والهجمات المضادة التي شنتها الرابطة الديلية إلى انقطاع الاتصال بالأراضي الخاضعة لسيطرة الفرس، ولقد أدى الدعم الذي قدمته أثينا للثورة المصرية إلى فتح الطريق مرة أخرى نحو وادي النيل، وبعد عام 459 بفترة قصيرة كان أوتوبيديس المنتمي إلى كيوس، والذي كان أحد تلامذة فيثاغورث -كما كان أيضاً أحد المغامرين الأصغر سنًّا لأناكساجوراس- من بين هؤلاء الذين زاروا مصر، ولقد تصادف أنه شاهد حدوث الفيضان أثناء ذلك، وقام بناءً على هذه المعرفة المباشرة بصياغة نظريته الغريبة وذلك بسببها، كما قام هناك أيضاً بالتدارس مع المهندسين، وحل بعض المسائل التي اعتبر أنها سوف تكون مفيدة لعلم

الفلك، ولقد كان أناكسيماندر Anaximander هو أول من لفت انتباه اليونانيين للحقيقة الغريبة التي مفادها أن دائرة البروج هي دائرة مائلة ولقد أكمل أونوبيديس Oenopides المسيرة، إلا أن اليونانيين لم يوافقوا مطلقاً على اقتراحه القائل بأن الطريق اللبني هو عبارة عن الآثار المتبقية من احتراق المسار السابق للشمس.

الإصلاح الذي أدخله أونوبيديس على التقويم:

وعلى الرغم من ذلك فلقد كان الشيء الذي اشتهر به أونوبيديس هو الإصلاح التقويمي، حيث إنه قد أخذ عن أستاذه تقويمه دون مناقشة، وكان ينظر إليه على أنه جميل ومنطقي، ولكن زيارته لمصر جعلته يدرك أن الفلكيين المصريين كانوا يعرفون أشياء أكثر منه، فتبعاً لهؤلاء الفلكيين لم تكن السنة تتكون من 364 يوماً ونصف يوم، ولكن من 365 يوماً وثلث يوم، وكأحد الأتباع المخلصين لفيثاغورث Pythagoras كان أونوبيديس مضطراً إلى الإيمان بأن معتقدات الطائفة التي ينتمي إليها كانت تتماشى وتفوق بصورة كاملة مع آخر النتائج العلمية.

ولقد كان منطق الرقم (59) هو الأساس الذي تم بناءً عليه التوصل إلى تلك الدائرة التي صارت الآن مقدسة، ويمكن الاحتفاظ بهذا الرقم الجميل إذا قبل أونوبيديس بأن الطول الحقيقي للسنة 59/22 365 يوماً، أي بزيادة ثلث يوم تقريباً وهو ما يعادل ثماني ساعات وسبعة وخمسين دقيقة، ولقد تم إنفاذ دورة التسعة وخمسين عاماً، ولكن على حساب النظام الأجمل الذي يتمثل في 9 × 9 × 9 (شهور)، والذي نتج عنه 729 شهراً، ثم أصبح عدد الشهور في الدورة 730 شهراً، وزاد كل واحد منهم ليصبح $\frac{730}{44}$ يوماً وليلة، وأصبح العدد الإجمالي للأيام بالإضافة إلى الليالي هو 43.114.

ولم يكـن هـذا الحـل الوسـط ناجحـاً، فلقـد تجاهـل البـاحثون المحاولـة

التي تُبذل لرد الاعتبار إلى «السنة الكبيرة» التي وضعها فيثاغورث، ولكن الفلاسفة من أمثال أفلاطون (Plato) كانوا لا يزالون يحترمونها ويقدرونها، ومن المحتمل أن هذه السنة الكبيرة في شكلها المنقح كانت ستختفي بصورة أسرع لولا أن قام أونوبيديس في عام 456 بنقش «سنته الكبيرة» على لوح برونزي، ووضعه ليتفحصه هؤلاء اليونانيون الذين تجمعوا من كل أركان الدنيا لمشاهدة الألعاب الأوليمبية المثيرة.

ديموقريطوس Demacritas المنتمي إلى أبديرا:

لقد تمكن أحد العلماء الأعظم كثيراً من أونوبيديس وهو ديموقريطوس المنتمي إلى أبديرا من زيارة مصر بفضل السبب نفسه الذي سمح لأونوبيديس بزيارتها، ولقد سمحت له السنوات الطويلة التي قضاها في التنقل والترحال بزيارة بلاد الشرق المتحضرة، وقام في تاريخ لاحق بتلخيص رحلاته وأسفاره في مؤلف بعنوان «الإبحار حول المحيط»، ولقد تعرض هذا الكتاب للضياع مثله مثل الكتب الأخرى، ولكننا نستطيع تتبع مسار رحلاته من خلال عناوين أبحاثه ورسائله (والتي قد وصلتنا قائمة بها)، حيث إن الأشياء التي تعلمها ديموقريطوس من خلال أسفاره قد شكلت الأساس الذي قامت عليه العديد من الأعمال التي نشرها فيما بعد.

وتُثبت إحدى هذه الرسائل -والتي تناولت فريجيا- أنه كان على علم بالمناطق الداخلية في آسيا الصغرى، ولقد قضى ديموقريطوس خمس سنوات من الدراسة مع الكهنة المصريين الذين كانوا فلكيين وهندسيين -ومن المحتمل أن ذلك كان بعد عام 459- والتي تركت أثرها في سلسلة من الدراسات الرياضية والفلكية، ولقد أظهر البحث المعنون بـ«حول هؤلاء الذين يعيشون في ميرو» -والتي كانت عاصمة أثيوبيا في ذلك الوقت- اهتمامه بأعالي النيل -إن لم تكن زيارته لهذه

المنطقة النائية- ولعدد قليل من السنوات بعد ما يسمى بسلام كالياس (449)، كان من الممكن لمواطني أبديرا -التي كانت جزءاً من الإمبراطورية الأثينية في ذلك الوقت- أن يسافروا بحرية خلال أرجاء الإمبراطورية الفارسية، ولقد انتهز ديموقريطوس هذه الفرصة وانتقل من مصر إلى بابل، وبحلول هذا الوقت أصبح مصطلح «الكلدانيين» الذي كان يستخدم للإشارة إلى البابليين بشكل عام مصطلحاً متخصصاً يعني «رجل حكيم»، وكان يستخدم الإشارة لـ«الفلكي» في ذلك القرن على وجه الخصوص؛ ولذلك فقد قام ديموقريطوس بتلخيص نتائج تحقيقاته هذه في البحث المُسمى بـ«البحث الكلداني»، كما كتب بحثاً آخر تحت عنوان «حول الكتابات المقدسة لهؤلاء الذين يعيشون في بابل»، ولقد كان يقصد بذلك بالطبع ليس «النقوش الهيروغليفية المصرية»، ولكن الكتابات المسمارية البابلية.

هل كان ديموقريطوس قادراً حقاً على قراءة الكتابات الموجودة على الألواح الطينية في صورتها الأصلية؟ هل كان قادراً على فهم الأعداد والصور أو الرموز القليلة ذات الطبيعة المتخصصة والتي اعتبرها العلماء المعاصرون كل ما يلزم لفهم هذه الألواح أم أنه اعتمد على التراجم الضرورية لفهم الجداول؟

وتأخذنا مثل هذه التساؤلات لما هو أبعد بكثير من حدود تاريخ العلم، فلقد رأى ديموقريطوس الأقوال المأثورة لأهيكار على إحدى البلاطات الحجرية، والتي يجب أن يفهم معناها في هذه الحالة على أنها لوح مكتوب عليه بالكتابة المسمارية، ومن بين الأقوال المأثورة الجامعة الشهيرة التي تُنسب إلى كل من أهيكار وديموقريطوس نذكر: «ذيل الكلب يجلب له الطعام، أما فكه فيعطيه الأحجار، لا تدع جارك يخطو على أثرك خشية أن يمشي غداً على رقبتك، لا تكن حلواً متساهلاً للغاية مع الآخرين فيبتلعونك، ولا تكن شديد المرارة معهم فيلفظونك ويرفضونك، عثرة

القدم أهون كثيراً من عثرة اللسان، لقد ذهب الخنزير يستحم مع الرجل النظيف وعندما خرج وجد بركة من الطين فتمرغ فيها»، هل كانت هذه الأقوال المأثورة ليست بتلك الصعوبة بحيث أمكنه فهمها في شكلها المسماري الأصلي؟ أم هل كان ملماً إلى حد ما بالترجمة الآرامية لهذه الأمثال التي أعدها اليهود الموجودون في فيلة؟ أم أن كل ما يعرفه قد جاء نتيجة دمج أقوال أهيكار المأثورة في تلك القصص التعليمية التي وضعها العبد الفريجي إيسوب Aesop على ألسنة الحيوانات؟ ونتساءل أخيراً، هل يجب أن تُنسب المقتطفات الموجودة إلى «البحث الفريجي»؟

ولقد انتقل ديموقريطوس بعد ذلك من إقليم بابل إلى فارس، ولقد تعلم هناك ما يكفي عن الطقوس الدينية الخاصة بهم ليكتب مؤلفه «المجوس Mageia »، ولقد قام هناك أيضاً بالاستفسار عن الهند (حتى إن البعض قد قالوا إنه سافر إلى هناك، ولكن هذا من الأمور غير المحتملة إلى حد كبير)، ولكن، وعلى العكس مما حدث مع ستيسيداس بعد ذلك بنصف قرن، فإن ديموقريطوس أول من قام بزيارة شخصية إلى بابل من العلماء اليونانيين، ويمكننا معرفة مدى ضخامة وأهمية الحصيلة العلمية التي أحضروها معه من هذا المجال البكر عن طريق النظر إلى القطع المتبقية من قائمة كتاباته في ضوء المؤلفات العلمية المعاصرة المكتوبة باللغة المسمارية، ويجب ألا نتوقع وجود أية آثار للتأثير البابلي على أعماله الموسيقية أو الفلسفية أو الأخلاقية، وعندما نرى أن مجموعة الأبحاث التي تحمل عنوان «الفيزياء» تبدأ بنظرية «الكون الثنائي الكبير» التي وضعها أستاذه لويسيبوس Leucippus ، فإننا لا يجب أن نبحث عما هو أكثر من ذلك.

أما بالنسبة لمجموعة الأبحاث التي تحمل عنوان «الرياضيات» فتبدو من المجموعات الواعدة، حيث إننا إذا نظرنا إلى محتوى الأجزاء المعنونة بـ«الهندسة» و«الحساب» و«حول الهندسة» و«حول الأجرام والجوامد غير

المتكافئة» و«حول الوصل بين الدوائر والأجسام الكروية بواسطة مماس» قد تتمكن من التمييز بين المساهمات المصرية والبابلية، وكل ما نستطيع الجزم به هو أنه قد أعلن عن اليونانيين للمرة الأولى أن حجم المخروط هو ثلث حجم الاسطوانة التي لها القاعدة والارتفاع نفسيهما، وأن هذا ينطبق أيضاً على المنشور، وأنه كان يعرف العلاقة الحجمية بين جزأين متلاصقين من مخروط واحد.

وعلى العكس مما سبق، فإنه لا يمكن تفسير وشرح أبحاثه الفلكية سوى من خلال الألواح البابلية، حيث إنه قد بدأ بأربعة أمور: وصف الأجرام السماوية، ووصف الأرض والتضاريس، ووصف القطب، ووصف أشعة الضوء أو الأحوال الجوية، فالأول يصف السماوات المليئة بالنجوم: «النجوم الثابتة في كويكباتها ومجموعاتها المتنوعة»، وذكر مجموعة من ألمع النجوم بأسمائها، وقد كان علماء الفلك البابليون قد قاموا بالفعل بتقسيم الكرة السماوية المحدبة إلى ثلاث مناطق مشتركة في مركزها: «طريق أنو» إله السماء الموجود فوق القطب حيث تدور «النجوم التي ترى القطب دائماً ولا تختفي على الإطلاق»، «طريق إنليل» إله المناخ الذي سماه اليونانيون بدائرة البروج ولاحقاً بالأبراج، و«طريق إيا» إله الأعماق والذي يقع في مكان منخفض جدًّا من المحيط السماوي، ومع وصف الأجرام السماوية الذي يمكننا استعادته بشكل كامل تقريباً من فيتروفيوس Vitruvius جاء عدد من الخرائط التي توضح نصف الكرة السماوية والجزء الظاهر منها في أحد الأوقات، والتي تم تصوير تلك الأشكال البشرية والحيوانية عليها -في محاكاة للمصطلحات البابلية- للرمز لمجموعات النجوم.

ولقد كان من الطبيعي أن يبدأ ديموقريطوس وصفه بطريق أنو: «لقد غربت العربة ومن خلفها سائقها، والعذراء لا تبعد عنها كثيراً، والتي كتفها الأيمن هي عبارة عن نجمة مشرقة تُسمى «بروتروجيتيس» **Protrugetes** ،

وهناك نجم آخر أكثر إشراقا هو «سبيكا» Spica ، يقابله نجم آخر هو أركتوروس، والذي يقع بين ركبتي ذي الأعنة، وتقف العربة -من ناحية ذلك الجزء من رأسها المقابل لقدمي الجوزاء- على طرف قرون الثور، وبالمثل فإن ذا الأعنة يمسك عند قدميه -على طرق القرن الشمالي- بصغاره، ويوجد كابراً Capra عند كتفه اليسرى، ويوجد فرساوس (كوكبة الجبار) فوق برجي الجدي والثور، بحيث تسند قدمه اليُمنى كوكبة الثريا وتقع على يساره رأس الجدي، ويرتكز بيده اليمنى على كوكبة ذات الكرسي، بينما يمسك بيده اليسرى رأس المدوزة من فوق الثور؛ ليضعها عند أقدام كوكبة المرأة المسلسلة.

ويقع برج الحوت فيما وراء كوكبة المرأة المسلسلة، وهو على المستوى نفسه مع بطنها، ومع ظهر كوكبة الحصان، والذي يقطع معدته نجم ساطع للغاية من رأس المرأة المسلسلة، واليد اليمنى للمرأة المسلسلة موضوعة على كوكبة ذات الكرسي، واليسرى على كوكبة الحوت التي تقع في الشمال، وتقع كوكبة حامل الماء فوق رأس كوكبة الحصان، وتلمس أقدام الحصان ركبتي كوكبة حامل الماء، ويتم تصوير كوكبة ذات الكرسي بينهما، وتقع فوق مدار الجدي كوكبتا الصقر والدلفين وبجوارهما توجد كوكبة السهم، وتليها كوكبة الدجاجة، التي يلمس جناحها الأيمن اليد اليُمنى، وصولجان كوكبة قيفاوس (الملتهب)، والذي ترتكز يده اليسرى على كوكبة ذات الكرسي، وتختفي أقدام كوكبة الحصان تحت ذيل كوكبة الطائر.

وتليهم بالأعلى كوكبة الرامي، العقرب، والميزان، ويلمس الثعبان التاج بطرف لسانه، ويمسك حامل الثعبان بالثعبان من منتصفه، ويدوس بقدمه اليسرى على رأس العقرب، وبالقرب من جانب رأس حامل الثعبان -وعلى مسافة ليست بعيدة- يقع رأس كوكبة الرجل الجاثي على ركبتيه، ويمكن تمييز رؤوسهم بسهولة نتيجة لأنهم معلمين بنجوم جلية، وترتكز

قدم الرجل الجاثي على ركبتيه على كوكبة الثعبان التي تقع كوكبة العربة في طياتها، ويسبح الدلفين بنجومه الباهتة فيما بينهما، وتقع كوكبة القيثارة أمام منقار كوكبة الدجاجة، وتوضع كوكبة التاج بين كتفي ذي الأعنة والرجل الجاثي.

ولقد عبر ديموقريطوس السماء من مكان بالقرب من القطب السماوي إلى طريق إنليل، والآن عاد مرة أخرى إلى طريق آنو Anu : «تقع في المنطقة الشمالية كوكبة العربة وذيل الكلب، ولقد تم تصوير الاثنين من الرأس إلى الذيل، ويقال إن أعلى نقطة في الكرة السماوية تقع بين ذيليهما، وهنا تتمدد كوكبة الأفعى، ومنها يسطع النجم الذي يُسمى «النجم القطبي» حول قمة كوكبة العربة؛ لأن ما يقع بجوار كوكبة التنين (وهو الاسم البديل والأكثر أصالة لكوكبة الأفعى)، فهو ملفوف ومعقود حول رأسه، وفي الحقيقة فقد تم إلقاء طياتها التي تصل حتى القاع حول رأس كوكبة ذيل الكلب، ولقد تم أيضاً لف هذه الطيات من رأس كوكبة ذيل الكلب إلى كوكبة العربة، وبالإضافة إلى ذلك، فإن أقدام كوكبة قيفاوس (الملتهب) تقع فوق كوكبة ذيل الكلب، وتوجد هناك عند أعلى نقطة مجموعة من النجوم التي تُشكل مثلثاً متساوي الأضلاع فوق برج الحمل، ولكن هناك تداخل واختلاط بين العديد من النجوم التي تنتمي إلى كل من كوكبتي العربة الصغيرة وذات الكرسي».

وبعد أن قام ديموقريطوس بوصف مواقع مجموعات النجوم التي تقع بين دائرة البروج والعربة (وهو ما نسميه بنصف الكرة السماوي الشمالي، ولكنه يحدد أماكنها بـ«يمين الشرق»)، تحول ديموقريطوس إلى الحديث عن مجموعات النجوم التي تقع على يسار الشرق بميل نحو الجنوب»: «يمتد برج الحوت أسفل مدار الجدي، ويطل على ذيل كوكبة وحش البحر، وتوجد منطقة خالية فوقه حتى نصل إلى برج الرامي، ويقع برج المذبح أسفل زباني العقرب، والأجزاء الأمامية من برج القنطورس

تلي مباشرة برجي الميزان والعقرب، ويمسك في يديه بكوكبة الوحش، وتطوق كوكبة الشجاع كلاً من أبراج الأسد والعذراء والسرطان، وتمتد كوكبة الشجاع بالتواءاتها خلال مجموعة كبيرة من النجوم، وترفع منقارها في منطقة برج السرطان، وتساند بوسطها كوكبة الكأس، وترفع ذيلها الذي يوجد في كوكبة الغراب باتجاه يد برج العذراء، وتتسم النجوم التي تقع فوق كتفها بأنها على الدرجة نفسها من اللمعان والإشراق.

وفي الجزء السفلي من معدته، وتحت ذيله يقع القنطورس، وبجوار كوكبتي الكأس والأسد توجد كوكبة السفينة والتي لا تظهر مقدمتها، ولكن الصاري والمنطقة المحيطة بالدفة تبدو واضحة، ويتصل المركب ومؤخرته بطرف ذيل برج الكلب، ويأتي بعد برج الجوزاء برج الكلب الأصغر الذي يقع في مقابلة يد كوكبة الشجاع، ويلي برج الكلب الأكبر برج الكلب الأصغر، وتمتد كوكبة الجبار مضغوط عليها لأسفل من جانب حافر برج الثور، والتي تمسك به بيدها اليسرى وتحرك هراوتها بيدها الأخرى تجاه برج التوأمان.

وتقع عند قدم كوكبة الجبار كوكبة الكلب الذي يتبع برج الأرنب، ويمتد برج وحش البحر أسفل برجي الحمل والحوت، وتمتد من عرفه مجموعة مختلطة من النجوم تترتب فيما يسمى بالأشرطة، وتلمس كتلة ملتفة من الثعابين قمة عُرف برج وحش البحر من ناحية برج الحوت، وهناك نهر متدفق ينبع من برج النافورة عند القدم اليُسرى لبرج الجوزاء، ويتدفق الماء الذي يسكبه «حامل الماء» بين رأس برج الحوت في الجنوب وذيل وحش البحر».

ولقد تخلى ديموقريطوس في هذه الحالة عن التقسيم البابلي للسماء إلى ثلاثة مناطق، وقام بتقسيمها إلى نصفين شمالي وجنوبي، ويمكن أن ننسب إليه أيضاً أحد الملاحق، ولقد قام للتو بشرح وتوضيح تلك الكوكبات التي يمكن لليونانيين ملاحظة سطوعها وغروبها، ولقد تم

تقسيمها إلى مجموعتين يتحدد شكل وموقع كل منها عن طريق النجوم التي تقع على يمين ويسار دائرة البروج، والتي تقع في شمالها وجنوبها، ثم تم تقسيمها إلى نصفين أحدهما جنوبي والآخر شمالي، وهذا يعني وجود قطبين أحدهما جنوبي والآخر شمالي، وفي الوقت الذي تدور فيه كوكبة العربة حول القطب الشمالي ولا تغرب أو تذهب خلف كوكب الأرض -لتدخل إلى الجانب المقابل من الأرض لمدة فصل كامل كما شرح البابليون- فإنه لا بد من وجود مجموعات أخرى من النجوم تدور حول القطب الجنوبي؛ ولكن بسبب ميل الأرض عن محورها، فإن هذه الكوكبات تظل دائماً محجوبة عنا، فلا تشرق فوق الأفق ولا تسطع فوق الأرض، والسبب في ذلك هو أن الأرض تتدخل، فتحول دون ملاحظتنا لأشكالهم، وأحد الأدلة على صحة هذا الافتراض هو أن سُهَيل -وهو نجم غير معروف إلى حدٍ ما بالنسبة إلى اليونانيين- كان يسطع ببهاء وإشراق في دلتا مصر كما لاحظ ديموقريطوس بنفسه، ويكون أكثر سطوعاً وإشراقاً كلما اتجهنا جنوباً كما يروي التجار».

ولقد كان هذا الكتيب، الذي من الواضح أنه مترجم، والذي كان شبه مكتمل، عبارة عن كتيب إرشادي حول كيفية مصاحبة واتباع الأشكال التي تظهر في «نصف الكرة السماوية»، وإذا أردنا أن نعرف كيف كانت تبدو هذه الأبراج في شكلها البابلي الأصلي، فإن كل ما نحتاج إليه هو القيام بفحص تلك الألواح التي تعود إلى الفترة السلوقية مثل ذلك اللوح الذي يصور «كوكبة العذراء وهي تقوم أمام وجه كوكب عطارد»، حيث يظهرها كامرأة بدينة بعض الشيء، تمسك بسنابل من القمح في يديها، وتقف أمام النجم الذي يمثل الإله، ولا نمتلك أدلة مماثلة لهذه عن محتويات الموضوعات الأخرى التي تحدث عنها ديموقريطوس، وهي: «الجغرافيا» و«وصف أشعة الضوء»، ومن المحتمل أن «الأسباب» سواء أكانت «سماوية»، «جوية»، أو «أرضية» ربما كانت تتبع وجهة النظر

اليونانية، ولكن قد تم الإعلان بشكل أكثر وضوحاً عن المبدأ البابلي القائل بأن وصف الأحوال الجوية ووصف مظاهر السطح هما جزء لا يتجزأ من علم الفلك، ولقد كتب خلفاء ديموقريطوس -يوكتيمون Euctemon ويودوكسوس Eudoxus - عن الطقس ووصف الأحوال الجوية، ولا يزال النظام الذي وصفه يودوكسوس موجوداً حيث حفظته القصيدة الشعرية التي ألفها أراتوس Aratus ، ولقد اكتشفنا أن أراتوس قام في الجزء الأكبر من القصيدة -والذي يتناول وصف السماوات- بتقديم ما كتبه يودوكسوس في صورة شعرية، وجعل من ديموقريطوس المصدر الأساسي له، ومن المفترض أن هذا ينطبق أيضاً على الملحق الخاص بالظواهر الجوية.

ويجب أن نستفهم ونجمع معظم ما نعرفه بشكل قاطع عن محتويات مؤلفه عن «وصف القطب» من الترجمة الموجودة بالأعلى، ونسمع في مكان آخر عن الجرم السماوي الذي يدور حول الأرض على مفصلات محوره، ويبعد القطب الشمالي بمسافة كبيرة عن الأرض، ويوضع على قمة هذه الكرة خلف نجوم كوكبة العربة، ويقع القطب الجنوبي الافتراضي أسفل كوكب الأرض، وفي مناطق الجنوب، ونقرأ أيضاً عن عقرب المزولة الذي تتم الاستعانة بظله في تحديد مواقيت الفصول، وهذا العقرب هو عبارة عن العصا المنشطرة التي كانت تستخدم في الأساس كتحول غير مُحكم لتحديد اتجاهي الشمال والجنوب بالنسبة إلى المباني، ولمعرفة الخطوط الطولية التي تقع عليها النجوم، وفيما بعد أصبح مصطلح زيكبو Ziqpu -والذي يعني حرفيًّا «قطب أو عمود» بالتقابل مع كلمة «دعامة أفقية»- هو التسمية التي تطلق على هذه النقطة النظرية التي توجد في السماوات التي كانت تقع حينها بالقرب من محور ألفا الخاصة بكوكبة التنين، والذي اكتشف أن النظام السماوي يدور حوله.

ومن المؤكد أن «مسابقات الساعة المائية» قد تناولت الطرق المتعددة للتعرف على الوقت من خلال الساعة المائية، ولقد كانت كمية المياه في مجرى النيل في مصر تقاس من الانخفاض أو الارتفاع في مستوى الماء، والتي يتم تحديدها باستخدام علامات على السطح الداخلي لمجرى الماء، في حين أنه كان يتم وزن كمية المياه التي تخرج من النهر بالنظر إلى عملة الشيكل، بحيث يمثل الطالن من الماء يوماً كاملاً يتكون من 12 ساعة مزدوجة، ولقد أدى هذا للتساؤل حول مسألة تحديد التواريخ الدقيقة للأحداث، وترتيبها حسب التسلسل الزمني، ولقد تم وصف أحد الأبحاث -والذي يُسمى «السنة الكبيرة»، أو بشكل أكثر بساطة «علم الفلك»- تم وصفه كـ«بارابجما» Parapegma ، ويشبه هذا الجدول اللوح البرونزي الذي أعده أونوبيديس في أوليمبيا، ويوضح لنا أحد الأمثلة التالية -والذي من حسن الحظ أنه قد وصل إلينا- أن هذا الجدول مثله مثل النتائج الموجودة لدينا حاليًا كان يتوقع أو يرصد أيضاً حركات الشمس والقمر والكواكب الأخرى، كما كان يحتوي أيضاً على توقعات حول حالة الطقس، ولقد تم حساب تقويم مشابه بالكتابة المسمارية قبل عام 425 بفترة طويلة، وآخر من قام بإخبارنا عن هذه البيانات من المؤلفين قد أساء فهمها، ولكن من المؤكد أن ديموقريطوس كان أول من قدم الدورة التي تبلغ مدتها (19) عاماً إلى المؤلفين اليونانيين.

وللتأكد من صحة هذه الدورة، كان على ديموقريطوس أن يفهم حركات الشمس والقمر والكواكب الأخرى والعلاقة الزمنية بينهم، ولقد تم تقديم هذه المعلومات في أحد النصوص المتقدمة «حول الكواكب»، ولقد قام فتروفيوس Vitruvcus من قبل بوصف الكوكبات ومجموعات النجوم مباشرة -وهو الوصف الذي ينسب تحديداً إلى ديموقريطوس- بإخبارنا كيف أن الشمس عن طريق حركتها وتجوالها عبر الأبراج

ومجموعات النجوم تزيد وتنقص أطوال الأيام والساعات شهراً بشهر: «عندما تدخل الشمس إلى كوكبة الحمل وتتجول خلال جزء ثامن، وتتسبب في حدوث الاعتدال الربيعي، وعندما تتحرك الشمس لتصل إلى ذيل برج الثور وكوكبة الثريا التي تظهر من الأجزاء الأمامية لبرج الثور، ويمثل الحيز الذي تنتقل الشمس عبره أكثر من نصف الكرة السماوية، وذلك في أثناء حركتها نحو الشمال، وعندما تدخل الشمس الجرم من برج الثور إلى برج التوأمان (الجوزاء) في الوقت الذي تسطع فيه كوكبة الثريا، ترتفع لمستوى فوق الأرض، مما يزيد من طول النهار، ثم عندما تدخل الشمس بعد ذلك إلى برج السرطان من برج التوأمان، وبرج السرطان هذا هو البرج الذي يشغل أقصر حيز من السماء [وهذا هو أكبر دليل على أن فتروفيوس كان يتحدث عن مجموعات النجوم وليس عن علامات الأبراج التي تقع في المكان نفسه]، عندما تدخل الشمس إلى الجزء الثامن تكمل وقت الانقلاب (الصيفي)، وتستمر في حركتها مارة إلى رأس وصدر كوكبة الأسد، وأجزاء نُسبت بعد ذلك إلى كوكبة السرطان، وتتحرك الشمس من صدر الأسد وأطراف كوكبة السرطان، وأثناء حركة الشمس خلال الأجزاء المتبقية من كوكبة الأسد، فإنها تقلل من طول اليوم ومن طول مدارها، وتعود للمسار نفسه (أو معدل الحركة نفسه) الذي كانت تندفع به في كوكبة التوأمان، ثم تعبر الشمس بعد ذلك، وتقصر الشمس مدارها عندما تعبر من كوكبة الأسد إلى كوكبة العذراء، وتتقدم نحو حجر ردائها، وتجعله مساوياً لطول مسار كوكبة الثور، ثم تتقدم الشمس من العذراء عبر حجرها، والذي يحتل الأجزاء الأمامية من كوكبة الميزان، وتكمل الشمس الاعتدال الخريفي في الجزء الثامن من كوكبة الميزان، ويعادل هذا الجزء من المسار الدورة التي تقوم بها الشمس في كوكبة الحمل.

ولكن عندما تدخل الشمس إلى كوكبة العقرب -وقت غروب كوكبة

الثريا- فبتقدمها نحو الجنوب يقل طول النهار، وعندما تغادر الشمس كوكبة العقرب، فإنها تدخل إلى كوكبة الرامي من عند فخذيه، وتتحرك عبر مسار يومي أقصر، وعندما تبدأ الشمس من عند فخذي الرامي -وهي الجزء الذي يُنسب إلى مدار الجدي- فإنها تمر عند الجزء الثامن خلال أقصر منطقة من السماء، وعندما تنتقل الشمس من مدار الجدي إلى كوكبة حامل الماء، فإنها تزيد من طول النهار، ويتساوى مدارها مع مدار كوكبة الرامي، ثم تغادر الشمس بعد ذلك كوكبة حامل الماء لتدخل إلى كوكبة الحوت، وذلك في الوقت الذي تهب فيه الرياح الغربية، وتكمل دورة مساوية لدورة العقرب، وهكذا فإن الشمس أثناء تجولها حول مجموعات النجوم تقوم في أوقات ثابتة بإطالة أو تقصير طول الأيام والساعات».

ولا يوجد هنا أي شيء لم يكن معروفاً للفلكيين البابليين المعاصرين؛ ولذلك فإن لدينا ما يكفي من المبررات للنظر إلى ما قاله فتروفيوس على أنه يعني أن ذلك قد جاء أيضاً من ديموقريطوس، ولا يشير مؤلف «أسباب الظواهر السماوية» إلى الظواهر بالمعنى الذي يستخدم هذا المصطلح به، ونحن يجب أن نترجم حرفيًّا «سطوع الكواكب» على أنه يعني مرات السطوع أو الظهور الشمسي، ومن المؤكد أن الجزء الأخير في مؤلف فتروفيوس قد تم أخذه من هذا المؤلف، أو من مؤلف «حول الكواكب»، كما يجب أن نفترض أنه قد تمت ترجمته عن ديموقريطوس، وإزالة أجزاء محددة تتسم بأن التفكير فيها هو بالتأكيد لاحق على ذلك، نقرأ أولاً عن الكوكبات الاثنى عشر التي تم تصويرها على طول الدائرة المستعرضة التي توجد في وسط الكرة السماوية والتي تميل نحو الجنوب وهي دائرة البروج، وتقع ست من مجموعات النجوم هذه دائماً فوق الأرض، وفي حين أن مجموعات النجوم (الكوكبات) تدور دائماً وبشكل مستمر من الشرق إلى الغرب،

فإن الكواكب- وهي : القمر، وعطارد، والزهرة ، والشمس، والمشترى، وزحل- تتجول في مداره الخاص من الغرب إلى الشرق، أي في اتجاه معاكس في الكرة السماوية.

وأخيراً يأتي تحديد الدورات، أي «السنوات السبعة الكبيرة» للكواكب السبعة، حيث يعود القمر بعد جريانه خلال مداره في السماء إلى الكوكبة نفسها التي بدأ منها خلال مدة قدرها 28 يوماً وساعة إضافية تقريباً، ويكمل بذلك الشهر القمري، أما الشمس فتمر خلال حيز إحدى الكوكبات في شهر، وعندما تعود إلى الكوكبة نفسها التي بدأت منها، فإنها تكمل بذلك سنة شمسية، ويتبين لنا من ذلك أن القمر يتحرك خلال مداره 13 مرة في خلال 12 شهراً، بينما تقطع الشمس دورة واحدة فقط في هذا العدد من الشهور نفسه.

أما بالنسبة لكوكبي عطارد والزهرة، فيتخذان من أشعة الشمس مركزاً لهما، وفي خلال دورانهما قد يتراجعان أو يتأخران، وقد يحدث أيضاً أنهما قد يتأخران في محطات (عقد) خلال مدارهما في المناطق التي توجد فيها كوكبات النجوم، ويتجلى هذا بوضوح في حالة كوكب الزهرة على وجه الخصوص؛ لأنه -في أثناء اتباعه للشمس- يسطع في السماء بعد غروب الشمس، ويُسمى «نجم المساء»، حيث إنه يكون أكثر النجوم إشراقاً وتألقاً، ولكن في أحيان أخرى قد يسبق هذا الكوكب الشمس، فيسطع في السماء قبل سطوع ضوء النهار، ويُسمى في هذه الحالة «جالب الفجر»؛ ولهذا السبب فإنهما قد يتأخران عدة أيام أحياناً في إحدى الكوكبات (ولقد سمى البابليون ذلك بمكان وقوف الكوكب)، وقد يدخلان في أوقات أخرى بصورة أسرع إلى إحدى الكوكبات الأخرى؛ ولذلك فإنه نتيجة لأنهما لا يتجولان للعدد نفسه من الأيام في مجموعات النجوم المختلفة، فإنهما يقومان الآن بتعويض مقدار الوقت الذي تأخراه مسبقاً عن طريق زيادة سرعة دورانهما.

ويتحرك كوكب عطارد بسرعة كبيرة عبر مساره في الكرة السماوية، لدرجة أنه -خلال تنقله- يصل في اليوم رقم 360 إلى الكوكبة التي بدأ مساره منها خلال الدورة السابقة، كما أن مساره يتبع معدلاً ثابتاً، حيث إنه يظل في كل كوكبة حوالي 30 يوماً تقريباً، أما كوكب الزهرة فيعبر حيز بعض الكوكبات في (30) يوماً لدرجة أنه يعاني تأخيراً مدته 40 يوماً في كوكبات معينة، وعندما يقف عند العقد، فإنه يستعيد المقدار الزمني نفسه الذي كان قد فقده خلال تأخره؛ ولذلك فإنه يكمل دورة كاملة حول الكرة السماوية مرة ثانية في اليوم رقم 485، وفي تلك الكوكبة التي كان قد بدأ منها رحلته الأولى.

ولقد تم إخبارنا بالأسلوب نفسه أن دورة المريخ تستغرق 683 يوماً، والمشترى 11 سنة و313 يوماً، وزحل 29 سنة و160 يوماً تقريباً، وتلك الكواكب التي تقطع (تجتاز) مدارها فوق مسار الشمس خاصة عندما تكون في كوكبة المثلث التي دخلتها الشمس، فإنهم لا يتقدمون، ولكن يعودون ويتأخرون حتى تتحول الشمس إلى كوكبة أخرى، ويتبع كوكب المشتري -الذي يجتاز مداراً يقع بين المريخ وزحل- مساراً أطول من مسار المريخ وأقصر من مسار كوكب زحل، أما الكواكب الآخرين فعلى قدر بعدها عن أعلى نقطة من الكرة، يكون قرب مداراتها من كوكب الأرض، وتبدو هذه الكواكب كما لو كانت تتحرك بسرعة أكبر؛ لأن كلاً منها -ونتيجة لأنه يعبر مداراً أقصر- فإنه يمر بصورة أكثر تكراراً أسفل وعبر الكوكب الذي يعلوه.

ويمكننا أن نجد كل ما نقرؤه هنا في مؤلفات نابو-ريماني وخلفائه المباشرين، وهكذا فإنه لا يوجد سبب يدعونا إلى إنكار أن كلمات ديموقريطوس كانت مشابهة بعض الشيء لهذه الكلمات، ولقد قام ديموقريطوس بنقل هذه المعرفة إلى يوكتيمون Euctemon وميتون Meton ، ويودوكسوس Eudoxus ، والذين قاموا بدورهم إلى مجموعة

من المؤلفين الذين وصلتنا أعمالهم، وهم أراتوس Aratus ، وجمينوس Geminus ، وشيسرون Cicro ، وفتروفيوس Vitruvius ، وبلينوس Pliny ، والعديد من المؤلفين الآخرين الذين ينتمون إلى فترات لاحقة؛ ولذلك فإننا عندما نجد في أعمال هؤلاء المؤلفين اللاحقين بيانات تتماشى وتقابل تلك الموجودة في كتاب نابو-ريماني Nabu-rimanni وتلاميذه -ونقوم بحذف تلك الدراسات الأكثر تقدماً والتي تعود إلى الفترة الهلينية- فإنه يوجد لدينا سبب كافٍ لنسب هذه البيانات في شكلها الأصلي إلى ديموقريطوس، والذي كان أول من قام من العلماء اليونانيين بتقديم هذه الاكتشافات البابلية إلى أبناء وطنه.

ولقد قام لويسيبوس Leucippus في مؤلفه «الكون الثنائي الكبير» بوضع مبادئ النظرية الذرية، ولقد قام تلميذه الذي كان يفوقه في العظمة بتطويرها وتصحيحها، ولقد جادل ديموقريطوس قائلاً: «إن الإنسان هو ذلك الكائن الذي نعرفه كلنا»، «وإن كل ما يوجد في الحقيقة هو الذرات والفراغ، ويشكلان هما الاثنان الأساس الذي تقوم عليه ليس فقط الحيوانات ولكن كل المواد المركبة»، وينظر إلى الذرات على أنها أجسام صلبة، لا يمكن تقسيمها، ولا يمكن تحويلها، وجامدة (فاقدة للإحساس والشعور)، ويتم حمل هذه الذرات غير المحدودة في الحجم أو العدد في الكون بأكمله عبر دوامة أو فراغ لا حدود له، حيث إنه لا توجد له قمة أو قاع أو منتصف، كما أنه لا يوجد له مركز أو محيط، وتتحرك هذه الذرات حركة عشوائية، وبذلك تصطدم مع بعضها فتتماسك، وينتج عن طريق هذه العملية جميع الأشياء الموجودة في الكون، ولا توجد بداية لهذه العملية، حيث إنها مستمرة إلى ما لا نهاية.

وبهذه الطريقة تولد كل من الماء والنار والهواء والأرض، والتي لهذا السبب يجب اعتبارها مركبات وليست عناصر أصلية، ولا يمكن أن يتولد شيء من العدم، كما أن المادة لا تفنى، وهذا هو أول إعلان عن

القانون الحديث الذي يتحدث عن بقاء الطاقة، ولا يوجد حد لعدد العوالم المحتملة التي تأتي إلى الوجود ثم تختفي، فكل من الشمس والقمر والروح -التي عرفها ديموقريطوس على أنها تُشير إلى العقل- ليست سوى توليفة من الذرات، والضرورة هي مجرد اسم آخر للدوامة الإبداعية، والنهاية العملية لبحث الفيلسوف هي هدوء بسيط، ولم يكن من الممكن أن يصيغ شخص ما نظرية معقولة ومقبولة بهذا الشكل الجميل سوى أحد الفلاسفة اليونانيين، ويجب أن نسارع بإضافة أنه لم يكن بإمكان أيٍ من الفلاسفة اليونانيين صياغة ووضع هذه النظرية بدون الاستعانة بالمجهودات الأولية التي قام بها البابليون، والذين قدموا للمنظر الذي وضع هذه النظرية ليس فقط أساس قوي من المعرفة السليمة، ولكن أيضاً الكثير من المصطلحات الضرورية، ولقد عمل الشرقيون واليونانيون مع بعضهم البعض للمرة الأولى على الأراضي البابلية، ولقد كانت ثمرة هذا التعاون هو نظرية لا زال العلماء المعاصرون يقبلون ويسلمون بصحة جزء كبير منها.

وقد رحب الشرقيون بديموقريطوس كزميل لهم في الدراسة وطلب العلم، وفتحت له أبواب كنوز المعرفة البابلية لينهل منها، ولقد حقق ديموقريطوس شهرة عظيمة في وطنه والتي لن تضيع خلال الأجيال القادمة، ولقد عبر بركليز Percales في خطبة جنائزية فصيحة (439) عن افتخاره المبرر، والذي يقوم على أساس متين بماضي أثينا العريق، حيث إنها قد تمكنت من إيقاف الغزاة الفرس بمفردها، كما عبر عن افتخاره بديمقراطيتها وبإمبراطوريتها، وبالازدهار الاقتصادي الذي تعيش فيه، وبأدبها وفنها، وعلى رأسهما هيكل الإلهة أثينا (البارثينون)، وقد تفاخر بأن أثينا كانت هي مدرسة هيلاس Hellas ؛ لأن المدينة كانت منفتحة على العالم، كما كان أيضاً يتم تقديم كافة التسهيلات اللازمة للأجانب للتعلم هناك، ولقد علم ديموقريطوس بهذه الدعوى، وقرر أن يقوم بزيارة

هذه المدرسة الجديدة، ولكنه وجد أن التعامل على العالم كان لا يزال قويًا، وفي الحقيقة فإن بركليز كان يشعر -وبشكل واضح- أن أثينا نفسها لم تكن في حاجة إلى تعلم أي شيء، حيث يقول ديموقريطوس: «لقد أتيت إلى أثينا ولم يعرفني أحد!».

الفلكيون الأثينيون اللاحقون:

ولكن الفلكي الآخر الذي يلي ديموقريطوس في الأهمية، والذي جمع مثله بين علمي الجغرافيا والأحوال الجوية في دراسته لعلم الفلك، كان أثينيًا اسمه يوكتيمون Euctemon ، وقد قام بإبداء ملاحظاته الخاصة حول التغير في مواقع الكواكب، كما قام بإجراء حسابات حول أطوال الفصول المناخية، ولكن أثينا لم تكن أرضاً خصبة للعلم أو العلماء، مما جعل يوكتيمون يترك أثينا في عام 436 ليكون أحد المستعمرين في أمفيبولس.

ولم تكن جداول روزنامة ديموقريطوس معروفة في أثينا، وكان فينوس Phaeinus هو أول من جذب انتباه ميتون إلى المزايا المتفوقة لنظام الدورة المكونة من (19) عاماً، وقد قام يوكتيمون بوضع حساباته حول التغير في مواقع الكواكب، وفي أطول الفصول تحت تصرف مواطنه، ومن المفترض أن الحسابات التي قام يوكتيمون بإجرائها حول أطوال الفصول كانت في الأساس الذي جعل ميتون يبدأ سنته عند الانقلاب الصيفي، وليس مع رأس السنة الجديدة في فصل الربيع -كما كان يحدث في بابل- كما أنه لم يبدأ أيضاً بالدورة السابعة عشر من نظام التسعة عشر عاماً - والتي كانت تقابل السنة الحادية والعشرين من حكم الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول (22 أبريل 443)- ولكنه بدأها عند الانقلاب الصيفي للسنة الثانية عشرة، والذي لاحظ ميتون Meton -من خلال استخدام المزولة- أنه يبدأ عندما كان حينها اليوم الثالث عشر

من الشهر الأثيني سيروفوريون، وذلك في أرخونية أبسويديس في يوم 28 يونيو 432، وقد كانت دورة ميتون تتكون من 235 شهراً، (110) شهراً منها هي شهور ناقصة أو جوفاء (أي تلك الشهور التي يحتوي كل منها على 29 يوماً فقط)، و(125) شهراً كاملاً يحتوي كل منها على 30 يوماً، وطول السنة الواحدة هو 365 يوماً + $\frac{19}{5}$ من اليوم، وهو الرقم الذي تم الحصول عليه حينها عن طريق القسمة، وتلك المدة الزائدة هي أكبر قليلاً من ربع اليوم، حيث إنها تعادل + 0.2632 -لكي نكون دقيقين- وطول السنة هذا الذي اقترحه ميتون هو رقم تقريباً أفضل من ذلك الرقم الذي عرفه أونوبيديس من أساتذته المصريين، ولكنه لا يزال أطول من الرقم الحقيقي بـ11ً 03َ، ولكنها لا تقارن بحسابات نابو-ريماني الذي كان يبعد في عام 492 عن الرقم الحقيقي بـ2ً 6َ.

ولم يرَ ميتون مطلقاً تقويمه يوضع موضع التنفيذ، وقد سخر أرسطوفان -ذلك المؤلف المسرحي الماهر ولكنه سطحي- في مسرحية «السحب» (423)، وفي المسرحية الأكثر خفة والمعنونة بـ«الطيور» (414) سخر من ميتون، وفي تلك السنة الثانية (414) تعرض ميتون للسخرية والانتقاد في مسرحية «الوحيد» التي كتبها فرينيخوس Phrynichus ، وقد كان هذا هو الاتجاه أو الموقف العام الذي اتخذه الأثينيون من ميتون وتقويمه؛ ونتيجة لذلك فإنه لم يتم إصلاح تقويمهم.

الفصل الخامس والعشرون

فرق تسد

تجدد الحرب الفارسية الأثينية:

إن الاستقبال الحار المليء بالإطراء والتملق الذي قوبل به هيرودوت (Herodotus) في أثينا هو دليل حي على أنه بركليز كان قد بدأ يميل مره أخري بحلول عام 445 نحو أخذ موقف معادٍ للفرس، وقد عقد معاهدة سلام مع إسبرطة في تلك السنة مدتها ثلاثون عاماً، قام بمقتضاها بتسليم بعض الأراضي التي تملكها أثينا إلى إسبرطة في مقابل أن يقوموا بحماية ظهره، وبهذا كان قد أعد لبدء الحرب من جديد ضد بلاد فارس، وصار بإمكانه مواصلة المغامرة المصرية بقبول تلك الهدية من الذهب و(54000) بوشل من الغلال التي قدمها لهم المتمرد الليبي بسماتيك، ولكن العمل الذي كان مستفزاً بدرجة أكبر هو قيام بركليز بتشكيل مقاطعات للجزية فيما بين الولايات التي ظلت موإلىة لأثينا، والتي كانت فيما سبق مرزبانيات خاضعه للفرس (كاريا، أيونيا، الدردنيل، الجزر)؛ لأن هذا كان إشارة واضحة إلى أنه كان ينوي أن يجعل منها مرزبانيات خاضعة لأثينا، وقد واجهت بلاد فارس هذا التهديد عن طريق قيامها بعزل ليسيا.

وانتهـــي الصراع الـــذي شـــب بـــين جزيـــرة ســـاموس -التـــي كانـــت لا تـــزال

خاضعة لسيطرة الأغنياء- ومدينة ملطية -التي تدار من قبل حكومة ديمقراطية- بهزيمة الأخيرة، وقد لجأت ملطية إلى أثينا طلباً للمساعدة، فقام بركليز Pericles بتنظيم حمله ضد ساموس في أواخر عام 441، والتي انتهت بالسيطرة على تلك الجزيرة وإعادة تنظيم الحكومة فيها لتتماشي مع المبادئ الديمقراطية، وقد لجأ أثرياء ساموس المخلوعون بدورهم إلى بسوثنيس Pissuthnes ابن هستاسبيس ومزربان سارديس طلباً لمساعدته، ولقد تمكنوا بمساعدة الجنود المرتزقة الذين سمح لهم باستئجارهم (700 جندي) من استعادة سيطرتهم على الجزيرة، وقاموا بتسليم الحامية الأثينية إلى المزربان الفارسي، وعلى الرغم من ذلك، فقد تمكن بركليز من استعادة سيطرته على ساموس ثانية في ربيع عام 439، عندما لم تتمكن المساعدة الفينيقية التي وعدهم الفرس بها من الوصول إليهم، وقد تم خرق اتفاقية السلام الموقعة بين الفرس والأثينيين بشكل علني، وبحلول عام 440 ق.م كان الفرس قد تمكنوا من استعادة جاره، سبسيس، سبرين، زيليا الغربية، وأستراكوس، ثم نجح الفرس بعد ذلك في فرض سيطرتهم على الجزء الداخلي من كاريا بأكمله، وعلى معظم المنطقة الساحلية لها لدرجة أن عدد المدن في قائمة الجزية الأثينية، والذي كان يبلغ (49) مدينة في عام 440 قد انخفض بمقدار (12) مدينة في قائمة الجزية الخاصة بعام 438، ولقد تم دمج المقاطعة الكارية في نظيرتها الأيونية.

وقد سعي بركليز إلى تعويض خسائره عن طريق إنشاء بعض المستعمرات الجديدة على شواطئ البحر الأسود، وتم استعمار أميسوس لتكون بريوس Piraeus ثانية، كما تم طرد الحاكم المستبد تيميسيليوس Timesileus من سينوب Sinope ، والتي أصبحت هي الأخرى إحدى مستعمرات أثينا عام (438)، وتم وضع حامية في أستراكوس لتقوم بحماية اليونانيين من دودالسوس Doedalsus -أول الملوك شبه المستقلين لبثينيا Bithynia - عام (435).

وقد واجه ميجابيزوس Megabyzus أزمة أخرى في حياته المثيرة، ولكنها محفوفة بالمخاطر بعض الشيء، وذلك عندما قام بإنقاذ الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) من أسد كان مندفعاً نحوه خلال إحدى رحلات الصيد، حيث إنه بدلاً من أن يقوم الملك بشكره ومكافأته، نجد أنه قد تجاهل ذلك، ولم ينظر سوى إلى مخالفة ميجابيزوس لقواعد وآداب رحلات الصيد التي تقضي بألا يقوم أي شخص من المشاركين في الصيد بقتل أحد الحيوانات قبل أن يفعل الملك ذلك أولاً، وقد صدر الأمر من الملك بإعدام ذلك المنتهك للآداب والقواعد، ولكن تدخلت سيدات الأسرة المالكة مرة ثانية لمساعدته، وتم تخفيض العقوبة إلى النفي إلى سيتراي Ctrae في الخليج الفارسي، كما تم أيضاً نفي أرتوكساريس Artoxares إلى أرمينيا لتجرأه بالدفاع عن ميجابيزوس، بينما سار زوبيروس Zopyrus على نهج أبيه بإعلان التمرد الصريح على الملك، وقام زوبيروس بزيارة أثينا في عام 441، ومن المحتمل أنه قد قابل هناك هيرودوت (Herodotus) ، وقدم له بعض الحكايات والوثائق الرسمية الفارسية، والتي زين هيرودوت (Herodotus) صفحات مؤلفه بها، وقد تم استقباله بصورة جيدة في أثينا؛ وذلك بسبب الجهود الحميدة التي بذلها والداه بالنيابة عن الأثينيين الذين تم أسرهم عندما استسلمت مصر، وقام زوبيروس بالهجوم علي كونوس بمساعدة فرقة عسكرية أثينية، على الرغم من أن هذا كان يعني إعلان حرب مفتوحة على الفرس، ولقد أظهر السكان هناك -بشكل واضح للغاية- رغبتهم واستعدادهم للاستسلام له، ولكنهم رفضوا استقبال حلفائه الأثينيين، وقد رفض زوبيروس شروطهم، وشرع في الهجوم عليهم، وبينما كان يحاول التسلق أصيب بحجر في رأسه ولقي مصرعه، ولقد تمت مكافأة هذا الكوني الذي قتله بأن أمرت أمستريس Amestris بصلبه لقيامه بقتل حفيدها.

وكانت مدة خمس سنوات كافية للغاية للابتعاد عن الأحداث العامة والإنسحاب إلى سيتراي، وطويلة جدًّا بالنسبة إلى ميجابيزوس، فادعى أنه قد أصبح ذلك الشخص المرعب الذي لا يمكن الاقتراب منه وهو المجذوم، وفر عائداً إلى صوصا وإلى زوجته دون أن يحاول أحد التحرش به أو الاقتراب منه، وقد قامت نساء القصر بالتشفع له، والتدخل لمصلحته مرة أخيرة، وقام أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بالصفح عنه، وأعاده كرفيق من رفاق مائدته، وقد انتهت هذه المسرحية الكوميدية-التراجيدية عندما توفي ميجابيزوس -وهو في سن السادسة والسبعين- وهو الحدث الذي أسف الملك له من أعماق قلبه! وعاشت أميتيس لتصير بعد ذلك عشيقة للطبيب اليوناني أبوللونيدس Apollonides ، وقامت أميتيس في إحدى نوبات صحوة الضمير بالاعتراف بالذنب الذي ارتكبته إلى أمها، فقامت أمستريس -التي صدمت عند سماعها ذلك- بإخبار ابنها الملك بأن أخته قد لوثت الدم الملكي، وقد ترك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) أمر تحديد عقوبة هذا المتهم إلى أمستريس، والتي أمرت بتقييد أبوللونيدس بالسلاسل لمدة شهرين، ثم أمرت بأن يتم دفنه حيًّا، وقد ماتت أميتيس في ذلك اليوم نفسه.

الأزمة في إقليم يهودا:

لقد ظل نيهيميا Nehemiah حاكماً على إقليم يهودا لمدة اثني عشر عاماً، حيث إنه من الواضح أن الملك كان قد نسي أمره، ولكن حدثت كارثة هناك في عام 433، حيث إن الإفراط في فرض الضرائب قد أدى إلى النتائج السيئة نفسها التي كانت قد تمت ملاحظتها قبل ذلك في إقليم بابل، ومن المحتمل أن تلك الصرخة التي صدرت من هؤلاء اليهود وزوجاتهم كانت صرخة جميع شعوب الإمبراطورية، وقد صرخ أبناء الطبقة العاملة في المدينة قائلين: «نحن وأبناؤنا وبناتنا كثيرون في

العدد، اعطونا القمح حتى نستطيع أن نأكل ونعيش»، وقد أعلن الفلاحون: «نحن نقوم برهن حقولنا، ومزارع الكروم التي لدينا، وبيوتنا من أجل الحصول على الغلال؛ وذلك بسبب المجاعة التي نعاني منها!»، أما بالنسبة إلى ملاك الأراضي الذين من المفترض أنهم كانوا أفضل حالاً، فقد كانوا في الواقع في حالة أسوأ، حيث يقولون: «لقد قمنا باستعارة الفضة حتى نتمكن من سداد جزية الملك في صورة نقدية، وإن لحمنا هو مثل لحم إخواننا، وأبناءنا مثل أبنائهم، ومع ذلك فنحن مضطرين إلى بيع أبنائنا ليكونوا عبيداً!، ولقد تم استعباد بعض بناتنا، ولا نستطيع استرجاعهن؛ لأن رجالاً آخرين يمتلكون حقولنا ومزارع الكروم الخاصة بنا».

ونتيجة لجهلهم الكامل بالأسباب الحقيقية الكامنة وراء بؤسهم وشقائهم، فقد ألقوا جميعاً باللائمة على إخوانهم من اليهود الأثرياء الذين لم يفعلوا شيئاً في الحقيقة سوى أنهم استفادوا من الفرصة المتاحة أمامهم، وقد كان هذا هو ما فعله نهيميا أيضاً، حيث إنه لم يكن عنده أدنى شك، كما لم ينتبه على الإطلاق إلى أن المذنب الحقيقي كانت هي البيروقيراطية والنظام الإداري الذي وضعه، والذي كان يحصل علي نفقاته الخاصة هو نفسه من عوائد ضرائبه، وقد قام باستدعاء التجار، وصب جم غضبه عليهم، وأخبرهم في خطاب مليء بتصريحات غير جذابة على الإطلاق -عن مدي صحة أفعاله وسداد آرائه- كيف أنه قد بذل كل ما في وسعه من أجل تحرير وعتق إخوانهم من اليهود الذين كانوا قد تم بيعهم إلى أجانب، كما أنه يقوم بإقراض المال والغلال إلى اليهود دون أن يأخذ عليهم تلك الفائدة السيئة التي يحصلها المرابون أصحاب البنوك، وقد أصر في ذلك اليوم نفسه أن يقوموا بإعادة الحقول المرهونة إلى أصحابها الأصليين، وكذلك مزارع الكروم ، وبساتين الزيتون، والبيوت التي يسكنون فيها بدون وجه حق، بالإضافة إلى نسبة

الواحد بالمائة التي تعادل الرسم الذي فرضوه على نقل الفضة والغلال والخمور الجديدة والزيت، وعندما وجد أولئك التجار أنفسهم في هذه المواجهة القوية مع ذلك الحاكم حاد الطباع، لم يكن بإمكانهم سوى أن يعدوا الملك بالاستجابة إلى مطالبه، إلا أنهم أدركوا بشكل كامل أنه سيتوجب عليهم وقف جميع الأعمال الشرعية إذا تم إبطال جميع العقود بالتوافق مع مطالبه، ومن الواضح أن نهيميا لم يكتفِ بمجرد قطعهم العهود علي أنفسهم بفعل ذلك، حيث إنه قد استدعي الكهنة (الأحبار) على الفور، وأجبر أولئك التجار على أن يقسموا على تنفيذ ما وعدوا به، وأضاف إلى ذلك لعنته وغضبه الكبيرين على من يقوم منهم بالامتناع عن تنفيذ ذلك، وقام الأشخاص الذين كانوا يستمعون إلى ذلك -بدون تفكير- بتمجيد ربهم.

ومضي نهيميا يقول إنه في حين أن الحكام السابقين قد فرضوا أعباءً وضرائب باهظة على السكان، حيث كانوا يأخذون منهم الخبز والنبيذ بمعدل 40 شيكل، حتى إن عبيدهم كانوا يتصرفون كالأسياد، إلا أنه وزملاؤه لم يقوموا -ولو لمرة واحدة طوال اثني عشر عاماً، وهي فترة إدارته ليهودا- بتناول خبز الحاكم، وأنه كان يقوم بدلاً من ذلك بإطعام (150) يهوديًّا من العامة والنبلاء على حد سواء على مائدته يوميًّا، وذلك بالإضافة إلى الزوار الوافدين إلى إقليم يهودا من الأقطار الأجنبية، ثم قام بعد ذلك بتقديم بعض الإحصائيات لإثبات وجهة نظره، حيث كان يتم ذبح ثور وستة من الأغنام المختارة، بالإضافة إلى الطيور كل يوم، كما كان يتم التصدق بجميع أنواع الخمور كل عشرة أيام، ويضيف قائلاً: «إنه مع كل ذلك لم يطلب قط من المواطنين دفع ضريبة (خبز الحاكم)؛ لأن عبء الاسترقاق كان ثقيلاً جدًّا على الناس»، وكان نيهيميا أحد هؤلاء الموظفين الإداريين الذين يفترضون بسذاجة أنه يتم الحصول على نفقات الدولة بطريقة غامضة من الهواء، وليس من جيوب المواطنين.

وإذا كان التجار اليهود لم يجرءوا على الرد علناً -وبشكل صريح- على حاكم يهودا، إلا أنه كان بإمكانهم أن يرفعوا شكاواهم إلى المسؤولين الأعلى الذين يعون جيداً أنه يتم الإنفاق علي الدولة وموظفيها من أموال الضرائب، وتشير الكراهية التي أبداها نيهيميا تجاه أفراد بعينهم من طبقة النبلاء -بما فيهم أحد المؤيدين السابقين له، وهو كبير الأحبار الياشب Eliashib - إلى الطريقة التي وصلت من خلالها شكوي هؤلاء التجار إلى البلاط الفارسي، وعلى أية حال، فقد قام الملك الفارسي أرتاكسركسيس (Artaxerxes) باستدعاء نبهيميا إليه قبل انتهاء عام 433، وهو العام الذي حاول فيه القيام بإصلاحاته.

اندلاع الحرب الأهلية في اليونان:

في الوقت الذي كانت هوة الشقاق بين أثينا وإسبرطة آخذة في الاتساع بسرعة، وعلى الرغم من سلام الثلاثين عاماً، قام الملك الفارسي بإرسال ثارجيليا (التي كانت تشتهر بجمالها الفائق للوصف) وزميلاتها من المحظيات إلى العاصمة الديمقراطية، وقد استقبلهم كبار رجال الدولة الأثينيين باشتياق وترحيب بالغين، وسرعان ما أصبحت أعمق أسرار أثينا تحت تصرف الملك الفارسي، وفجأة -ولكن ليس بدون سابق إنذار- اندلعت الحرب البلوبونيزية في عام 431، ونتيجة لذلك تغير الموقف على الحدود الغربية لبلاد فارس؛ لأن ذلك الصراع الذي كان يتسم بالتقاتل فيما بين الإخوة، والذي زلزل بلاد اليونان بأكملها -بصيحة الحرب التي أطلقها الإسبرطيون والتي تنادي «بتحرير» مواطني أثينا- كان هدية ومنحة متوقعة للملك الأكبر الفارسي من الإله.

ولقد قام يوريبيديس في ذلك العام نفسه بعرض مسرحيته «ميديا»، وفي هذه المسرحية يخبر جيسون زوجته ببرود أنها من خلال زواجها المؤقت به قد حصلت على أكثر مما قدمته له، حيث إنها تعيش الآن في

هيلاس Hellas وليس في الأراضي البربرية، كما أنها تقضي حياتها في ظل حكم القانون وليس في جو من سيطرة القوة والإرهاب، وقد أصبحت معروفة لدى جميع اليونانيين، وهو مجد لم تكن لتحظى به إذا كانت لا تزال تعيش على أطراف الأرض، ولم تكن هذه دعاية جيدة للفوز بمساعدة الفرس، وقد حدث بعد ذلك أن انتقل الطاعون من أثيوبيا إلى مصر وتفشي بها، ثم انتقل بعد ذلك إلى أثينا وأجزاء كبيرة من الإمبراطورية الفارسية، وقد مات أناس كثيرون من جراء هذا الوباء، أما بالنسبة للحياة الاقتصادية التي كانت قد عمتها الفوضي والاضطراب بالفعل نتيجة استمرار فرض الضرائب الباهظة والمجحفة على الناس، فلقد تعرضت لمزيد من الاضطراب والتشويش.

وقد كان فارناسيس Pharnaces ابن فارنابازوس الأول Pharnabazus قد أصبح بحلول ذلك الوقت مزرباناً بالوراثة على إقليم فريجيا الذي يقع على حدود إقليم الدردنيل، وقد وصلتنا نقوش بارزة من أحد المعالم الأثرية المهمة التي توجد في داسيليوم -عاصمة ملكه- وبالقرب من ديناداكوس، وتعود هذه النقوش إلى عهد والده، ومن الواضح أن الغرض من ألواح الرخام البروكونيسي تلك التي كان يصل طولها إلى سبعة أقدام هو كسوة واجهة أحد المذابح المقامة في الهواء الطلق، ونصف هذا الارتفاع هو عبارة عن مجرد حافة ناعمة تعلوها حلية معمارية على شكل البيضة والسهم، ويشكل المشهد بأكمله لوحاً منخفضاً ضيقاً وغائراً بعض الشيء، والذي تطل منه الشخصيات في رسم بارز منخفض ومسطح.

ويوجد طابور من النساء اللاتي تم أسرهن واللاتي يركبن مجموعة من البغال التي تم تقصير أعرافها (شعر رقابها) وتضفيره، والتي تتكون الكسوة الزينية لسروجها من قمم السروج المطرز الذي تجلس عليه هؤلاء السيدات على شكل سرج جانبي (واضعات كلتا الرجلين على

جانب واحد من الفرس)، وتغطي أغطية الساكوس شعر رؤوسهن الذي يرفرف ويتموج حول وجوههن، كما يضعن أيضاً شملة كحجاب على رؤوسهن، ويشد الخيتون الذي ترتديه هؤلاء السيدات مثله مثل الملابس الداخلية إلى الوسط بحزام، ويمشي قبل كل امرأة متعاقبة سائس الخيل، رأسه مغطي بالباشيليك، وجسده بثوب حتى الركبة، بينما يحمل في يده بشكل مستقيم شيئاً ضخماً، ويركب الجنود المرافقون لهؤلاء السيدات على أحصنة تم قص شعر أعرافها، وتقصير شعر ذيولها، مع طيها على شكل عقدة عند نهايتها، ويركبون على دثار سرجي، وتمتد أرجلهم بشكل مستقيم، ويمكننا أن نرى تحت العباءة الجلدية ذات الأكمام المفتوحة - حيث تم قلب الجلد لكشف الشعر- رداء التونك، والسراويل والخناجر المتدلية والأحذية، وهناك آثار لأحد النقوش -ولكنها باهتة جدًّا بحيث لا يمكنها أن تقدم لنا دليلاً على الشخص الذي تم إهداء هذا الرسم البارز له- ويغلب على الأسلوب والمعالجة الطابع الإيراني، ولكنه يقوم على نماذج يونانية سابقة، وتثبت كل من الحلية المعمارية -التي تأخذ شكل البيضة والسهم والنقش الذي يبدو أنه أيوني- يثبتان في تحدٍ لما سبق من أن الأراضي اليونانية كانت مغلقة.

ولقد لجأ البلوبونيزيون إلى فارناسيس طلباً للمساعدة، فوعد مبعوثيهم -نيكولاس Nicolas وأنريستوس Aneristus - بتقديم العون لهم في رحلتهم المقترحة إلى الملك الأكبر الفارسي، ولقد قام الملك الطراقي سيتالسيس Sitalces بأسرهم في مضيق الدردنيل قبل أن يتمكنا من الوصول إلى حماية فارناسيس، ثم سلمهم إلى الأثينيين ليقوموا بقتلهم.

وقد تواصلت جهود الإسبرطيين للاتصال بالملك الأكبر، ولكن أرتاكسركسيس (Artaxerxes) كان أكثر من منشرح، وهو يشاهد اليونانيين يدمرون بعضهم البعض، ولقد غض بصره عن القراصنة المنتمين إلى

جنوب غرب آسيا الصغرى، والذين كانوا يقومون بالاستيلاء على السفن التجارية المتجهة من فينيقيا وفاسيليس إلى البريوس، ولقد تحدث سوفوكليس Sophocles ذات مرة عن أحد الباعة الجائلين من صيدا الذي كان موجوداً في أثينا، كما أخبرنا إيون Ion عن العباءة المصنوعة من الكتان المصري، وأخبرنا أخيوس Achaeus عن المراهم المصرية، وعن الشران الذي تم جلبه من بابلوس، وحدثنا كراتينوس Cratinus عن النبيذ الذي تم إحضاره من منديس، كما حدثنا كراتينوس أيضاً عن المسافرين المتجهين إلى الساكاي، وعن الصيديين الذين أحضروا معهم أثواباً من سوريا، ولم يعد من الممكن الآن ضمان عملية النقل الآمن للأشرعة وأوراق البردي المجلوبة من مصر، والبخور المستورد من سوريا، والعبيد الفريجيين، وجوز البلوط البافلاجوني المستخدم في الدباغة، واللوز والبلح والقمح الجيد المجلوب من فينيقيا، وهي المنتجات التي كان يتغني هرمبيوس Hermippus بها بكل فخر، ولقد عبر فيريكراتيس Pherecrates عن خوفه من أن صديقه قد يتعرض لمخاطر حتى في مجرد السفر إلى مصر، وكان رفض الكاريين والليبيين دفع الجزية واحتقارهم لأثينا يصب قطعاً في مصلحة الملك الأكبر الفارسي.

الحكام الليسيون:

لقد أصبحت ليسيا بحلول ذلك الوقت تقع بشكل كامل في مجري الأحداث العالمية، ولقد زعمت مدنها -التي كانت تقع كل منها إما في وادٍ صغير أو على جرف- أنها تمثل جزءاً من الثقافة اليونانية، وكان يحكمها حاكم ومجلس شيوخ محلي، ولقد تم تزيين مقابرهم بتفاصيل معمارية يونانية، مع الاحتفاظ بأدلة في شواهد هذه القبور تشير إلى أن هؤلاء كانوا يعيشون في الأصل في منطقة مليئة بالأشجار والغابات ، ولقد كانت النقوش المحفورة على المقابر باللغة المحلية قد بدأت في الانتشار

بوفرة، ونادراً ما كان يضاف إليها ترجمة يونانية، ولحس الحظ، فقد وصلنا أحد النقوش ثنائية اللغة هذه، والذي كان يعود إلى أحد حكام ليميرا -المسمي بـ«سيداريا Sedareia »- والذي تمتلك أيضاً الدينار المدني الخاص الذي يحمل صورة عنزة وغرفين، ويظهر هذا النقش الصيغة الخاصة بالمقابر في أبسط صورها: «لقد قام سيداريا بن بارمينا Parmena بتشييد هذا النصب التذكاري لنفسه ولزوجته وابنه بوبيلايا Pobealaia »، وفي العادة يكون النص أطول من هذا، ولكن التفسير الدقيق له ليس مؤكداً دائماً، كما تم نهي ومنع الغرباء بصيغ متنوعة من دفن موتاهم في هذه المقبرة تحت تهديد عقوبة قد تصل قيمتها إلى العديد من عملات الأدا، أو العديد من الشيكلات، والتي يتم سدادها إلى مجلس المدينة، الخزينة، والكهنة، أو رابطة القبور.

وتصبح الأساطير الخاصة بالعملات المعدنية أكثر طولاً وأكثر شيوعاً وتكراراً، ولقد ترك لنا كوبرل Kopralle عدداً هائلاً من العملات، وهو ما يثبت أهميته، وقد أظهرت الأساطير التي تم نسجها حوله أنه قد قام بسك العملات في زانثوس ومارا-ميرا، بينما تشير أنواع هذه العملات إلى أنه قد تم سكها في مدن أخرى مثل تلميسوس وليميرا، وتثبت الأشكال الأثينية أنه لم يعد خاضعاً لسيطرة أثينا، وقد كان «شعار النبالة» الليسي -والمسمي الرايسيليس Trisceles - يوضع بشكل منتظم علي الوجه السفلي لتلك العملة المعدنية، أما الوجه العلوي فكان يشتمل على مزيج من الرموز، مثل: عين حورس المصرية، الدلفين، العقاب الطائر، أو ذكر الخنزير المندفع، الفرس الواقف أو المستلقي، البغل، البقرة التي ترضع عجلها الصغير، أو الحصان المجنح المحلي العروف باسم بيجاسوس، ولقد تمت الإشارة إلى رد الفعل الشرقي من خلال السفينكس (الذي غالباً ما يكون مجنحاً أو حتى ذا قرون)، والجني المجنح العاري؛ ويمكننا أن نرى التأثير الفارسي في تقليد «شعار النبالة»

الموجود في برسيبولس، حيث نملك تصوير الأسد وهو يلتهم أحد الثيران، وهو ثور له رأس إنسان، وله أجنحة وقرون، وبالإضافة إلى ذلك، وفوق كل شيء، تيجان الأعمدة التي تأخذ شكل الثور أو شكل ثور وحصان، وعلى الرغم من ذلك، فإن الدرع الدائري الذي يحتوي على رسم للأسد المجنح، وإله الحرب الإغريقي أريز Ares المرتدي للخوذة، والإله هرميز الذي يحمل الخروف فوق كتفيه، وهرقليز العاري، وأبوللو، وزيوس-آمون، وتشير كل هذه الأشكال إلى أن التأثير اليوناني كان لا يستهان به.

ولقد كان خاري Kharee -وهو ابن أرباخو Arppakho أو هارباجوس Harpagus - وهو اسم ميدي جيد يشير إلى أنه قد يكون -بشكل جزئي- من أصول إيرانية، ويبدو أن هارباجوس كان حاكماً؛ لأن خاري كان من الواضح أنه يدين بعرشه لنسبه إلى جده من ناحية الأم وهو خاريجا Kharega ، وزوج أمه كوبرل Koplle ، ولقد قام بسك العملات في زانثوس وتلاو-تلوس، وفي العادة يحمل الوجه العلوي صورة الإلهة أثينا المرتدية للخوذة، وذات مرة كان يتوج خوذتها الزيتون، كما كانت تصاحبها البومة التي ترمز لها، أما بالنسبة للوجه السفلي لتلك العملات فكان يحمل بشكل منتظم صورة تمثال نصفي لذلك الحاكم نفسه، والذي كان يتسم بلحيته الطويلة التي يأخذ شعرها شكل الخواتم، وعمامته المزينة بالشرائط والأوشحة، وتاج الزيتون الذي يشير إلى النصر، وتصور النماذج الأكثر ندرة للإلهة أثينا وهي راكبة على الدلفين، والثور (الذي يكون مجنحاً في بعض الأحيان، أو حتى ذا رأس بشرية)، والنسر أو الدرع الذي يحمل صورة ديكين متصارعين.

ولا يعني هذا التكريم للإلهة أثينا أن خاري كان مؤيداً للأثينيين، فقد ترك لنا في زانثوس نقشاً يتكون من (250) سطراً، وقد نتساءل هنا أو هناك في هذا النقش عن مفهوم كلمة «الليسي» وخاصة عندما يحدثنا عن حلفائه،

فأخوه هو تربينيم Trbbeneme ، والذي من المحتمل أنه كان زميلاً لزيمو Zemo ؛ لأنهم كانوا يستخدمون في صورهم الموجودة على عملاتهم قناع الأسد والتريسيليس بشكل فردي أو مع بعضهم البعض، ولقد تم الربط فيما بعد بين تريبينيم و«ودب Wadb »، كما قام ابنه كروست Krostte ببناء مقبرة في ليميرا، وهناك أيضاً عملات أربين Arbbene التي كان يتم سكها في تلابا-تلمسوس، وكان يتم تصوير الإلهة أثينا المرتدية للخوذة، أو هرقليز المرتدي للمئزر بشكل منتظم على هذه العملات، وذات مرة تم اختصار اسمه إلى «إر» بالحروف الكارية، ومثراباتا Methrapata هومتروباتيس الفارسي Mitrobates الذي تشتمل عملاته على قناع الأسد، وعلى والترايسيليس، كما تحتوي بشكل أكثر نضرة على الدرع الأحمر الأرجواني، وعلى صورة الإله أبوللو، وتظهر عملات أرواتياسي أيضاً قناع الأسد والترايسليس، كما تصور بين الحين والآخر الإلهة أثينا، وهي مرتدية للخوذة، ولقد لقبه خاري بالاستراتاخا، أو القائد اليوناني، ولقد كان أرووتياسي Arouwateiase أحد أقرباء خاري تماماً مثلما كان الحال مع إيتا Eta الذي كانت تحمل عملاته التي وجدت في تلميسوس صورة الدلفين والترايسيليس، وقد كان آخر خلفائه هو تاثرهويبي Tathrhewaebe ، والذي يبدو أنه كان هو الأخير ينتمي إلى تلميسوس، وتتمثل الرموز التي كانت تستخدم على عملاته في رأس الخنزير البري (مرسومة في بعض الأحيان على درع)، أو ديك مصارع أو ديكين متصارعين مرسومين على درع، أو رأس الإلهة أثينا، ولكن ظهر هذه العملات كان يحتوي دائماً علي الترايسيليس، ونحن -ومن خلال تقديمنا لهذه القائمة الطويلة من الحكام ذوي الأسماء غريبة النطق وأنواع الأشكال الموجودة على عملاتهم- نضيف بذلك صفحات جديدة ومثيرة لكل من التاريخ الروائي والثقافي لهذه المنطقة.

وقد اتحد كل من زجابا Zagaqba برجاله، إتريتومينا Etretomena

برجاله، ومدينة بتارا-باتارا بمجلسها، اتحدوا جميعاً، ثم قام تربينيم Trbbeneme بسحق ذلك الجيش وميلاسانترا Melasantra ، ولقد قام خاري -كأمير لزانثوس، وكزعيم لجميع الليسيين بقيادة جنود تلاوا-تلوس وجنود تاربيدا- وقام بسحق الجيش وقائده وأخسابديم Wakhassdeme ، ولقد ميز نفسه، واشتهر مثل هراقلا Harakla (هرقليز) وهاخلازا (أخيليس) Hakhlaza كأمير وقائد أعلى للجيش، ونقرأ أيضاً عن القصة المحلية الليسية التي تصف كيف تم قتل الأثيني ميليساندر عندما جاء لتحصيل الجزية بالقوة من الليسيين عام (430)، ولقد قام الكاريون بعد ذلك بعامين بقتل ليسيكليس Lysicles عندما حاول فعل هذا الشيء نفسه معهم، وفيما يتصل بهذه الأحداث نفسها، فقد قام القائد العسكري لليسيين إزرازا Ezraza بتشييد هرمه في تلوس، ويظهر إزرازا على قاعدة هذا الهرم وهو مرتدٍ لعباءة الفرسان، ويحارب فارساً آخر يرتدي ملابس مشابهة لملابسه، ثم يظهر بعد ذلك، وهو يقاتل مترجلاً، وتغطي سترته الواقية ذراعه اليسرى، بينما يقوم هو بغرز رمحه في جسد فارس سقط على الأرض، وتصور رسمة بارزة ثالثة الصراع بين اثنين من جنود الهبليت الذين يحتمون بدروع دائرية، في حين تصور رسمة رابعة هجوماً على حصن يقع على أحد التلال.

إصلاحات نيهيميا:

لقد تم استدعاء نيهيميا من القدس قرابة نهاية عام 433 ، وفي خلال الأعوام الاثني عشر التي شغل نيهيميا فيها تلك الوظيفة القوية كحاكم لإقليم يهودا كان قد خفت سناء وإشراق ذلك الجمال المليء بالحيوية والشباب في قلب أرتاكسركسيس (Artaxerxes) سريع التأثر ، ولكنه كان لا يزال يحتفظ بقدرته على حياكة الخطط والمؤمرات ، فبعد عدد معين من الأيام - لا يمكن تحديد التاريخ بدقة - استأذن الملك ثانية في العودة

إلى القدس، وكان كبير الأحبار الياشب Eliashib ، لم يعد من أصدقائه، ولقد قام في فترة غيابه بعقد سلام مع توبياه Tobiah ، وخصص له مسكن في صحن المعبد، فأسرع نهيميا -الذي لم يكن مطلقاً كارهاً للعمل المباشر بإلقاء سلع وممتلكات أسة توبياه خارج المعبد وأمر بأن يتم تنظيف تلك الحجرات، كما أعاد آنية المعبد والوجبات التي تقدم كقرابين، والبخور إلى المكان الذي كان يتم تخزينهم به في السابق.

ولقد وجد أن أبناء قبيلة لاوي العبرانية والمغنين قد تركوا حقولهم، وهربوا لأنهم لم يتمكنوا من دفع الحصص المقررة عليهم من عائدات المعبد، فقام نيهيميا بتوبيخ الموظفين المسؤولين بشدة قائلاً: «لماذا تم التخلي عن بيت الإله؟»، ولقد أعيد اللاويون والمنشدون إلى وظائفهم السابقة، وتم إحضار عشر الغلال، ونبيذ جديد، وزيت لخزائن المعبد، ولقد كان نيهيميا بحلول ذلك الوقت قد نسي أمر الاعتناء بالفلاحين، وتم تعيين مسؤولين يتصفون بالأمانة للإشراف على توزيع محتويات هذه الخزائن، ولقد رأى نيهيميا في تلك الأيام أن اليهود قد أخذوا في انتهاك حرمة يوم السبت بعصرهم للخمر، وجمعهم للحزم وحملها على البغال، كما كان يتم أيضاً إحضار الخمر والعنب والتين إلى المدينة، وكان أهل صور المقيمون في المدينة يبيعون سلعهم هناك وخاصة الأسماك، وقد أمر نيهيميا بأن يتم إغلاق أبواب المدينة عند ظهور شفق يوم الجمعة، وألا تفتح الأبواب حتي ينتهي اليوم المقدس (وهو يوم السبت)، وعندما عسكر الباعة الجائلون خارج بوابات المدينة، نهرهم نيهيميا بنفسه، وأمرهم بالابتعاد وإلا قام باعتقالهم، فلم يأتوا ثانية بعد ذلك.

ولقد تحول انتباهه إلى مسألة الزيجات المختلطة، التي كانت قد حيرت عذرا في السابق، حيث إن الرجال اليهود كانوا قد تزوجوا من نساء ينتمين إلى أشدود وآمون ومؤاب، وكان أبناؤهم يتحدثون لغة

أمهاتهم وليس لغة اليهود، فقام نيهيميا بتوبيخ الآباء بشدة، ولعنهم، وضربهم، ونتف شعرهم، وجعلهم يقسمون بأنهم سوف يصلحون ذلك.

ولقد تم إتمام وتوثيق عرى الصداقة بين الياشب وتوبياه من خلال عقد تحالفات زيجية، حيث تزوج ماناسه Manasseh ابن جيهويدا Jehoida -والذي هو ابن الياشب- من ابنة الملك سنبلات Sanballat المسماة نيكاسو Nicaso ، فطارده نيهيميا حتى أخرجه من المدينة، فلجأ إلى الملك سنبلات الذي بني له معبداً جديداً على جبل جيريزيم Gerizim ، والذي ظل على اتصال وثيق ولفترة طويلة مع المعبد الأقدم الموجود بالقدس، ويخبرنا نيهيميا أخيراً كيف أنه قد قام بتطهير اليهود من كل ما هو أجنبي، وحدد الرسوم المفروضة على كل من الكهنة واللاويين، كل له مهمته، ولتقديم الخشب في فصله المعروف، وبكورة الفاكهة التي تنتجها الحقول، ولقد قام الأحبار اليهود واللاويون وشيوخ العشائر -والذين عددهم جميعاً 84 شخصاً- بالتوقيع والتصديق على كل هذه الأمور في اجتماع مهيب، وبالطبع فإن اسم الحاكم هو الذي يعلو قائمة الموقعين، ولكن اسم الياشب كان من الطبيعي أن يكون غير موجود، وعلى أمل واعتقاد أن التنظيم الديني قد أصبح الآن راسخاً، ويقوم على أسس قوية تماماً مثل جدران القدس، كان بإمكان نيهيميا الآن أن يرجع إلى صوصا، حيث إنه كان من الواضح أن موت أرتاكسركسيس (Artaxerxes) قد صار وشيكاً، ويختتم نيهيميا روايته بشكل صحيح قائلاً: «تذكرني يا إلهي بالخير».

تطورات فنية جديدة:

إذا كان بإمكاننا أن نثق في أدلة العملات التي تنسب إليه، فإنه يمكننا القول إن أرتاكسركسيس (Artaxerxes) لم يكن أخمينيًّا حقيقيًّا، فعلى العكس من الأنف المستقيمة الجميلة التي كان يتميز بها أبوه وجده،

نجد أن أنفه كانت قصيرة ومعقوفة، ولقد كانت ملامحه فظة ولحيته رثة، ولقد قام في أوائل فترة حكمه بإكمال قاعة المائة عمود في برسيبوليس التي كان والده قد بدأ في تشييدها، حيث كان الحرفيون المدربون جيداً والذين قام والده بإحضارهم لا يزالون موجودين لديه، ويمثل تنفيذ وإكمال المنحوتات التي كانت غير مكتملة أفضل ما قدمه الفن الكلاسيكى المتطور، ولكن يمكن ملاحظة أن تغيراً مهماً قد طرأ على الأسلوب، حيث إن كسركسيس Xerxes كان قد أدخل الشكل الكلاسيكى الضخم من النحت الذي كان مقيداً ومعتمداً على العمائر التذكارية البارزة، والذي يمكن مقارنته بالأعمال الفنية الموجودة في معبد زيوس في أوليمبيا، ولقد قام فيدياس Pheidias ورفاقه -خلال فترة حكم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) - بتوجيه الأعمال الزخرفية التي كانت تجرى في البارثينون بأثينا، والذي كان يقوم فيه النحاتون -في برسيبولس- بإكمال قاعة المائة عمود، وفى هذا الأسلوب الجديد تصبح الشخصيات أقل ضخامة وأكثر بشرية من حيث مقاساتها، كما يتم تصويرها بشكل ثلاثي الأبعاد، مستقل عن الخلفية المعمارية التي يوجدون بها، كما تم أيضاً إكسابها الوحدة والكمال عن طريق الاهتمام بالتفاصيل والأسلوب.

ولقد كان أرتاكسركسيس (Artaxerxes) قد انتقل إلى صوصا عام 461، وقد ظل هناك خلال معظم السنوات المتبقية من فترة حكمه الطويلة، ولكن لم يقم بأية أعمال إنشائية بها، ولقد حدث قرابة انتهاء فترة حكمه أن احترق القصر الذي استقبل فيه هو وأبوه العديد من المبعوثين اليونانيين، حيث التهمته النيران تماماً وأتت عليه، ولكن أرتاكسركسيس (Artaxerxes) لم يقم بإعادة بنائه، ولقد لجأ أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بعد هذه الكارثة إلى برسيبوليس، وأقام في قصر دارا (Darius) السابق، والذي يبدو أنه كان يحتاج إلى بعض الإصلاحات بعد أن كان قد أكمله والد كسركسيس (Xerxes) ، ويمكننا

أن نجد اليوم بعض الرسوم البارزة الناقصة -التي كانت معدة لتزيين وتوضيح أحد النقوش التي أمر أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بإعدادها- متفرقة على جدران البلاط الذي يقع جنوبي القصر، وتظهر هذه الرسوم أن الفنان قام باستبدال الأساليب السابقة التي كانت تتسم بالضخامة والبروز بنمط فني جديد يتسم بالرقة والإتقان، ولتحديد تاريخ هذه الرسوم البارزة، فإنه لا توجد سوى مجموعة واحدة تم نسخها من موكب الجزية الموجودة على جدران الأبدانة التي أنشأها كسركسيس (Xerxes) ، ولكن تحدها صفوف من الحلي المعمارية وردية الشكل؛ لأنه لم يكن هناك أي فراغ (مساحة متوفرة) للحلي المخروطية التي تقسم كل ساسة النموذج الأصلي، حيث إن الشخصيات هنا أصغر في الحجم والأهمية وتحتل حيزاً أكبر، وهو الاتجاه الذي تم تطويره في الإريختهويم الموجود على جدران الأكروبول في أثينا.

وقد نضيف إلى هذا النقش، وإلى النص الذي وجد في قاعة المائة عمود عدداً قليلاً من النقوش على أوانٍ زهرية من الألوبستر، وأخرى على أوانٍ فضية تستخدم في طقوس سكب الخمر «والتي تم إعدادها من أجل القصر» الموجود في إكباتانا، وبمجرد فعل ذلك نكون قد جمعنا كل الأدلة النقشية التي وصلتنا من فترة حكمه، ويبدو أن أرتاكسركسيس (Artaxerxes) قد عاد قبل نهاية فترة حكمه ببعض الوقت إلى موطنه صوصا؛ ليموت هناك، ولكن تم دفنه في مقبرة ناكظي-روستام، حيث تم حفر قبر له في غربي المرقد الأبدى الذي يرقد فيه كل من أبيه وجده ؛ ولا تحمل مقبرته أية نقوش تماماً مثل مقبرة والده كسركسيس (Xerxes) .

السياسة اليونانية والمسرحيات الكوميدية:

لقد كان أرتاكسركسيس (Artaxerxes) قد فقد اهتمامه بمجريات

الحرب الأهلية اليونانية حتى قبل موته، ولم يبدِ أي اعتراض عندما قام بسوثنيس Pissuthnes بتزويد كولوفون Colophon بالمرتزقة في عام 430 لتحرير ميناء نوتيوم الذي كان من ممتلكاته من قبضة الأثينيين، كما لم يقم بفعل أي شيء عندما أعادت أثينا فرض هيمنتها على تلك المنطقة في عام 427؛ لأنها سرعان ما عادت إلى موالاة الفرس، وربما يكون قد ابتسم إذ سمع أن فيريكراتيس Pherecrates قد سخر من الفرس في مسرحيته، وأنه قد أعطى عوامل ترف لا مثيل لها إلى فقرائهم، أو أن أرسطوفان Aristophanes قد قام بتسمية مسرحيته «البابليين» بهذا الاسم نسبة إلى مجموعة من العبيد الذين يشكلون مجموعة خورس، والذين تم أخذهم من أراضي الإمبراطورية الفارسية واحتجازهم في ساموس، أو عندما علم أنه قدم المبعوثين العائدين من عنده على خشبة المسرح، ولقد شكلت خسارة كل مهن سيراسوس Cerasus وترابيزوس Trapezus اللتين تقعان على الساحل الشمالي لآسيا الصغرى في عام 425 خطراً أكبر على الفرس، حيث أعلن يوربيبيدوس في تلك السنة -وتعبيراً عن ابتهاجه بهذا النصر- أن آسيا كانت تخدم أوربا كعبد يخدم سيده.

ولقد قام ذلك الملك المحتضر بإرسال أرتاتافرنيس Artaphernes إلى الإسبرطيين محملاً بشكوى يتذمر فيها من أنه لم يفهم ماهية رغبتهم (ماذا يريدون؟)، حيث إنه على الرغم من كثرة المبعوثين الذين قامت إسبرطة بإيفادهم إليه، لم يقم اثنان منهما بقول الكلام نفسه، وأنه إذا كان بإمكانهم عرض وجهة نظرهم ومطالبهم بشكل واضح وبسيط، فعليهم أن يرسلوا مبعوثين إليه مع أرتافرنيس لنقلها له، ولقد تم اعتراض هذا الرسول الملكي عند إيوان، وتمت ترجمة الرسائل التي كان يحملها -والتي كانت مكتوبة «بالحروف الآشورية» (الآرامية)- إلى اللغة اليونانية، ثم تمت إعادة أرتافرنبيس مرة أخرى ولكن صاحبه هذه المرة سفراء أثينيون، ولقد أحضر أرسطوفان في مسرحيته المسماة «الأكاديين»،

أحضر مرة أخرى شخصية تمثل المبعوث الملكي على خشبة المسرح، وقام بمحاكاة مؤلف هيرودوت (Herodotus) بشكل ساخر، ولقد تعاظمت الآمال الأثينية، ولكن قد علم هؤلاء المبعوثين في إيفيسوس نبأ وفاة أرتاكسركسيس (Artaxerxes) فعادوا إلى وطنهم، وقد أصابهم الغم وخارت عزيمتهم.

الفصل السادس والعشرون

قرار لإسبرطة

تولي دارا (Darius) الثاني -أوكاس- للعرش:

بعد موت الملكة الأم الطاعنة في العمر أميستريس Amestris مات كل من أرتاكسركسيس Artaxerxes وداماسبيا Damaspia في اليوم نفسه، وذلك قرب نهاية عام 924، وقد تم الاعتراف بابن الملك من الملكة داماسبيا Damaspia وهو الملك كسركسيس Xerxes الثاني الذي اعترف به خليفة على الأقل في صوصا، ولم تدم فترة حكمه إلا 45 يوماً عندما قتل أثناء غفوة له بعد شرب الخمر أثناء أحد الاحتفالات، وكان من اغتاله سيسيديانوس Secydianus وهو أحد أبناء أرتاكساركسيس Artaxerxes ابن المحظية البابلية ألوجون Alogune ، وقد عاونه في ذلك المخصي فارناسياس Pharnacyas ، وقد قام باجورازوس Bagorazus -أهم عنصر مؤثر في بلاط الملك الراحل- بوضع جثث الأب والأم والابن في عربة تجرها الخيول إلى بارسا Parsa ، حيث تم دفنهم في المقبرة التي كانت معدة للملك أرتاكسركسيس Artaxerxes ، وذلك غربي تمثال لكسركسيس (Xerxes) على مرتفع لناكظي روستام Naqshi-rustam ، وفي طريق عودته أمر الملك الشاب بإعدام باجورازوس Bagorazus رمياً بالحجارة؛ لأنه حسب المرسوم الملكي قام بالدفن في هذا المكان بدون موافقة منه، وقد أصبح منافسه مينوستانيس Menostanes هو المستشار الجديد للملك.

وقد كان هناك ابن آخر للملك من المحظية البابلية يسمى أوكاس، وقد كان اسم الأم «الأكادية الطيبة» أو «عطية الإله»، وقد زوجه أبوه الملك من باريساتيس Parysatis أخته غير الشقيقة من محظية بابلية ثالثة تدعى أندريا Andria ، وقد جعله أبوه والياً على هيركانيا Hyrcania ، وبعد ذلك انتقل إلى بابل.

ورغم مطالبة سيسيديانوس Secydianus المتعددة له بالمجيء إلى صوصا إلا أن أوكاس Ochus تعمد أن يتلكأ من أجل أن يجمع جيشاً ويعلن نفسه ملكاً، وقد تمكن من استمالة قائد الفرسان أرباريوس Arbarius والي الفرس على أرمينيا Armenia ، وفي الثالث عشر من فبراير من عام 423 اعترف به ملكاً تحت اسم دارا (Darius) في بابل.

وبالرغم من أن دارا (Darius) وباريساتيس Parysatis لم يكونا بابليين تماماً، إلا أنهما لم يستفيدا من الإمارة على بابل استفادة شخصية، والدليل على ذلك أن سيئ السمعة إينليل - نادين-شوم Enlil-nadin-shum -رئيس شركة تعمل بالربا والقروض- قد أسرع من أجل أن يقدم التهنئة والتحيات لسيده الجديد، وأن يحاول رعاية مصالح هذه الشركة العملاقة، وقد حاول الاستفادة من مركزه واستأجر منزلاً له يليق بمركزه قرب أنقاض إيساجيلا Esagila ، وقد كان اسم صاحب الدار البابلي أبلا Apla ، وكانت مدة الإيجار -كما جاء بالعقد- «إلى أن ينطلق إلى الملك»، وقد دفع إيجاراً مرتفعاً يبلغ رطلاً ونصف الرطل من الفضة، وانتظر حيث كانت العاصمة المؤقتة مزدحمة بالوفود، ولم يدرك أن الملك كان يستعد للرحيل من المدينة، وقد عاد إلى موطنه بعد انتظار لمدة أحد عشر يوماً بدون أن يقابل الملك، وفور عودته أراد أن يعوض خسائره التي تكبدها في هذه الرحلة الفاشلة وذلك بأن كلف اثنتين من النساء الفقيرات بأكثر من ضعف معدل الفائدة المتفق عليها معهما.

وإذ لم يقم المرابي بتقديم التحية للملك فقد قابل بالتأكيد بعضاً من

كبار موظفيه؛ لأنه في أول أعوام حكم دارا (Darius) الثاني (423-404) استمرت الشركة في السيطرة على الأراضي تحت الحماية الملكية على نطاق واسع لم يسبق له مثيل، وفي السنوات التالية واصلت شركته جمع الأراضي التابعة للتاج الملكي والتي كانت لا تزال تحت رعاية مالكيها الأصليين.

وعند الوصول إلى صوصا، وجد دارا (Darius) الجنود مبعدين تماماً رغم الإنفاق عليهم بسخاء، وكان ذلك راجعاً إلى اغتيال الملك الشرعي كسركسيس (Xerxes) والقائد الذي كان محبوباً لهم باجورازوس Bagorazus ، وقد حذر مينوسانيس Menostanes مولاه الملك من المنافس الجديد على الملك سيسيديانوس Secydianus ، ولكن بناءً على نصيحة الملكة باريساتيس Parisatis تمكن من إقناع منافسه الذي كان يعد جيشاً أن يقبل اقتسام الملك، وقد انقلب دارا (Darius) على وعده الموثوق وقبض على منافسه الذي كان قد حكم لمدة ستة أشهر ونصف، وقد كانت عقوبته قاسية، حيث أمر أن يكثر له من الطعام ثم يوضع على لوح خشبي معلق على حفرة مليئة بالتراب وقع فيها ميتاً بعد أن غلبه النوم وهو على اللوح الخشبي.

وبعد وصول أرتوكساريس Artoxares إلى صوصا من أرمينيا وضع الزهور على رأس المنافس على الحكم الذي قُتِل ضد رغبة الملك، وهو منافس آخر لدارا (Darius) وقد استعان بأرتيفيوس Artyphuis ابن ميجابايزوس Megabyzus الذي استعان هو الآخر بالمرتزقة من الإغريق وقدم الرشاوى للإغريق لتصدير المرتزقة له، وقد أجبر المتمرد على الاستسلام المشروط، وأوعزت الملكة بارتيسانيس Parysatis إلى زوجها ألا يكون أحمقاً ولا يفي بعهده ويقتل المتمرد وبالفعل تمكنا معاً من الإيقاع بالمتمردين الآخرين مثل أرستيز Arsites الذي قبض عليه ولقي مصير سيسويانوس Secydianus الذي ألقي به إلى التراب، وقد أُعدم

فارناسياس Pharnacyas أيضاً رجماً بالحجارة على دوره في التآمر الذي أدى إلى موت الملك كسركسيس (Xerxes) ، وكذلك كان الموت مصير مينوستانيس Menostanes الذي قرر أن يهرب من العقوبة البشعة وهي السقوط من على اللوح المعلق في حفرة التراب بعد أن يغلبه النوم، وفي سبيل ذلك قام بالانتحار وإنهاء حياته بنفسه.

وقد أصبح دارا (Darius) له الحق الآن في أن يدعى أنه المنتقم الآخذ بثأر الملك السابق والقصاص من قاتليه ومن عاونهم، وقد صور هذا على العملات التي سكها وفي إحداها صورة وهو يمسك أنف خصومه إذلالاً لهم، لكن تأثير المقربين من المخصيين كان واضحاً عليه مثل أرتوكساريس Artoxares وأثوس Athous ، ولكن المؤثر القوي عليه كانت أخته وزوجته الملكة باريساتيس Parysatis ، أما بالنسبة لأسرة الملك فقد رزق قبل اعتلائه العرش من زوجته الحالية بابنة تدعى أميستريس Amestris وابن اسمه أرساسيز Arsaces ، وبعد ذلك اكتسبوا الأسماء الملكية قورش Cyrus وأرتوستيس Artostes وأوكسيندراس Oxendras ، وكما هي العادة فضلت الأم أحد الأبناء ولم يكن الأكبر، لكن قورش (Cyrus) الذي لقبته باسم مؤسس الإمبراطورية كان أول من ولد في المهد الملكي.

السلام بين الإغريق:

باءت محاولة الأثيني لاماخوس Lamachus في الوصول إلى الحكم أثناء فترة الاضطرابات المدنية بالفشل في صيف عام 424؛ وذلك لأن سفنه التي كانت ترسو في ترسانة الأسطول قد دمرت بواسطة إعصار مفاجئ، وقد ذكر ذلك المسرحي أريستوفانيز Aristophanes في إحدى مسرحياته الكوميدية التي تناولت في هذا العمل المسرحي كيفية فشل المؤامرة، وفي عام 423 قام عم الخطيب أندوسيديس Andocides ، وهو إبيليخاص Epilychus برئاسة بعثة أثينية إلى الملك دارا (Darius) ، وقام

بعقد معاهدة صداقة جدد فيها اتفاق التفاهم الذي وُقِّع في كالياس Callias ، وفي هذه الرحلة تعرف أرسطوفانيس Aristophanes على ثراء ورفاهية الشرق، مثل الملابس الفاخرة الغالية المنسوجة في إكباتانا Ecbatana ، وبناء على ذلك التفاهم منح والي داسيليوم Dascyleium في عام 422 مدينة أتراميتيم Artamyteium على بحر إيجة إلى حلف ديليان Delian ، وفي عام 421 قال أريسطوفانيس Aristophanes إن الإله زيوس Zeus هو الذي قدر أن تحاصر ميديا Mede اليونان، وقال إن الشمس والقمر قد اجتمعتا على التآمر على اليونان لصالح «البرابرة»؛ لأنهم أكثر من ضحوا لهذه المقدسات، وفي مارس تم إنهاء الحرب الأهلية في اليونان بواسطة اتفاق سلام نيسياس Nicias .

السيطرة الملكية على مصر وبابل:

اقتدى الملك دارا (Darius) بأسلافه الذين تداخلوا مع الطقوس الدينية لليهود ومن خلال واليه أرساميز Arsames -كما أطلق عليه المرتزقة في جزيرة فيلة بمصر اسم حنانيا Hananiah - أرسل الملك في عام 419 منشوراً يدعم احتفالات نقل السلطة تبعاً للقانون الذي طبقه عذرا Ezra في أرض فلسطين، والتي كانت تسمى جوداه (يهوذا) Judah ، وهذا قد أحدث اهتماماً زائداً بدينهم، ومهد لجمع التبرعات لمعبد اليهود المحلي.

وبعد عامين، وتحديداً في عام 417 اختفت شركة موراشو Murashu وأولاده التي تتعامل بالربا والتي سبقت الإشارة إلى صاحبها الذي كان يهم بزيارة الملك وتقديم فروض الولاء له، وأصبح رئيس الشركة من أجد موظفي البلاط فيما بعد، وتدل هذه الواقعة على أن المفوض الملكي قد قام بزيارة للشركة، واستخرج وثائقها، واستعاد الأراضي الملكية التي كان يتحكم فيها صاحب الشركة، وقد قام بعقاب المرابين بها، وقد شهدت بذلك فيما بعد بعض الوثائق المتفرقة التي تدل على سطوة هذه الشركة في

السيطرة على أراضي رعي الماشية، تلك الأراضي التي أوقفت عن الإنتاج الزراعي، ونقل إليهم عن طريق القروض الكبيرة وفوائدها الباهظة والضرائب الفادحة البيروقراطية التي أدت بأصحابها إلى التنازل عنها.

تجدد الحرب في بلاد الإغريق وقوة تيسافارنيس:

كان الصراع الإغريقي المستمر المدمر قد هدأ إيقاعه نتيجة لاتفاق السلام الموقع في نيسياس Nicias ، وفي أواخر عام 415، يتذكر المؤرخ يوربيديس Euripides كيف أن أثينا انقسمت إلى فريقين، وأن أحد أقسامها قد أغرى باريس Paris بقيادة جيش فريجيا Phrygia لهزيمة هيلاس Hellas ، وأن المعبودة هيرا Hera قد وعدتهم بقيادة آسيا وأوروبا، ولكن بلا جدوى، حيث إن أثينا قد انتهكت السلام الهش بشن حملة مجنونة على صقلية، وهذه الحملة قد أضعفت جيش أثينا مؤدية إلى تجدد الحرب عام 413، ومع ذلك، كانت أثينا ما تزال تحكم منطقة بحر إيجة، ولو توفرت معونة فارسية لأحد الخصوم كانت سترجح كفته في الصراع الداخلي، فقد كان يمكن أن ترفع الإمبراطورية الفارسية أسهم إسبرطة وحلفائها، وبفضل السياسات قصيرة النظر لقادة اليونان تمكنت فارس من إملاء كلمتها على هذا الصراع رغم تصدع الإمبراطورية نتيجة تجدد اندلاع الثورات بها، لكن المهارة الدبلوماسية لقادة الإمبراطورية يدعمها بريق الذهب وإغراؤه -ذلك المغتصب من الرعايا المعدمين- تمكنت فارس بفضله من التحكم في أمور بلاد الإغريق.

وكانت أولى هذه الثورات تعزي إلى بيسوثنيس Pissuthness وإلى سارديزا (في عام 413)، وقد أُرسل لإخماد هذه الثورة كل من تيسافارنيز Tisspharnes وسبيثراداتيس Spithradates وبارميسيس Parmises ، وكانت للثورة أهمية كبيرة خاصة للإغريق؛ لأنها لفتت أنظارهم إلى قوة تيسافارنيس Tisspharnes ابن هيدرانيس Hydranes

أمهر الدبلوماسيين الفرس وأكثرهم جدارة على مر تاريخهم، ونتيجة لبعد نظره تجاه شبه الجزيرة كلها فقد كان لسياسته الأثر الأكبر في تحقيق انتصار للفرس، فقد استمال المرتزقة بقيادة ليكون Lycom من أثينا، وذلك بمنحه إياهم للمدن، وبذلك أجبر المتمرد بيسوثنيس Pissuthnes على الاستسلام له على وعد بعدم تعرضه للقتل، وتم ترحيله إلى صوصا، لكن دارا (Darius) تجاهل الوعد بالإبقاء على حياته، وبذلك أمر بقتله ككل المتمردين، وعين ابنه أمورجيزي Amorges نفسه على ساحل كاريا Caria بمعونة أثينا، مما جعل الملك دارا (Darius) يحس بالإهانة؛ لذلك قرر أن يعمل على مساعدة إسبرطة ضد أثينا.

وقد حان الوقت لطلب الجزية التي كانت تدفعها المدن الإغريقية للإمبراطورية الفارسية، والتي استغلتها أثينا لإحداث الثورة ولم تعترف الإمبراطورية الفارسية بفقدان هذا المورد بعد؛ ولذلك أمر الملك تيسافيرنيس Tissaphernes الذي أصبح حاكماً لساردیس Sardis أن يقوم برد المتأخرات من الجزية، ومع رسله تعهد بتقديم الدعم العسكري بقدر ما تقدمه إسبرطة ضد أثينا وذلك إلى المدن الثائرة ضدهم وهي ليسبيا Lesbian وشيانز Chians وإيرثرايان Erythraean ، لكن منافسه اللدود حاول إقناع قواد إسبرطة بأن يرسلوا أساطيلهم إلى هيلزبونت Hellespont ، حيث يقنع رعايا أثينا بالثورة ضدها، غير أن قواد إسبرطة وعدوه أن يؤيدوه بالأسطول بعد زيارة كيوس Chios لمساعدة قائدها في الثورة ضد أثينا، وذلك في عام 413، وكان ذلك في مصلحة تيسافيرنيس Tissaphernes .

ومقابل هذه الخدمة، قدم المساعدة في الهجوم على تيوس Teos بقوات يقودها مساعده ساجيز Sages ، وقد ثارت ميليتوس عند إعلان يوريبيدوس Euripidos أن كل «البرابرة» عبيد ما عدا واحد، وأنهم سوف يستغنون عن أي ارتباط مع الإغريق؛ ولذلك قبلت مدن عديدة وجود

قوات حماية عسكرية فارسية مثل مدن كلازوميناي Clazomenae وتيوس Teos وليبيدوس Lebedos وإيفيسوس Ehpesus وفوكايا Phacanea وسيرين Cyrene ، بل دفعوا المتأخرات عليهم من الجزية التي ترجع إلى الأعوام السابقة، وقد وقع كالسيديوس Chalcideus الإسبرطي اتفاقية بين لسيدومونيا Lacedomonia وحلفائها مع الملك وتيسافيرنيس Tissaphernes زاعماً أنها قضية إغريقية، لكن في الواقع كانت خيانة كاملة لهم، ونص في هذه الاتفاقية على أن أية أرض يملكها الملك أو يملكها آباؤه تصير ملكاً له وما يرد إلى أثينا كجزية وبأي مسمى فسوف يمنعه الملك ومن وقع على هذا الاتفاق من الوصول إلى أثينا، وعلاوة على هذا اتفق الملك والموقعون على شن الحرب ضد أثينا، واتفقوا على عدم انتهاء هذه الحرب حتى يتراضوا بينهم على ذلك، ولا ينهيها طرف دون آخر، وأن أعداء الملك الثائرين ضده سيكونون أعداء حلفائه والعكس صحيح بالنسبة لحلفائه، وتنفيذاً لهذا الاتفاق قام تيسافيرنيس Tisspharnes بتدمير سور تيوس Teos ، ولكنه هزم أمام ميليتوس Miletus ، وفي الخريف تم الاستيلاء على إياسوس Iasus في هجوم مباغت قادته قوات بيلوبونيسيا Peloponnesia ، وسلمت المدينة مع المتمرد أمورجيز Amorges إلى تيسافيرنيس Tissapharnes الذي رحب بهم كمرتزقة داخل قوات الولاية الفارسية، ويروي خاري Khuree من زانثوس Zanthus كيف أنه شارك في سحق أيونيا Ionia ، وكيف استطاع رجال الرب الطيبين أن يقهروا جيش الأعداء وأمورجيس Amorges ، وأن قائدهم أعطى أوامره بتكريم القتلى وحسن دفنهم بعد أن قهر الأمير الفارسي وأعوانه من إسبرطة من تحقيق نصرهم على جيش الأعداء الأجانب، وفي إطار غير محقق وثائقيًّا نسمع عن ترحيب ملوك الفرس -وخاصة دارا (Darius) - بالمرتزقة من الإغريق -وخاصة إسبرطة- ووجود قادة للمرتزقة أو المجندين مثل سباريدا Sbareda وسوجينيز Sogenes الذين كانوا مقربين للملك.

وهناك رواية كاملة عن النصر وتكريم الموتى وضعت على عمود أثري مقام قرب زانثوس Thanthos في بقعة مقدسة بالقرب من المسرح، وقد كانت متوجة برسوم بارزة تصور الأعمال الحربية للأمير الذي أمر بتشييد هذا الأثر وتخصيصه للآلهة المحلية، والكتابة معظمها بلغة ليسيا Lycia ، لكن في النهاية توجد لعنة الآلهة بلهجة محلية قديمة.

وهناك قصيدة تتناول هذا النصر بلغة أفريقية قديمة، والحروف التي بها تعد خليطاً من اللغة الأيونية ولغة أتيك Attic القديمة، وبها سطور محذوفة ومستبدلة بسطور تحكي قصة الانتصار في يوريميدون Eurymedon وأداء سيمون Cimon في قبرص، وترجمتنا تعمد على الأصل وهو غير دقيق وغير واضح.

تقول القصيدة:

«منذ العصر الذي كان فيه البحر مقسوماً بين أوروبا وآسيا

لم يشيد أحد قط حجراً مثل ليسيا Lycia

وإلى تماثيل 12 من الآلهة في موضع طاهر مقدس

وهذا تذكار خالد للحرب وغزو بلاد العدو

كان ابن هارباجوس Harpagus الأمهر في كل مجال

يقاتل بيديه مع أقرانه من جند ليسيا Lycia

وكان مهلك المدن، وكم أهلك من قلاع وحصون أثينا

وقد سحقها جميعاً وأعطى حظوة الملك وقرابته

ومن أجل الآهلة الخالدة الذين أنعموا عليه لعدالته

ومن أجل زيوس Zeus قدم القرابين شاكراً

وأقام الآثار للخالدين من أجمل ما استطاع

وبذلك توج رؤوس شعب كاريا Caria ».

وقد كانت نصحية أليسيبياديس Alcibiades الذي طرد من إسبرطة -وكان يطمح في الانتصار- لتسافيرنيس أن أحد قطبي الإغريق يجب أن يؤلب ضد الطرف الآخر في الصراع، وكانت تلك أيضاً وجه نظره، وذلك من أجل المصلحة العليا للملك الفارسي، وقد تقدمت إسبرطة ببطء لجمع الجزية التي كانت تدفع لأثينا من مدنها في آسيا، وهذا كان تعارض واضح مع اتفاقية ميليتاس Miletus ، وكانت سابقة خطيرة للفرس، وكبديل لذلك بادر القائد الفارسي بأن يدعم الأسطول الإسبرطي، وقدم له أجر شهر مقدماً.

وقد أُلغيت بذلك معاهدة ميليتاس Miletus ، وقد أجرى قادة إسبرطة الغاصبين محادثات ثانية مع الملك دارا (Darius) ، ومع أولاده، ومع الوالي الفارسي، وقد قرروا جميعاً في تعديل للاتفاق «تتعهد لاسيديمونيا Lacedemonia وحلفاؤها بعدم شن الحرب أو إيذاء أو تحصيل رسوم من أية بلد أو مدينة تكون تحت ولاية الملك أو تنتمي لآبائه أو أجداده، والملك ومن يقع في حكمه لن يحاربوا من يتحالفون معهم بناءً على هذه الاتفاقية، وإذا احتاجوا إلى شيء منه أو احتاج هو إلى شيء منهم فإن هذا يتم بالتفاهم بينهم، فهم جميعاً يقررون سويًّا ما يجب و ما لا يجب القيام به، وأي جيش يستدعيه الملك لأية مهام تقع في أرضه تكون تكلفته مسؤولية الملك، ولو ثارت أية مدينة ضده فسوف يحرم على أطراف الاتفاق معاونتها، بل سوف تقدم للملك كل الدعم بأقصى ما تملك من قدرات، ويقع الوعد نفسه على عاتق الملك».

وقد فقد القائد الفارسي حماسه في دفع أجور للجيش بالحصول على الوعد بتحصيل الجزية لصالح الملك عن طريق عقود الإيجار القديمة التي كانت بحوزة الملك لأراضيه الملكية، وقد تزامن ذلك مع تحصيل رسوم عالية لسداد الدين للملك، مما أحدث خللاً بالنظام ، وقد وصلت لجنة خاصة إلى كنيداس Cnidus التي جعلها القائد الفارسي تابعة له، وقد أدان

رئيسها ليخاس Lichus المعاهدتين واقترح بديلاً أن حكومته لن تصادق على أية اتفاقية غير عادلة تعترف بالمزاعم الفارسية في الجزر أو الإغريق في أوروبا شمال إسثموس Isthmus ، وهذه الاتفاقية سوف تقف في طريق إسبرطة إذا قدمت نفسها لأوروبا باعتبارها المحرر الوحيد لهم، حيث تسلم المدن الإغريقية إلى الإمبراطورية الفارسية، وهو شخصيًّا لا يؤيد الدعم المالي مقابل هذا الثمن الباهظ، وقد صادق تيسافارنيس على قوله في نقطة واحدة، وهي أن إسبرطة تريد تحرير المدن الإغريقية في آسيا، مما أدى إلى تصدع تحالفهم، وقد خاطبت ممثلي أثينا، وتيسافيرنيس Tisscipherence الذي شجعهم على التآمر ضد وطنهم، وكانوا يأملون في أن يقوم ألسيبياديس Alcibiades بدور الوسيط، وعند قيام الرسل بزيارته كان هو ومن يمثله يفرضون شروطاً تعجيزية مثل أن تسلم أيونيا Ionia والجزر التابعة لها بدون شرط، وبالتالي فشلت المفاوضات، أما إسبرطة فقد استوعبت الدرس جيداً، ففي ربيع عام 411 تم توقيع الاتفاقية الثالثة خلال عام، وكان نصها: «في العام الثالث عشر من حكم الملك دارا (Darius) -لاحظ أن اللقب الملكي يأتي أولاً يليه لقب المتفاوض ذو المركز الأدنى وكذلك تغيير نظام ذكر تاريخ الاتفاقية، ونسب التاريخ إلى حكم دارا (Darius) كل ذلك يظهر شعور الإغريق بأنهم أدنى درجة من الإمبراطور- تم توقيع الاتفاقية في سهل مايندر Maeander ليس فقط مع تيسافيرينس Tissaphernes والمندوب الملكي هايرامينيز Hieramenes ، إنما مع أفراد من أسرة الملك نفسه -مثل فارنابازوس Pharnabazus - وقد قدمت مصالح الملك على مصالح الإسبرطيين وحلفائهم، وكان الاتفاق على أن «بلاد الملك في أسياهي ملك له، وفي أرضه يفعل ما يحلو له (وهذا يفي باعتراض ليخاس Lichas الذي يستثني بلاد الإغريق في أوروبا، وكذلك الجزر، أي أن الملك يتنازل عن أملاكه في أوروبا مقابل تنازل الإغريق عن مدنهم في

آسيا للملك)، ووافق بناءً عليه تيسافيرنيس أن يدفع ثمن السفن الحالية التي في حوزته وهي من الأسطول الإغريقي، أو أن يستمر في إبحارها حتى وصول الأسطول الملكي، وقد استمرت السفن باختيار الإسبرطيين وكان بحارتها يعيشون على حساب الإسبرطيين لدى تيسافيرنيس Tissaphernes ، وفي مقابل ذلك حصلوا على سلطة حرب منه بضمان هذه السفن وتدفع عند نهاية هذا الصراع.

ولأول مرة منذ سنوات كان الجيش الفينيقي البالغ قوامه 147 سفينة مدخراً كقوة حربية جاهزة، لكن الدفع مقابل السفن استمر بطريقة غير منتظمة، وقد أرسل فارنابازوس Pharnabzus أنه سيكون ملتزماً بطريقة أفضل في الدفع إذا أرسلت السفن له، وبالفعل أرسلت السفن إلى ساحله وأصبح بالتالي ميليتاس Miletus غاضب تماماً من الموقف، وفي الوقت نفسه طرد كنيداس Cnidus الحامية الفارسية، كما احتجت سفارة من ميليسيا إلى إسبرطة على الصداقة مع تيسافيرنيس؛ ولذلك تم استدعاء مندوبها وسحبه بواسطة أثينا، ودفاعاً عن موقفه أرسل الوالي الفارسي جوليتيس Gaulites من كاريا Caria الذي يتحدث اللغة الإغريقية للتفاوض معهم، بينما كانت السفارة التابعة لميلسيا Milesia لا تزال في إسبرطة كان الشاعر من البلد نفسه تيموثيوس Timotheus في أثينا، وهناك قام بعرض مسرحيته «الفارسي» في عام 410، وكان موضوع العمل الفني الانتصار البحري في سالاميس Salamis ، وقد استغله أيسكيلاس Aeschylus في الدعاية السياسية على المسرح، ولم يخلوا العمل من الإشارات الخبيثة إلى خصومه السياسيين من إسبرطة التي كان أهلها يحتجون لأنه على لسان بطل عمله المسرحي وضع العبارة التي قيلت بكل تفاخر «أريس Ares هو السيد! لكن هيلاس Hellas لا يخشى الذهب»، وهي إشارة إلى قبول الرشوة من أجل تحصيل المتأخرات السابقة للفرس، وينتهي وصف الحرب بإقامة تذكار النصر وصياح

المنتصرين وسعادة الجوقة الراقصة وخفة حركة الرقص بالأقدام، وليس من العجيب بناءً على ذلك أن نال الدرامي الشاعر أعلى الأصوات في مسابقة الشعر، وتم تخليد معركة سالاميس Salamis أيضاً بواسطة ملحمة «الفرسان»، وأصدر أهل أثينا قراراً بأن هذا العمل يجب أن يحفظ في الباناثينايا Panathenaea على مقام أسطورة هوميروس ورائعته الملحمية الإلياذة نفسه.

والآن كان الفينيقيون قد وصلوا إلى أسبنداس Aspendus ، مما سمح وصولهم لتيسامينيس Tissaphernes أن يستغني عن أجور من يرعاهم، مما أثار حفيظة (غضب) البحارة الإسبرطيين، وقاموا باللجوء إلى غريمه أرساسيس Arsaces ، ومما زاد الموقف سوءاً أن قائد قوات تيسافيرنيس قام بذبح غادر لقادة المنفيين من ديليان Delia الذين كانوا مستقرين في ولايته، وكرد فعل لذلك، وخوفاً من الضرائب الجائرة، وتجنباً لقدر مماثل طرد سكان أنتاندريانس Antandrians الحامية الفارسية من الأكروبوليس عاصمتهم، وكان قمع هذا التمرد عذراً جيداً رحب به تيسافيرنسس Tissaphernes أن يضع نصب عينيه هذا التحدي، ومن ثم بدأ في شن حملة صوب هيلسبونت Hellespont .

مؤامرات الحريم:

فسر القائد تيسافيرنيس Tissaphernes رفض الأسطول التقدم في اتجاه الغرب بسبب قلة عدده، لكن كان السبب الحقيقي هو وجود متاعب في الوطن تحيط بدارا (Darius) الملك، أولها وجود ثورة ميديا Mede بالرغم من أنها قد أخمدت بسرعة، ثم تلتها ثورة أرتوكساريس Artoxures الذي كان سجله كصانع للملوك دافعاً من أجل تطلعه إلى أن يقوم بهذا الدور لصالحه، فبدلاً من صناعة الملوك نصب نفسه ملكاً، ورغم أنه أحد المخصيين، فقد اتخذ لنفسه زوجة معتقداً بغباء أن هذا

سيؤهله للقيام بدور الرجل، ومن أجل ذلك ارتدى شارباً ولحية -غير حقيقية طبعاً- غير أن ذلك التصنع كان أكثر من اللازم لزوجته التي خانته وأفشت سر المؤامرة التي كان يخطط لها لاغتيال الملك، وقد أمرت الملكة بالقبض عليه وأُعدم من كان يعد نفسه للملك.

وكان الأخطر في نتائجه هو التمرد الذي قام به تيرتيخميس Teritecichmes عند زواجه من ابنة الملك التي كان يطلق عليها أميستريس Amestris ، لكنه مع زواجه من ابنة الملك كان في علاقة عاطفية مع أخته المترجلة روكسانا Roxana ؛ ولأنه لا يستطيع طلاق زوجته، فقد قرر أن يتخلص منها بالقتل، ومن أجل ذلك قرر مع 300 من المتآمرين الآخرين أن يضعوها في حقيبة ويقوم كل منهم بطعن هذه الحقيبة بسيفه؛ ولذلك أرسل دارا (Darius) خطاباً لحامل رمحه أن يقوم بقتله، وبذلك تم إنقاذ ابنة الملك، وكم كان العقاب الذي ناله المتآمرون على حياة ابنة الملك قاسياً وخاصة روكسانا حبيبة القاتل التي قطعت أجزاء جسمها إلى قطع صغيرة وهي ما زالت على قيد الحياة، أما بالنسبة إلى أرساسيس Arsaces فقد توسل من أجل إنقاذ زوجته، وكانت أحد المتآمرين، وبعد عناء شديد وافقت الملكة الأم، لكن زوجها الملك أخبرها أنها سوف تعيش لتندم على ذلك، وقد تحقق ذلك؛ لأن ولدها تيسافيرنيس Tissaphernes كان قد اكتسب شهرة واسعة رغم بغض الملكة له، أما باقي المتآمرين فقد قتلوا شر قتلة بعد تعذيب شديد.

شكاوى المرتزقة اليهود في مصر:

هناك أحد الأفراد يدعى هايدرنيس Hydarnes والذي كان في عام 420 قائداً للجيش في سيين Syene وبين عام 411-416 تمت ترقيته إلى منصب حاكم إقليم، وفور عودة أرساميس Arsames إلى الملك في شهر يوليو من عام 410 استغل هايدرنيس Hydarnes الفرصة للثورة، وذلك بتأييد من كهنة كنوب Knub ، ووفق الطبقات العليا من الشعب المصري، وأصبح يحكمهم ابنه وخليفته نيفايان Nephayan .

وقد تم ضمان الدعم المصري لهذا لتمرد بالوعد بتدمير المعبد اليهودي الذي كان يثير الغيظ لدى المصريين؛ بسبب تقديم القرابين من الحيوانات به، وتحت قيادة نيفايان Nephayan للقوات المصرية والنخبة تم محو المعبد وتسويته بالأرض وكسر الأعمدة الحجرية به، وتهديم بواباته الخمس المنحوتة في الحجر، أما أبوابه (ذات المحاور المغطاة بالبرونز) والسقف من خشب الأرز فقد حرقت ونهب كل ما بها من ذهب وفضة.

ويحكي كبار اليهود بسعادة عن سرعة إخماد الثورة المصرية، ومن أجل إعادة بناء المعبد قام اليهود بارتداء ملابس من الخيش -وهو القماش الرديء الخشن- مع زوجاتهم وأولادهم، وصاموا وصلوا لإله السماء الذي سمح لهم أن يروا بأعينهم ما يرغبون فيه من انتقام الرب من أعدائهم، ومن الانتقام من المتمرد هايدرنيس Hydarnes ، حيث نزعت الكلاب لحم رجليه، وتم تدمير كل ثرواته وكل من دنس معبدهم تم إعدامه.

ولكن ذلك لم يؤدِّ إلى ترميم المعبد حتى قبل إخماد الثورة، فقد طلب كبير الكهنة جيدونياه Jedoniah ورفاقه من السلطات في فلسطين الدعم المالي، وكان نيهيمياه Nehemiah خليفة وحاكماً لأرض جوداه

Judah (أرض فلسطين)، وتبعه باجوسيس Bagoses ، وقد أرسل ابنه خطاباً إلى الحاكم الذي كانوا يلقبونه بالكاهن الأكبر، وكذلك إلى النبلاء القادرين ماليًّا والمقربين للملك في هذا الزمان من أجل تمويل ترميم المعبد، ولكن بالطبع لم يصل إليه أي رد على الخطاب والطلبات المشابهة؛ لأن المعبد كان أحد الأقداس التي تنافس معابدهم الخاصة.

ولذلك، ففي الخامس والعشرين من نوفمبر عام 407 أرسل خطاباً ثانياً، وهذه المرة إلى باجوسيس Bagoses وحده، وكان الخطاب مليئاً بالأمنيات الحسنة «أدعو رب السماء أن يحفظ لك الصحة بصورة دائمة، ويعطيك القبول أمام الملك دارا (Darius) وأمراء القصر أكثر من وضعك الحالي ألف مرة، وأن يمنحك الإله الحياة المديدة، وأن تكون سعيداً وغنيًّا، ثم يخبره بما حدث في الهجوم على المعبد، وكيف أن آباءهم كافحوا وناضلوا وتحملوا من أجل بناء هذا المعبد في القلعة التي كانت تسمى يب Yeb قبل الغزو الفارسي عندما دخل قمبيز (Cambysis) مصر ودمر كل المعابد للآلهة المحلية، وفي وسط هذا الدمار لم يحدث أحد في هذا الوقت أي ضرر لمعبدهم.

ولمدة ثلاث سنوات بعد تدمير معبدهم لم يخلعوا الملابس الخشنة، ولم يتوقفوا عن الصوم، ولم يدهنوا أجسادهم بالزيت، ولم يتعطروا، ولم يقوموا بشرب النبيذ، وكذلك هجروا أزواجهم حتى أصبحن كالأرامل؛ ولأن الوطنيين لن يسمحوا بترميم المعبد فإنهم -أي اليهود- توسلوا إلى الحاكم «اشمل محبيك وأصدقاءك الذين يتمنون لك الخير بعين رعايتك إلى أولئك الذين هم في مصر، وأن ترسل خطاباً إلى عمالك في مصر تأمرهم فيه بالترميم وإقامته في قلعة يب Yeb كما كان من قبل، وسوف يقومون بتقديم الولائم والبخور في المعبد، ويقدمون القرابين نيابة عنك في معبد الرب، وسوف نصلي للرب من أجلك في كل وقت نحن وأولادنا وزوجاتنا وكل اليهود الموجودين هناك إذا أتم

العمال بناء المعبد، وسوف يكون لك الأجر والثواب العظيم أمام إله السماء أكثر من أي فرد تقدم له القرابين ويحرق له البخور في المعبد بمقدار يفوق الآلاف من كثير من المتقربين».

ولم يعتمدوا فقط على الصلاة، وقالوا في خطابهم: «بالنسبة للذهب، لقد أرسلناه وأعطينا تعليمات بذلك»، وقد أرسلوا خطاباً آخر إلى أولاد حاكم ساماريا Samaria من أجل هذا الغرض، ولم ترسل إليهم رغم ذلك الردود، وقد عاد الرسول بتعليمات شفوية قام بإبلاغها إلى زملائه اليهود المتلهفين إلى النتيجة، وقال: «فليكن معلوماً لديكم يا من في مصر أن تتحدثوا إلى أرساميس Arsames عن منزل رب السماء وأن يعيد بناءه في المكان الذي كان به سابقاً وفي إمكانهم أن يقيموا الولائم ويحرقوا البخور على هذا المذبح كما كان ذلك يتم من قبل بدلاً من ذبح الحيوانات».

ونتيجة للضغط المتزايد على الوالي، قام أرساميس بتبني سياسة المصالحة كما كان مطلوباً وادعاء الكاهن بأن أولاد والٍ آخر طالب والى مصر باتخاذ إجراءات محددة بإعادة بناء معبدهم كان غير معقول في نظر كثير من الكتاب، ولكن ذلك في الحقيقة لم يكن من شأنهم في هذا الوقت، وبسبب خطورة هذه الخطوة على الرأي العام المصري والشعور العام لديهم لم يقم الوالي المصري بفعل شيء تجاه هذا الموقف، وربما يكون الكلام الذي ذكر أنه قيل له من محض خياله وادعائه إرضاءً لزملائه اليهود الذين كانوا يعتبرونه البطل المنقذ لهم، وبالرغم من السخط العام ضد اليهود لم ييأسوا وواصلوا إرسال الالتماسات والخطابات لكبار المسؤولين ومنهم الحاكم المحلي لطيبة، وكانت لهجتهم يسودها التواضع، وقد وعدهم بعدم ذبح الحيوانات مثل الثيران والأبقار أو الأغنام في المذبح قرباناً للرب، بل سيقومون بحرق البخور فقط إرضاءً لمشاعر المصريين، إضافة إلى أنهم قد تعهدوا بدفع ما يستطيعون جمعه

من ذهب أو فضة في سبيل ذلك، وعندما ذهبوا لتقديم ذلك الالتماس على أبواب مدينة طيبة تم القبض عليهم وألقوا في السجون حتى أفرج عنهم الحاكم المحلي بفدية كبيرة، وفي أعقاب ذلك جردوا من مناصبهم، وتم كذلك استبعادهم من حكم يب Yeb ، ومع ذلك كان الأمل ما زال لديهم، وأنهوا هذه المحاولات بخطاب كتبوا فيه: «عليك السلام وعلى أولادك حتى يأذن لنا الرب أن نرى بأعيننا تحقيق حلمنا».

متاعب في قبرص:

كانت هناك تهديدات من المصريين والعرب ضد فينيقيا، وكان الخطر ما زال أكبر في قبرص، وفي عام 425 كان بعلميلك Baalmilk ملكاً على سيتيام Citium وإيداليوم Idalium لكن المنفي من فينيقيا ايديمون Abdemon استولى على سالاميس Salamis وقتل حاكمها، لكنه فشل في التقدم ضد إيفاجوراس Evagoras وهو أحد أفراد الأسرة الملكية الذي كان قد احتل سولي Soli بجيش قوامه خمسون رجلاً، وبعد فترة من الزمن تمكن من الاستيلاء على سالاميس Salamis عام 411، ولم يقم الملك دارا (Darius) بأي جهد لطرده أو القضاء عليه بسبب المتاعب الداخلية حتى عندما قام إيفاجوراس Evagoras بإثارة غضب الملك بأن ساعد أثينا بالقمح رغم عدائها للملك، وقد كافأته أثينا بمنحه الجنسية الأثينية.

نجاح الفرس في حرب الإغريق وقورش Cyras الأصغر:

أدت كل هذه الاضطرابات إلى إعاقة حروب الإغريق، وقد هزم بحارة بيلوبونسيان Peloponnesian وتم صدهم عن أبيدوس Abydos في خريف عام 411، وقام فارنابازوس Pharnabazus بالمبادرة إلى نجدته، وكان البحارة المشار إليهم معينين كحراس للسواحل، ويقدم لهم الملابس والمؤن ومرتب شهرين بعد هذه المعركة، وقدمت لهم الفرصة لبناء سفن

في أنتاندروس Antandrus ، ومن أجل الإنفاق على هذه الالتزامات الجديدة تم سك عملية جديدة تسمى ستارتار Starter ، وكانت العملة مزينة برأس الوالي الفارسي، وشعار السفينة واسم سيزيكوس Cyzicus ، وكان الفنانون الإغريق هم الذين نحتوا صورة رأس الوالي على هذه العملة، وكذلك باقي الولاة وخاصة تيسافيرنيس Tissaphernes ، وكانت هذه العملات تضارع -إن لم تفق- أفضل العملات الإغريقية.

وكان تيسافيرنيس Tissaphernes قد وصل إلى هيليسبونت Hellespont وقبض على منافسة ألسيبياديس Alcibiades وأودعه السجن في سارديس Sardis ، وبعد أن سجن لمدة شهر، تمكن منافسه من الفرار، وقوض أسطول بيلوبونسيا Peloponnesia ، كما أجبر مارنابازوس Phrnabazus على إخلاء سيزيكوس Cyzicus .

وفور استبعاد القواد البحريين من أسطول سيراكوزيا Syracusia نتيجة التغير الداخلي في الحكومة المحلية، تولى فارنابازوس Pharnabazus أمر توفير الاعتمادات المالية للبحارة والسفن من أجل إعادتها للفرس وترميمها، ونتيجة لذلك، اتهم فارنابازوس Pharnabazus بمساندة تمرد مضاد لإسبرطة في ثاسوس Thasos عام 410، وفي الربيع من عام 409 بدأت قوات أثينا هجوماً شديداً، ومقابل ذلك هزمت قوات ثراسيلوس قوات ميليسيا Milesia واستولت على كولوفون Colophon وأحرقت الحبوب التي كانت معدة للجمع وإرسالها من ليديا إلى أثينا، ولعدم قدرته على الاعتماد على إسبرطة بسبب الاتهام السابق، فإن تيساميرنيس Tissaphernes قد تدبر أمره وكون رسوماً تجبى له محليًّا، ومن جهة أخرى هاجم ستاجيس Stages قوة الفرسان التي تحمي المدينة وطردهم إلى الساحل، وكان قد استقدم قوات عسكرية هائلة من أجل مقاومة قوات أثينا الذين هزموا بواسطة فارنابازوس Pharnabazus .

وكان الخطيب أندوسيديس Andocides قد أجبر على النفي في عام 415، ومن المنفى قدم المساعدة لأسطول بلده من الحزب الديمقراطي، وبالتالي قدم عوناً كبيراً لانتصار هذا الحزب في عام 410، وفي فترة المجاعة بين يناير عام 409 إلى شهر سبتمبر من عام 408، وقد ظهر أمام السفارة الأثينية يتوسل لسماع بياناته، حيث قرر أنه قام بإحباط مؤامرة لمنع وصول الحبوب إلى بلده من قبرص، وأعلن أنه توجد الآن سفينة محملة بالحبوب إلى بلاده للقضاء على المجاعة، وهناك المزيد في الطريق، ومن أجل دعوته للسلام لم يكن قواد أثينا مستعدين بعد للإصغاء إلى مثل ذلك القول، وكانت قوات بيرثينيان Birthynian قد زادت قوتها وسطوتها لدرجة أنها أقدمت على الإغارة على مدن بيزنطة Byzantium وكالسيدون Chalcedon بطريقة وحشية من تدمير للمنازل إلى تخريب للمزارع، ولكن أجبرهم ألسيبياديس Alcibiades على قبول معاهدة اضطروا بناءً عليها إلى أن يعيدوا الأملاك التي استولوا عليها من هذه المدن، أما فارنابازوس Pharnabazus فقد لاذ بالصمت بعد أن فشل سابقاً في السيطرة على هذه الفلول، إلا أنه أوصل رسالة سفير أثينا إلى الملك وهو جورجياس Gorgias الذي سبق له أن ألقى خطاباً بليغاً في أوليمبيا أمام حشد هائل تجمع من كل أنحاء العالم الإغريقي من أجل الاحتجاج على تحالف قادة الفرس مع خصوم أثينا بما يماثل حالة إعلان الحرب (عام 408).

وقد قام رسل أثينا وأجريف بمقابلة مجموعة من المنافسين من إسبرطة وسيراقوس في مكان يدعى سيزيكوس Cyzicus ، وقضوا وقت الشتاء في منطقة جورديوم Gordium ، وفي ربيع عام 407 بدءوا مرة أخرى ولكن فقط لمقابلة ممثلي البعثة الثانية لإسبرطة، والذين كانوا يحملون شكاوى جديدة ضد تيسافرنس (Tissapherns) ، والأثينيون ورفقاؤهم ربما كانوا يتطلعون إلى استقبال محمود، ذلك أنهم قد

اعتقدوا أن حكام الولايات الفارسية قد فشلوا في سياستهم اليونانية، علاوة على ذلك، فإن تيسافرنس (Tissapherns) والذي كان أخاً للمتمرد تيريتشميس (Teriteuchrnes) كان مكروهاً من باريساتيس، والتي كان لها دور في لعبتها السياسية الخاصة التي سوف تقوم بها.

منذ بداية حكم الملك دارا (Darius) ، كان أرساسيس Arsaces وهو الابن الأكبر للملك وزوجته باريساتيس Parysatis معترفاً به، وارتفعت أسهمه بدرجة كبيرة عندما أنقذ حياه أخته رغماً عن المؤامرة التي كانت تدبرها أسرة زوجها على حياة ابنة الملكة، حيث فضل الانحياز لأسرة الزوجة على الانتقام لحياة أخته، وبالتالي تحول تفضيل الملكة التي كانت تتحكم بكل شيء إلى الابن الأصغر قورش Cyrus ، وفي هذا الوقت كانت معظم القوات الفارسية في الغرب في حالة حرب.

وإذ اختير قورش Cyrus قائداً للقوات الفارسية فسوف يكون في وضع قوي يمكنه من أن يكسب الحرب لصلاح إسبرطة على حساب أثينا، وبالتالي سوف يضمن عرفانهم بالجميل وتدعيمه منهم بأفضل الجنود في العالم، مما يضمن له أسهماً عالية عند المنافسة على العرش، وهكذا من أجل تقدم الابن المفضل لها في طريقه إلى العرش، تخلت الملكة عن سياسة «فَرِّقْ تَسُدْ» التي كانت تلعبها الإمبراطورية بمهارة فائقة بواسطة تيسافيرنيس Tissaphernes وفارنابازوس Pharnabazus .

ولذلك، تم إيفاد قورش (Cyrus) الشاب الذي كان يناهز السادسة عشرة من عمره إلى ولاية ليديا وفريجيا وكابادوكيا Coppadocia ، وفي الوقت نفسه كان دور تيسافيرنيس مقصوراً على ولاية كاريا Caria ، حيث قرر الملك «إنني أرسل قورش (Cyrus) لحكم دول ما وراء البحر»، ومعنى هذا أن قورش (Cyrus) قد أصبح قائداً عاماً للجيوش الفارسية في آسيا الصغرى.

وقد سارع إليه قائد إسبرطة ليساندار Lysander ليشكو من تصرفات

القائد تيسافيرنيس، لكن قورش Cyrus طمأنه بأن مهمته المحددة كانت نصر إسبرطة، وقدم إليه 500 تالنت لهذا الغرض، وأنه إذا استمرت هذه الأفعال فسوف يبذل كل غالٍ وثمين من أجل انتصار إسبرطة حتى لو باع ذهبه الخاص والفضة التي صنع منها عرشه وكانت تكلفه كل سفينة ثلاثين «ميناس» (عملة)، وكل جندي 40 «وبول» (عملة) يوميًّا مع مرتب شهر مقدماً، ومن ثم وبخ تيسافيرنيس عندما حاول إقناعه باستمرار سياسة التفرقة بين الإغريق، حيث لم يعد من الحكمة أن يساعد كل من الطرفين، وقد رفض طلب قائده بأن يقابل قادة أثينا، لكن قوات أثينا استمرت في تحقيق انتصارات مدوية والاستيلاء على مدينة تلو الأخرى حتى وصلت إلى فوكايا Phocaea عام 407، وقد قام خليفة ليساندار Lysandar بزيارة إلى ساردِيس لمقابلة قورش Cyrus لطلب مزيد من الأموال، وقد انتظر المقابلة لمدة يومين، وكان الملك مشغولاً عن مقابلته لانغماسه في شرب الخمر، وبالتالي عاد الزائر الملكي خائباً محبطاً من حيث أتى، وهو يلعن من علم عدوه سطوة سلاح المال وبريق الذهب على الإغريق، وفي طريق عودته أقسم أن يبذل كل ما في وسعه من أجل إحداث المصالحة والوفاق الداخلي بين بني وطنه -أي الإسبرطيين وأثينا- وقد حذر الإغريق وطالبهم أن يتفقوا على عدم طلب العون من العدو ضد بعضهم البعض، وجعل منهم قوة لها مهابتها في عين «البرابرة».

وفي أعقاب هزيمة كاليكراتيداس Callicratidas لكونون Conon في ميتيلين Mitylene قدم له قورش (Cyrus) الأموال، لكن القائد الإسبرطي رفض أي شكل من الدعم أو حتى الهدايا، وأعلن أنه يرضيه فقط الصداقة الرسمية، وقد لقي هذا القائد مصرعه في عام 406، وادعى قورش (Cyrus) أنه يشتاق إلى صديقه ويأسى عليه، وبالتالي طلب عبر سفرائه عودة ليساندار Lysander الذي أغدق عليه من الهبات.

وكانت المتاعب في طريقها إلى الأمير الشاب، فقد قام بإعدام اثنين من أبناء أخت الملك، وهما أوتوثوياسيس Autoboesaces وميترايوس Mitraeus ، وذلك لأنهما لم يخفيا أيديهما في الأكمام في حضوره علامة على التوقير له، وهذا العمل يسمى الحفاظ على الشرف الملكي، وبالتالي أبلغ المفوض الملكي هيرامينيس Hieramenes إلى الملك أن هذا الفعل يساعد على نشوب التمرد ضده.

وبسبب مرض أبيه الشديد، وجد قورش (Cyrus) مبرراً لمغادرة البلاد إلى مقر الإمبراطورية، وقبل أن يغادر أعطى كل الأموال التي في حوزته إلى ليساندار Lysander ، بالإضافة إلى الجزية التي تجمع من كل المدن الداخلة تحت ولاية قورش Cyrus ، وقد زاد بالتالي شأن ليساندار في كل المدن الإغريقية في آسيا حتى أنه أقام له تمثالاً في الموضع نفسه الذي كان فيه تمثال أرتيميس Artimes ، وقد كان الشاعر يوريبيدس يعرض مسرحية في مقدونيا وفي هذه المسرحية كان يخبر كيف أن يديونيس Dionysus كان له تاج مزدوج من بلاد الإغريق «والبرابرة»، وأنه أقام احتفالات بناءً على طقوس أمه سيبيل Cybele على موسيقى فريجيا Phrygia ومزمارها وسط دخان مجلوب من سوريا، وأن الإله غادر تمولوس Tmolus قلعة ليديا ذات الحقول الذهبية، وعن توقف مناطق آسيا التي حرقتها الشمس في ليديا وفريجيا، وعن أرض فارس التي ستحترق بأثر الشمس، وعن أرض ميديا الخضراء والسعداء العرب، وعن علاقة آسيا بالدول الأوروبية، وفي أعماله المسرحية اللاحقة قال بوضوح: «إنه من الطبيعي أن يحكم الإغريق باقي الشعوب من البرابرة، ولكن من غير الطبيعي أن يحكم البرابرة الإغريق»، ومع هذه الأعمال الأدبية، وبالرغم من مزاعمها، وفي عام 405 نفسه انتصرت إسبرطة على أثينا بفضل تمويل قورش (Cyrus) في معركة إيجوسبوتامي Aegospitami ، وأغلق المضايق البحرية في وجه تدفق الحبوب من

روسيا، وفي العام التالي 404 كانت أثينا تعاني من المجاعة بسبب ذلك حتى إنهم قرروا الخضوع والإذعان، وهكذا من خلال المال والدبلوماسية استطاعت الإمبراطورية الفارسية تحقيق النصر في الحرب الفارسية الثانية.

الفصل السابع والعشرون

المسيطر على بلاد الإغريق

تولي أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني (ميمنون) للملك:

حققت فارس النصر في ثاني المعارك الحربية الكبرى التي نشبت بينها وبين بلاد الإغريق، وذلك من خلال التمويل والمعونات التي قدمت لإسبرطة، وكما بدأت فارس الحرب أملت بعد ذلك في السلام، وهناك إشارة إلى ذلك في المسرحية الكوميدية لثيوبومباس Theopompus بعنوان «ميديا»، وفيها يروي عن الفرصة التي أُتيحت للإمبراطورية الفارسية بعد حرب بيلوبونيسيا Peloponnsia ، ولكن كانت هذه المعونة رغماً عن تحذير الساسة الحكماء في بلاد فارس، وقد أثبتت الوقائع بعد فترة وجيزة أن تيسافيرنيس Tissaphernese وفارنابازوس كانوا على حق في تلك المخاوف لأن إسبرطة لم تبدِ الولاء للإمبراطورية، لكنها أبدت شكراً موقوتاً لقورش (Cyrus) الأصغر، وعلى العكس، فإن الدعم الذي قدم لإسبرطة قد كشف عن مواطن ضعف الإمبراطورية وعدم قدرتها على مواجهة مع الإغريق في معركة حربية؛ لأن هذه المساعدات من جهة أخرى كانت تعد استنزافاً لموارد الإمبراطورية، إضافة إلى القلاقل والثورات التي حولتها إلى أشلاء ضعيفة لا تسمن ولا تغني من جوع، مما أشاع هذا الضعف بصورة علنية بين أعداء الإمبراطورية، ذلك الأمر الذي كان يتجاهله ساسة الإغريق، وقد ظهرت الإمبراطورية بمظهر ضعف

واضح للعيان، مما أدى في نهاية الأمر إلى أن تتعرض للهلاك الشامل على أيدي فيليب Philip والإسكندر (Alexander) .

وقد وصل قورش (Cyrus) إلى أبيه في ثامنيريا Theamneria ، ولا يتضح إذا ما كان رحيله من أجل قمع ثورة قام بها الكادوسيون Cadussian -وهم من أشد الأصول الإيرانية- أم لا، وقبل إخماد هذه الثورة أُصيب دارا (Darius) بمرض عضال، واشتد به المرض إلى أن أوى إلى منزل أمه حتى موته في مارس من عام 404، وكان هو آخر أربع ملوك يتم دفنهم في ناكظي-روستام، وعندما تولى الملك، اكتسب أرساسيس Arsaces لقب جده، وهو أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، وأضاف الإغريق إلى ذلك الاسم لقب «ميمنون» أي «الحكيم»، وكان أول أعماله المعلنة هو إعدام الخائن يودياستيس Udiastes الذي اغتاله قائده العسكري تريتوخميس Teriteachmes ، وكان العقاب شديداً، حيث قطع وأزيل لسانه من جذوره، وقام ابنه بلعنه على ما فعله، وقام الملك بإهداء ولاية زاريس Zaris لابنه الذي لعنه، وبالرغم من هذا، فقد مات الابن مسموماً من جراء الملكة الأم، وقدمت ولايته إلى ميتراداتيس Mitradates نظير إخلاصه وولائه.

وكانت عقوبة يودياستيس Udiastes البشعة السابق الإشارة إليها من تخطيط الملكة ستاتيرا Stateira ، مما أغضب الملكة الأم، وقد حانت ساعة الانتقام سريعاً وحسباً للعرف السائد حينذاك، كانت تتم مراسم التتويج في معبد أناهيتا Anahita في العاصمة القديمة بارساجاردا Parsagarda ، وفي هذه الطقوس يلبس كهنة المعبد الملك عباءة الملك الأول قورش (Cyrus) ، وبعد ذلك يتم إطعامه فطيرة تحتوي على التين، ويمضغ الخشب المقدس، ويشرب كوباً من اللبن الحامض، وقبيل بداية الاحتفال أحضر تيسافيرنيس Tissaphernes لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) معلماً يسمى ماجوس Magus ، وكان هو المعلم السابق للملك قورش

(Cyrus) الأصغر، وقد أعلن هذا المدعو أن أخاه كان يعتزم اغتيال الملك أثناء تبديل ثيابه لارتداء العباءة الملكية حسب تقاليد التتويج التي يتأسى فيها الملك الجديد بمؤسس الإمبراطورية؛ ولذلك ألقى القبض على مدبر المؤامرة قورش (Cyrus) الذي كان قابعاً في المعبد، فقد كان بالطبع مداناً بمحاولة اغتيال الملك للاستيلاء على العرش، وتوضح هذه المؤامرة الخبيثة عقلية جبارة وراء التخطيط، وفي اللحظة الأخيرة قبيل تنفيذ حكم الإعدام تدخلت الملكة الأم وأبقت على حياه قورش (Cyrus) ، وتم ذلك لأن الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) لم يكن ليرفض طلباً لها احتراماً لمكانتها، واكتفى بعقابه بأن أبعده إلى ولايته وطلبت منه المغادرة إليها على الفور.

ثورة قورش (Cyrus) :

لم يكن من المتوقع أن يظهر قورش (Cyrus) عرفاناً بالجميل بعد هذه المكيدة التي كادت تودي بحياته، ففور عودته في صيف 403 بدأ في الاستعداد للتنافس على العرش، وكانت إسبرطة قد تنازلت عن إدعائها بامتلاك مدن أيونيا Ionia التي كانت في الأصل جزءاً من إمارة القائد Tissapherres ، وتمكن قورش (Cyrus) في سبيل تقوية مركزه من أن يبسط نفوذه عليها ما عدا ميليتاس Miletus التي أبقى عليها تيسافيرنيس تحت سيطرته، وذلك بإبعاد الأغنياء عنها، وهم الذين استقبلهم منافس القائد تيسافيرنيس، وهو بالطبع فارنابازوس Pharnabazus الذي استضافهم، وخصص لكل منهم راتباً يعيش عليه وإقامة كريمة، وبالتالي كان استرداد المنفيين مبرراً جيداً لقورش (Cyrus) لتكوين جيش ومحاصرة ميليتاس.

وكان ألسيبياديس Alcibiades بعد سقوط أثينا قد تعلم اللغة الفارسية، وتبنى طباع الفرس، ولبس كما يفعلون من أجل التقرب إلى

فارنابازوس Pharnabazus ، وقد نجح في ذلك، وتم منحه إحدى قلاع فريجيا Phrygia مع راتب ضخم سنويًّا يبلغ خمسون تالنت، وعند اكتشافه أن إسبرطة كانت على وشك أن توقع معاهدة إذعاناً ليس للملك نفسه ولكن لقورش (Cyrus) ، فقد قرر أن يلعب دور المبلغ المنقذ للعرش؛ ولذلك طلب تأمين وصوله إلى الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، لكن افتضح أمره، وتم إعدامه، حيث كان ذلك الإعدام هو شرط الإسبرطيين لإبرام المعاهدة، وبذلك لقي الأثيني المخادع مصيره في عام 402، وهكذا فإن أرتاكسركسيس (Artaxerxes) لم يتم تحذيره، وربما لدى البعض بعض الحق في زعم أن فارنابازوس Pharnabazus نفسه كان متمرداً ضد الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) .

وفي سبيل الوصول إلى العرش أضاف قورش (Cyrus) تحت قيادته ثلاثين ألفاً من المرتزقة من مغامري الإغريق، الذين كانوا في حاجة إلى كسب قوتهم بعد أن وضعت حرب بيلوبونيسيا Peloponnesia أوزارها، وذلك إضافة إلى القوات الفارسية التي كانت تحت إمرته، وفي ربيع عام 401 بدأ في الانطلاق شرقاً، ومن أجل التكتم على أهدافه الحقيقية، أبلغ قورش (Cyrus) الإغريق أن الحملة قد قصد بها تأديب البسيديان Pisidian الخارجين عن القانون الذين طالما مثلوا تهديداً للسلام والاستقرار، ثم استكمل مسيرته، وقال إنه في الطريق لمنع قائد التمرد في صقلية، ومما زاد من قوة جيشه أن الأسطول المتحد من الفرس والإسبرطيين قد انم إليه، مما شحن ثقة الجيش وحماسه، وأمده الاتحاد أيضاً بقوات مدعمة من المشاة الإسبرطيين، وعند السماح بالزحف الهادر إلى صقلية أرسل ملكها سينيس Synnesis زوجته الملكة وأحد أبنائه مع بعض القادة إلى قورش (Cyrus) ، بينما اتجه الابن الآخر للملك العظيم ليجدد البيعة بالولاء للفرس، ويؤكد على ولاء أبيه للملك الفارسي ، وأنه على استعداد للقيام بالثورة ضد من ينازع أرتاكسركسيس (Artaxerxes) على

الملك، وذلك من وراء الخطوط، وكان كل تقدم على الأرض في اتجاه المشرق يزيد من شكوك جنود المرتزقة في نوايا قورش (Cyrus) ، وكان يقضي على هذا الاستفسار بزيادة ما يدفع لهم من الذهب، وإصدار عملات جديدة، وعلى هذه العملات التي سكها قورش (Cyrus) كان مرسوماً على هيئة النمط الإغريقي وليس الفارسي، فقد كان بلا لحية، وكانت أنفه مستقيمة متجهة لأعلى، ويرتدي الرداء الإغريقي، وعلى الوجه المقابل للعملة كان هناك شعار الإله بان Pan الإغريقي ذي اللحية والقرون والقناع.

وكان من الطبيعي أن يمتدح الإغريق شخصية قورش (Cyrus) ، وخاصة المدح غير الطبيعي الذي تلقاه من زينوفون Xenophon ذلك الذي هدمت إمبراطوريته الغربية عن طريق مساعدة الأمير الشاب، فقد كان المأمول منهم أن يلعب الإغريق الدور نفسه الذي لعبه الفرس، وذلك باتباع سياسة (فرق تسد) من أجل تفتيت وإضعاف هذه الإمبراطورية، أما بالنسبة إلى فارس، فقد كان قورش (Cyrus) أسوأ من أي خائن آخر، فقد كان يهاجم الإمبراطورية مستعيناً بقوات معادية من الإغريق، ويقوم بشن هذا الهجوم في لحظة فاصلة تشهد فيها الإمبراطورية صعوبات خطيرة، حيث إن الكادوسيون Cadusian كانوا لا يزالون في حالة تمرد، وكان الأخطر من ذلك هو تفشي حالة التمرد عند المصريين الذين حذوا حذوهم، ويغري ذلك كل البلاد الأخرى بالثورة.

ثورة مصر:

في عام 405 أعلنت الدلتا التمرد تحت قيادة أميراتيوس Amyreteus الثاني وهو حفيد الأول، وكانت فترة حكمه البالغة 6 سنوات تقع في الأسرة الملكية الثامنة والعشرين التي تبدأ بسايس Sais ؛ ولأن كلمته كانت بمثابة القانون للمصريين فقد انتشرت الثورة بسرعة النار في

الهشيم على ضفاف النيل لدرجة أن اليهود اشتركوا في هذا التمرد، وذلك لبناء بوابة جنوبية لمعبد الكرنك من أجل توسعته من الجهة الجنوبية، وبالرغم من ادعائهم الولاء للفرس، ومعاناة اليهود على يد كهنة مصر، فقد قاموا بتغيير دفة ولائهم السياسي تبعاً لما يمليه الموقف وتوازي القوى.

وتروي أحدث بردية من دار محفوظاتهم أنه في العام الخامس من حكم أمورتيس Amurtis قام مناحم بن شالوم -وهو من العامة- بالتعهد لدفع دين لزوجته سالوا Salua وهو اثنان من الشيكل من الفضة، ووجده من عمله ستارتار، وذلك في مدى خمسة أيام، وإذا لم ينجز تعهده فسوف يضاعف المبلغ، وهذا بالطبع كان قرضاً ربويًّا بين الرجل وزوجته، لكن يدل ذلك على استخدام العملات الإغريقية (ستارتار)، وزيادة النفوذ الإغريقي بمصر أثناء فترة الاستقلال المقبلة، حيث إن القدر لا يبتسم دائماً للمحتل طالما كانت مستعمرته يحكمها أحد الوطنيين الأقوياء.

كوناكسا Cunaxa ومسيرة العشرة آلاف:

كان الوالي السوري أبروكوماس Abrocomas قد أعد جيشاً ضخماً من أجل غزو مصر وقمع ثورتها، وعند ظهور قورش (Cyrus) وجيشه تنحى الوالي السوري جانباً، وبذلك حصل وادي النيل على فترة استقلال مريحة طويلة، وبدون مقاومة شديدة زحف الغزاة عبر الفرات إلى كوناكسا Cunaxa التي تبعد مسيرة ستين ميلاً عن بابل، وقد أسرعت لمقابلته جموع عديدة ليس من أجل محاربته، بل فراراً من جيش أرتاكسركسيس (Artaxerxes) وترحيباً بالملك الجديد، وطمعاً في أن يكونوا أول من ينال شرف الترحيب به والمكافأة على ذلك، وقد حاول أرتاباريوس (Artabarius) أن يقتدي بالجموع، إما نفاقاً أو للتواري بينهم، لكن أمره قد افتضح، وعرف بين الجموع، ولقي حتفه بإلقائه في حفرة التراب بعد

تعليقه على الألواح الخشبية؛ ولأن قورش (Cyrus) قد تم تشجيعه بواسطة هذه المظاهر فقد تأهب بجيش ضخم لمقابلة جيش أخيه الملك في معركة فاصلة، وكانت هذه المعركة في الثالث من شهر سبتمبر عام 401، وعن طريق المناورات الذكية لكليركوس Clearchus تمكن المرتزقة الإغريق -وهم من أمهر الجند- من تحقيق الانتصار على جبهة الميمنة، وكان القائد الإغريقي قد نصح قورش (Cyrus) بألا يعرض نفسه مباشرة لمواجهة تعرض حياته للخطر بلا داعٍ، لكنه رأى أخاه في المواجهة، عندئذٍ أخذته الحمية، ونسى التحذيرات، واندفع بطريقة محمومة للقضاء عليه، وقد تمكن من جرح أخيه، لكنه كان قد لقي مصرعه بطعنة حربة.

وقد قام أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بنفسه بتقطيع أوصال جثة أخيه، وأمر بالحفاظ على الرأس واليد التي سددت له الطعنة، وذلك حتى تستخدم في استعراض يعلن عن انتصاره، إلا أن الملكة الأم قد أصابها العار؛ لأنها تعاطفت مع قورش (Cyrus) ، ففي أثناء وجوده في إمارته وتكوين جيش له من أجل غزو بابل قيل عنها إنها على علاقة آثمة مع أورونتيس Orontes ، ورغم أن الطبيب الملكي ستيياس Cyesias أصر على أن هذا الاتهام لا أساس له من الصحة، إلا أن أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بالطبع كان له رأي مخالف، وتم إعدام أورونتيس وبقيت الملكة الأم تقاسي من العار الذي لحق بها.

وعندما علمت الأم بأن ابنها الحبيب قد قتل، وأن الغزو باء بالفشل أسرعت إلى بابل، حيث طالبت بتسليم ما تبقى من جثة ابنها، وبعد مناشدات طويلة من قبلها وتردد شديد من قبله أخذت الأم بقايا الجثة، وأجريت له مراسم دفن كريمة في صوصا، ولم يبقَ في حياة الملكة الأم الثكلي إلا الانتقام، ذلك الذي نفذته سريعاً، وبدأت بباجاباتيس Bagapates الذي قطع رأس ابنها إلى شرائح، وبالرغم من أنه كان يقوم بتنفيذ أوامر ملكه إلا أن الملكة غررت به للقبض عليه، وأمرت بسلخ جلده

وهو حي، ثم سلخه بعد ذلك لتجهز عليه كواسر الطير وضواري الوحوش، أما من جرح ابنها قورش (Cyrus) فقد عذب حتى الموت، بينما الوالي ميتراداتيس الذي كان يتباهى أثناء شرب الخمر بتسديد الضربة القاتلة لقورش (Cyrus) فقد تلقى ميتة بشعة بالطريقة نفسها سالفة الذكر.

كان القائد تيسافيرنيس لا يزال في البلاط الملكي، وكانت كل تحذيراته قد ثبت صدقها، إلا أن سيده الملك طلب عونه في مشكلة ملحة، وهي وجود ما يشبه الجيش المنظم من الإغريق ذوي التدريب الفائق والمهارة القتالية المتميزة في قلب الإمبراطورية، وكان ميمنون Memnon -وهو أحد القادة ذوي القدرة العسكرية- قد استبعده قورش (Cyrus) ، وفضل عليه كليركاس Clearchus ، مما أثار غضبه الشديد، وهذا ما جعله يميل إلى كفة الملك، وتم الإلحاح عليه وعلى كل القادة البارزين أن يزوروا تيسافيرنيس Tissapharnes من أجل اجتماع مهم، إلا أنه قد تم سجنهم جميعاً، وأرسلوا مقيدين إلى بابل، حيث كان الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) يتعافى من أثر طعناته وجروح المعركة، وقد بذل ستسياس Ctesias قصارى جهده من أجل إطلاق سراح كليركاس، إضافة إلى الملكة الأم التي حاولت إطلاق سراحه أيضاً، لكن لم تنجح مساعيها، إلا أن مساعي الزوجة ستاتيرا Stateira هي التي انتصرت، وتم ذبحهم جميعاً إلا الخائن ميمنون، إلا أن الملكة الأم استطاعت فقط إقامة مراسم تكريم لهؤلاء بأن أمرت عبيدها أن يزرعوا أشجار النخيل حول قبر كليركوس Clearchus سرًّا في جنح الليل.

إن نقص الانضباط لدى الإغريق هو الذي أودى بحياة قادتهم، ولم يتجلَّ إظهار روح التحكم في النفس بأفضل مما عرض أثناء هذه الكارثة بواسطة الجيش، والآن كان القادة يتم اختيارهم عن طريق التصويت، كما كانت أوامرهم مطاعة مثلما أمر بعض المرتزقة بالاندفاع إلى الجبهة

الشمالية المجمدة في أرمينيا، مما أدى إلى فقد عدد كبير منهم، وفي ربيع عام 400 وصلت قوات العشرة آلاف إلى بحر ترابيزوس الذي طال السفر إليه، وقد كان هذا عملاً مبهراً بكل المقاييس، حيث لم يتوقف الرواد عن مدحهم لهذا الإعجاز، وكيف واصلوا مسيرتهم التي كانت محفوفة بالمخاطر والموت تنفيذاً لأوامر عسكرية، إلا أن ذلك يثبت هشاشة الإمبراطورية الفارسية، حيث استهلك طاقات هؤلاء الجند البارزين في عبور شمال البحر الأسود، ولم يكن غيرها إلا هذه القوات التي جلبت كمرتزقة معروفين بميلهم للشجار، حيث كانوا من شرار الناس الذين وفدوا من كل حدب وصوب، وكانوا مجموعة من السفلة من الذين باعوا أنفسهم سعياً وراء المال، وبدلاً من استقبالهم بما يليق بالجند المحررين، تم شحنهم من ميناء إلى آخر، وكانوا عبئاً على كل ميناء يستقبلهم.

كان أرياوس Ariaeus هو من تبع قورش (Cyrus) في غزوه، وشارك في معركة كوناكسا Cunaxa ، وبعد موت قورش (Cyrus) عرض عليه العرش الفارغ ومواصلة القتال ضد الملك، إلا أنه بحكمة وبقراءة للموقف انحاز لصف الملك، وبالقبض على قادة الحرب من الإغريق فقد أعطى إدارة فريجيا Phrygia الكبرى كمكافأة مقابل ذلك، وفي عام 400 أنهت الملكة الأم الصراع الذي نشب حول السيطرة على الملك الضعيف بأن قدمت السم للملكة في مأدبة عامة في صوصا، ومن ثم أصيب أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بالرعب، وقام بإبعاد الملكة الأم إلى موطنها في بابل، ولكن مع اختفاء الملكة الأم من على مسرح الأحداث نجد أنه كان في حاجة إلى شخص يعتمد عليه، وبناءً على ذلك أُعيدت الملكة الأم إلى البلاط الملكي في موضعها القديم.

الحرب بين بابل وإسبرطة:

بالرغم من حقيقة أن دارا (Darius) الثاني قد قدم خمسة آلاف تالنت لإسبرطة، مما مكنها من تحقيق النصر ضد أثينا، فإنها قد ردت الجميل للملك الشرعي بأحد صور نكران الجميل، فقد أجبرت البحرية الإسبرطية قادة سينيسيا Syennesis المترددين حول التمرد العلني؛ ولذلك وجد الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) نفسه مضطراً إلى تحويل مملكة صقلية إلى إمارة فارسية عادية، فقد كانت قواتها ترافق المطالب بالعرش في غزوه، بل شاركت في معركة كوناكسا Cunaxa ، ولم يكن الخطأ مقصوراً على قائد المرتزقة الإغريق وهو الإسبرطي كليركوس Clearchus ، إن الحرب لم تتحول إلى صالح طالب العرش أو أن البحرية قد فقدت أسهمها أو أن القبرصي فقد حياته؛ لذلك لم تشكُ الحكومة في مسألة تكبد كليركوس عقوبة الإعدام، وقد اعتبر أرتاكسركسيس (Artaxerxes) أنها بالسلوك المتآمر تعلن الحرب صراحة.

وفي ربيع عام 400 كان تيسافيرنيس Tissaphernes يعيد التوجه إلى الجبهة الغربية، حيث كان في ذلك الوقت خليفة لقورش (Cyrus) في إمارة أناتوليا Anatolia ، وكان من الطبيعي أن يكون أول ما طالب به هو اعتراف مدن أيونيا بسلطته، وخشية من العقاب نتيجة تدعيم قورش (Cyrus) رفضوا ذلك، وطلبوا الحماية من إسبرطة التي أمرت برفع الأيدي عن هذه المدن، وبهذا العمل كانت إسبرطة علانية تظهر أسوأ أنواع نكران الجميل، وفي الحال تفشى إعلان قوة العشرة لآلاف تحديهم للملك العظيم، وبالتالي لم تقاوم إسبرطة إغراء تبني هذا العمل استغلالاً للموقف ولفرض شروط أفضل.

وفي رد فعل على هذا الأمر قام تيسافيرنيس بحصار سايم Cyme ، وفي الخريف وصل ثيبورن Thiborn بنية صريحة لتحرير آسيا، ومنذ ذلك

الوقت قضت فرقة العشرة آلاف وقتاً مشيناً، حيث فرضت الحصول على الطعام من المدن المترددة التي كانوا يحاربون منها ضد رعايا فارنابازوس Pharnabazus من أجل الحصول على الغنائم من المدن الخائفة، أو القتال إلى جانب من يدفع أكثر، ومن الجدير بالذكر أنهم تحولوا إلى مقاتلين في صف ثيبورن Thiborn ، ويقاتلون من أجل المال، أي أصبحوا مرتزقة في عام 399، وبإضافة هذه القوات التي اكتسبت خبرات هائلة بالحروب إلى جيشه أصبح ثيبورن يقاتل عدوه على قدم المساواة، حيث إن الرعايا من الفرس يمكن استمالتهم بسهولة، وقد استسلم للإسكندر (Alexander) قائد أيوليا Aeulia وسلم له المنطقة التي كانت خاضعة لسلطانه، وممن استمالهم بعض الإغريق الذين كان أجدادهم قد عاهدوا الفرس على الولاء، ولم يكن هذا العهد وراثيًا وملزماً لهم، كذلك إيوريثينز Eurythenes الذي أعلن التمرد علانية، بل أصدر العملات ذات الطابع الأثيني زيادة في تحدي الفرس، حيث إن أخاه كان يعتبر بالفعل أحد المتمردين؛ لأنه كان مشاركاً في الحرب المشئومة لقورش (Cyrus) ، وقد استقل بإمارة خاصة به على أشلاء الرجل المريض، وهو رمز إمبراطورية الفرس وسك العملات على الطراز الأثيني، أما جونجيلوس من إريتريا فقد أخذ مساراً توفيقيًا، حيث استقل وأخوه ببعض الولايات، وأصدر عملات بها شعارات فارس - العباءة - أثينا - صورة أبولو، وعندما أحسا بقرب الحرب توسلا إلى ثيبورن Thiborn لكي يكونا تحت حمايته، وفي هذا العام 399، ناشدوا الخطيب الأثيني أن يعود إلى منفاه في قبرص، حيث سيحصل على الغذاء والإقامة اللائقين، وكانت تلك علامة على ضياع الهيبة الفارسية.

وكان القائد الجديد قد عقد هدنة مع تيسافرنيس من أجل مهاجمة غريمه فارنابازوس Pharnabazus الذي اشتبك معه في معركة شخصية انتهت إلى أن لقي مصرعه على يد القائد الفارسي، أما أرملته فقد

استطاعت من خلال الأموال السخية أن تفوز بود فارنابازوس Pharnabazus بسبب سرعة أدائها للجزية، مما أتاح لها أن تكتسب ثقته وتستعين بالمرتزقة الإغريق، وتحكم عدة مدن مهمة لصالحه تدفع عليها الجزية له، حيث استولت على لاريسا Larisa وهاماكسيتوس Hamaxitus وكلوناي Clonae ، حيث كانت تدير الحرب من فوق عربة تشبه عربة الملك، واصطحبت فارنابازوس Pharnabazus في حملته ضد ميسيان Misian وبيزيديان Pisidian الذين كانوا يغيرون على الأراضي الملكية، وتم تكريمها كأحد مستشاري القائد الفارسي، وعندما وصلت إلى سن الأربعين، تم قتلها وابنتها بواسطة زوج الابنة، واستولى كذلك على كنوزها ومدنها، أما معظم المدن فلم تقبل الخضوع لهذا المغتصب، وعندما قدم هذا القاتل المسمى ميدياس Medias الهبات المالية إلى الوالي، تم رفض هداياه وقيل له إن الانتقام قادم لا محالة من أجل قتله لصديقة عزيزة.

ومع استثارة المدن الإغريقية تم تجميعها لطرد المغتصب الذي لم تستطع قواته دحر المهاجمين، ثم تراجعت قواته إلى سيبيس Scepsis ، وهناك قام القائد الجلي بتقديم القرابين للآلهة المحلية، وقدم المدينة مرة أخرى إلى أهلها، وفي جيرجيس Gergis أُجبر الغاصب على فتح بوابات المدينة التي تحصنت بها، وكانت كنوزه التي استولى عليها تكفي لدفع راتب خيالي للمرتزقة الذين يتولون حراسته.

وفي الشتاء، قدم زعيم إسبرطة الخيار إلى فارنابازوس Pharnabazus ، إما الحرب أو السلام، وخوفاً على المدن في فريجيا، فقد قبل فارنابازوس هدنة، وبعدها زحف جيشه إلى بثينيا التي كانت تشبه قطاع الطرق، وتعادي كلاً من الفرس والإغريق على حد سواء، فقام فارنابازوس باقتحامها ونهبها دون أدنى احتجاج من أحد، وفي ربيع العام نفسه تم عقد هدنة أخرى، وفي أعقابها أسرع فارنابازوس إلى الملك مطالباً إياه بتجديد الحرب عن طريق البحر.

وفي سبيل تحويل قبرص إلى القومية الإغريقية، كان إيفاجوراس يستقبل الإغريق الهاربين في قبرص، كما استضاف القائد البحري الأثيني المهزوم كوتون، وبدأ في مراسلة الطبيب الإغريقي ستيسياس Cyasias في عام 399، وفي هذه المراسلات طلب الصلح مع الأمير القبرصي السابق، أما الأدميرال البحري فقد طالبه بالصلح مع الملك الفارسي، ومن ثم وافق على دفع الجزية، وكذلك المتأخرات تجنباً للحرب، وفي مقابل تلك الخدمات طالب كونون Conon بأن يترأس القوات البحرية الفارسية، وتم تعزيز ذلك بأن دفع ستيسياس Ctesias رشاوى عديدة في البلاط الملكي المليء بالأسماء الإغريقية، أما فارنابازوس فقد حضر إلى البلاط الملكي وطالب الملك بأن يتبنى هذه السياسة أيضاً، ومقابل ذلك منح 500 تالنت من أجل بناء سفن جيدة، وأن يتم صنعها في قبرص، وبعد إكمال بنائها تكون القيادة مشتركة بين كونون Conon والوالي الفارسي، أما أهل أثينا فقد تحيزوا لبني وطنهم وأرسلوا بسعادة مئات من بحارتهم للعمل في هذه السفن مع كل الأسلحة اللازمة.

وفي الوقت نفسه، طالب الرسل من أيونيا الإسبرطيين أن يهاجموا كاريا Carria التي كانت مركزاً لقيادة تيسافيرنيس Tisaphernes ؛ لأنه لو شعر بوطأة الحرب في بلاده فربما يمنح مدنهم الاستقلال، وبالتالي أصدر ديرسيداليس Dercyalis أوامره بأن يتقدم الجيش إلى كاريا، وسوف يعاونهم الأسطول في ذلك، ولمواجهة هذا التهديد أسرع فارنابازوس Pharnabazus بالعودة من البلاط الملكي وزار تيسافيرنيس الذي كان قد تلقى الأوامر بأن يتعاون معه ويكون تابعاً له.

ومن أجل دفع الرواتب للمرتزقة قام تيسافيرنيس بسك عملات جديدة في إمارته على الأسلوب المتبع في رودس Rhodis ، وفيها رسم وجهه القوي الحازم والأنف المتعالي واللحية والشارب رمز الرجولة في

الأدبيات الفارسية، وعلى الوجه الآخر للعملة صورة الملك كرامي سهم وشعار السفن ثلاثية المجاديف الدالة على البحرية الملكية.

وبعد تأمين كاريا بقوات الحراسة اللازمة قام القائدان بالإغارة على أيونيا الخالية من الحماية العسكرية، وبينما كان ديرسيليداس القائد الإسبرطي في طريقه للدفاع عنها في حالة استرخاء استعداداً لمواجهة تلوح في الأفق قوبل بعيون استكشاف تابعة لقوة ولاة الفرس، حيث إن الواليين قد وحدا صفوفهما، وأعدا جيوشهما، بالإضافة إلى وجود قوات من كارديا Cardia تحمل دروعاً بيضاء، وقوات الفرس والمرتزقة من الإغريق، وعدد كبير من الفرسان، وجيش آخر مدعم عبر نهر الطريق قرب تراليزي Tralleis أصاب قوات ديرسيليديس Dercylides بالهلع الشديد إلى درجة أن بعضهم ألقى بسلاحه إيثاراً للسلامة، مما ملأ المنطقة التي كانت معدة لتخزين الحبوب في وادي مايندار Maendar بالأسلحة، بينما فر الآخرون، واستعد البعض الآخر للمواجهة، وبينما أمر فارنابازوس بالهجوم الفوري آثر قائده عقد مفاوضات؛ لأن قوام الجيش المعادي كان من قوة الآلاف العشرة المشهورين بالخبرة القتالية، وفيها طالبت إسبرطة بتحرير المدن الإغريقية، أما وجهة النظر المقابلة للولاة الفرس فقد كانت انسحاب الجيوش، إضافة إلى انسحاب الحاميات العسكرية الإغريقية من المدن التي استولت عليها في آسيا، وتظاهر بطلب أطراف التفاوض المشورة من قياداتهم لعقد هدنة لمدة عام.

ستيسياس Ctesias الطيبون والمؤرخ:

بينما كان سفراء إسبرطة محتجزين في صوصا؛ وذلك لمنع تسرب أخبار بناء السفن، ولأهمية ذلك المشروع قام ستيسياس Ctesias بزيارة إلى قبرص قابل فيها قائدها لتقديم معلومات عن مشروع الملك إليه شخصيًّا

(عام 398)، وفي ربيع عام 397 تقدم إلى إسبرطة بخطاب آخر من الملك، وهذا ما زاد غموض الموقف الحقيقي لكل الأطراف.

ولم يرجع ستيسياس بعد هذه المهمة إلى وظيفته السابقة -وهي كونه طبيباً في البلاط الملكي- ولكنه ترك هذه المهمة لمواطنه كنيدوس Cnidus ، وقد تقاعد بعد أن لخص له كل ما تعلمه خلال سبعة عشر عاماً في خدمة البلاط الملكي، وكان يزعم أن كل تاريخ الفرس قائم على الوثائق المكتوبة على الجلد، وهي بالفعل ألقت الضوء على مؤامرات الحريم في البلاط وما قامت به الملكة باريساتيس Parysatis وأعوانها من الفرس، وهو يقدم كماً كبيراً من المعلومات التي وقعت في ذلك القرن، وهذه لم يستغلها جيداً لتحقيق مكاسب له، وبالنسبة لذوي الأصل الفارسي فهو يعطي أهمية كبيرة للأساطير المحلية رغم أنه لم يبلغ قدر هيرودوت (Herodotus) أبو التاريخ، وكان كتابة «تاريخ آشور» عبارة عن قصة عاطفية مليئة بالأحاسيس الحارة تتناول الملكة سميراميس، ومع القبول بتصديق كل ما قاله بتحفظ شديد، فإن قدرته الروائية الشيقة كانت مثالاً يحتذى به، وأثر كثيراً على خلفائه في هذا المجال، ومن الجدير بالذكر أن الإغريق قد استقوا كثيراً عن تاريخ الفرس من أعماله بدرجة تفوق أعمال هيرودوت (Herodotus) نفسه.

وكذلك كتب عن «الجزية والضرائب عبر قارة آسيا»، وهو إسهام مهم في التاريخ الاقتصادي الإمبراطوري فقده لا يعوض، وكان قد أعد أيضاً كتابه «جولة حول العالم»، وكان منبع شهرته هو تاريخ الهند، وهو عبارة عن خليط عجيب من المعلومات الأصلية رواها زوار الهند والقصص التي وصلت إليه وهو في البلاط الملكي، إضافة إلى خياله الخصب المبدع، وهو ما جذب-إن لم يقنع- كل من لديه رغبة في معرفة ما كان يدور في هذه البلاد البعيدة الغامضة.

ومضات من الهند:

ليس من العجيب أن يتفق جامعو الأعمال الأدبية على أن هذا العمل هو درة روائع هذا المؤرخ في قصصه الطويلة، لكنه خلا من الإشارة إلى مدينة تاكسيلا Taxila التي كانت تعتبر بالنسبة للعصر الأخميني عاصمة الهند (الهندوس)، فعندما زارها الإسكندر (Alexander) وجد أنها أغنى المدن وأكثرها رفاهية في المنطقة الخصبة بين إندوس Indus وهيداسبيس Hydaspes ، ويعني هذا أن مؤلف هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قد تناساها؛ لأنه روى كل ما كان يحدث في الهند، وبالتالي كان يعرف هذه المدينة جيداً، وتم تحديد الجبل الذي يغطي أنقاض المستعمرة التي كانت قائمة في الفترة السابقة على العصر الإغريقي، وتم الحفر في هذه المنطقة ومنها تم استخراج عدة آثار قديمة من العصر الأخميني، ولكن ذلك الكتاب أتاح ضوءاً غير مباشر يعد خلفية عن أحداث تلك الحقبة مثلاً هناك أحد النقوش من عهد أسوكا Asoka البوذي الذي مات في أعقاب موت دارا (Darius) الملك، وهذا النقش كتب بطريقة فنية جميلة منحوتاً باللغة الآرامية، ويصف الشخصيات التي كانت موجودة في ذلك الوقت، ويشير إلى أنها وجدت بين الحضارة الآرامية والفارسية في أواخر القرن الرابع، وكون هذا التآلف لغة البلاط الأخميني في المراسلات الرسمية، وهذا يعد دليلاً على الأصل الآرامي للكتابة المعتادة المسمارية بالخاروشتي Kharoshti التي سادت في الفترات التالية، وفي الطبقة الثانية التي تمثل أواخر العصر الأخميني وبداية العصر المقدوني نجد مجموعة كبيرة من العملات، وهناك عملة قديمة مستهلكة من ألف من العملات المميزة بالضغط على الفضة، وهذه كانت أولى محاولات سك العملات الوطنية التي تتراوح بين الصفائح الرقيقة التي لا تكاد تزيد عن وزن حبتين من القمح (وهو ما قلده أهل ليديا Lydia) إلى القطع المستطيلة المقطوعة من رقائق

الفضة المستوردة أو المربعة؛ لأنها تمثل نصف وربع وضعف عملة الشيكل.

لم تقدم هذه الحفريات دليلاً على تأثير الحركة الفنية الإيرانية على الحركة الفنية في بلاد الهند، ولكن في الغرب من الهند وجدت حركات دينية كان لها أثر عميق على التأثير على كل القطر، وكان سقوط فارس قد أدى إلى تعطيل انطلاق الديانة البوذية، ولكن في تاكسيلا Taxila قابل الإسكندر (Alexander) أفراداً ممن يدينون بديانة براخما التي يمارسونها بطريقة تختلف عن البوذية.

حرب طروادة الثانية لإسبرطة:

عاد أحد مواطني سرقسطة من فينيقيا إلى إسبرطة أثناء شتاء عام 397-396، وذلك بإفادة أنه شاهد أسطولاً من ثلاثمائة سفينة مجمعة، إذن فقد تحقق حلم كونون Conon وأصبح واقعاً، وكان مدى رعب ليساندا Lysander كبيراً حتى إنه استدعى الملك أجيسلاوس Agesilaus نفسه لتأمين آسيا.

وكانت طموحاته عالية في أن يكون بطلاً آخر على مستوى بطولة أجاممنون الشهيرة في طروادة، فإنه قد بدأ يخطط لشن حرب طروادة الثانية على الشرق، ولكن، ورغم تدهور الحالة العسكرية لفارس بعد الغزو الفاشل لقورش (Cyrus) فإن الوضع الدبلوماسي قد حافظ على تفوقه مدعماً بسعر الذهب وبريقه، فعندما بدأ أجيسلاوس حربه الشاملة بتقديم قربان ثانٍ لأوليس Aulis أوقف البتوتيانز Boeotians هذه الاحتفالات بالقوة.

وكان حلول إجيسلاوس في آسيا أثناء بداية صيف عام 396 غير مجيد، وعند وصوله إلى إيفيسوس Ephesus وجد طلباً من تيسافيرنس بعقد هدنه لمدة ثلاثة أشهر، وأقسم الوالي الفارسي على التفاوض الذي

يهدف إلى استقلال المدن الإغريقية في آسيا، وقد صدقه الإسبرطيون السذج، أما نجاح ليساندار Lysander فقد كان أكبر؛ لأنه في طريقه إلى هيلزبونت Hellespont قد استمال أحد أعوان فارنابازوس Pharnabazus واسمه سبيثريداتيس Spithridates الذي كان ابنه متزوجاً من ابنة الملك، ومن ذلك التقارب كان يعلم ما يخطط له القادة الفرس.

لم تكد «فترة التشاور» التي طالب بها تيسافيرنيس مع سيده إلا طلباً لمزيد من القوات لدعمه، وفي أوائل هذا العام كانت أول قوة تدعيم بأربعين سفينة ثلاثية المجاديف قد أعدها إيفاجوراس Evagoras ، أما كونون Conon فقد أبحر من صقلية إلى كونوس Counus ، حيث حوصر إلى أن حرره أرتافيرنيس (Artaphernes) وفارنابازوس Pharnabazus ، وقد تجاوز أسطوله كونون الثمانين سفينة وأصبح معداً لفصل رودس Rhodes عن إسبرطة.

وبسبب النجاحات التي تحققت، ووصول الإمدادات تغيرت لهجة تيسافيرنيس وأمر إجيسيلاوس Agesilaus بأن يغادر آسيا على الفور، إلا أن القائد الإسبرطي أمر المدن الواقعة على كاريا Caria أن توفر الأسواق، أي أن غزواً ثانياً لكاريا كان منتظراً، وهناك أعد القائد الفارسي استعداداته الدفاعية، ولكن فجأة غير القائد الإسبرطي طريقه إلى فريجيا Phrgia ، حيث استولى على مدن كثيرة تتبع فارنابازوس Pharnabazus ، وكانت مناوشات الفرسان قد أجبرت قوات الأسطول الفارسي على البقاء في سفنها، أما منع الهجمات على قوات القائد الفارسي فقد منعت بواسطة وضع الرهائن من الجانبين في مقدمة الصفوف، وهذا التكتيك يعرف حديثاً بالدروع البشرية.

وبفضل الغزو الفاشل لقورش (Cyrus) وحرب إسبرطة التي تمخضت عنها تمتعت مصر بالاستقلال، وكان أميرتايوس Amyrtaeus -وهو الممثل الوحيد للأسرة الملكية الثامنة والعشرين- قد تم استبداله بواسطة أحد

المنافسين على الملك من منديس Mendes -وهو يسمى نفريتيتي- وهو الذي بدأ الأسرة التاسعة والعشرين- وكان معترفاً به في كل أنحاء مصر، وتوضح إشارة من شواهد القبر ونحوته أنه كان يبسط ملكه على فلسطين أيضاً، وقد أقر القائد البحري لقوات قورش (Cyrus) بالكارثة التي حلت بهذا الجيش، وكان هذا القائد تاموس Tamos قد عاد إلى وطنه مصر هارباً، لكن قام الملك المصري بقتله للاستيلاء على كنوزه.

وهناك مشهد مصور لتقديم القرابين يشير إلى الأسرة الملكية الثلاثين في مصر، وهو يوضح مدى تطور النحت الذي بلغ قمته في هذه الأسرة، وفي عامه الثاني من الحكم قام الملك المصري بدفن عجل أبيس، ومن أجل ذلك شيد تابوتاً ضخماً من الجرانيت في أثريبيس Athribis ، وفي طيبة رمم معبداً لتحتمس الثالث Thutmose ، وهذا كله يشهد على عصر الرخاء الذي تمتعت به مصر عندما كان المحليون هم الذين يجمعون الجزية لصالحهم، مما يبرر تباهي الملك بنفسه بأنه المفضل من قبل الإله بتاح Ptah ، وكذلك أوزوريس Osiris ، وبسبب قيام أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ببناء سفن للأثيني كونون Conon كان من مصلحة الملك المصري أن يدخل في حلف أعداء فارسي -الإسبرطيون- حيث أرسل لهم مؤناً تكفي 100 سفينة ونصف مليون أردب (مكيال مصري) من الحبوب، ولكن كل هذه الإمدادات وقعت في أيدي الفرس؛ لأن الملك المصري لم يعلم أن رودس Rhodes كانت قد وقعت في أيدي القائد البحري كونون Conon .

وأثناء شتاء عام 395-396 أقنع كونون فارنابازوس Pharnabazus أن يرسل ثيموكراتيس Timocrates من رودس ومعه 50 تالنت إلى الحلفاء من أجل التفرقة بينهم وتكوين حلف ضد إسبرطة في أوروبا، وكانت هذه الفكرة بتكوين حلف مقبولة في ثيبانز Thebans وأرجيف Argive وكورنثيا Cornithia ؛ وذلك لأن أثينا لم تكن ترغب في حدوث أي تصدع

جديد في جبهتها، وكان أجيلاوس Agesilaus قد قضى الشتاء في إيفوساس Ephesus ، واعتقاداً منه أن هذه الاستراحة كانت استعداداً للحرب فقد أسرع إلى الدفاع عن كاريا Caria ، بينما زحف الملك مع جيشه إلى المدن الخالية من التسليح، واستولى منه على غنائم جمة، وكان سهل هيرماس Hermus المحاذي لسارديس Sardis الموجودة به قوات الفرسان سيء الحراسة؛ لأن قوات المشاة كانت متأخرة عنها، وبذلك سقط المعسكر الذي كانت به أموال الوالي، وكذلك الجمال التي كان يباهي بها الفرس، والتي أدخلت في الحرب لاستغلال سرعتها وتحملها، سقطت كل هذه في أيديه، وبذلك ارتد تيسافيرنيس إلى المدينة واتبع الأعداء بحذر، وقد استغل استرخاءهم بعد هذا الصيد الثمين، وتفرق صفوفهم في طريق عودتهم إلى وطنهم، ومن ثم أغار عليهم عند بريين Priene واستولى على كل ما كان بالبلدة كذلك.

وكانت الملكة الأم باريساتيس Parysatis قد أعادت استقرار وضعها في قلب الابن، وأصبحت هي المسيطرة والآمر الناهي في المملكة، وكانت تحيك المؤامرات لقتل آخر أفراد الأسرة المنافسة لحكم الأسرة المالكة، وكان محور كراهيتها وانتقامها هو تيسافيرنيس Tissaphernes الذي اكتسب الثقة على مر الأعوام بسبب انتصاراته وحنكته السياسية، وقدرة عالية على المناورة وقراراته في المواقف العسكرية والسياسية، وكانت مدركة كيف أنه كان المنقذ للعرش ولحياة الملك ذاته، لكن الإحباطات الأخيرة كانت قد محت كل أثر للعرفان بالجميل، وتمكنت الملكة من إقناع ابنها أن يصور بياناً يدين فيه تيسافيرنيس باعتباره متمرداً، وكان تثراوستيس Tithraustes قائد الحرس الملكي الشخص هو المكلف بالإشراف على حرب الحدود، وكانت قيادة آسيا الصغرى مستقرة في كولوساي Colossae ، حيث تلقى واليها تعليمات باستدعاء تيسافيرنيس، وفي سلانيبا Celeenae أطيح برأس القائد البطل، وأرسلت هذه الرأس إلى

الملك، وهكذا تمكنت الملكة الأم من إتمام انتقامها حتى تموت قريرة العين، إلا أن بلاد فارس كانت قد خسرت أكثر رجالها جدارة في السياسة والحرب.

أما تيثراوستيس Tithraustes فقد أمر أجيسيلاوس Agesilaus بالعودة إلى دياره؛ لأن عدوهم المشترك تم التخلص منه، وأن الملك قد وافق على منح الاستقلال للمدن الإغريقية بشرط أن تدفع المتأخرات من الجزية، ورد الطرف الآخر بأنه ينتظر تعليمات من بلاده، ورد القائد الفارسي بأن الخصم الإسبرطي قد ينتهز الفرصة وينهب أراضي فارنابازوس، وأنه يوافق على ضمان ذلك بثلاثين من عملة التالنت، وتم الاتفاق على هدنة لمدة ثمانية أشهر، وفيها يلتزم الطرف الإسبرطي بأن يكون في إطار مقاطعة هيلزبونت، وألا يسيء معاملة ليديا.

ولكن الطرفين كانا يلعبان بعنصر الوقت، وكان فارنابازوس يرفض إلى عهد قريب إلحاح كونون Conon بالمزيد من الدعم المالي، ومن الأملاك التي تمت مصادرتها من تيسافيرنيس أُعطي كونون 220 تالنت، وكانت كل الولايات الإغريقية في ذلك الوقت في أوروبا وآسيا تدفع للفرس، أما القائد الفارسي فقد عاد إلى موطنه بعد نجاح مهمته قرب نهاية العام تاركاً كل من أرياوس Ariaus وباسفيرنيس Pasiphernes كقادة للحرب، وكان تحت تصرفهم مبالغ طائلة تبلغ سبعمائة تالنت من أجل شراء الذمم سياسيًّا، وبسبب ذلك تمت إعادة قوات الحراسة إلى المدن الإغريقية في آسيا، وكان كونون معرضاً للخطر الشديد بسبب تمرد المرتزقة في قبرص، لكنه تمكن أخيراً من السيطرة على الموقف، ومن أجل تجنب مزيداً من المشكلات التي ترجع إلى نقص التمويل، قام كونون بمخاطبة الملك شخصيًّا، حيث أبحر إلى صقلية، ثم عبر الفرات عند ثابسكوس Thappscus ، ثم تقدم عن طريق النهر إلى القصر الشتوي، حيث أوصل إلى الملك مع القائد الفارسي الذي كان قد عاد لتوه بعد

إصلاح النزاعات على الحدود، وقد تم تكريم قائد الأسطول الملكي بواسطة الملك الذي احتفى به، وقدم له كل ما طلبه منه، وأنعم عليه بإعطائه القول الفصل في القيام بالعمليات العسكرية البحرية، وكان ذلك في عام 395.

وفي الوقت نفسه عبر الطرف الإسبرطي الآخر وهو القائد أجيسيلاوس Agesilaus حدود ولاية فارنابازوس Pharnabazus ، ودعا أهل ميسيان Misian إلى أن يدخلوا في تحالف معهم، وكان من يرفض تدمر أرضه الزراعية، ولكن بينما كان يسلك الطريق الوعر فوق جبل الأوليمب، أغار أهل البلاد على قواته من المؤخرة، وقد أظهر هذا الحاجة إلى توقيع اتفاقية جديدة لتأمين طرق السفر في ولاية فريجيا الكبرى، وبعد عبوره إلى قرية «رأس الأسد» -وهي أقوى بلاد فريجيا Phrgia التي قامت بمقاومة الاستيلاء عليها- وهذا لا يدعو إلى العجب، حيث توجد على أنقاض هذه القلعة الحصينة الآن منطقة يصعب الوصول إليها، وهي «قلعة الأفيون الأسود»، والتي تقع على مرتفع حاد من الصخور البركانية المعزولة عن المنطقة المحيطة، وكانت العاصمة القديمة لهذا الإقليم وهي جورديون Gordiun محاطة بالتحصينات ومعدة لمقاومة أي حصار تحت قيادة راثاماسيس Rathamases ، وقد تحدت الحصار الذي استمر لمدة ستة أيام، وبعدها قاد سبيثريداتيس Spithridates الجيش إلى بافلاجونيا Paphlagonia ، حيث تم عقد تحالف مع الملك أوتيز Otys خليفة كوريالاس Coryalas ، الذي كان قد عصى الأوامر الملكية بالحضور إلى صوصا، وكان منذ عام 400 مستقلاً، ومن تحالفه مع أوتيز Otys حصل أجيسيلاوس Agesilaus على ألف من الفرسان وألفين من القوات الخفيفة سريعة الحركة، كما أشرف على زواج الملك الشاب إلى إحدى بنات سبيثراديتيس.

وعند حلول الشتاء قرر أجيسيلاوس Agesilaus أن يستريح، وقد

قضى عشرة أيام في سيوز Cius في نهب أراضي ميسيا Mysia كعقاب لهم، ثم من خلال فريجيا Phrygia عبر حائط ميليتاس Miletus ، وعلى شواطئ بحيرة داسيليوم Dasyleium كانت هناك قلعة تقوم بحماية قصر الوالي تلك التي جاءت منها إحدى اللوحات البارزة حديثاً، وفيها يوجد أمام نافذة أو كوة اثنان من الكهنة؛ أحدهما ذو لحية وهو طاعن في العمر، وزميله الشاب، وكان كل منهما مرتدياً عباءة رومانية منقوشة بقطع من الجلد مع سروال غير متناسق مع الرسم لكبر الحجم، وهناك غطاء على الرأس يصل إلى الفم حتى لا تلوث الأنفاس البشرية النار المقدسة التي كانت مشتعلة، وعلى اليمين من الصورة توجد رسومات النباتات المقدسة، وهي ترفع في حركة مثل الصلاة، حيث ستقدم الحيوانات كقربان مثل الخراف والثيران، وتظل رؤوسهم من الحظيرة التي جمعت بها تقديماً للذبح، وهذا المشهد وما يماثله لا يمكن أن يوجد في بيرسيبوليس، وهو يبين الطقوس الدينية التي كانت سائدة في القرن الرابع، وهو يرمز إلى «الديانة السباعية للياسنا Yasna » مع وجود نثر يرمز إلى ترانيم تقال أثناء الذبح على المذبح، وهذا أيضاً يظهر وجود اتصال حضاري وتأثر فني بالإغريق مثل رسومات إطارات النوافذ، وهي نتاج قوالب مصنوعة من مواد البناء التي كانت شائعة في المدن الإغريقية، وكذلك يتضح هذا الأثر في استدارة العين، وعدم الانتظام في الستائر المعلقة، والخطوط المتقاطعة لحظيرة الحيوان، تلك التي تبقى في خلفية الرسم، وهناك أيضاً في تلك المنطقة كانت توجد حديقة كبيرة مليئة بالحيوانات البرية التي تربى من أجل ممارسة رياضة الصيد، وكذلك كانت البركة المائية مليئة بكل أنواع الأسماك، وكذلك وجدت طيور للزينة، وطيور تربى من أجل ممارسة الصيد، إضافة إلى إحاطة المكان بقرى تزخر بمزارع الحبوب، والعيب الوحيد في هذه «الجنة» كان أن الكبار في السن والأفراد العاديين ممنوعون من الاقتراب منها بفعل قوات المشاة الذين

يجوبون الطرقات في عرباتهم المزينة، ومثال لذلك أنه عندما وجد سبيثراداتيس Spithrgdates العدو في المدينة الكبيرة كايو Caue ، فانتهز فرصة بعدهم وانشغالهم عنه، واستولى على كثير من الغنائم من هذا المكان، أما فارنابازوس Pharnabazus فقد كان يخاف حصاره، وانتقل من موقع إلى آخر طلباً للنجاة مثل البدو الرحل، وكان قد سبق له إخفاء معسكرات لا يصل أحد إليها استعداداً لمثل هذا الموقف، أما مطاردوه فقد اختلفوا على تقسيم الغنائم، وانتقلوا بمعسكرهم إلى سارديس Sardis ، حيث يجدون الأمان عند أرياريوس Ariaeus الذي تمرد على الملك العظيم، وكانت خسارة بافلاجونيا Paphlagonia المحصنة نقطة تحول، حيث تقابل الملك والوالي عبر وساطة صديق لهم انتهى إلى موافقة أجيسيلاوس Agesilaus على الانسحاب من ولاية فارنابازوس.

نهاية القيادة الاسبرطية:

في ربيع عام 394 انتهت الهدنة التي كانت مبرمة بواسطة تثراوستيس Tithraustis ، وبالتالي تراجع أجيسيلاوس كما كان قد وعد، واستقر في أثينا التي كان يجمع منها قوات جديدة، حيث كان يحلم بشن غزو واسع في شبه القارة حتى يصل إلى كابادوكيا Cappadocia حتى تم استدعاؤه فجأة.

أجيسيلاوس اكتشف بنفسه هشاشة الحكم الفارسي والبطء الشديد في رد الفعل تجاه الأحداث المتغيرة، إضافة إلى عصيان الولاة الفرس، واستقلال الكثير من الولايات بفعل الحركات الوطنية الشعبية، وفي عبارته شديدة التركيز، والتي تتسم بالجرأة -إن لم تكن الوقاحة- قال إنه طرد من آسيا بواسطة عشرة آلاف مقاتل، بل عشرة آلاف من العملات الذهبية التي يرسم على أحد وجهيها الملك رامياً للسهم.

وكـل هـذا يظهـر النفقـات الباهظـة التـي تكبـدتها الإمبراطوريـة مـن أجـل

الحفاظ على الأرض وبعض الهيبة وماء الوجه، بالرغم من أية تضحيات من المال والأرواح، وكانت حرب التحرير فرصة للتعرف على أراضٍ جديدة وشعوب مختلفة، ولدى الطالب الذي يدرس تاريخ الدولة الإغريقية كل الحق في أن يمر على هذا الفصل مرور الكرام؛ ولأن هذا الفصل الذي يروي تفاصيل الضعف الذي استشرى في أوصال الإمبراطورية الفارسية يعتمد في مصادره أساساً على الكتابات الإغريقية، لكن هذا يعطينا فكرة عن بدايات تكوين العالم الشرقي، ولم تعد الوثائق التي تتناول العمل التجاري ذات الشكل المخروطي الذي يرمز إلى الفرس موجودة، وفي هذه الروايات الإغريقية نجد الكثير من الحقول التي نهبت، والمدن التي دمرت، والأرواح التي أُزهقت، والأموال التي أُنفقت أثناء الحروب المتقطعة والثورات المتأججة، مما يفسر ضياع هذه الوثائق.

كان الأعداء الأوروبيون لإسبرطة سعداء بتلقي الخمسين تالنت التي جلبها ثيموكراتيس Timocrates ، واستعمل هؤلاء الأعداء هذه الأموال من أجل شن الحرب، فبطلهم القومي المفترض لا بد أن يعود لاستكمال المجد لأثينا، والقضاء على إمبراطورية إسبرطة، أما قائد الأسطول الفارسي كونون فقد وصل إلى ساحل البحر مدعماً بإمداد غير محدود من ذهب الملك الفارسي، وانضم إلى فارنابازوس، وفي شهر أغسطس من عام 394، وبمساعدة السفن ذات البحارة الفينيقيين والإغريق، وقامت هذه القوة بسحق القوة البحرية لإسبرطة وطردوهم من كنيدوس Cnidus ، وهكذا استردوا البحر لصالح الإمبراطورية الفارسية، وكانت مسرحية «مقبرة الأسد في كنيدوس» دليلاً على هذا الانتصار، ولم تجدِ الحاميات العسكرية التي خلفها أجيسيلاوس، حيث إن كونون Conon وفارنابازوس قاما بمواصلة الحملة التي تهدف إلى «تحرير» مدن آسيا من القوات الإسبرطية التي كانت تهدف هي الأخرى إلى «تحرير» المدن الإغريقية

في آسيا من سيطرة الفرس، وعلى الجبهة الأخرى، كانت القوى الديمقراطية قد سيطرت على الوضع في أثينا متغلبة على قوى المحافظين المعادية للفرس، ومن ثم تواصلت الصداقة بين الفرس وأثينا بعد فترة انقطاع طويلة، وبالطبع كانت هذه الصداقة ضرورية لمواجهة إسبرطة - وهي العدو المشترك لهما- إلا أن مقاومة البيدوس Abydus وسيستوس Sistus هي التي عكرت الصفو في نهاية هذا العام.

ومن آسيا اتجه فارنابازوس وكونون إلى أوروبا، وفي ليلة حالكة السواد، وقبل الفجر رسى الأسطول والجيش في سالاميس Salamis ، وعند إستموس Isthmus كان أسطول أثينا هو الذي قام بطرد البحرية الفارسية، وبعد ثمانية وعشرين عاماً فيما بعد قام الأسطول الفارسي بنهب وتخريب لاكونيا Laconia تحت رعاية أثينا، وكانت حامية من أثينا قد هددت أهل بيلوبونيا Peloponnea من هجوم يبدأ من جزيرة مجاورة لهم، أما فارنابازوس فقد قدم المال للحلفاء الذين تجمعوا في كورنيث Cornith حتى يتمكن من العودة إلى الوطن، بينما أعاد كونون بناء أسوار أثينا، وذلك بإنفاقه للخمسين تالنت التي حصل عليها من الملك، وكانت القوة البحرية هي التي عملت في هذا البناء، وهي التي قدمت له من الوالي الفارسي، وانضمت المدن الإغريقية في آسيا إلى أثينا؛ وذلك لأن الأحلام بالإمبراطورية قد تجددت في عام 393.

تغير في سياسة فارس:

كان تيريبازوس والباقي في غرب أرمينيا أثناء تراجع قوة العشرة آلاف، قد قام بعمل اتفاق يحمل طابع الخيانة معهم، حيث كان واجبه المشرف يتجاوز أوامر سيده الملكية، وفي عام 392 تقدم إلى الموقع الصعب لإمارة سارديس، وذلك في قيادة الجبهة القتالية، حيث وفد إليه اثنان من السفراء أحدهما كان أنتالسيداس Antalcidas الإسبرطي، وكان

الآخر من أثينا وهو كونون، وكانت الوفود موجودة أيضاً من ثيبيسي Thebes وكورنيث Cornith وأرجوس Argos ، وكان قد أعلن عن السلام الذي وافق عليه الملك، وكان الشرط المهم هو تسلم آسيا من قبل الإغريق، وتنبأ أن إسبرطة سوف تسلم هذه المناطق عن طيب خاطر إذا تم ترك بلاد الإغريق في أوروبا في حالة استقلال، إلا أن الرفض الإسبرطي الظاهري قد كشف عن النفاق السياسي، والادعاء برغبة في تحرير هذه البلاد، كما أن قادة أثينا ردوا بأنهم لا يقبلون أن يكون الإغريق في آسيا خاضعين للملك الفارسي، وأدرك المفاوض الفارسي تماماً أن أثينا تراودها أحلام الإمبراطورية، وأمر بسجن كونون كأحد الأثينيين ضد الإمبراطورية الفارسية، وكان في الخفاء قد قدم المال إلى أثينا من أجل تكوين أسطول يوازن أسطول إسبرطة.

وقد استدعت إسبرطة ممثلي أثينا للقاء في مؤتمر أثناء شتاء 391-392، وقد قدمت مقترحات إسبرطة، وفضل الخطيب الأثيني أندوسيديس Andocides قبول هذه المقترحات، وباعتباره من المحافظين فضل الصمت تجاه استسلام المدن الإغريقية في آسيا، وفي سارديس عارض زملاءه علناً عندما وضعت جزر ليمنوس Lemnos وإمبروس Imbros وكذلك سيروس Scyros بين الجزر التي يطالب باستقلالها، وفي الموجة السائدة أعفيت من القاعدة العامة للاستقلال، ونسبت إلى أثينا، وكان يجب أن يتم إرضاؤها، وقال الخطيب الأثيني إن أثينا ليست قوية بدرجة كافية لاستعادة تكوين إمبراطورية تماثل مجدها القديم اعتماداً على مصادرها الذاتية، وهي لا تستطيع أن تقوم بذلك بدون عون من فارس، حتى لو كان ذلك في مقابل الانتصار على إسبرطة، إلا أنه قال «ليست لدينا القوة لذلك»، «وحتى لو قمنا بذلك فكيف سنواجه البلاد التي توصف بالبربرية، لا بد أننا سوف نعاني منهم»، إن أثينا هي التي أغرت الملك بحرب إسبرطة، وكونون Conon هو الذي ساعد -بمعونة الفرس- على هزيمتها بحريًّا، وكسر

تفوقها البحري، ومع ذلك، فإن إسبرطة على استعداد لتقديم تنازلات من أجل تقوية السلام مع الفرس، وهكذا تم استدعاء السفراء، وقدمت لهم مسودة الاتفاق المقترح، لكن عند عودتهم تمت إدانة وفود أثينا وحكم عليهم بالنفي، وكان من بينهم أندوسيديس Andocides .

ومع ذلك لم تعجب سياسة تيريبازوس Tribuzus الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، وذلك عندما توجه الوالي الفارسي إلى البلاط من أجل إفادة الملك بتقرير، إلا أنه أرسل من حيث أتى، وكان ستروثاس Struthas -وهو خصم لدود لأجيسيلاوس Agesilaus - قد أخذ مكانه كحاكم لأيونيا التي كانت -في ذلك الوقت- منفصلة عن سارديس، وفي ذلك عمل كحكم لنزاع حدودي بين ميليتوس Miletus ومايوس Myus ، وقد أثبت نفسه كصديق جيد لأثينا، وبسرعة جددت إسبرطة الحرب، أما القائد ثيبورن Thiborn الذي توجه إلى المدن التي كانت لا تزال تدين بالولاء فقد قام بنهب وتخريب هذه المدن، وكانت الغارات تتم بدون حماية قوية، وبذلك قبض ستروثاس Struthas عليه وهو بدون الحراسة الكافية أثناء لهوه واشتراكه في مباراة بعد الإفطار، وتم ذبحه في التو واللحظة، وبصورة عملية تم تدمير جيشه بواسطة سلاح الفرسان الفارسي، لكن خليفة ثيبورن Thiborn أعطى الأمان للمدن التي قبلت عرض إسبرطة للاستقلال والتحرير وأمن الأموال من أجل تجنيد قوات جديدة، وكانت تلك الأموال من فدية إطلاق سراح تيجرانيس Tigranes وزوجة ابنه ستروخاس Struchas .

وفي عام 391 عند وصول ستروخاس، سمح لكونون بالهروب إلى قبرص التي مات فيها، وكان تلطيخ اسمه قد أضر براعيه إيفاجوراس Evagoras الذي أعلن عن تمرده العلني، بل تمادى في ذلك بأن أصدر عملات تحمل اسم «الملك إيفاجوراس»، وكان مرسوماً بلحية هرقل، وغطاء رأسه مصنوع من جلد الأسد الذي يحمل اسمه، وكان الجزء

الأكبر من الإقليم تحت سيطرته، وكانت المدة الباقية تتبع الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes)

وبالرغم من الصداقة مع الفرس التي توجد في المواثيق الموقعة، فإن أثينا وجهت سفنها لمعاونة إسبرطة التي تمردت وواجهت الإمبراطورية في حرب طويلة، وقامت بتعطيل الأسطول الفارسي وهو في طريقه إلى المعركة عام 390.

وعلق المؤرخ زينوفون Xenophon أن كلاً من الأطراف كان يعمل ضد ما هو في صالحه، ويعد هذا أحد الأمثلة على التناقضات التي سادت هذه الحرب الغريبة، وقام أيضاً بالرام Baalram بسك عملات خاصة به، وبهذا أعلن بطريقة عملية عن استقلاله، وهذا الاستقلال كان هشاً، ولا بد أن يدعم هذا بالذهب الذي صاغه على شكل عملات بها اسم الإله ريثوميكال Reshumekal «الذي سمع صوت تمثاله، وبمعونته تغلب على من خرج عن سلطانه».

وفي الوقت نفسه، وبوصول ستروثاس Struthas كانت هناك إعادة تنظيم إداري أدت إلى تمتع أيونيا Ionia باستقلالها، أما كاريا Caria فقد كانت هي الأخرى تتمتع باستقلالها تحت حكم أمير وطني هو بيكسوداروس Pixodorus الذي انفصل بولايته هو الآخر عن سارديس Sardis ، وتظهر العملات التي أصدرها، وكانت دليلاً على استقلال الإله زيوس Zeus وكان مرسوماً ذا لحية، ويرتدي ثوباً إغريقيًّا مع عباءة على كتفه الأيسر، ويمسك في يده اليمنى بالرمح، بينما يحمل على كتفه اليمنى الفأس الحربي المزدوج الذي يحمل اسمه، وهذا الرسم للإله وما يتعلق به هو تراثي في تقاليد كاريا، لكن الإطار كله يحمل النمط الإغريقي، وكذلك اللغة التي مزجت من الحروف الإغريقية وتراث هذه المنطقة، وبذلك أصبح إصدار العملات المصحوبة بالرموز المحلية دليلاً على استقلالية هذه البلاد وارتفاع المد الوطني.

أوتوفراداتيس Autophradates في ليسيا Lycia :

أصبح أوتوفراداتيس والياً على سارديس Sardis التي تفككت فعليًّا، وتثبت العملات التي تحمل الأحرف الأولى من اسمه أن مدن لامباكوس Lampscus وسايم Cyme كانت تنتمي إلى هذه الولاية، وقد قام باستدعاء كبار مدينة إيفيسوس Ephesus للتشاور معهم، وفي أثناء اجتماعهم به قامت قواته بالاستيلاء عليها، لكن الحقيقة الواضحة أن ليسيا كانت تلعب الدور الأكبر في حكمه، وقد استمر ملوك هذه المدينة في إصدار العملات الخاصة بهم، ففي عام 400 ابتدع سبنتاز Sppntaza صورة البقرة وهي ترضع وليدها، وكانت رأس أثينا أو هرقل مرسومة بها، وهي في رداء من جلد الأسد، أما بالنسبة إلى عملات تليمسوس Telmesus فقد كانت تحمل صورة أثينا ذات الخوذة العسكرية، وعلى الوجه الآخر توجد صورة لها متوجهة بأغصان الزيتون مع صورة لوجه الملك بها اللحية الطويلة علامة على الحكمة، وتحمل بعض العملات صورة أثينا ترتدي قبعة ذات أجنحة، وتدل أحدث الاكتشافات الأثرية القادمة من هذه المنطقة، وهي تابوت حجري عن واليها أوتوفراديتيس Autophradites الذي كان هو الذي أمر بصنعه لنفسه، ونفش عليه «رئيس الجيش وزعيم الحزب»، وتظهر بها الصور ذات الطابع المحلي، حيث صورة المعبودة بياوا Piawa ، وكان النقش في القاعدة يقول «فلتحيا بياوا الخالدة»، ورسم صورة لها في القاعدة، وهي ذات درع طويل يمتد حتى الفخذ، تركب على ظهر عدو مهزوم، وتهاجم ثلاثة من جنود مشاة الإغريق، وهم بدورهم يرتدون خوذات عسكرية هلالية الشكل، وأحدهم عارٍ أما الآخران فيرتديان ملابس خفيفة، وهناك رجل عارٍ رابع يسرع إلى نجدتهم، بينما يطارد ثلاثة فرسان القائد العسكري الهارب، وهناك صورة أخرى توضح احتفالات النصر بعد المعركة التي كانت في الصورة السابقة، هذه الصورة في واجهة التابوت الحجري، حيث تستقر

بياوا على رمحها، بينما يرفع الوالي التاج على رأس رفيقه علامة على انتصاره، وهناك حارسان ذوي لحى طويلة يشاهدان مراسم التتويج والنصر، وهما يرتديان الثياب العسكرية ذات الدروع، وهي تدل على أن احتفالات النصر تلت المعركة مباشرة، وبعد ذلك نرى اثنين من تماثيل أبي الهول التي تحمل أحجاراً مصقولة ملونة بطابع صوصا المعماري، وهما يرتديان التاج، ونرى رجلين وسيدتين في وضع الجلوس، وكانت الزوجة ترتدي الوشاح الذي يصل إلى الركبة، والولد عارٍ، وينتهي المشهد برجل غير ملتحٍ ذي شعر طويل، ويغطي كتفه وذراعه والجزء الأسفل من جسده رداء، وباقي الجسم عارٍ، وقدمه تستقر على ترس مخصص لذلك، ويظهر الرمح أو الصولجان أنه أبو بايوا Paiwa الملكي.

ويجد أوتوفراداتيس Autophradates نفسه جالساً على الجانب الآخر من القاعدة يرتدي عباءة الملك والحزام المنقوش بالذهب، وكانت العباءة بدون أذرع، وعلى فخذه الأيمن يوجد السيف، ويده اليمنى تمسك بذقنه، وهذا الأسلوب الفني يقتبس من رسومات بيرسيبوليس، بينما تستقر يده اليسرى على الفخذ في جلسة ملكية، ويسير أمامه موكب جنائزي من الجنود، ويمثله رجل يحمل إناءً لسكن السوائل، وغالباً ما تكون الدماء هي المقدمة للقرابين، وهي الطقوس التي كانت تتم قرب القبر، ويبدو فيها الميت كما لو كان على قيد الحياة في مشهد يماثل البعث وهناك شاب يشرف على المشهد، وهذا يعني وراثته للملك، وعلى الوجه المقابل من التابوت الحجري نرى مشهداً للصيد، وفيه يطلق كلب الصيد ليلحق بالفريسة ووراءه راكبو الخيول يطاردون دبًّا بريًّا وهو يقف على قدميه الخلفيتين تأهباً للدفاع عن نفسه.

ويصل التركيب الفني إلى قمته على الغطاء المستدير للتابوت، حيث توجد صورة لأسدين يخرجان لسانيهما، ويحمل الملك على عربة رباعية العجلات، ويقوم السائق بوكز الجياد، وفيه تقع بياوا Piawa من فوق

العربة، وهناك تتضح عظمة هذا الرسم، حيث نرى في تكملة الرسم الانتقام النهائي، حيث يوجد أحد الفرسان يطعن محارباً وهو يجثو على الركبة طالباً الصفح، وهناك آخر يقوم بمطاردة العدو المتراجع وهو يرفع يديه علامة على الاستسلام، وكان صاحب التابوت قد عهد بهذه الرسومات إلى أحد الفنانين المهرة الذي يتضح من أسلوبه الفني أنه إغريقي الأصل وإن لم يكن فهو تحت التأثير الإغريقي في الرسم، وما يعنينا في ذلك هو تصوير حياة أحد النبلاء الذي كان نصف إغريقي ونصف فارسي في ثقافته، وهذا يشير إلى تفاعل هذه العناصر الحضارية بسبب امتزاج الشرق بالغرب.

مؤامرات أثينا:

صدر الأمر لأوتوفراديتيس Autophraditas أن يقضي على المتمرد إيفاجوراس Evagoras مع مساعدة القائد البحري هيكاتومنوس Hecotomnos -وهو والي كاريا Caria - ولم يحققا أي نجاح، حيث كانت كاريا -سرًّا- تمول هذا المتمرد، وكان هذا يعني أن أثينا تتآمر بصورة علنية، وكان ثراسيبولاس Thrasybulus قد أبحر على الساحل الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى، وقام بنهب المدن أو فرض الجزية عليها من أجل جمع المال اللازم للحرب، وأخيراً استقر به المقام في يوريميدون Eurymedon ، وبعد أن أجبر السكان على دفع الجزية قام بإصدار الأوامر لجنوده بنهبهم؛ ولذلك تلقى الجزاء الذي كان يستحقه، فقد ذُبح ليلاً في خيمته، أما إسبرطة -من ناحية أخرى- فقد عينت أناكسابوياس Anaxbois حاكماً لأبيدوس Abydos ، وسمحت له أن يوفر الجند المرتزقة، ويجمع المال اللازم لذلك الذي استطاع به الاستيلاء على المدن التابعة لفارنابازوس Pharnabazus في أيولا Aeola ، لكنه وقع في كمين نصب له، وتم ذبحه، وكان ذلك في عام 389.

وفي العام التالي أرسلت أثينا أحد القادة المهرة وهو كابرياس Caprias لمعاونة المتمرد إيفاجوراس Evagoras علناً، وقد استوليا على عدة مدن مجاورة، كما أصدر عمله تحمل اسماً إغريقيًّا إظهاراً لتحرير هذه المدن من الفرس، إضافة إلى رسم لأثينا -وهي في حالة حرب- إمعاناً في تحدي الفرس، وتوج هذا التآمر بالتحالف مع مصر التي كانت في حالة تمرد واستقلال.

وفسر ذلك من وجهة نظر أثينا أن «الحاكم التالي بعد والي ميديا كان الفرعون الحكيم نيفيرتيس الذي قام بأعمال قيمة لوطنه وتبعه ابنه في هذه السياسة الحكيمة»، وبعد حكم استمر ست سنوات من عام 399 إلى عام 393 دفن في العاصمة المصرية ممفيس في تابوت جرانيتي أسود من النوع الفاخر الذي كان يحمل اسمه، وكان النقش عليه: «بعد وقت قصير سوف يخلفني ابني الذي عينته مساعداً لي من أجل تصحيح الكثير من الأخطاء التي ارتكبت في عصري؛ لأن الحاكم السابق لم يكن يسير على خطى الرب، فلم يقدر له أن يستمر في الحكم، لكننا جئنا من أجل إعمال القانون»، وفي بداية حكم الابن بيسموت Psemut بدأ بتكوين معبد صغير في طريق الكباش الذي يصل من نهر النيل إلى محيط الكرنك على اليمين واليسار منه -وهذا لا يلاحظه السائحون- حيث نجد مشهد تقديم البخور تقرباً لآمون، وقد سمح المصريون بأن يواصل حكامهم الولاية بسبب «كرمهم مع المعابد»، وثبت هذا فيما اكتشفته أعمال التنقيب، حيث أظهرت السجلات البردية التي وجدت في تورا Turra وناصرا Nasra إلى أي مدى قد استغل المحاجر في البناء، وقام أيضاً باستكمال معبد الكرنك بالرغم أن هاكوريس Hacoris قام بمحو اسمه، وكتب اسمه هو باللون الأحمر، وقام بسيموت Psemut أيضاً بإضافة غرفة إلى معبد تحتمس في مدينة جابو، وحول حجرة الدفن إلى بلاط ملكي، وأعاد بناء القاعة المتهدمة في معبد سبيك Sebek في مدينة

الكاب، وكذلك تمت إقامة الأعمدة التذكارية من البازلت كأحد المعالم التذكارية لتخليد اسم الملك المصري، واحتفالاً باتساع رقعة مملكته في هليوبوليس العظيمة التي كانت تزخر بتماثيله التي كان يتوسطها تمثال ضخم لأبي الهول من البازلت الفاخر تكريماً لهذه المدينة.

ويوجد لدينا دليل على أنه بالرغم من أعماله الباهرة، لم يكن هاكوريس Hacoris (من عام 378-391) لم يكن مصريًّا بالنسب، لكنه كان ليبيًّا، ويفسر ذلك ما طلبه ستيخ-إرديس Stekh-Irdis من أن يكون هناك أحد الكهنة في منطقة الصحراء يدعو إلى عبادة آمون من أجل أن يسود على عقيدة الإغريق في ليبيا.

واقتداء بمثال أماسيس، اعتبر كوريس أن سوريا وقبرص تمثلان مدخلاً إلى مصر، وكان أثر ذلك في فينيقيا أن ظهر نقش له في معبد إيثمون Ishmun في صيدا، وأصبح هذا الموقف قويًّا بتحالف إيفاجوراس مع أثينا.

السلام بين أنتالاداس Antaladas والملك:

شكل تحالف أثينا مع المتمردين مثال هاكوراس وإيفاجوراس خطورة بالنسبة للملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) المتساهل؛ ولذلك قرر أن يغير من اتجاهاته السياسية، ومن أجل التغلب على المعارضة المحتملة قام باستدعاء فارنابازوس إلى البلاط الملكي وأنعم عليه مقابل انتصاراته بزواجه من ابنته أبامي Apame ، وذلك في عام 397، وبالتالي استبدله في ولاية داسيليوم Dascyleium بأريوبارزانيس Ariobarzanes ، وكذلك تيريبازوس Tiribazus الذي حل محل كل من أوتوفراداتيس Autophrdates وستروثاس Struthas .

وفي مقابل ذلك، وإدراكاً لمعنى عودة تيريبازوس كقائد بحري قامت إسبرطة بتعيين أنتالسيداس Antalcidas المعروف بميوله الودية مع

الفرس، وفي إطار تلك الصداقة رافق القائد الفارسي صديقه لمقابلة الملك في صوصا، وكان يصحبهم سفير من أثينا، لكن أعضاء هذا الوفد لم يكونوا ذوي كفاءة لذلك، حيث قال المؤلف الهزلي أفلاطون Plato في مسرحية «السفراء» أنهم قبلوا كثيراً من الرشاوى من الملك، حتى إنهم أيضاً اعتدوا على حرية الملكيين، وبالرغم من غموض السبب، فشلت هذه البعثة التي قابلت الملك، إلا أنه -أي الملك- وعد بمساعدة القائد الإسبرطي بالمعاونة إذا لم تذعن أثينا للشروط التي اتفق عليها في تحالفها مع الملك، ومن أجل تشديد هذا التهديد قامت القوات المعاونة من الولايات المختلفة وتحت قيادة الولاة الجدد بتدعيم قوات أثينا البحرية عندما دمر كل من تريبازوس Tribazus والقائد الإسبرطي القوات الحامية في هيليزبونت Hellespont ، وبالتالي تعرضت أثينا إلى مجاعة، مما جعلها تركع على أقدامها، وتنهي الحرب في بيلوبونسيا Pelopponsia .

وقد أعلن تريبازوس أنه على استعداد أن يعلن عن قرار الملك لكل من يريد، وفي أوائل عام 386 أسرعت وفود من كل الولايات الإغريقية إلى الاجتماع في سارديس، وفيها أعلن قائد الحرس عن القرار الملكي الذي كان يحمل ختمه الشخصي: «يعتقد الملك أن من حقه أن يحتفظ تحت سلطانه بكل مدن آسيا، وكذلك جزر كلازومينا Clazomnena وقبرص وباقي المدن الإغريقية الأخرى، سواء كانت صغيرة أم كبيرة يحق لها الاستقلال ما عدا مدن إيموس Iemas وإمبروس Imbros وسيكروس Sycros التي تنتمي إلى أثينا القديمة، ومن لا يقبل هذا السلام فهو خصم لي سوف يحارب من قبلي أو من قبل أعواني سواء على الأرض أو في البحر بالمال أو السفن».

ويرجع المؤرخون المعاصرون الفضل إلى أنتاليسيداس Antaliadas في شرق صياغة هذا السلام الذي أسماه المتعمقون في المعرفة بالتاريخ

«سلام الملك»، حيث لم ينكر أي من المؤرخين المعاصرين أن هذا السلام تم إملاؤه وفرضه، وروى أحد المؤرخين اليهود أن «الملك فرض الجزية على الأرض والبحر».

وبدون أدنى معارضة، سُلمت المدن الغنية الكثيفة السكان التي كانت تتبع الإغريق إلى الملك الذي لم يمل الشعراء والرواة عن وصفه بالبربرية، وتم التنازل عن كل الإدعاءات التي كانت تحمل شعار «التحرير»، وكانت أثينا سعيدة بالتمييز الذي ذكر مدناً معينة تتبعها فقط وليس لها حق الاستقلال، وهي المدن الأوروبية الوحيدة التي ذكرت بالاسم في هذا السلام الملكي؛ وذلك لأن الشعار الدولي المستتر تحت الاستقلال تم انتهاكه لصالحها فقط، كما اتفق على ذلك إجماعاً في المؤتمر المعارض الذي عقد في إسبرطة بناءً على هذا السلام الملكي؛ وذلك لأن الشعار الدولي المستتر تحت الاستقلال تم انتهاكه لصالحها، فقد اتفق على ذلك إجماعاً في المؤتمر المعارض الذي عقد في إسبرطة، وبناءً على هذا السلام تخلفت أثينا عن صديقها اللدود إيفاجوراس لصالح أعدائها، حيث إنه لم ينحز إليها -كما كان متوقعاً- بل أصبح مؤيداً للملك، وبهذا السلام الذي أملاه الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) وفرضه على الإغريق، فقدت كل الانتصارات الإغريقية معناها؛ لأن لعبة الحرب والسلام قد انتهت لصالح الفرس، حيث حاربت فارس بسلاح الجيوش والبحرية والمال والدبلوماسية، وأسوا من ذلك أن الإغريق في أوروبا قد اعترفوا بحق التدخل الفارسي في الشؤون التي تختص بها أوروبا فقط وهي شؤونها الداخلية المحصنة، وهي سابقة تعد من أخطر ما يمكن سوف يتضح أثرها في المستقبل القريب، ويمكن للملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) أن يباهي -ويحق له- أنه هو فقط الذي نجح في تحقيق ما فشل فيه كل من دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) .

الفصل الثامن والعشرون

آخر إمبراطورية مصرية

بداية التلون بالحضارة الهلينية:

كان من الغريب أن «سلام الملك» واستمراره يكّون مميزات عدة لبلاد الإغريق المستغنى عنها في آسيا، إذ أن هذا السلام أعطى مجداً قصير الأمد لأوروبا الإغريقية في المقابل ولكن مع مضي الوقت، أدى ذلك السلام إلى تفكك كامل للإمبراطوريات الإسبرطية الأثينية، حيث إن الأيام الذهبية لبيريكليس Pericles قد ولت للأبد ولا يمكن أن تعود ثانية، كما أدى ذلك إلى خفوت ضوء الديمقراطية في أثينا، إذ أن هذا السلام كان في مقابل ثمن باهظ من انهيار شعاراتها للسعي نحو تحرير المدن الإغريقية في آسيا حتى إنه يمكن القول بأنه سلام سيء السمعة، واستتبعه نشوب حروب وقلاقل مستمرة استنزفت الموارد المتهالكة من قبل مثل تدهور نوعية الأرض الزراعية بسبب الزراعة المكثفة أكثر من اللازم وزيادة السكان بدرجة تفوق الموارد، وكان الضغط الاقتصادي هو المؤدي إلى الكثير من الثورات، وهذه أيضاً هي العوامل التي أدت إلى تدهور الدولة الفارسية، وفي عهد حكم بيريكليس Pericles لإمبراطورية أثينا كانت تصدر منتجات الزيوت والنبيذ إلى بلاد الإغريق في كل أوروبا، وتصدر كذلك في أوعية جيدة التعبئة والطلاء إلى بلاد «البرابرة» عبر الحدود، ومعها تستورد في المقابل سلع كمالية تدل على الرفاهية مثل الكئوس

والمجوهرات والمصنوعات الذهبية والأقمشة الفاخرة والسلع التي تستخدم يوميًّا، والآن أصبح البرابرة ينتجون النبيذ ويقومون بزراعة الزيتون لأنفسهم، كما أصبحوا يصنعون هذه الأواني الفاخرة والمنتجات الذهبية، وبالتالي قلت التجارة في بلاد الإغريق، ولم يعد لديهم الكثير الذي يقدمونه في مقابل الحصول على القمح وسائر الحبوب والمواد الخام التي لا غنى عنها من أجل بقائهم على قيد الحياة، ومما زاد من متاعبهم أن طريقة البنوك والقروض الربوية التي تعلموها من بلاد الفرس قد أرهقت اقتصادهم، إذ أن كل الذين يقومون بهذا الإقراض ذوي الربا الفاحش كانوا من الغرباء عن بني وطنهم، إذ كانوا غالباً من فينيقيا أو من قبرص بل إن أثينا كانت تزدحم بكثير من الوافدين من كل الأقطار، فقد ذكر المؤرخ زينوفون Xenophon في عام 355 وجود أفراد من ليديا وكاريا وسوريا وكل أنواع البرابرة الموجودين في العالم في أثينا، وأدت هذه الجاليات إلى وجود ما يشبه مدناً مستقلة داخل بلادهم مثل بيرايوس Piraeus التي تكونت من أهل فينيقيا داخل أثينا، ودلت على ذلك نقوش باللغة الفينيقية ولغة أثينا، ومع زيادة السكان انتهى نظام الفلاح الحر، وزادت أعداد القوى العاملة الفقيرة إلى حد المجاعة، وأصبحت الولايات مفلسة، وكان الحاكم الناجح هو الذي يملك توازناً في العوائد والنفقات.

ووحدت المدن الإغريقية في آسيا ظروفاً اقتصادية مخففة بسب الاستراحة من عناء دفع الجزية للفرس بعد أن نالت استقلالها، وخاصة أن النهب المستمر لمواردها أثناء حرب «التحرير» قد انتهى، وكان الاشتراك في الإمبراطورية الفارسية المتسعة المترهلة قد ساعد على وجود تجارة مع أقطار الإمبراطورية، وأدى انتشار الفقر والمجاعات في بلاد الإغريق إلى أن أسرعوا إلى الخدمة العسكرية في قوات المرتزقة طلباً للرزق في جيوش «البرابرة»، حيث إن الخصوم من الفرس والمصريين

كانوا يقفون في ذلك الوقت على قدم المساواة من ناحية إعداد الجنود بفضل هؤلاء المرتزقة، وقد أسهم الأجر والغنائم التي يعودون بها إلى وطنهم في نشوء تجارة وتوازن تجاري عام غير مباشر.

ومع ذلك، فمن الخطأ أن نرسم صورة وردية عن الموقف الذي ساد في ظل «سلام الملك»، حيث إن الضرائب الباهظة كانت تحول حياة الشعوب إلى جحيم، وتؤدي إلى اندلاع الثورات بصورة متصلة مثل ثورات مصر وقبرص وفينيقيا وسوريا -التي احتفظت باستقلالها- إضافة إلى الولاة المتمردين الذين كانوا دائماً يغيرون على أراضي الإمبراطورية وينهبون مدنها، مما أدى إلى انهيار الإدارة الفارسية وعجزها عن السيطرة على البلاد التي تقع في داخلها ذاتها، أما الحروب الطبقية والعرقية فكانت تنشب من آن لآخر وتبدؤها -بصورة خاصة- الأيدي العاملة الفقيرة التي وصلت إلى درجة الموت جوعاً، وفي المقابل كان إخماد هذه الثورات يتم بصورة عنيفة، ويقوم أحد المرزبانات بتنفيذها بوحشية.

ويمكن الاستشهاد على الرخاء الجديد في المدن الإغريقية الآسيوية بكثرة سك العملات ذات المستوى الفني العالي، ورغم أن هذه الرفاهية صورية -حيث يستفيد منها الأغنياء وليس الفقراء- فنحن نرى وفرة وجود الأعمال الفنية والنقوش التي تنبئ أو تنم عن تطور ثقافي، ومن هنا نشأ الفن الأيوني ذو المحتوى المنفرد الذي ما زالت آثاره محفوظة حتى الآن، وفي هذا العصر كان التعبير عن الرفاهية وإظهاره يتم بواسطة الأعمال الفنية على جدران المنازل وفي كل ما يتصل بالحياة اليومية، وكانت بذور ما يسمى بالحضارة الهلينية قد أثمرت في هذه البيئة المواتية، حيث أدى السلام الملكي إلى زيادة التفاعل الثقافي بين الشرق والغرب كما لو كان العالم الغربي يعوض الخسارة السياسية بالانتصار الثقافي على الشرق، ففي اللحظة التي أعلن فيها عن انتصار الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) سياسيًّا، كان الفن الإغريقي الهليني يرفع

راية التحدي حتى ساد في داخل الإمبراطورية نفسها، ولم يكن سرًّا أن الملك قد أبرم اتفاق السلام هذا من أجل أن يتفرغ لحل المشكلة المصرية التي كانت تهدد بتفكك الإمبراطورية، حيث إن الحالة المصرية أصبحت تمثل قدوة لكل الشعوب داخل هذه الإمبراطورية، أما مشكلة قبرص فقد كان -في إطار السلام- أن تسلم تبعيتها إلى الملك الفارسي، أما محاولة استعادة الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) السيطرة على البلاد المتمردة بالقوة، فتلك مسألة أخرى.

المتاعب في أرض فلسطين والفشل في مصر:

تبعاً للمعاهدة، لم يكن بمقدور أثينا معاونة إيفاجوراس Evagoras أو حتى كابرياس Chabrias ، أما بالنسبة إلى مصر فلم يكن هناك أي شروط تتعلق بها، وبالتالي استدعى الملك المصري أكوريس Achoris القائد كابرياس وقام باستئجار عدد كبير من المرتزقة من أجله كما عقد تحالفات مع هيكاتومنوس Hecatomnos من كاريا والإغريق من برقة ومع دائمي التمرد من أهل بيسيديا Pisidia .

وفي المقابل أعد فارنابازوس (Pharnabazus) في سوريا عدداً كبير من الجنود، ورافقه في ذلك تيثروتيس Tithrautes والوالي أبروكوموز Abrocomeos ، بما يماثل الجيش الذي كان قد أعده قورش (Cyrus) في عام 401 تمهيداً لإعادة غزو مصر، أما بالنسبة إلى فلسطين كان حاكم ولاية جوداه/ يهوذا Jodah المدعو باجواس Bagoas قد تشاجر مع الكاهن الأعلى جونان Johnan ، وبناءً عليه فقد وعد بنقل مركزه العالي إلى أخيه جيشوا Jeshua ؛ ولذلك نشأت عداوة علنية بين كل من الأخين أدت إلى ذبح الأخير في المعبد، وأراد باجواس أن يدخل المعبد لاستعادة الجثة وإجراء التحقيق إلا أن اليهود المدافعين عن المعبد هاجموه، لكنه صرخ بوقاحة: «ألست أنا أطهر من جثة الرجل الذي قتل في المعبد؟»

لذلك أعاد الهجوم، وواصل محاولته لدخول المعبد، وفي رده على خطاب اليهود في جزيرة فيلة في مصر الذي يستجديه بأن يأمر بإعادة بناء معبدهم الذي هدمه المصريون قال إنه من الأفضل لليهود أن يقدموا القرابين بأي شيء غير التضحية بالحيوانات حتى لا يثيروا غضب المصريين، لكنه لم يطلب عدم التضحية بالحيوانات في معبدهم بالقدس، لكنه إرضاءً لضميره قام بفرض ضريبة على كل ما يتم ذبحه في المعبد وهي بالنسبة لهم ضريبة معجزة تبلغ أربعين دراخما عن كل شاة تذبح وهو ما كانوا يمارسونه يوميًّا.

أما بالنسبة للقاتل جونان Johnan فقد عوقب على قتل أخيه، وبعدها تولى ماناسيه Manasseh المنصب الكهنوتي العالي، لكنه مثل تهديداً لوحدة اليهود، حيث إنه كان قد تزوج بإحدى النساء غير المنتميات للمعبد، وكان ذلك محرماً عندهم؛ ولذلك صدر من كهنة المعبد أمر بأن يطلقها أو يحرم من المنصب الديني، لكنه لم يحترم هذا القرار، ومن ثم استبدل بجادجوا Jaddua الذي عوض اليهود عن معاناتهم ووفر لهم الأرض والمال وتمتع باستقراره في حكم هذه الولاية شبه المستقلة حتى عهد دارا (Darius) الثالث.

أما في مصر، فقد كان القائد كابرياس Chabrias مشغولاً بإعادة تنظيم الجيش الوطني وكذلك القوات البحرية، حيث قام بتدريبهم بواسطة قواد مرتزقة من الإغريق عن طريق ترجمة الأوامر والإرشادات، كما تدرب البحارة المصريون على الفنون العسكرية والمناورات التي كانت تقوم بها البحرية الإغريقية واستخدام معدات التجديف، وأقام أيضاً التحصينات على فرع النيل الشرقي في الدلتا والمرتفعات التي تليه، وهناك قرى في الدلتا ما زالت تحمل اسمه مثل شرباص أو شربين.

أما أكوريس فقد قدم القرابين واستجدى آلهة المشرق والعرب لحماية الطريق إلى مصر من جهة آسيا، ولمدة ثلاث سنوات من عام

385 حتى عام 383 استمرت الحرب، لكن في النهاية تم دحر الغزاة عن مصر وبسط الملك المصري نفوذه على فلسطين وأرض فينيقيا الجنوبية، وتدل على ذلك النقوش التي تركها في معبد أشمون في جنوب صيدا، والمذبح الذي أقامه من الجرانيت المصقول المحمول من «الأرض البعيدة» إلى عسقلان، وفي الوقت نفسه كان إيفاجوراس Evagoras قد استولى على طرطوس بهجوم فاز فيه بالجزء الأكبر من شمال فينيقيا وصقلية.

إيفاجوراس (Evagoras) المتمرد:

بالرغم من تخلي الإغريق الأوربيين عنه، فإن مركز إيفاجوراس Evagoras كان راسخاً، وبصرف النظر عن تحالفه مع أكوريس وملك من العرب -لم نتوصل لاسمه- فإن مدينة طرطوس قدمت له عشرين سفينة ثلاثية المجاديف، وقدم له القبارصة سبعين، وبمجهوده الفردي جمع ستة آلاف من المرتزقة وكثير من العناصر المساعدة، وكان هيكاتومنوس Hecatomnos يقدم له الأموال سرًّا لمزيد من هذا الإعداد القتالي، أما بالنسبة إلى تيريبازوس Teribazus فقد جمع 300 سفينة وذلك من ألفي تالنت قدمت له بغرض الحرب، وقام أيضاً بسك عملات جديدة في طرسوس Tarsus وسولي Soli ومارلوس Marlus وإيشوس Issus ، وعلى هذه العملات قدم أسطورته باللغة الإغريقية، حيث صور عليها صورته النصفية ورأس هيراكليس Heracles ، وعلى العملات ذاتها كتب اسمه تريبازو Tiribazu باللغة الآرامية، وقد صور معبودهم بال تارز Baaaltarz معبوط طرسوس، وكانت هنا عبارة عن إحدى المقدسات التابعة لأناتوليا Anatolia التي عرفت أصلاً باسم ساندون Sandon تبدو مصبوغة تماماً بصبغة هلينية، حيث كانت ذات لحية، ونصف عارية، وتضطجع على الرمح رمز الملك، وكان الإله

المرسوم يمد يده بزهرة اللوتس ويضع إكليلاً من الزهور على رأس الوالي الفارسي، وكان الجيش تحت قيادة أرواندلاس Aroandas المسمى دائماً أورونتيس Orontes وهو من باكتريا Bactria ، وكان ابناً «لعين الملك» أرتاسيراس (Artasyras) الذي كان قد تزوج بابنة الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) التي تحمل اسم رودوجون Rodogune ، ولهذا السبب أعطى ولاية أرمينيا، وكانت مدينة إيفيسوس Ephesus مستقلة عن فوكايا Phocaeu وسايم Cyme ، وقد حل أرواندلاس Aroandas في صقلية التي استردها سريعاً، ثم نقل جيشه بحراً إلى قبرص، ومنها احتل سيتيوم Citium ، وفي أعقاب ذلك تم استرداد عرش ميلكياتون Milkyaton كملك على مدينة سيتيوم Citium إيداليوم Idalium ، ومن خلال الأصدقاء من القراصنة تأكد إيفاجوراس أن الفرس قطعوا عنهم المؤن وكانوا منعزلين، وبالتالي نشأ التمرد من قبل مرتزقة أيونيا الجائعين، إلا أن جلسو Glos ابن القائد البحري لقورش (Cyrus) وهو تاموس Tamos قام بإمداد معسكر الفرس من صقلية، ومن ثم تم وأد الفتنة، وقد رفعت البحرية عدد سفنها إلى 200 سفينة بواسطة أكوريس Achoris الذي قدم خمسين سفينة، وبالتالي أغار إيفاجوراس على العدو وطرده من سالاميس Salamis ، لكن تمكن جلوس Glos -بفضل قدرته على المناورة- من تحويل دفة الأمور من الهزيمة إلى النصر، وكان ذلك في عام 381.

أما سالاميس Salamis فكانت محاصرة برًّا وبحراً بعشر قطع بحرية، لكن تمكن إيفاجوراس من التسلل تحت جنح الليل من أجل تأمين دعم إضافي من مصر، إلا أنها لم تكد تكفيه، وبالتالي اضطر إيفاجوراس إلى استجداء السلام، وفي المقابل عرض عليه تيريبازوس Tiribazus الذي كان في زيارة لصوصا أن يستبقيه كملك لسالاميس شريطة أن يقوم بتسليم المدن الأخرى التي كان قد استولى عليها، وأن يدفع الجزية ، وأن يقوم -كعبد- بإطاعة أوامر سيده، ووعد إيفاجوراس بالإذعان كملك إلى

ملك، ورفض أن يعامل كعبد، وبناءً على هذا الموقف سحب تيريبازوس عرضه.

وبينما كانت الحرب وشيكة، قدم إيسوقراطيس Isocrates المسرحية الشعرية في أوليمبيا، وفيها استدعى الإغريق لشن الحرب على فارس مذكراً إياهم بالمسيرة الظافرة لجيش الآلاف العشرة، وفيها تنبأ بانتصارهم السهل، وفي الوقت نفسه أدان فضيحة كون الهليني إيفاجوراس يتعرض للخطر على يد جيش يزخر بالمرتزقة من الإغريق وأسطول يكاد يكون كله من أيونيا Ionia ، وقد ركز على أنه في حالة استقرار السلام فسوف تنسى أثينا كراهيتها لأعدائها من الإغريق، لكنها لن تشعر بعرفان الجميل الفارسي حتى عند تلقيها أية استفادة من هذه الإمبراطورية، وقد كان هذا الشاعر طوال حياته يناصب العداء لهؤلاء «البرابرة» الذين لا يعترف حتى بكونهم من البشر، ولا يرى بالتالي أية ضرورة لمراعاة الأمانة معهم، ولم يكن إيسوقراطيس مفسراً للنعرة الوطنية ضيقة الأفق، بل كان يظن نفسه ذا رؤية وقدرة على التنبؤ بما ستؤول إليه الأحداث، حيث أشاد بأهل أثينا كمعلمين للآخرين؛ لأن أثينا هي التي اشتق منها لفظ الهلينية، تلك التي لم تعد ترتبط بسلالة عرقية لكن بملكة الذكاء، ومن ينتسبون لها هم المشاركون في الثقافة الإغريقية وليسوا فقط المنحدرين بالمولد من بلاد الإغريق.

كان حديثه سريعاً، ولكنه لم يلق آذاناً مصغية، إذ أن أثينا التي طالما امتدحها أمرت باستعادة كابرياس Gacrias الذي كان مهدداً بعقوبة الإعدام، وطلبت منه الرجوع إلى الوطن، وكان ذلك بسبب شكوى فارنابازوس (Pharnabazus) من أن وجوده في مصر يعد انتهاكاً «لسلام الملك» عام 349، وكان إيفاجوراس مديناً بنجاته ليس للإغريق لكن للخلافات الداخلية الفارسية، فبسبب غيرته من الشعبية التي اكتسبها تيريبازوس داخل أوساط الجنود اتهمه أرواندس Aroandas بتدبير

الثورة، حيث كان في مقدوره أن يستولي على سالاميس بالقوة، وبدلاً من ذلك قنع بالتحالف المنفرد مع إسبرطة، وكذلك أرسل العراف ديلفيك Delphic للدعاية لنجاح التمرد المخطط له، وأنه كان يخطب ود المرتزقة بالهبات، وتبدو هذه الاتهامات نسخة طبق الأصل من الاتهامات الفارغة التي وجهت من قبل إلى قورش (Cyrus) ، وقد انخدع الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بهذه الادعاءات، وأمر بالإطاحة بتيربازوس وتقييده وتقديمه للمحاكمة، وبعد ذلك تم إحداث تغيير في الولاة، حيث عاد أوتوفراداتيس Autophradates إلى ولاية ساردیس Sardis ، وأصبح أرواندااس Aroandas قائداً للجيش في قبرص، ولم ينجح مثل من سبقه في القتال، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يقبل باستسلام إيفاجوراس على الشروط نفسها التي كان تريبازوس عام 379 قد سبق أن رفضها.

أما القائد جلوس Glos فقد كان محبطاً بسبب العار الذي لطخ اسم أبي زوجته تيريبازوس، ومن ثم تراجع إلى أيونيا التي سبق أن احتلها، وقام بالتحالف مع أكوريس Achoris وحاول استمالة إسبرطة.

ثورة كادوسيا Cadusia :

وفي الوقت نفسه كان أهل كادوسيا في ثورة علنية، وأصبحت غاراتهم من الخطورة بدرجة اضطرت الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) إلى أن يتقدم صفوف المعركة بنفسه، إلا أن حضوره الشخصي قد زاد من ضراوة إغارة الأعداء ومخاوف جيشه في الجبال المغطاة بالضباب، وقد أجبر نقص الغذاء في هذه الأراضي القاحلة الجند على قتل حيواناتهم للغذاء، وتم إنقاذ الجيش فقط بالجهود الدبلوماسية للمتهم تيريبازوس الذي نجح في إقناع ملكي هذه البلاد أن يبرما سلاماً منفرداً، وبعد معاناة شديدة وخسائر جسيمة عاد الفرس بخيبة

أمل، حتى إن الملك عاد ماشياً على قدميه، ومن أجل تخفيف وقع هذه الكارثة على عامة الشعب، قام الملك بإعدام كثير من النبلاء المتهمين بالتخاذل، حيث أعفى تيريبازوس، أما أرونداس فقد استبعد من قائمة أحباء الملك، وأما بالنسبة لجلوس Glos فقد تم قتله بأسلوب غادر، وكان ذلك واضحاً عندما وحد صفوف قواته مع أوتوفراداتيس عند ليوكادي Leucae التي ذبحه فيها أحد أفراد تاخوس Tachos ، وتم ذبح القاتل أيضاً فيما بعد، وكان ذلك في عام 378.

وعند الانسحاب من أراضي كادوسيا كان كاميساريس Camisares من كاريا Caria قد مات وخلفه ابنه داتاميس Datames في ولايته للمنطقة الواقعة في صقلية وراء كابادوكيا Cappadocia ، والتي كان يسكنها «السوريون البيض» في ذلك الوقت -حسب التسمية الإغريقية- وكان أول شاغل له هو طرد بعض المتمردين الذين كانوا في معسكر أوتوفراداتيس، وكان يقصد جلوس Glos وتاخوس (Tachus) ، أما ابن خاله ثيوس Thyus فقد كان مستقلاً بإمارة بافلاجونيا Paphlagonia منذ أمد بعيد، وحاول داتاميس أن يستميله إلى التحالف معه، ولكن ابن الخالة نجا بحياته بشق الأنفس من المؤامرات بقتله، وكان الوالي أريوبارزانيس Ariobarzanes قد رفض أية معاونة من ولاية داسيليوم في هذا القتال، وفي النهاية تمكن داتاميس من القبض على ثيوس Thyus وقدمه وعائلته للملك للتصرف في أمره.

نشأة الأسر الملكية الثلاثين في مصر:

طبقاً للوثائق المصرية، تمت الإطاحة باكوريس Achoris ؛ لأنه تخلى عن القانون ولم يهتم بأهله: وتوارد في هذه الروايات أن نفيريتيس الثاني بواسطة نيختينبيف Nekhtenbef الذي يدعي الإغريق أنه كان الملك نكتانيبو Nekhtanebo الأول، بالرغم من أنه كان بالفعل ابناً لقائد

عسكري يدعى ديجيدهور Dejedhor ، وهكذا بدأت آخر أسرة حاكمة مصرية مستقلة وهي الأسرة الثلاثون بداية من ثيبنوتي Thebnute أو سيبنيوتس Sebennytus ، وكانت إلى حد كبير أقوى الأسر المالكة على مدى قرون طويلة.

وقد أعلن نيختينبيف Nekhtenbef فور توليه الحكم سياسته: أنه سيكون الملك القوي الذي يحمي مصر كما لو كان سوراً من البرونز يحيط بها، وأنه سينشط بقوته العسكرية حيث إنه سيد من يستخدمون الحراب والسيوف التي سيقومون بانتزاعها من قلوب الأعداء التعساء، وسوف يقوم بعمل كل ما هو خير لمن يدينون له بالولاء حتى ينعموا بالأمن ويناموا قريري العين، ويسعى إلى خير المعابد حيث يغطي كل المذابح المقدسة بالبخور، ويزيد من أدواتها، ويعد بالبركة والوفرة في كل شيء، إذ أن الجبال تنبئه بما تحتوي عليه، وكذلك البحر ينتج له غلته، أما الصحراء فهي تمده بالبخور، وهكذا فإن كل معالم التفاخر القديمة قد أُعيدت بكل ما فيها من تفاصيل.

وكان الملك قد تمت مراسم تتويجه في سايس Sais في أحد القصور، واحتفظ لنفسه بمعبد نيث Neith ، وفي إحدى رسوماته ظهر أمام أمه المقدسة مرتدياً التاج الأحمر وهو يحمل الماء المقدس لسكبه تقرباً لأبيه أوزيريس Osiris إله الخلود، ثم أعلن هناك قراره «فليعطوا قرابين الذهب والفضة والخشب وأعمال النجارة وكل ما يرد من البحر من أيونيا كل شيء يفرضون عليه ضرائب إلى خزائن المدينة، إضافة إلى مصوغات الذهب والفضة وكل منتجات نوكراتيس Naucratis على ضفاف نهر آنو Anu ، والذي كانوا يدفعون عليه ضرائب الخزانة من أجل تقديم قرابين إلى الإلهة نيث Neith للأبد، بالإضافة إلى ما سبق وأن قاموا بأدائه، وأن يقدموا يوميًّا قرابين تعادل ثوراً وإوزة وخمس آنيات من النبيذ، وأن يخزن الباقي في خزانة الإلهة نيث Neith ، إذ أنها سيدة

البحر، وهي التي تعطيهم التأييد والمعونة، وليخلدوا ذلك على الأعمدة التي سيقومون بإنشائها في مدينة Naucratis .

وشرحاً لما سبق، فإن هذا البيان يفرض ضريبة جديدة تبلغ 10% على كل البضائع، سواء المستوردة أو المحلية والمصنعة أو الخام، لكن النقش تم حفره بطريقة بديعة على الجرانيت الأسود، وعلى اليمين من هذه اللوحة يوجد الملك مرتدياً التاج الأبيض، ويقف حاملاً الأواني التي تحمل الماء المقدس لسكبه تقرباً أمام المعبودة الجالسة نيث Neith ، والتي ترتدي أيضاً التاج الأبيض، وعلى اليسار يقف نيختينبيف Nekhtenbef ذو قرون وريش وهو يقدم غطاء رأس على هيئة رأس الصقر يناسب رأس المعبودة تماماً.

وفي ظل الحكم الكريم لنيختينبيف Nekhtenbef ووزيره هورسيسي Horsies ابن أونوفري Onnophre كاهن باهبيت Bahbit ، شهدت مصر عهداً جديداً من الرخاء، وعلى طول وادي النيل من أوله إلى آخره شيدت المباني التي تحمل أختامه الملكية، وفي صعيد مصر ما زالت إلى اليوم توجد أنقاض لهذه المباني، ولكن في الدلتا توجد معالم ذات زينة أكثر بهاءً لكنها متناثرة من مكان لآخر، وهي التي تجاوزت ما خربه الإنسان ونهبه وما أفناه الدهر.

وفي أوائل أعوامه، كان مشغولاً بإعادة بناء معبد إدفو الذي تقرب به إلى عبادة حورس، وفي عامه الثالث كان يستخرج الحجر من محجر الحمامات، حيث كرم مين-بتاح Min-ptah وحورس وإيزيس، وفي العام نفسه والعام الذي تلاه استخرجه من طره Tura ، وفي العام السادس والتاسع كان عماله يستخرجون الأحجار من تل العمارنة.

وفي عامـه السـادس عشر، شـيد سـوراً عنـد كوبتـوس Coptos ذا بوابة رائعة، وبمثل هذه الروعة بنيت بوابة أخرى في المعبد الجنـوبي، ومـن

أجل رائعة مين Min المعبود في كوبتوس Coptos أعد معبداً من المرمر الأخضر المنقول من الحمامات يمكننا حتى الآن تذوق جماله بالرغم من أن أبوابه الخشبية ذات الرائحة الطيبة المشغولة بالذهب قد اختفت.

وهناك واحد من أوائل المباني التي شيدت على جزيرة فيلة وهي الآن مغمورة بالمياه التي تتجمع خلف سد أسوان، وهو مبنى صغير إلا أنه بالغ الروعة في ذلك المعبد تحمل الأعمدة رسومات وردية كبيرة أو دقيقة، وفيها يصور الملك وهو يقدم القرابين على الطبقات المغلفة للأعمدة، وكان أول الأعمدة العملاقة يحمل نقوشه البارزة، وفيها يتم إظهار أن السقيفة الأولى مخصصة لقربان منه لأمه الإلهة إيزيس، وذلك أن المصريين كانوا يعتبرون الفرعون الحاكم إلهاً، وكانت هذه المعبودة لها قدرها في منطقة أباتون Abaton ، وتعد إلهة لفيلة، وكذلك تم تخصيص سقيفة لمعبود سنميت Senmet وهو يدعى هاثور Hathor .

ومن أعماله أيضاً أنه قام بتوسعة معبد الكاب Elkab ، وزين بوابته الشرقية بالرسومات البارزة، وفيها يقوم الملك بعبادة كبيرة الآلهة نخبت Nekhbet ، وفي مدينة هابو Habu بنى بهواً ذا بوابة صغيرة لأول معابده، أما في داخل المعبد ذاته فقد أقام سلسلة متواصلة من الأعمدة بها رسومات كبيرة لبراعم الزهور وسواتر حجرية، وهناك أيضاً أعد مقياساً للنيل من أجل تحديد ارتفاع مياه النهر في كل موسم، وعلى العمود العملاق في معبد الكرنك هناك رسم يحتمل أنه للملك المصري وهو يقدم القرابين للإله آمون (Amon) وموت Mut ، وهناك قام بترميم المعبد تحتمس وخنصو Khonsu وفي دندرة Kendera بدأ في إقامة مكان لعبادة الإله المعبود هناك، وكان لابيدوس Labydos معبداً وأحد المجاري المصنوعة من الجرانيت الرمادي، وهناك آثار متناثرة عديدة له، ففي هيروموبوليس Hermopolis يوجد مذبح من الحجر الجيري، وفي ليتوبوليس Letopolis يوجد تابوت من المرمر الأخضر، وفي دمنهور

يوجد محراب أسود من الجرانيت، وفي المسخوطة Maskhuta توجد إحدى النصب التذكارية من الحجر.

ومن هذه المواقع ومواقع أخرى، تتضح لنا صورة الفن المعماري في عصر نيختينبيف Nekhtembef ، ومن أجل تقدير مدى سمو هذا الفن، فإن التماثيل والرسومات تحتاج إلى دراسة متخصصة، وبينما يستلهم فنانو عصر سايت Saite الرموز الفنية من عصر الإمبراطورية، فإن فناني الأسرة الثلاثين قد وجدوا ضالتهم في استلهام من مصدر أكثر نقاء أو محلية، وهو عصر المملكة الوسطى في مصر، وعلى عكس التماثيل الأقدم زمنيًّا، فإن أعمال النحت لديهم تفتقد الدقة التشريحية والنسب الدقيقة، لكن هناك اتجاه أكثر لمحاكاة الطبيعة من رقة وحركة، مما يبقى هذه الأعمال الفنية حية تعبر عن عصرها، كما تبين الرسومات البارزة المتناثرة اللمسة الفنية الرقيقة نفسها، ويصل هذا الفن إلى ذروة الإبداع في تمثال الأسد الأحمر اللون الذي يحمل اسمه، وبينما يتأثر الفن في غرب آسيا بدرجة كبيرة ببلاد الإغريق، فإن المصري يظل أصلاً خالياً من أية تأثيرات خارجية، وهذا التوهج الفني الأخير ذو الصبغة المحلية الخالصة يظل من أعظم ما قدمته مصر على مدى تاريخها الطويل.

الاتحاد الأثيني الثاني:

وبإزاحة منافسه إيفاجوراس Evagoros من طريقه، بدأ فارنابازوس (Pharnabazus) في التحضير لغزو ثانٍ لمصر، وفي أولى خطواته تمت الاستعانة بإيفيكراتيس Iphicrates من أجل قيادة قوات المرتزقة من الإغريق في جيشه عام 379، وكان ذلك كله في صالح أثينا التي كانت ملتزمة حرفيًّا بـ«سلام الملك» بالرغم من انتهاكها لروح هذا السلام، وعلى سبيل المثال بالمعاهدة التي وقعتها مع كيوس Chiaos في عام 383، وكانت أثينا بصورة خاصة هي الأكثر اعترافاً بالاتفاقيات التي وقعت بين

الملك وقادة أثينا وقادة لاسيديمونيا Lacedemonia ، وكل البلاد الإغريقية الأخرى، إلا أن أثينا استبعدت من هذا الاتفاق رعايا الملك كأعضاء معترف بهم في إطار هذا السلام، حيث إنها في العام التالي قد نظمت اتحاداً أثينيًا في عام 378؛ ولأن التحالف الحربي الأول كان يهدف إلى مواجهة مع إسبرطة فقد كان التأكيد دائماً يركز على قيم التحرر والاستقلال، وفي التحالف الجديد تم تجنب الأخطاء التي ارتكبت في الماضي في ظل الإمبراطورية السابقة لأثينا، حيث كان أعضاؤه الذين يشملون ثيبيس Thebes حلفاء كاملين ولم يكونوا تابعين، ولم يستخدم لفظ الجزية مطلقاً، وكل ما كان يدفع كان عبارة عن مساهمات زهيدة احتفظوا بها تحت تصرفهم، وكانت شؤون الحلفاء تتقرر فقط في مجلس العموم للتحالف، ولم يكن لأثينا فيه أي صوت، والدولة التي كانت من قبل هي القائدة له وعدت وعداً مؤكداً بأن هذا الحلف لم يعد ملكية خاصة لقادة أثينا أو مجلساً لسفرائها، ولم تعد هناك حاميات عسكرية، كما تم رفض الالتماسات القضائية المقدمة لقادة هذا التحالف، وذلك إعمالاً للقانون، كما منعت أية محاولات لتعديل دستور الحلف تحت أي مسمى حتى لو كان التهديد بالقتل.

ومع ذلك لم يكن الحلف الجديد خالياً من الأخطاء؛ لأن أثينا كانت لا تزال تمثل قوته التنفيذية مع وجود كل أشكال التحكم التي يتبعها ذلك، وينعقد أيضاً مجلس العموم للتحالف في أثينا، وبذلك كان سهل التأثير عليه من قبل الضغط المحلي وكان كل قرار لا بد من التصويت عليه بواسطة مجلس أثينا، إضافة إلى مجلس العموم للحلف، والعبرة من ذلك أن كل دولة بالرغم من ثروتها أو سكانها تمتلك صوتاً واحداً، وكلما اتسعت العضوية كلما زادت مقدرة أثينا على أن تسود المجلس لكونها القوة التنفيذية للقرارات من خلال سيطرتها على عدد صغير من الدول تمثل الأغلبية اللازمة لإقرار ما تريده هي.

التفكك في آسيا:

وبناءً على الظروف سابقة الذكر كان من الحتمي وجود سيطرة بسبب الحلف الجديد لأثينا على الحقوق السيادية للأعضاء المنتمين للحلف، وكان من الحتمي أيضاً أن ينتهي الأمر إلى ما انتهى إليه حلف ديليان Delian ، وأن تصبح هذه القوة من التكتلات التي تناصب فارس العداء؛ لأنه في الوقت الراهن كانت أثينا على علاقة جيدة مع الملك العظيم، بينما استمرت عملية التفكك بوضوح في آسيا، مثلاً احتفظت بوثينيا Bothynia باستقلالها في عهد كل من دويداسوس Doedalsus الذي خلفه بوتيراس Boteiros والذي خلفه أيضاً باس Bas من عام 377 إلى عام 327.

وفي تلميسوس Telmessus قام أرتومبارا (Artompara) أو أرتيمبريس (Artembres) من ميديا بسك العملات، وهذا يرمز لاستقلاله، وكانت عملاته تحمل رأس أثينا أو هرقل (Hercules) ، أو تستبدل بصورته وهو ملتحٍ بالأسلوب الفارسي والعمامة وغطاء الرأس، وعلى وجه العملة الآخر كان هناك الإله ليميرا Limyra الذي تتضح أصوله الإغريقية من اسمه الأثيني بيريكليس Pericles ، وكانت على عملاته أيضاً شعارات الأسد والدوائر الثلاثية وهيرميس Hermes وأبوللو الذي يشع ضوءاً بهالته أو المعبود بان Pan ذو قرون الماعز في حالة حرب مع تلميسيان Telmessian ، حيث كان قد حاصرهم وأجبرهم على التفاوض للصلح.

ومن نقوش ليسيا Lycia نستطيع أن نقرأ كلاً من وجهي الرواية، وفي بينار Pinara يوجد القبر بديع التكوين المنفرد الذي شيده دابسما Dapssma الذي كان يقود جيش ليسيا مع أرتيميداس Ntembras بالرغم من أن قبر أبيه كان في زانثوس Xanthus ، وفي ليمارا Liomyra يوجد قبر ذو طابقين من الصخر لتابورسالي Taborssale وهو من نسل زايا Zzaiaa ، وقد أعده لدفن

ابنه بالتبني لوزانترا Losantral ليساندار وخنوتابورا Nhotabora ، وهو قائد عسكري لبيريكليس Pericles ، وفي الرسومات الموجودة عليه نرى على صخرة قريبة عشرة جنود يحاربون تحت عبارة أن تابورسالي Taborssale قام بعمل هذه اللوحة عندما تمكن هو وقوات بيريكليز Pericles من هزيمة أرتيمباريس (Artembares) وجنوده، وهناك أيضاً ثلاثة جنود آخرين كتبت أسماؤهم بلغة ذات حروف غريبة تنتمي إلى ليسيا يدعون أيضاً أنهم من قواد بيركليس، وهناك رابع لهم وهو مستشاره، وقاموا أيضاً بالقبض على قائد المرتزقة كاريمينيس Charmenes وهو في طريقة للهرب إلى فاميليس Phasaelis ، ولم يهزموه فقط لكنهم استولوا على مدينته أيضاً، وقد أُقيمت الألعاب في تيلميسوس Telmessus احتفالاً بانتصاراته.

الغزو الثاني لمصر:

فرض أرتاكسركسيس (Artaxerxes) سلاماً آخر على بلاد الإغريق في عام 374، وأبرم الاتفاق Dionysisus من سيراكوزي Syracuse ، أما بالنسبة إلى إيفاجوراس فقد ظل في حالة كمون بعد استسلامه، لكن في عام 374 تم اغتياله هو وابنه بينتاجوراس Pnytagoras بواسطة أحد المخصيين، وكان ابن آخر له قد تولى العرش وهو نيكوكليس Nicocles الذي واجه موقفاً سيئاً، حيث كانت دولته في حالة فوضى، وخزانته خاوية، علاوة على أنه كان مطالباً بتجنب كراهية الملك الفارسي أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، ومع ذلك فقد استطاع أن يدفع عدداً كبيراً من العملات التي تحمل صور أثينا وأفروديت، حيث دفع عشرين تالنت -كما قيل عنه فيما بعد- من أجل قيام إيسوقراطيتس بنظم مرثاة لأبيه المتوفى.

ومنــذ عــام 379 كــان فارنابــازوس (Pharnabazus) لا يــزال يجمــع البحارة من الإغريق مــن أجــل الحملــة المصريــة لــكي يــدفع أجــورهم، فقــام

بسك العملات وإصداراتها في أشكال عديدة، حيث قام بها فنانون إغريق كانوا غالباً ما ينسخون أنماطاً من أصول صقلية، وشهدت عملية التقليد تلك عدة نجاحات وبعض المحاولات الفاشلة، وانعكست هذه العمليات في الأساطير الآرامية، حيث يقال إن أسماء كيليك Hilik وبال تارز Baaltarz قد تعني كلها اسم فارنابازوس (Pharnabazus) وصقلية وسيد طرسوس، وكان في هذه العملات المتعددة شكل نمطي لمعبودهم، وهو شبه عارٍ جالس على عرش بلا ظهر، وأقدامه منحوتة بدرجة فنية عالية، وكان يمسك بصولجان الملك الذي ينتهي بشوكة ثلاثية أو بالنسر، وأحياناً كان يقوم النحات الإغريقي بطريقة غير صحيحة باستبدال أريثوزا Arethusa وهي عروس البحر المقدسة في سيراكوزي Syracuse بمعبود طرسوس، ولأكثر من سبب قام النحات برسم رأس المحارب في خوذة هلالية الشكل، وذلك لإرضاء المرتزقة الإغريق الذين ستدفع لهم هذه العملات، أما بالنسبة للعملات التي تم سكها في ناجيدوس Nagidus فهي محلية الطابع، وذلك بكتابة اسم المدينة باللغة الإغريقية والمعبود المحلي ذي اللحية الطويلة وهو يرتدي ملابسه كاملة جالساً على عرشه المزخرف برسم لأبي الهول، وتقوم المعبودة بشم زهور اللوتس، بينما تمد يدها بطبق صغير، ويوجد على الوجه المقابل للعملة إحدى الأساطير الآرامية والرأس الإغريقي.

واجه فارنابازوس (Pharnabazus) في إعداد الحملة صعوبات جمة، حيث شهدت عملية توفير الإمدادات عقبات عديدة، ومات الجند بالمعسكر، حيث يذكر إيسايوس Isaeus أحد مرتزقة أثينا الذي قضى نحبه عند مدينة آسي Ace ، وكان على القائد الإغريقي في جيشه أن يقضي على أثينا من القادة الخونة، أما أهل فينيقيا فلم يكونوا ودودين مع القائد الفارسي، لكن أخيراً ورغم هذه العقبات في صيف عام 373 كان فارنابازوس (Pharnabazus) قد تمكن من إعداد 300 سفينة حربية

ثلاثية المجاديف، واثني عشر ألفاً من الإغريق، إضافة إلى عدد كبير من محاربي الشرق في قوة ضخمة.

اكتشفت القوات الأرضية أن سبع تفريعات للنيل تم سدها بقوات مصرية وكانت تحرسها القلاع المحاطة بالقنوات، وبذلك لم تستطع القوات الغازية استخدام فرع النيل الشرقي والدخول إليه بالقوة من تفريعة إيسثموس Isthmus في السويس، وتم إنزال بحري لثلاثة آلاف من قوات المشاة عند فرع النيل الغربي المسمى مينديسيان Mendesian ، واستولت هذه القوات على الحاميات العسكرية، وعلم القائد إيفيكراتيس Iphicrates من الأسرى أن حراسة ممفيس كانت سيئة؛ ولذلك طلب من السفن أن تشق طريقها عبر النيل، وأن تستولي على العاصمة قبل أن يقوم المدافعون بتجميع القوات وتركيزها حول العاصمة، وكانت هذه العملية محفوفة بالخطر خاصة أن فارنابازوس (Pharnabazus) كان قد تقدم به العمر؛ ولذلك قرر أن ينتظر وصول باقي جيشه، وكان رد إيفيكراتيس أنه على استعداد أن يقوم بالهجوم بنفسه بالقوات نفسها التي كانت موجودة معه، وفي هذا الوقت ساور فارنابازوس (Pharnabazus) الشك في نواياه؛ ولذلك رفض عرضه.

وعن طريق هذا التأخير، استجمع المصريون شجاعتهم وتم دعم ممفيس بقوات دفاعية كافية، وتم التحرش بالقوات الغازية، ولحقت بها خسائر فادحة، وعند حلول الصيف كان بصحبته الفيضان، ووجد فارنابازوس (Pharnabazus) أنه لا يستطيع مقاومة الماء الآخذ في الارتفاع، ومن ثم تقهقر إلى آسيا، وألقى كل قائد باللوم على الآخر نتيجة لهذا الفشل، وعندما تذكر سجن القائد البحري السابق كونون Conon قام إيفيكراتيس برشوة قائد سفينته لكي يبحر به ليلاً، وعاد بسلام إلى أثينا في نوفمبر.

أرجع الملك المصري نيختينبيف Nekhtenbef هذا النصر إلى الإله

العربي سوبد Sopd -نسر الشرق الذي يحوم حول منتو Mentu وفينخو Fenkhu - وهذه الأسماء ترمز إلى آسيا، وفي معبد سوبد وضع الملك أحد المحاريب الرائعة من الرخام الأسود، ذلك الذي تقدم نقوشه الرواية المصرية عن الحرب، وطبيعيًّا كان يسودها الغموض في التفاصيل، ولكن نقرأ فيها أن نيختينبيف Nekhtenbef جاء وقتل الوحش أبوبيس، واحتفلت بذلك كل الآلهة سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً في محرابه؛ لأنه قيد العدو من جناحيه، وكذلك احتفلت أرض الشرق لأنه قتل أعداءه، فهو إله الخير الذي يمتلك الشجاعة الفائقة، ويقوم بطرد الأعداء، وهو الحكيم والذكي الذي يقاتل من أجل مصر، ويحارب متمردي الأقاليم، وهو الذي سحق المغيرين من آسيا، حيث وطئ بقدميه على البرابرة، وكانت يده الشجاعة تعمل بمهارة مع قادة الحرب المشاهير، وقد أسماهم هونيبو Haunebo وهو يرمز إلى وحوش البحر الخيالية، لكن أصبح يستخدمه مجازيًّا لوصف الإغريق حلفائه السابقين.

سلام ملكي جديد:

عرض فارنابازوس (Pharnabazus) المركز الشاغر وهو قيادة المرتزقة الإغريق في الجيش الفارسي، ذلك الذي كان يشغله القائد الهارب إيفيكراتيس Iphicrates إلى جندي شاب أكثر احترافية، وهو ابن كونون المدعو تثيموثيوس Timotheus الذي قبل هذه المهمة بترحاب كبير وفي خلال ستة أشهر كان في طريقه إلى بلاد المشرق التي وصلها في مايو 372، وبقى هناك حتى 367 بالرغم من عدم وجود ما يشير إلى نشاط خاص قام به.

فرض الملك الفارسي نسخة أخرى من «السلام الملكي» على بلاد الإغريق في أوروبا في عام 371، وبعد عام آخر تقدم ديموستينيس Demosthenes بالتماس أن يتم الاعتراف بملكية أثينا لشيرسونيز

Chersonese في ثراسيا Thracia وأمفيبوليس Amphipolis من قبل الملك وكل الإغريق، وكانت ثيبيس Thebes في ذلك الوقت هي التي رفضت قبول هذه الشروط؛ لأنها في هذا العام كانت قد سُحقت بانتصار إيبامينوداس Epamingoas من ليكترا Leuctru ، وبالتالي زادت أسهم تيبيس Thebes حتى إنها فرضت كلمتها على أوروبا كلها، وكان جاسون من فيراي Pherae قد نجح في توحيد ثيسالي Thessaly آملاً في غزو فارس الذي أثبتت سهولته مسيرة العشرة آلاف جندي، وفي حساباته تجاهل «قوة العشرة آلاف رامي سهم» التابعين للملك، وقبل ختام عام 370 تم قتله على يد سفاحين.

ومات فارنابازوس (Pharnabazus) بتقدمه في العمر، وعاد ثيموثيوس Themotheus إلى أثينا، وأصبح داناميس Datames خليفته كمكافأة له على الاستيلاء على ثيوس Thyus ، وأصبح بالتالي مسؤولاً عن الحملة المنتظرة ضد مصر، حيث تمت الاستعانة بقوات مرتزقة حديثة، كما سكت عملات جديدة، وعلى هذه العملات توجد صور لتادانمو Tadanmu كما يسمى في الأساطير الآرامية وهو أقرب إلى لغة كاريا من اللغة الإغريقية الشائعة، وقد استعان بدرجة كبيرة بالأنماط الفنية التي كانت تستخدم عن طريق فارنابازوس (Pharnabazus) خاصة الجندي الإغريقي ذي القبعة الهلالية الشكل، كما وضع بالتارز Balltarz داخل دائرة مزينة في شكل مدعم بنبات اللوتس تحت عرشه وسنابل القمح وعناقيد العنب في يده اليسرى، مما يمجد تقديم المؤن للجيش، وكان داتاميس Datames جالساً على عرش ذي أرجل منمقة، وكان القوس متجهاً إلى الأمام، بينما كانت يداه ممسكتين بالأسهم، وعلى رأسه عمامة حيث كان يرتدي العباءة الرومانية والسروال، وكانت الصفائح النحاسية تحمي كلتا ذراعيه، ومن أجل المزيد من الحماية كان هناك أهورا-مازدا يطير فوقه، وفي مشهد آخر يصور أحد المعابد ذوي

السقوف المنبسطة والذي له تاج شبه دائري، وأمام محرقة البخور يوجد المعبود آنو Anu عارياً وذا لحية وهو يمد إصبع السبابة لإصدار أمر ما، وأمامه يوجد داتاميس شبه عارٍ رافعاً يده وراحتها تقابل وجهه علامة على احترامه وتوقيره للمعبود.

وكان داتاميس متأهباً للتوجه إلى بلاد النيل، إلا أنه اضطر إلى العودة إلى وطنه لمحاربة متمرد آخر وهو أسبيس Aspis الذي احتل أراضي الغابات في كاتونيا Cataonia من خلال التحصينات القوية التي كان يغير ساكنوها من أتباعه على الأراضي المجاورة، ويعوقون كل ما يرسل إلى الملك؛ ولذلك استعان داتاميس بقوات صغيرة وأبحر إلى صقلية، وعبر جبال طوروس مشى موصلاً الليل بالنهار، وأقنع أسبيس المتمرد في النهاية بأن يستسلم، وأن يتم تسليمه لابن الملك ميثرايداتيس Mithridates .

وفي أعقاب زيارة الإسبرطي يوثيكليس Euthycless لصوصا، قام الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بمحاولة أخرى في عام 368 لفرض سلام ملكي عام على بلاد الإغريق: ومن أجل الشراء الدبلوماسي أرسل الوالي أريوبارزانيس Ariobarzanes تابعه فيليسكوس Phglilscus من أبيدوس إلى ديلفي ومعه مبالغ مالية كبيرة، ومن خلال العائد ثيموثيوس Timotheus منحت أثينا المواطنة لكل من أريوبارزانيس وفيليسكوس، وأشادت بدور ديونيسيوس Dionysuis من سيراكوزي؛ لأنه كان عوناً «للسلام الملكي»، وكانت كل الدول الأوروبية الباقية قد وافقت على شروط السلام الملكي، لكن ديوميديس Diomedes من سيزيكوس Cyzicus فشل في محاولة رشوة إيبامينوداس Epaminodas ، ومرة أخرى تراجعت ثيبيس Thebes ، وخلف فيليسكوس وراءه عند عودته إلى آسيا ألفي رجل من المرتزقة من كل الشعوب لمعاونة إسبرطة التي كانت يوماً لا تقهر، وقدم دعوة إلى أستياناكس Astyanax من ميليتاس Miletus

الذي انتصر لثلاث سنوات في المسابقات الرياضية في أوليمبيا إلى زيارة أريوبارزانيس Ariobarzanes ، حيث تشرف بزيارته، واستقبل استقبالاً يليق بكبار الزوار، وتناول أفضل الأطعمة في وجبة فاخرة.

واحتجاجاً على أعمال أريوبارزانيس المؤيدة لإسبرطة قاد بيلوبيداس Pelopidas بعثة دبلوماسية من ثيبيسي Thebes إلى صوصا في عام 367، كما تجمعت بعثات أخرى من أرجوس Argos وأركاديا وأليس Alis ، لكن أنتالسيداس Antalcidas (ومعه إسبرطة وحليفها الحالي أثينا)، حيث كان ملطخاً بالعار، وذكر الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) كيف أن إسبرطة بعد كل العون الذي قدمه أبوه الملك قامت بمساعدة أخيه المتمرد، واتبعت ذلك بغزو آسيا، وكانت هذه عبارة عن أحد التلميحات أن أريوبارزانيس كان يشبه قورش (Cyrus) ، وأنه كان يتصرف وفقاً لمصالحه الشخصية وليست مصلحة الإمبراطورية، وكانت تثيبيس Thebes في المقابل بصورة دائمة مؤيدة للفرس، وحاربت بالفعل إلى جانب الفرس في معركة بلاتايا، وهذا الذي أكده أحد رسل أثينا وهو ثيماجوراس Timagoras ، وعند سؤال سفيرثيبيس عما كان يطلبه من أجل إقرار السلام صرح السفير المسمى بيلوبيداس أن ميسين Messene يجب أن تكون مستقلة عن إسبرطة، وأن أثينا يجب أن تربط سفنها على الشواطئ، وعند ذلك صاح مبعوث آخر «قسماً بزيوس Zeus إنكم أيها الأثينيين يجب أن تبحثوا لكم عن صديق آخر غير الملك»، وقام المفوض الملكي بالمقاطعة، إلا أن الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) أضاف: «لو كان الأثينيون يعلمون أكثر من ذلك فليأتوا إلى الملك ويصرحوا به»، وهكذا انتهت المباحثات بالفعل، وقد انتحر أنتالسيداس في طريق عودته إلى الوطن، وفي المقابل أُدين ثيماجوراس Timagoras بالتودد إلى الملك وقبل رشاوى منه تبلغ أربعين تالانت، وحكم عليه بالإعدام.

وكان الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) قد حسم خلافاً حدوديًا بين أليس Alis وأركاديا Arcadia ، وكان أهل أركاديا أقل انزعاجاً عندما أخبرهم سفيرهم أنتونيوخاس Antiochus أنه قد شاهد كثيراً من صانعي الخبز والطهاة وحاملي الكأس الملكية وحراس الأبواب لكن لم يرَ أيًّا من الرجال القادرين على حمل السلاح، وهذه تمت روايتها لقوات العشرة آلاف: «أما بالنسبة للشجرة الذهبية عند الملك، فهي لم تظلل جراره»، وكان ذلك علامة على قلة موارده وضعف جيوشه.

وعندما تم حل الارتباط مع أثينا كانت مكانة الإمبراطورية الفارسية في أدنى أوضاعها، وكان الدور الآن على ثيبيس Thebes لمحاولة تدعيم سلام الملك، وفي الاجتماع الذي كان معقوداً من أجل التوقيع على اتفاق جديد للسلام أظهر الممثل الفارسي للملك الختم الملكي، وقد قرأ إقرار الملكِ أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، وبالرغم من ضغوط قواد ثيبيس فإن حلفاءها القدامى قد أعلنوا رضاءهم عن الاتفاق القديم ورفضوا أن يقوموا بتعهدات وقسم جديد عام 367.

كان ستراتو Strato ملك صيدا منذ عام 370 حتى عام 358، وقام بتكريم سفراء أثينا بأفضل ما يستطيع، وأعطى المدينة مبلغ 10 تالنت، وتمت مكافأته بمنحه لقباً شرفيًّا للمستشارية الملكية، ومن أجل تكريم شعبه وتكريماً له أيضاً، تم إعفاء مواطني صيدا من الضرائب المفروضة على المقيمين من الأجانب، وكان أبداشت (Abdasht) معروفاً في وطنه بدرجة تماثل ستراتو لكنه يعتبر نفسه إغريقيًّا تماماً، وكان معروفاً بالحياة المترفة مع نيكوكليس ابن إيفاجوراس، حيث استورد رعاة للبلاط يقومون بالترفيه عنه من بيلوبونيز Piloponnes وموسيقيين من أيونيا، واحتفل بالألعاب الإغريقية، وجلبت السفارة المقدسة من طرطوس وتماثيل من صيدا لمعبودهم أبوللو في ديليا تلك التي كانت تحمل نقوشاً فينيقية وإغريقية.

وكانت العملات المحلية أقل تأثرا بالإغريقية، وفي حوالي عام 475 قدم ملك غير معروف نوعاً منها يظهر الإله صيدا ولها أربعة قرون، والملك الفارسي العظيم في عربته الملكية، وعند نهاية القرن الخامس كان هناك ملوك آخرون ذوو اختصارات لأسمائهم لم تمكننا من تحديدهم، وفي عملاتهم لم توجد القلاع مع وجود السواري؛ لأن السفينة كانت الآن تدفع بالمجداف، وكانت ترسو عند قاعدة السور المزخرفة والأبراج المحيطة بالمدينة، وعلى عملات بوداشت Podasht اختفت هذه الأسوار، وكانت السفن معلقة بفعل الأمواج العاتية، وعلى الوجه المقابل رسمت العربة الملكية يتبعها أحد الملوك المصريين سائراً على قدميه في وضع انحناء وهو يرتدي الثياب المصرية القصيرة والتاج الأبيض العالي، وكان ممسكاً بيده اليسرى إحدى الزهور، وفي اليد اليمنى كان يحمل الرمح الملكي الذي ينتهي برأس حيوان مقرن مفتوح الفم، وذلك كان بالطريقة نفسها التي اتبعها أبداشت (Abdasht (Artaxerxes ، بالرغم من أنه فيما بعد تم شطب المصري بعد أن رفض نيختيبنيف أن يقبض عليه.

خيانة القادة الفرس:

أثناء الاستمرار في تعبئة الجيوش من أجل معاودة غزو نيختينبيف، علم داتاميس أن أعداءه في صوصا كانوا يتآمرون ضده ومرة أخرى، كانت مؤامرات البلاط كانت تضع حملاً جديداً على الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) غير المحظوظ، وذلك بوجود متمرد جديد؛ ولذلك ترك داتاميس جيشه تحت قيادة ماندروكليس Mandrukles من ماجنيسيا Magnesia وأسرع إلى كابادوكيا واحتل بافلاجونيا.

كان الضعف الفارسي والثورات التي قامت ضد السلطة المركزية هي التي أعطت الفرص والضوء الأخضر للشعوب المحلية، وعندما

أرسل داتاميس بعثة ضد الثائرة بيسيديا Pisidia تم ذبح ابنه ميثروبارزانيس Mithrobarzanes ، وكان أبو زوجته ميثروبارزانيس من بافلاجونيا Paphlagonia قد تخلى عنه ولجأ إلى أعدائه من بيسيديا وقت أن تمت الإغارة على هذه البعثة وتم الاستيلاء على معسكرها وذبح كل من فيه بطريقة وحشية.

وقد أمر أحد الأبناء الآخرين وهو سيساموس Sesamus أوسيسناس Sissynas أن يشن هجوماً على سينوب Sinope من على الشاطئ القريب، وفي رد فعلهم، توسل السكان إلى أبيه الذي طمأنهم إلى أن كل ما كان يحتاجه هو قرض من بعض الحرفيين، وبمساعدتهم قام ببناء السفن لكنه استخدمها فيما بعد من أجل حصار مدينتهم إثباتاً أن المدينة محصنة جيداً، وعندما نما إلى علمه أمر الملك بمنع الحصار قام داتاميس بعمل فروض الولاء للخطاب؛ لأنه يمثل ذلك الملك نفسه، وقدم القرابين استبشاراً بالأخبار الجيدة كما لو كان ذلك هبة عظيمة، وتم رفع الحصار مؤقتاً، ولكن فور أن غادر رسول الملك قام باحتلال سينوب وجعلها عاصمة له والآن كانت تحمل عملاته صورة سينوب وهي على هيئة عروس البحر، وكان على العملة أيضاً صورة النسر وهو يقبض على الدولفين، وفيما بعد تم أيضاً تأمين أميسوس Amisus .

وعندما طالب المرتزقة في جيش داتاميس برواتبهم المتأخرة، قام بزيارة أحد المقدسات الوطنية القريبة (ربما كومانا Comana في بونيك Pontic) واستخرج منها على ظهور الجمال والحمير أدوات المعبد التي تساوي ثلاثين تالنت، وعرضت الغنائم على المرتزقة، ومع ذلك أعلن الوالي أن هذه الأسلاب يجب أن ترسل إلى أميسوس من أجل تحويلها إلى عملات ولكنها كانت بعيدة عنهم، وكان الطريق إليها وعراً، فقد استطاع تهدئة هذه القوة المترددة طوال الشتاء قبل أن يدركوا أنهم قد خدعوا وغرر بهم، وأحدى أعماله الذكية كانت احتكاره الخاص

بتأجير الحرفيين، وكانت محصلة أعماله التي استغلها بذكائه خاصة به فقط.

غادر سيسيناس Sissynas إلى الملك وأخبره أن أباه كان في حالة تمرد فعلي، وقدم إليه الدليل، وأمر زميله الوالي بأن يتحرك لكي يخمد هذه الثورة، ولعدم قدرته على جمع قواته في وقت مناسب للاستيلاء على الغابات التي تؤمن مدخل صقلية اتخذ داتاميس موقعاً يستطيع من خلاله أن يسد هذا الطريق المؤدي إليه دون أن يعرض نفسه للخطر، وكانت هناك مناوشات عديدة، وقد اضطر ذات مرة إلى أن ينجو بنفسه عابراً النهر تاركاً معسكره يقاتل وحده، وفي النهاية اضطر أوتوفراداتيس Autophradates إلى أن يعرض عليه الهدنة بشرط أن يتم إرسال الرسل إلى الملك، وتراجع داتاميس في اتجاه فريجيا Phrygia ، لكن البيسيديان Pisidian كانوا قد احتلوا الممرات الواصلة إليها، وفقط عن طريق تظاهره بالانسحاب استطاع الاستيلاء على هذه الممرات ليلاً.

وكان أوتوفراداتيس مجبراً على عرض الهدنة على داتاميس وذلك لمواجهة ثورة أخرى، وكان أريوبارزانيس Ariobarzanes متهماً في البلاط بقيامه بأنشطة مشبوهة مع أثينا وإسبرطة أثناء الإعداد لـ«سلام الملك المقترح» في عام 368، وكان ابن فارنابازوس (Pharnabazus) من الأميرة أبامي Apame وهو أرتابازوس (Artabazus) يافعاً، وكان الملك قد أمر أريوبارزانيس أن يسلم الولاية التي تحكم بالتوارث إلى الولي الشرعي وهي ولاية داسيليوم ومثل داتامي، قام أريوبارزانيس بالتمرد عام 367.

ومن خلال جهود إجيسيلاوس Agesilaus كانت إسبرطة قد عقدت صداقة مع ولي العهد المصري تاكوس Tachos ، واستعدت بناءً على هذه الصداقة لمعارضة أشد للملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، وأرسلت إسبرطة إجيسيلاوس إلى أريوبارزانيس تحت مسمى سفير، ولكنه كان

بالفعل قائداً لقواته من المرتزقة، وقدمت أثينا إلى ثيموثيوس Thimotheus من أجل أريوبارزانيس قوة قوامها ثلاثين سفينة وثمانية آلاف من المرتزقة، مع تعليمات محددة بعدم انتهاك المعاهدة التي سبق أن أُبرمت مع الملك، وعندما وجدوا أن أوتوفراداتيس قد طرد أريوبارزانيس من معظم ولايته، وأنه كان يحاصره برًّا وبحراً في مدينة أدراميتيام Adrammayttium ، وأمر أريوبارزانيس قائد حاميته أن يتظاهر بالخيانة في جزيرة قريبة، وبينما كان جيشه الذين يدين له بالولاء منتظراً جلب أريوبارزانيس إلى المدينة للإمدادات وقوات المرتزقة اللازمة للدفاع، ثم أغرى أوتوفراداتيس موسولاس Maussollus بأن وعده بولاية كاريا من 377 إلى 353 على أن يقوم بحصار أسوس Assos برًّا، وبينما فعل كوتيس Cotys من ثراسيا Thracia ذلك في سيستوس Sestos ، وعند وصول إجيسسلاوس، انسحب كوتيس وأوتوفراداتيس، لكن موسولاس Mossolllus لم يرفع سفنه بل قدم الأموال لقوات إسبرطة، واجتاز إجيسيلاوس لامبساكوس Lampsacus ، وبعد فترة طويلة استولى على موكايا Phoccaea وكانت أولى خطوات قطع الإمدادات عن قوات الحلفاء.

وعند اكتشاف ثيموثيوس Timotheus أن أريوبارزانيس كان في حالة ثورة علنية عاد إلى ساموس التي حاصرها لمدة ثمانية أشهر، لكنها طالبت بمد هذه الهدنة، وفي المقابل حرر ثيبروثيميس Cyprothomis قائد الحامية العسكرية الذي كان مرسلاً بواسطة الوالي تيجرانيس Tigranes ، وهناك أسست أثينا مستعمرة لها وتمت مكافأة تيموثيوس Timotheus على خدمته البسيطة التي قدمها إلى أريوبارزانيس، وذلك بمنحه سيستوس وكريثوت Crithote لأثينا، لكن إجيسيلاوس تلقى مكافأته الشخصية على شكل أموال سائلة، وفي الوقت نفسه، كان أرتابازوس (Artabazus) يحتل ترود Troad عن طريق المرتزقة الذين كان يقودهم مينتور Mentor من

رودس إضافة إلى ممنون Memnon الذي تزوج أخته، وقد أرسلت كاريا الرسل لشكوى من أعمال موسلاس في البلاط الملكي، لكن الملك كان لا يزال على ثقة «بواليه» فقام بعقاب المدعي عام 366.

كانت مدينة هيراكليا Heracleia التي تفتخر بعدد سكانها الذي يتجاوز ستة آلاف نسمة لهم حق المواطنة وقوة بحرية تصل إلى أربعين سفينة، ذات موقع استراتيجي مهم كإحدى المدن الإغريقية الحيوية الواقعة على البحر الأسود، ولم يكن لدى الفلاحين والقرويين ذوي الأصل الوطني أية حقوق للمواطنة، وكانت بها فروق شاسعة بين الفقراء والأغنياء، وأثناء الاضطرابات التي صاحبت المطالبة بحقوق كل من الأطراف المتحاربة، قام ميثرايداتيس Mithridates ابن أريوبارزانيس باحتلال هذه المدينة، وبناءً على ذلك اتبع الأسلوب الفارسي الطبيعي الذي يؤيد الديمقراطية 364، وقام الحاكم بالشكوى إلى تيمثيوس Timotheus ثم إلى إيبامينونداس Epaminondas من أجل الحصول على المساعدات.

إلا أن هذه الالتماسات لم تجد لها آذاناً مصغية، وفي محاولة يائسة استدعى الحاكم كليركوس Cleorchus وهو أحد مواطنيها المنفيين الذي نجح في تجميع عدد من المرتزقة، وفي بداية الأمر تظاهر بأنه كان قائداً للحامية العسكرية تحت قيادة ميثريداتيس Mithridates لكن عند وصول قوات الفرس متوقعين تسليم المدينة وتعرضوا لمقاومة منه، تم القبض عليه وسجنه وأجبر على دفع مبلغ باهظ كفدية له، وقد أعلن كليركوس نفسه الحامي الحقيقي للديمقراطية لكنه حكم بالفعل كطاغية من 363 إلى 352، حيث مات ستون من أعضاء المجلس الممثل للشعب تحت وطأة التعذيب الذي نالوه على يديه إلا أنه منح العبيد حق المواطنة والجنسية وأجبر السيدات من النبلاء على أن يتزوجن بهم، وقد تعرض العديد من المواطنين في عهده إلى تسميمهم كعقوبة، وذاق الآخرون الذل والهوان

تجنباً لهذا السم، وكانت مدن تييوم Tieium وسيدوس Cierus مجبرة على الاعتراف به كحاكم مطلق، وقبلت معظم مدن بافلاجونيا Paphlagonia بحكمه، وكان اتجاهه نحو البلاط الملكي صحيحاً، حيث استقبل كل من الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني والثالث سفراء من قبله، وقد أسس كليركوس مكتبه له وتبني الأدب؛ لأنه كان أحد تلامذة أفلاطون وإيسوقراطيس Isocrates ، وكان الأخير يراسل ابنه تيموثيوس Timotheus ، ولكن برغم هذه الادعاءات الثقافية فإن حكم كليركوس كان وحشيًّا، وتحت المفهوم الشرقي للملك الإله أعلن عن نفسه ابناً لزيوس Zeus كبير الآلهة وسمى ابنه «العاصفة»، وكان هو نفسه علامة على هذا العصر الذي ساد فيه التفكك، وكان في طليعة المغامرين الذين استغلوا الصعوبات الاقتصادية المتزايدة (التي أظهرت بدورها السخط الاجتماعي)، وكان ممن نصبوا أنفسهم قادة وولاة للمدن.

كانت ثورة الولاة واحداً تلو الآخر في آسيا الصغرى تمثل تهديداً خطيراً لتماسك الإمبراطورية وسلامة الحاكم نفسه، ومع تولي المتسبب في التمرد أرواندااس Aroandas سادت حالة عدم الرضاء عنده بسبب تحويله من ولاية كبيرة في أرمينيا إلى ولاية تابعة في ميسيا Mysia ، وأصبح الموقف بسبب ذلك بالغ الخطورة عام 353، وعندما تم قبوله ككبير لمجلس الولاة قام بإصدار عملات (ستارتار) من الذهب (وهو يخص الملك الشرعي فقط)، ومن ثم قام بتحدي حكم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، وكانت العملات التي سكها في لامباسكوس Lampascus تصور الرموز الإغريقية مثل بيجاسوس وأثينا أو زيوس، ومن سيسثينيس Cisthenes في ميسيا Mysia صور الفارس المسرع بفرسه، ومن كولوفون Colophon اتخذ شعار الهالة التي تحيط بالتاج، وكلمة «الملك» باللغة الإغريقية، وعلى هذه العملات اعترف بمساعدة المرتزقة له، والذين وفدوا من كلازومينيا Clazomenae ، حيث صوروا بالجندي السريع

خفيف الحركة، والذي يحتمي بالدروع، والذي يستند على ركبته ممسكاً الرمح بذراعه وهو في حالة استعداد لتلقي ضربات العدو تماماً كما كان يعلم كابرياس Chabrias رجاله والذين بفضلهم استولى على مدينة بيرجاموم Pergamum .

ومن بين الولاة المتمردين كان موسوداس Maussdaus الذي استغل فرصة الأمر الملكي لإرسال جزيته، وقام بجمع مزيد من الأموال، واعترف للمقربين له -وهم قلة من الأغنياء- أنه كان غير قادر على الدفع، ووعد بأنهم سوف يدفعون أكثر مما كانوا يتوقعون إعطاءه، وهكذا لعب على المشاعر الإنسانية بالميل إلى التقليد، فقد قدم الرعية له أكثر مما كانوا ينتوون تقديمه، وهكذا حصل لنفسه على أموال أكثر متوقفاً عن الدفع للملك.

كانت ميلاسا Mylasa مدينة غير مسورة، وذات يوم استدعى السكان وأعلن لهم أن الملك العظيم كان زاحفاً بجيشه في طريقه إلى مدينتهم لقتاله، وأن عليهم أن يدفعوا له المال لبناء سور إذا كانوا يريدون الحفاظ على ممتلكاتهم من النهب، وعندما استقر المال في خزانته، أبلغهم أن الإله لم يوافق على بناء السور، وهكذا اتضحت لعبة الوالي، ولم يكن متوقعاً أن يقوم أحد بمعاونته.

وكان ظهور القائد الوطني أرواندداس Aroandas في سوريا عام 362 قد قوبل بثورة وطنية، واتبعت كل من ليسيا وبيسيديا وبامفيليا وصقلية مثالهم، ووجد أتوفراداتيس نفسه مجبراً على الانضمام للمتمردين، وكذلك سجن أرتابازوس، وكانت مصر لا تزال تحتفظ باستقلالها حتى لو كان ملكها على العملات فقط يتبع -وهو خاضع- العربة الملكية، وهو نفسه يسير على قدميه توقيراً لها، حيث إن الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) قد جعله يخسر نصف عوائده بسبب الحملات العسكرية، وكانت الخطوة التالية هي توحيد جيوش كل من نيختينبيف Nekhtenbef

وأرواندداس Aroandas في غزو مشترك لميسوبوتاميا Mesopotamia ، ثم الانتقال بعد ذلك إلى صوصا من أجل قتل الأسرة الملكية.

وفي بداية حكمه، فاز الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) لفارس بأعظم انتصاراتها الدبلوماسية، وقام بصورة متكررة بفرض «سلام الملك» على بلاد الإغريق الأوروبية التي لم تعد تتحداه في بسط سلطانه على بلاد الإغريق في آسيا، وبعد ربع قرن كان عرشه بل حياته نفسها معرضة للخطر، حيث بدت الإمبراطورية الأخمينية على حافة التفكك بسبب عدم وجود التماسك الداخلي.

الفصل التاسع والعشرون

تعاف مؤقت

الانهيار الذي مثلته مصر:

لقد بدت بلاد فارس أنها على وشك الانحلال والتفكك إلى الأجزاء المكونة لها، بحيث إن عودة الإمبراطورية مؤقتاً إلى التوحد لم يكن راجعاً إلى ملكها الضعيف المسن، ولكن ذلك كان نتيجة لسلسلة كاملة من الحوادث غير المتوقعة إلى حد ما، ففي البداية جاءت وفاة نختنبيف Nekhtenebef والذي تم دفنه في منف في تابوت حجري من البريشة الخضراء، والذي كان أحد أجود الأعمال الفنية التي تم إنتاجها في عهد هذه الأسر الحاكمة، وكنتيجة لموته اعتلى ابنه دجدهور Djedhor العرش 361-359، والذي يسميه اليونانيون تاخوس Tachos أو تاوس Taos ، ونتيجة لأن هذا الابن كان على علاقة جيدة بالفعل بكل من أثينا وإسبرطة، فإن هذا كان أحد العوامل المهمة في هذا الموقف المتغير.

وفي هذه الأثناء -وفي صيف 362- تعرضت إسبرطة لهزيمة ساحقة على يد جيش بلدة طيبة الموالية للفرس، ولقد عقد السفراء الجدد الذين أرسلهم الملك الأكبر سلاماً عاماً آخر، وقد قامت إسبرطة بتبني موقفها المعتاد المعترض على مثل هذا السلام، أما أثينا فقد رشاها الملك الأكبر باعترافه بحقها في امتلاك وحكم أمفيبولس، وسعياً وراء شن هجوم آخر

على الفرس، قاد أجسيلوس (Agsilius) جنوده إلى دلتا مصر قرابة نهاية عام 360 وعبر عن استعداده لمساعدة صديقه تاخوس (Tachos) .

وقد أكمل خابرياس Chacrias علمه كقائد عسكري في أثينا، ولسوء الحظ فمع نهايتها، عاد خابرياس Chacrias مرة أخرى إلى مواصلة نشاطاته، ولم تكن أثينا راضية عن «فوائد السلام الجديد الذي عرضه الملك» بدرجة كافية لتجعلها تمنع مغادرته، وتمكن خابرياس Chacrias من جمع عشرة آلاف إضافيين من المرتزقة، وقام تاخوس (Tachos) بجمع قوة كبيرة من المصريين، وأسطول نظامي قوامه 120 سفينة من السفن ثلاثية المجاديف، وقد قام ريومثريس Reomithres -ممثل المرزبانات غير الموالين للملك- بإضافة 50 سفينة إضافية، هذا بجانب هدية مقدارها 500 طالن.

وكانت تلك القوة التي تم جمعها في ربيع عام 359 قوة هائلة، ولكنها كانت تحتوي على بعض عناصر الضعف التي لا يمكن تجاهلها، حيث إن المصريين كانوا في تصادم مستمر مع المرتزقة اليونانيين منذ المرات الأولى التي اتصلوا بهم فيها خلال عهد فراعنة أسرة سايتي، وتظهر المسرحيات الكوميدية التي ألفها الكتاب المعاصرون لهذه الفترة كيف أن اليونانيين كان يحتقرون المصريين، وعلى سبيل المثال نجد يوبولوس Eubulus قد جعل بطل مسرحيته يقسم بالإله زيوس إله منديس أنه مخمور، وقد قام كراتينوس -الأصغر سناً- بالسخرية من إيجيبتياديس، سوخاريس وباميليس، ويتساءل تيموكليس في كتابه المسمى «المصريون» بشكل ينم عن الاحتقار: ما المعاونة التي يمكن أن يقدمها العجل أبيس لمن يعبدوه؟ وإذا كان هؤلاء الذين يخالفون ما تأمر به هذه المعبودات لا تتم معاقبتهم مباشرة، فمن يا ترى سوف يكون متيماً بمذبح تم تخصيصه لمجرد قطة؟ ويخبر أناكساندريديس Anaxandrides المصريين قائلاً: «لا أستطيع تحمل كوني حليفكم، حيث إن أخلاقنا وتقاليدنا مختلفة تماماً،

فأنتم تعبدون البقرة، أما أنا فأقدمها قرباناً للآلهة، وبالنسبة لكم فإن سمك الأنقليس هو إله قوي، أما بالنسبة لنا فهو طعام لذيذ يسهل هضمه وتناوله، وأنتم لا تتناولون لحم الخنزير، أما أنا فأحب تناوله، وأنتم تعبدون الكلبة، أما أنا فأضربها عندما تأكل طعامي المفضل، كما أن كهنتنا مكتملي الرجولة، أما أنتم فتخصونهم، وأنتم إذا رأيتم قطة في محنة تحزنون عليها، أما أن فسيكون من دواعي سروري أن أقوم بقتلها وسلخ جلدها، كما أنكم تنظرون إلى فأر الحقول على أنه قوي أما أنا فلا!»، وهذا الازدراء شديد الوضوح لمعبودات المصريين لا يمكن أن يثير سوى سخطهم وامتعاضهم، ومما زاد الأمر سوءاً هو أن المرتزقة اليونانيين قد طلبوا أن يتم دفع أجورهم بعملات صعبة، وكانت مصر لا تزال في بداية الطريق نحو اقتصاد يقوم على النقود منذ قام فراعنة أسرة سايتي باستئجار المرتزقة اليونانيين والكاريين، وقد أدى قيام الإدارة الفارسية بتجفيف واستنفاذ جميع مصادر المعادن النفيسة منذ ذلك الوقت إلى اختبار حجم القوة الدافعة التي يمكن أن تعتمد عليها هذه الحركة.

ولكن خابرياس Chacrias الماهر والمجرد من المبادئ الأخلاقية كان قد أعد خطة جديدة، فبنصيحة منه قام تاخوس (Tachos) بإخبار الكهنة أنه يجب تسريح معظمهم؛ وذلك لأن تكاليف الحرب أجبرته على إغلاق معابد معينة، ومن الطبيعي أن كل معبد من المعابد في مصر قد قام بتقديم رشوة إلى تاخوس (Tachos) ليبقى عليه مفتوحاً، وبعد أن قام تاخوس (Tachos) بجمع مبالغ هائلة من المال من كل من هذه المعابد، قام بإصدار أوامر جديدة تقضي بأنه سوف يتكرم على كل معبد من المعابد بالاحتفاظ بُعشر عائداته ، أما الباقي فسوف يتم إعطاؤه إلى الحكومة كقرض إجباري، ووعد بأن الحكومة سوف تضمن لهم أن يتم رد هذه القروض بعد نهاية الحرب، وقد أضاف تاخوس (Tachos) إلى الضرائب السابقة ضريبة على المسكن وعلى الرؤوس، وأمر أيضاً أن يدفع بائع

ومشتري الغلال واحد أوبول على كل أردب من الغلال، كما تم تحويل ضريبة العُشر على الواردات التي تأتي عن طريق البحر وعلى الصناعات عامة» -والتي كان قد أمر بها والده- لكي تمنح إلى معابد الإلهة نيث إلهه سيث، وقد تم تحويلها إلى الخزانة الملكية، وأمر تاخوس (Tachos) السكان أيضاً بأن يسلموا ما لديهم من ذهب أو فضة، وقد استخدم هذه المعابد النفيسة في سك العملات التي سيتم دفع أجور هؤلاء المرتزقة بها، وقد وصلت إلينا إحدى عملات الداريك الذهبية التي تحمل اسم تاو مكتوباً بحروف يونانية وصورة لإلهة أثينا مرتدية خوذة ومعها بومتها، وتم نقل تلك المخزونات التي سلمها المواطنون دون تفكير إلى الحاكم الذي كان من المفترض أن يقوم بسدادها إليهم مرة أخرى من أموال الضرائب المحلية، وإحدى الخطط الذكية الأخرى التي أشار خابرياس Chacrias بها هي أن يتم تجنيد طواقم تكفي لتشغيل 120 سفينة، مع أنهم لم يكونوا يحتاجون سوى إلى طاقم 60 سفينة فقط، وقد أُمِرت أطقم السفن الستين الباقية بأن يقوموا بتوفير الإمدادات اللازمة لأفراد الأطقم الستين التي تم الاستعانة بها، والتي تكفيهم لمدة شهرين، وإذا لم يفعلوا ذلك فلن يتم إعفاؤهم من الأعمال القتالية، وسيشاركون في الحروب مشاركة نشطة، وهكذا فقد عرف المصريون مسبقاً -وحتى قبل الغزو المقدوني لهم- ما الذي سيعنيه أن تقوم مجموعة من الشباب اليونانيين الأذكياء بإدارة الموارد المالية للدولة.

وقد أعلن تاخوس (Tachos) بشكل علني أنه قد تم استدعاؤه للجلوس على العرش من قبل أونوريس حاكم سيبينيتوس Onuris of Sebennytus ، ولكن مصر قد استفادت بقدر بسيط من هذا المال الذي تم جمعه حتى من خلال المباني التي أنشأها، وقد أضاف والده عدد قليل من المشاهد إلى الخونسو في متحف الكرنك، وقام تاخوس (Tachos) بزخرفة وتزيين هذه المشاهد، وتوجد آثار لأعماله الإنشائية،

ولتماثيله، ولنقوشه ورسوماته البارزة في الجيزة، وعند بحيرة المنزلة وفي أثريبيس والمطرية، ولكن هذا كان تعويضاً بسيطاً في مقابل «الإصلاحات» التي أدت إلى انصراف كل من الكهنة والتجار والعامة عن تأييده أو مساندته، وكما لو أن هذه الأحداث لم تكن كافية، فقد حدثت أيضاً بعض الانشقاقات في صفوف القادة، حيث إن المصريين كانوا يحتقرون أجيسيلوس بشخصيته البسيطة، والذي نظراً لكونه الأكبر سناً؛ ولأنه إسبرطي قد طالب بأن يكون هو القائد على قوات الدولة المضيفة (مصر)، ووصل الحد إلى أنه قد أصر على أن يبقى الملك تاخوس (Tachos) في مصر، ولكن تاخوس (Tachos) كانت لديه خطط أخرى، فقد أعلن أنه سيقود الحملة داخل أراضي آسيا شخصيًّا، واتفقوا في النهاية على أن يقوم أجيسيلوس بقيادة المرتزقة، وأن يقوم خابرياس Chacrias بقيادة الأسطول، أما القوات المصرية فسيقودها ابن أخي الملك المسمى نخت هار-هيبي Nekht-har-hebi ، وقد تطلب الأمر العديد من الهدايا لتهدئة ذلك الإسبرطي الغاضب.

وتم وضع خطة مفصلة لهذه الحملة بالتعاون مع المرزبانات المتمردين، فقد تقدم تاخوس (Tachos) بقواته عبر البرزخ، وتمكن من السيطرة على جميع الحصون في فلسطين وفينيقيا ما عدا عدد قليل منها، ثم كان مقرراً بعد ذلك أن ينضم إلى أرونداس Arondas في سوريا ليشتركا معاً في غزو بلاد ما بين النهرين، وقد عبر داتاميس Datames نهر الفرات ومعه -تحت قيادته- الحرس الأمامي، ولقد كان من الضروري جدًّا أن يقوم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) العجوز بقيادة عملية الدفاع عن إمبراطوريته شخصيًّا، ولقد حاول أوخوس ابن الملك الأصغر سناً أن يقوم بالاستيلاء على فينيقيا، ولكنه عجز عن مجابهة هجوم المرتزقة اليونانيين، ولقد بدت الإمبراطورية أنها مقدر لها الهلاك.

وتدين بلاد فارس بالنجاة من هذا الموقف العصيب إلى أحد

المصريين، والذي لم يتم ذكر اسمه، وهو أحد إخوة تاجوس، فبعد أن تركه أخوه كحاكم على مصر وغادر على رأس الحملة، عمد إلى الاستفادة من الكراهية المطلقة من جانب جميع طوائف الشعب «للإصلاحات» الضريبية التي أدخلها أخوه، وقام بإعلان ابنه «نخت-هار-هيبي» Nekhtharhebi حاكماً على مصر، وبناءً على إلحاح من والده قام نخت-هار-هيبي 359-340 نفسه بالثورة في سوريا على سلطة عمه، ولقد عمد خابرياس -الذي كان العقل المدبر وراء تلك الإصلاحات الممقوتة- إلى الهروب إلى أثينا، حيث إنه لم يكن يتوقع أية رحمة في محاسبته من جانب المصريين، وهناك تم تعيينه قائداً عسكريًّا حتى عام 357، ولقد قام تاخوس (Tachos) الذي تم تجريمه بالدرجة نفسها لمساندته لذلك اليوناني الذي عمد إلى إدارة عملية جمع الأموال بطريقة ملتوية -بالاستسلام إلى أوخوس Ochus في صيدا بعد مضي عام واحد فقط من فترة حكمه، والذي قام بنقله عبر أراضي شبه الجزيرة العربية إلى صوصا، حيث استقبله أرتاكسركسيس (Artaxerxes) استقبالاً جيداً، ومحتفلاً بسقوط خصمه خابرياس قام أجيسيلوس برفع مسألة ولائه المستقبلي إلى القضاة الإيفور في إسبرطة، وبعد أن قرروا منحه كامل الصلاحيات، أعلن عن ولائه للمتمرد.

ولقد اندلعت الثورة في أرجاء جديدة من الإمبراطورية، بمجرد أن حدثت السابقة التي تحدثنا عنها، والمتمثلة في ثورة تاخوس (Tachos) ، ونتيجة لمعارضتهم الكاملة والمطلقة لليونانيين وسيطرتهم المقيدة وللحريات، فإن القادة والزعماء الإقطاعيين رفضوا إطاعة أوامر نخت-هار-هيبي، واختاروا أحد أمراء رمنيس ليكون ملكاً عليهم، ولقد دفع هذا نخت-هار-هيبي إلى التخلي عن فتوحاته الآسيوية -ومعها المرزبانات المتحالفين معه- ليعود إلى مصر، وهناك تمت محاصرته بسرعة في تانيس من قبل بعض قوات الحصار النظامية، ولكن

أجيسيلوس تمكن من صد هؤلاء المحاصرين من خلال إحدى الغارات الليلية، وبذلك انهار التمرد، وبعد أن اكتملت مهمته، أبحر ذلك الإسبرطي عائداً إلى موطنه، ولكنه توفي خلال هذه الرحلة، وكان ذلك في عام 358، وقد قام أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بإعادة تاخوس (Tachos) إلى مصر كملك خاضع وتابع له، ولكنه توفي هو الآخر في طريق عودته من جراء إصابته بالدوسنتاريا.

انهيار ثورة المرزبانات:

بفضل هاتين الثورتين القاتلتين، تمكن أرتاكسركسيس (Artaxerxes) من التقدم دون خوف للقضاء على ثورة داتاميس، ولقد أدى التقدم البطيء للجيش الهائل الذي قام الملك الأكبر بحشده، بالإضافة إلى الصعوبات التي واجهته في الحصول على الإمدادات إلى السماح لذلك المتمرد بعبور نهر الفرات مرة أخرى بعد أن لجأ إلى حيلة تمثلت في جمع العربات الحربية ووصلها ببعضها، ثم دفعها إلى النهر لكسر قوة تيار الماء، ولقد قام أروندس Aroandas بعد أن تخلى عنه حلفاؤه المصريون -بعقد سلام مع الملك الأكبر من خلال تسليمه المتمردين الآخرين الذين كانوا برفقته- ولقد كافأه أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بأن جعله يحتفظ بمرزبانيته، وأضاف إلى ذلك منحه سلطة الإشراف العام على الساحل الإيجي بأكمله، وعلى الرغم من أنه قد تم احتجاز زوجة ريومثريس وأبنائه كرهائن في مصر، إلا أنه قد أبحر متجهاً إلى لويكاي الواقعة على مضيق هرمز محملاً بالمال الذي أعطاه له تاخوس (Tachos) ، وقام بالقبض على العديد من المتمردين وأرسلهم مقيدين بالأغلال إلى الملك، وهكذا اختفى فجأة الخطر الذي كان يهدد الإمبراطورية بالطريقة نفسها التي نشأ بها.

ولقد قام أوتوفراداتيس Autophradates بتحرير أرتابازوس الأسير،

وهكذا عقد سلامه الخاص، وبالنسبة للمرتزقة الذين كان قد جمعهم كل من منتور Mentor وممنون Memnon ، فقد سقطوا أسرى في أيدي المغامر خاريديموس Charidemus ، والذي نجح بمساعدتهم في الاستيلاء على كل من سبسس وسيبرين، وقاتل مع أروندااس بعد أن تمت إعادته إلى منصبه، ولقد ساعد أحد العبيد -الذي حصل على رشوة- ثلاثين رجلاً من المرتزقة المتنكرين في صورة أسرى على الدخول إلى إليوم، وقد وصلت إلى أثينودورس -المنتمي إلى إمبروس، والذي كان أحد المغامرين هو الآخر، ولكنه كان يعمل لحساب الملك الأكبر- معلومات حول هذه المؤامرة، ولقد قام هو الآخر بشق طريقه خلال حالة الفوضى هذه، ولكن رجاله لم يكونوا يعرفون كلمة المرور، وهكذا تم اكتشافهم وطردهم، ولقد تعرض أثينودورس Athenoderus نفسه للهزيمة على يد الأثيني الشهير فوسيون Phocion ، وكان ذلك أمام مدينة أتارينوس Atarneus ، ولكن عندما حض وأجبر المرتزقة التابعين له على أن يقسموا على تحقيق الانتصار أو الموت دون ذلك، تمكن من تحقيق الفوز في معركة ثانية.

ولقد زحف أرتابازوس بقواته لملاقاة خاريديموس Charidemus الذي كان قد اعتاد على مطالبة المدن التي «يحميها» بدفع رواتب جنوده، وبعد أن قام أهل هذه المدن «بدفع هذه الأجور لمرة واحدة»، أعلنوا أنه لم يتبقَّ لديهم أي مال، ولقد لجأ خارديموس إلى حيلة ذكية جدًّا، فحيث إنه كان يقوم بنقل ممتلكاته تحت الحماية، ادعى أنه سيكون من دواعي سروره أن يعرض هذه الحماية نفسها لهم إذا رغبوا في نقل مالهم والأشياء النفيسة التي لديهم إلى مكان آمن، وبمجرد أن غادرت القافلة المدينة أخذ كل ما يحتاج إليه، ثم أعاد ما تبقى إليه، وإحدى خدعه الأخرى التي نالت الكثير من الإعجاب هي أنه قام بإعلان فرض غرامة على حيازة الأسلحة من قبل المواطنين، وبعد أن توصلوا إلى

استنتاج مفاده أنه لن يقوم بتطبيق هذا القرار، قام خاريديموس عن طريق حملة تفتيش مفاجئة لمنازل المواطنين منزلاً منزلاً بجمع مبلغ لا بأس به من المال، وقد تمكن أرتابازوس Artabazus من محاصرته في النهاية، ولكنه وبناءً على التماس ومناشدة من جانب زوج ابنته أرتابازوس بالنيابة عن هذا المغامر قام أرتابازوس بالسماح له بالهرب في ظل الهدنة، وكان ذلك قبل انتهاء السنة.

ولقد نشأ عدد آخر من أنظمة الحكم الاستبدادية التي فرضها أمثال خاريديموس في أماكن أخرى، فقد قام فيليسكوس Philiscus بمساعدة جنود أريوبارزانيس Ariobarzanes بالاستيلاء على لامبساكوس ومدن يونانية أخرى، وقاموا بخصي الغلمان الأحرار وإساءة معاملة النساء، ولكن سرعان ما تم قتله، ولقد لاقى خليفته أستياناكس Astynax المصير نفسه؛ لأنه أهمل فتح رسالة كانت موجهة له لإخباره بأن مؤامرة تحاك لقتله، ولقد نجح بايثو Pytho بمساعدة من متآمرين معه من الداخل في الاستيلاء على المدينة التي نشأوا فيها وهي كلازوميناي، حيث قام بسد بواباتها بعربات محملة بجرار الخمر، ساعدت إفياديس Iphiades على أن يصبح والياً هناك، ولقد ضم باريوم إلى سلطته عندما أدت عربات مطلية إلى إشعال النار في البوابات، مما أدى إلى انشغال المواطنين بها، وقد قام يوبولوس Eubulus المصرفي بتنصيب نفسه كمرزبان في أتارنيوس وإشوس، ونجح في التغلب على الحصار الذي ضربه أوتوفراداتيس حول المدينة الأولى، ولقد تعرض أريوبارزانيس إلى الخيانة على يد ابنه مثيرداتيس Mithridates وتم صلبه، وقد استولى أرتابازوس Artabazus على بافلاجونيا وغزا كبادوكيا، وقد تعرض داتاميس لهجوم غادر على يد أحد جنوده في أسبندوس، ولكنه نجا من هذا الهجوم فقط عن طريق إلباس أحد مساعديه ملابسه، ثم تركه في قسوة ليلقي مصيره المحتوم، وبعد العديد من المحاولات المشابهة، تمكن مثريداتيس Mithridates في

النهاية من ذبحه في مؤتمر تم عقده من أجل استئناف ثورة المرزبانات، ولقد تم تعيين ابنه سيسيناس Sysinas في مكانه وأصبح يحمل الاسم الآرامي عبد سوسين، ولقد قام هذا الابن بسك عملات جديدة في سينوب Sinope تحمل الأشكال نفسها التي كانت تحملها عملات أبيه وهي الحورية والنسر، ولقد تم اكتشاف عدد قليل من هذه العملات خلال أعمال التنقيب التي جرت في بيرسبوليس.

الأعمال الإنشائية التي قام بها أرتاكسركسيس (Artaxerxes) :

كان أرتاكسركسيس (Artaxerxes) يقترب من نهاية فترة حكمه الطويلة، والتي على الرغم من الثورات العديدة التي اشتملت عليها إلا أنها كانت ناجحة بشكل مقبول، ولقد استخدم هذا الملك جزءاً كبيراً من ثروته في الإنفاق على أعماله الإنشائية، وقام في بداية فترة حكمه بترميم قصر دارا (Darius) الأول في صوصا، والذي كان قد تعرض للدمار بسبب حريق نشب فيه خلال الأيام الأخيرة من فترة حكم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول، وحتى الآن فإنه من الممكن التعرف على أعمال الترميم التي قام بها، ويمكن ملاحظة أعمال الترميم التي قام بها في الأبادانة في النقوش ثلاثية اللغات الموجودة على القواعد التدعيمية الخاصة بالأعمدة الرمادية الضخمة المبنية من الحجر الجيري والتي تشبه تيجانها الضخمة التي تماثل الثور بعض الأفكار المعاصرة في النحت، وتنتشر العديد من النقوش الأخرى في جميع أجزاء السياج المحيط بالقصر، ولكنها مليئة بالأخطاء النحوية، بحيث لا يمكن إعادة ترجمتها وكتابتها بأسلوب أدبي سليم.

أما في القصر نفسه والذي يقع جنوب غرب الأبادانة، فإننا لا بد أن نعتمد على القوالب المستخدمة في البناء لتحديد التاريخ، ففي تناقض جاد وواضح مع القوالب الرائعة والمصقولة التي تم تصنيعها لدارا (Darius)

الأول، نجد تلك القوالب التي تم تصنيعها لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني مصقولة بشكل أنعم وألوانها أقل إرهافاً من تلك الخاصة بدارا (Darius) ، وعلى الرغم من ذلك فإنها تعطي تأثيراً رائعاً هي الأخرى، والمقارنة بين الألوان المشرقة لطبقة الصقل والوردة الناعمة أو درجة اللون الرمادي التي يتميز بها الطين الخام أو القوالب التي تم تشكيلها بصورة جيدة تبدو جذابة.

ويمكننا مشاهدة هذا الفن في أفضل صورة في قاعة العرش الصغيرة في الجزء الغربي، وكسطح مرفوع على أعمدة حول جدرانها، وفي بوابة تؤدي إلى الغرب كان يوجد ذات مرة إفريز من الأسود على ارتفاع ثمانية أقدام فوق قوالب الطوب اللبن التي تتكون منها الجدران السفلية، ولقد تمت إعادة تكوين هذه الأسود من القطع الجزئية المكونة لها، ومرة أخرى تظهر هذه الأسود وهي تمشي في شمم بأفواه مفتوحة تبدو منها فكوكها وذيولها السنبلية الشكل مرفوعة عالياً في الهواء، ولقد تم إعداد جميع القوالب من الشكل نفسه، ولكن تم الحصول على التنوع من خلال التغيير في الألوان: حيث إن العضلات البارزة والضخمة قد تكون خضراء أو زرقاء، وشعر الرقبة يتم تلوينه بالبني أو الأخضر، ولكن معظم أجزاء الجسم تكون بيضاء اللون، ويتم استخدام الأخضر الباهت أو البني الباهت أو لون القش أو الأبيض، ويتم وضع كل هذا على خلفية ذات لون أزرق فيروزي داكن، ويعلو الإفريز في البوابة صف من الشرفات المفتوحة، وتوجد بأسفلها حلية معمارية زهرية الشكل تحدها عند أحد الجانبين مثلثات، وبراعم لوتس متصلة مع بعضها وإطار بارز.

ولقد قام أرتاكسركسيس (Artaxerxes) أيضاً بترميم التحصينات بما فيها ذلك الحاجز الدفاعي القوي الموجود في الركن الجنوبي الشرقي من السياج المحيط بالقصر، وبالمثل أيضاً قام بترميم الأرصفة ونظام الطرقات بأكمله الموجود حول السور الأمامي، ويقول الملك أرتاكسركسيس

(Artaxerxes) : «بفضل الإله أهورا-مازدا، فإن هذا هو القصر الذي قمت بتشييده خلال حياتي كمكان سرت ألجأ إليه التماساً للراحة، عسى أن تقوم الآلهة أهورا-مازدا وأناهيتا وميثرا بحمايتي وحماية قصري من كل سوء»، ولهذا يكون الملك أرتاكسركسيس (Artaxerxes) قد أضاف إلهه وآلهة آخرين إلى الإله الذي كان ينظر إليه دارا (Darius) على أنه لا مثيل له، وفي ذلك إشارة إلى التغيرات الدينية المهمة التي حدثت خلال عهده، وهذا هو القصر الذي وصفه مؤلف لفافة استر اليهودي، وهو أيضاً المكان الذي قام الملك الأكبر منه بإملاء رغباته وسلامه الملكي على اليونانيين.

وبمساعدة هذا الثالوث من الآلهة، قام أرتاكسركسيس (Artaxerxes) أيضاً بإعطاء إكباتانا وأبادانة الجديدة بعض التماثيل، ويبدو أن أرتاكسركسيس (Artaxerxes) لم يقم بتشييد أي مبنى في برسيبوليس خلال الجزء الأكبر من حياته، ولكنه قام قبيل وفاته مباشرة بالبدء في تنفيذ أحد المبتكرات أو المباني الجديدة هناك، حيث إن أسلافه الأربعة العظام قد اختاروا أفضل المواقع في ناكظي-روستام وبنوا فيها مقابرهم، ومن الواضح أن مقبرته هي تلك المقبرة التي نحتها في المنحدر الجبلي الذي يعلو كثيراً عن الجزء الجنوبي الشرقي من المنبسط الذي بنيت عليه برسيبوليس، ولقد تم حذف الجزء السفلي من الصليب العادي الذي يوجد على الوجه، في حين أن الدعامة العلوية من السطح المعمد قد أصبحت موكباً من الأسود والتي لا زالت الطريقة التي تمت معالجته بها تحمل ملامح فنية تكفي لجعله يمتلك جاذبية معينة، لا تحمله مقابر كسركسيس (Xerxes) الثاني، فلقد عاد إلى التقليد نفسه الذي لدى الشعوب الخاضعة والتي أسندت عرش سلفه الأكثر قوة ولكن بشكل غير صادق.

اعتلاء أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثالث (أوخوس) للعرش:

لقد ولد لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني من الثلاثمائة وستين محظية اللاتي كن له، واللاتي تم تخصيصهن بحيث تكون كل واحدة لها يوم واحد من أيام السنة المدنية، ولد له 115 ولداً، ولكن ثلاثة منهم فقط كانوا هم أبناء الملكة ستاتيرا وهم دارا (Darius) ، أرياراثيس Ariarathes أو أرياسبيس Ariaspes ، وأوخوس Ochus ، وتبعاً للعادة القديمة، فلقد تم اختيار الابن الأكبر دارا (Darius) ليكون ولياً للعهد عندما قرر والده المغادرة من أجل الحرب الكادوزية، ولقد عاش أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني لفترة طويلة جدًّا بعد رجوعه من هذه الحملة، وقد أقنع تيريبازوس Tiribazus دارا (Darius) بأن يدخل في مؤامرة اشترك معه فيها خمسون ابناً آخرون من أبناء الملك، ولكن أحد الخصيان قام بإفشاء سر هذه المؤامرة، وتم ضبط دارا (Darius) متلبساً في حجرة نوم الملك، ولقد قام القضاة الملكيون بمحاكمته وقاموا بإصدار القرارات المكتوبة لهم في أثناء غياب الملك، ولقد صدر الحكم عليه بالإعدام، ولقد كان أرياسبيس Ariaspes طيباً ومحبوباً من قبل الجماهير، وكان يعمل من خلال الخصيان والمقربين منه، ولقد جعله أوخوس يعتقد أن أبيه حانق عليه، مما جعله يتناول السم وقتل بذلك نفسه، ولقد كان أرساميس أحد أبناء الملك من محظياته، ولكنه كان مشهوراً ومحبوباً لحكمته، مما جعله يكون المفضل لدى أبيه، ولكنه تعرض للقتل على يد تيريبازوس ابن أرتاباتيس Artapates ، ولقد مات أرتاكسركسيس (Artaxerxes) العجوز حزناً وأسفاً على مقتله عام 358.

وكان أوخوس قد عبر بشكل عملي عن طبيعته الوحشية، وعندما تولى السلطة تحت اسم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثالث أصبح مشهوراً بأنه الأكثر تعطشاً للدماء من بين جميع الملوك الأخمينيين، ولا تكذب صورته الموجودة على العملة التي سكها -أنف قصيرة ومستقيمة،

شعر قصير، لحية طويلة ومدببة وتعبيرات وجهه القاسية- هذه السمعة عنه، ولم يكد يجلس على العرش حتى قام بقتل جميع أقاربه دون تمييز للسن أو الجنس.

ويبدو أن أول أعماله الرسمية كان يتمثل في تلك المحاولة التي قام بها لإخماد ثورة الكادوسيين التي كانت لم تنته بعد، ولقد كانت هذه المحاولة ناجحة؛ ولذلك نجد فرقاً من جنودهم في الجيوش الأخمينية، وبعد ذلك بفترة قصيرة، أمر المرزبانات في آسيا الصغرى بأن يقوموا بتسريح المرتزقة اليونانيين الذين يعملون لحسابهم، ونتيجة لذلك قام أرتابازوس Artabazus بإعلان الثورة والتمرد عليه، فأصدر دارا (Darius) أوامره بأن يتم حشد جيش قوامه 10 آلاف شخص في فريجيا، ولقد لجأ هذا المتمرد إلى أثينا طلباً للمساعدة، وهناك فكرت الحكومة بشكل جدي في الاستعانة بالمرتزقة الذين يعملون لحسابها، وذلك لتلبية طلبه ومنحه المساعدة التي يريدها، ولقد قام إسروقراط بإلقاء خطبة يدعو فيها إلى شن حملة على الجيش البربري بقيادة أثينا في عام 380، وقد هدأت حماسته وفترت منذ تلك السنة، والآن قد لاحظ بانزعاج أن هؤلاء البربر قد أصبحوا معادين بدرجة أكبر، وبالنسبة لم يكنه الملك من مشاعر معادية لنا، فلقد عبر عن ذلك بوضوح من خلال خطاباته التي أرسلها.

حاكم شرقي مقتدي بالعادات والثقافة الهلينية: ماوسولوس **Maussollus** حاكم كاريا:

تمت مسامحة ماوسولوس **Maussollus** حاكم كاريا؛ لأنه لم يقم بارتكاب أي عمل من أعمال الخيانة الصريحة، ولقد بدأ بعد انهيار الثورة المرزبانية الكبرى مباشرة في توسيع حدود «مرزبانيته» حتى تحولت إلى مملكة شبه مستقلة تقريباً، بالرغم من وجود هاليكارناسوس، وعلى الرغم من أن ماوسولوس قد حاول الاستيلاء على هذه الجزيرة إلا أنه قد فشل، وظلت مدينة ملطية حرة ومستقلة على الرغم من الجهود التي بذلها

إيجبيتوس Aegyptus للتحريض على خيانتها وتسليمها، ولقد قاومت إيفيسوس هي الأخرى بنجاح هذه النزعة التوسعية لماوسولوس، ولكن حتى المقاومة يمكن استغلالها وتوظيفها، فقد ادعى ماوسولوس أن هيروفايتيس Herophytes المنتمي إلى إيفيوس كان على وشك شن هجوم، وقام بتجنيد 300 من مواطني مدينة هيراقليا الواقعة على جزيرة لاتموس؛ وذلك لكي يذهبوا إلى بيجيلا ليحرسوها، ثم قام بالاستيلاء على المدينة التي هجرها أهلها واندفعوا لمشاهدة وصوله، وقد سقط جزء كبير من إقليم ليديا في يده، واختفى بركليز حاكم ليسيا بعد ثورة المرزبانات، فقام ماوسولوس باحتلال أرضه، وفي هذه الأثناء اعترض ديموستينيس ضد قيام أثينا بإساءة معاملة حلفائها قائلاً: «عندما يقوم أي شخص بشراء منصب قائد السفن ثلاثية المجاديف، فإنه يبحر بهذه السفن ليسلب وينهب ويدمر ممتلكات الجميع، وهو وحده يجني أرباح أعمال السلب والنهب هذه، أما مواطنوكم فهم من يدفعون ثمن وتكاليف الأضرار، وأنتم الوحيدون الذين لا تستطيعون السفر إلى أي مكان دون أن يكون لديكم ما يدل على أنكم رسل؛ لأن هؤلاء الرجال يقومون بأخذ رهائن، وهكذا فإنهم يستفزون الغير للقيام بأعمال انتقامية ضدهم، وإذا واجه الواحد منا الموقف بصدق وأمانة، فسوف يكتشف أن مثل هذه السفن ثلاثية المجاديف قد أبحرت ليس نيابة عنا أو للدفاع عنا ولكن ضدنا» .

ولكن أحداً لم يلتفت إلى تحذيراته، وفي خريف عام 356 قام الحلفاء بالثورة ضد أثينا، ولقد استغل ماوسولوس هذه الحرب الاجتماعية ليفصل رودس وكيوس وكوس وإريثراي وبيزنطة، ويربطهم في اتحاد كونفيدرالي جديد برأسه هو نفسه، ولقد أظهرت عملات كيوس ماوسولوس كما لو كان هرقليز، وهكذا فإن هذه كانت علامة على بداية تقديسه، وماوسولوس - الذي وضع أكثر من سابقة للمستقبل- هو أفضل مثال لدينا على الحاكم الشرقي الذي قام بتبني

العادات والثقافة الهلينية بشكل كامل، ولقد تزوج من أخته أرتيميسيا Artemesia ، وكان هذا استباق للزيجات بين الإخوة والأخوات التي تميز بها عهد البطالمة، ولقد كانت كل نقوشه الرسمية مكتوبة باللغة اليونانية، حتى إنه قام في ليسيا بإضافة اللغة اليونانية إلى اللغة الأصلية، ولقد كانت عملاته وأبطاله الأسطوريون على هذه الدرجة نفسها من التشبع بالثقافة الهلينية، ولقد قام ماوسولوس برعاية الثقافية الهلينية، فعلى سبيل المثال، قام باستضافة الخطيب الأثيني الشهير اسشنيسش Aeschines والرياضي والفلكي المعروف بودوكسوس Eudolxus لبعض الوقت في بلاطه، ولقد عمد المؤلف الكوميدي ثيوبومبوس Theopompus إلى وصف أعماله على عملاته كدليل إضافي على اتجاهه الهليني، حيث تمت إزالة صورة الإله زيوس إله لابروندا من مكان التشريق على الوجه العلوي واستبدلت بصورة الإله أبوللو.

وأحد الملامح الأكثر تمييزاً للعصر الهليني هو اتحاد المدن الصغيرة لتكوين مدينة كبيرة واحدة، ولقد قام ماوسولوس بنقل عاصمة مملكته من ميلاسا إلى مدينة هليكارناسوس التي تبعد مسافة 12 ساعة، ومن بين المدن البيداسوسية الثمانية، احتفظت ميلاسا وميندوس فقط بهوياتهم المنفصلة، أما بيداسوس نفسها الموطن الشهير للمنجمين، تلميسوس، يوراليون، ميدامسا، سيبدي، وثيانجيلا-سيانجيلا فقد تم إفراغها من سكانها لزيادة عدد سكان العاصمة التي تم توسيعها عام 362.

ولقد كانت هاليكاراناسوس تتمتع بموقع حصين بشكل طبيعي، كما كان لديها بالفعل ميناء جيد وسوق ممتاز، وعند النظر إليها من البحر كانت تظهر منحدرة نحو الأمام وتبدو بيوتها متراصة في صفوف مثل مسرح كبير، ولقد كان الميناء هو خشبة هذا المسرح، وخلفه كان يقع السوق، وفي وسط هذا المنحنى يوجد شارع عريض، ولقد قامت أرتميسيا بعد وفاة زوجها ببناء ذلك الضريح المشهور في وسط المدينة، وكان يوجد عند

أعلى نقطة في المدينة معبد للإله أريس، وحرم رخامي ضخم لهذا الإله، والذي تتم نسبته بشكل عام إلى ليوخاريس Leochares على الرغم من أن البعض ينسبه إلى تيموثيوس Timotheus وفي جهة الشرق كان يوجد معبد لعبادة الإلهة أفروديت والإله هرميز بالقرب من ينبوع سالماسيس Salmacis الموجود في الحي الذي يسكنه السكان المحليون والذي كان من المفترض أن ينقل مرض أفروديت، وعلى اليسار يوجد القصر الذي تم رسمه تبعاً للمخطط الذي وضعه المرزبان بنفسه، ولقد تم بناؤه من الطوب المحروق، وتم تشطيبه بالجص لدرجة أنه بدا للأجيال التالية بشفافية الزجاج نفسها، وقد تمت تغطية الواجهة بالرخام الذي تم جلبه من بروكوتيسوس، ويمكن من هذا القصر فقط رؤية الميناء السري الذي كان يقع أسفل منحدر مرتفع.

ولقد تطلبت هذه الإنشاءات أموالاً، وكان ماوسولوس يواجه صعوبات مالية بشكل مستمر، والتي كان يحلها بطريقة عصره، وكان حاكمه كوندالوس Condalus يقوم برحلة عبر الأراضي التي تقع تحت أيديه، فعندما كان يحصل على أحد الخراف أو أحد الخنازير أو أحد العجول، يقوم بتسجيل اسم الشخص الذي قدم هذه الهدية وتاريخ حدوث ذلك، ثم يعيد هذا الحيوان إلى صاحبه ويطلب منه أن يربيه له حتى يعود ويأخذه منه، ثم يعود إليه بعد فترة ليطلبه منه ويطلب من صاحبه أيضاً سداد ضريبة الإنتاج، والأشجار التي تسقط على الطرق الملكية أو حتى تبرز أو تميل قليلاً ناحيتها يتم قطعها وبيع أخشابها، وفي حالة وفاة أحد المرتزقة كان يفرض على أهله دفع دراخمة للسماح لهم بإخراج جثته من البوابة، وفي بعض الأحيان كانت هذه طريقة ممتازة لمنع الضباط من المطالبة برواتب الجنود الذين ماتوا بالفعل، وكان الليسيون يرتدون الشعر المستعار الطويل، فقام ماوسولوس بنشر أوامر كما لو كانت صادرة من الملك الأكبر يطلب فيها الشعر لعمل الأهداب

الكاذبة، وهكذا قام بفرض ضريبة على الرؤوس ليستخدم حصيلتها في شراء الشعر من اليونانيين!

تحالف اليونانيين مع المتمرد أرتابازوس Artabazus :

كان الأثينيون وبشكل طبيعي ينظرون إلى ماوسولوس في المؤامرات التي يحيكها مع حلفائهم على أنه ممثل عن الملك الأكبر أوخوس، وعندما أثبتت المحاولة التي قاموا بها لاسترجاع الجزر التي كانت متحالفة معهم بالقوة فشلها واضطروا إلى بدء مفاوضات مع الملك الأكبر، لم يكن من إيسوقراط، إلا أن اقترح القبول بشروط وبنود ذلك السلام الذي عرضه الملك عليهم والتي كان قد رفضها رفضاً قاطعاً في عام 380 وأدانها بشدة، ولكن الحكومة كان لها رأي آخر، حيث اقترح قادتها الاستفادة من مشاعر السخط المتنامية ضد بلاد فارس وقبول المبلغ السخي الذي اقترحه المتمرد أرتابازوس للحصول على مساعدة أثينا، وقد انتشرت إشاعات في كل مكان تقول إن أرتاكسركسيس (Artaxerxes) سوف يكون كسركسيس (Xerxes) آخر، وأنه يخطط لأن اليونانيين سوف يقومون باستعباد إخوانهم اليونانيين، حتى إن مروجي الإشاعات علموا أن 12 ألفاً من الجمال كانت محملة بالذهب وفي طريقها لشراء المرتزقة اليونانيين، ولكن وكما في أيام كسركسيس (Xerxes) فسوف تتم هزيمة البربريين بسهولة، وسوف يتم تدمير بلاد فارس هذه المرة بشكل نهائي.

ولقد أجاب ديموسثينيس Demosthenes على هذا المقترح في عام 354 من خلال خطابه الجديد أمام المجلس، ودعا بعض الخطباء إلى شن حملة عسكرية كبيرة على الفرس البربريين، ولقد كان ديموسثينيس مستعداً للإقرار بأن: «الملك الأكبر هو العدو المشترك لجميع اليونانيين»، ولكن أثينا لا تستطيع شن حرب ضده بمفردها، وخاصة في الوقت الذي لا زال فيه بعض اليونانيون أصدقاء له، هل كانوا متأكدين من أنه يعتزم القيام

بأعمال عدائية ضدهم؟ لقد أشار ديموستينيس من أنه تساوره بعض الشكوك عما إذا كان ماوسولوس هو في الواقع ممثلاً عن أوخوس، وهناك بعض الدويلات التي قد تنظم لأثينا، ولكن إذا بدأت أثينا الحرب ضد الملك الأكبر قبل أن يكون هذا واضحاً بدرجة كافية، فإن الملك الفارسي سوف يقوم برشوتهم وسوف يقبلون هم هذه الرشوة، وسوف تكون الحرب مع الملك الأكبر صعبة، لأنه على الرغم من أن أثينا لديها جنود أفضل إلا أن الملك الفارسي لديه مال أكثر، وقد يقاتل العديد من اليونانيين ضد المصريين أو ضد أروندیس Aroandes ولكنهم لن يقاتلوا ضد إخوانهم اليونانيين، كما أن أثينا لا تريد أن تمنح الملك الأكبر الفرصة للظهور بمظهر الحامي والمدافع عن اليونانيين.

لم يكن من المطلوب من المشاعر المؤيدة للفرس أن تظهر أو تعبر عن المنطق الواضح والبديهي الذي تقوم عليه المناقشة، ولكن وعلى الرغم من ذلك كان هذا الخطاب فاشلاً ولم يأتِ بأية نتيجة، فلقد قررت أثينا التحالف مع ذلك المتمرد وتم إرسال كاريس Chares لمساندته مع حلول نهاية تلك السنة، ولقد تم غزو فريجيا بعد تحقيق انتصار كبير على قوات الملك الأكبر، ولقد تم نهب وتدمير أراضي هذه المرزبانية التي كان يحكمها تثروستيس الأصغر (الابن) الموالي للفرس، ولقد كتب كاريس إلى أثينا رسالة وصف فيها هذه المعركة بأنها كانت نسخة مطابقة لما جرى في معركة ماراثون!

وعلى الجهة المقابلة، خسر أروندیس معركته الأولى مع الجيش الملكي، ولجأ إلى جبل تمولس حيث أقام معسكراً محصناً، ولقد تسلل خلال الليل مع مجموعة منتقاة من فرسانه وقام بتدمير إمدادات العدو الموجودة على الطريق المؤدي إلى ساردیس، ثم أرسل إشارة بالتقدم إلى المحاصرين، ولقد قام بهذه الطريقة بتحديد طريقة تنظيم قواته المنفصلة عنه بحيث تنقض كلا الفرقتين في وقت واحد على القوات

التي تحاصرهم، والذين تم تدميرهم بشكل كامل، ولقد قام في سايمي وبمساعدة عشرة آلاف من اليونانيين بهزيمة 10 آلاف من الفرسان كانوا تحت قيادة أوتوفراداتيس Autophradates ، وتلى ذلك بهجوم على إيفيسوس، ومن خلال قيامه بتسليح السكان المحليين هناك بأسلحة يونانية وإعطائه تعليمات لهم باللغة اليونانية من خلال مترجمين، نجح كاريس في إلقاء الرعب في قلب أوتوفراداتيس الذي كان قد زاد احترامه وتقديره للمرتزقة اليونانيين بحلول ذلك الوقت.

ولمقابلة ذلك أمر أوخوس بأن يتم حشد أسطول قوامه 300 سفينة، وأن يتم وضعه في خدمة أعداء أثينا، كما قام أيضاً بإرسال رسالة إلى الأثينيين يأمرهم فيها بسحب واستدعاء كاريس وإلا قام بشن حرب مفتوحة عليهم، ولقد كان اعتراض ديموستينيس مبرراً، وصدر الأمر إلى كاريس بأن يتوقف عن القتال لصالح المرزبانات المتمردين، وقبل مغادرته قام كاريس بعقد اتفاق بين أرتابازوس وتثروستيس، ثم نزل إلى الشاطئ ومكافأة له قام أرتابازوس بمنح لامبساكوس وسيجيوم لأثينا، ولقد كان على أثينا أن توقع معاهدة سلام مع حلفائها السابقين تعترف بمقتضاها بخسارة الآثار الأخيرة الباقية من إمبراطورية الجزر التي كانت تديرها عام 353، ولقد استمتع ديموستينيس بالفوز بحقيبة خاصة في البلاط من خلال هذا التغير في الموقف الذي تم فرضه على أثينا، وخلال رحلة أحد الوفود الذي كان مرسلاً من قبل أثينا إلى ماوسولوس قام أندروتيون Androtion واثنان من رفاقه بأسر سفينة مصرية كانت عائدة من نوكراتيس، وقاموا بإحضارها إلى المحاكم الأثينية، ولقد صدر الحكم بمصادرة هذه السفينة لأن مصر كانت ثائرة في ذلك الوقت ضد الملك الأكبر، وهكذا صارت أثينا الآن من أصدقاء بلاد فارس!

وبعد الإخفاق التام الذي وقع في عام 355، سارعت طيبة إلى أخذ مكان أثينا كحليف لأرتابازوس، وقامت بإرسال أفضل قائد لديها وهو

بامينيس Pammenes ليقوم بمساعدته وأرسلت معه خمسة آلاف جندي، ولقد تعرض المرزبانات الموالون للملك الأكبر للهزيمة في معركتين كبيرتين، وفي إحدى هاتين المعركتين رأى بامينيس أن الجانب الفارسي كان أقوى منه كثيراً؛ ولذلك قام بوضع قوة ضعيفة نسبيًّا في مواجهته وأمرها بأن تنسحب عند أول اشتباك إلى أرض وعرة كثيرة الأشجار، وقام هو مصطحباً معه أفضل فرسانه ومشاته بتطويق ميمنة العدو، وهكذا تمكن من هزيمة الجيش الفارسي بأكمله عام 345، ولكن أرتابازوس شك في أن قوات طيبة تتعامل في الخفاء مع المرزبانات الموالين للفرس؛ وذلك لأن بلدة طيبة كانت موالية للفرس بشكل مستمر، وبعد أن واجه بامينيس اتهامات بأنه يستميل الجنود من خلال الهدايا والغلال، غادر عائداً لمدينته بعد نقل القيادة إلى أخي المرزبان أرتابازوس المسمى «أوكسيثراس» عام 353.

ولقد واصل أروندااس Aroandas ثورته الناجحة، ولكن خسارة دعم طيبة قد أضعفت أرتابازوس إلى حد كبير لدرجة أنه اضطر بعد فترة قصيرة من ذلك إلى الاختباء عند الملك فيليب الثاني في مقدونيا (336-355)، وكان ضمن المنتفعين الآخرين لدى الملك فيليب -الذي تحرك بسرعة إلى الواجهة كالقائد المحتمل للحملة ضد بلاد فارس- سيسينيس Sissenes وكيل المرزبان المصري، وميناپيس المصري Minapis ، وفي هذه السنة نفسها 353 مات ماوسولوس وخلفه في حكم كاريا أخته-زوجته أرتميسيا، ولكن أخوه إدريوس أصبح هو المرزبان، وفي السنة التالية تم قتل كليرخوس Clearchus حاكم هيراقليا التي تقع على البحر الأسود، ولأن ابنه تيموثيوس Timotheus كان قاصراً، أصبح عمه ساتيروس Satyrus هو الوصي على العرش طيلة السنوات السبعة التي تلت ذلك (345-352)، ومن خلال هذه التغيرات وتغيرات أخرى مشابهة، تم تمهيد الطريق لشن هجوم أخير على مصر.

الفصل الثلاثون

استعادة السيطرة على نهر النيل

فترة الازدهار الأخيرة للفن المصري:

استعاد نخت-*هار-هيبي ثقة الكهنة واحترامهم من خلال القيام بالكثير من أعمال اقتلاع الحجارة، وكانت تلك الأعمال شبه متواصلة تقريباً، وقد تم اقتلاع قدر كبير من الحجارة من الجبل المقدس ونقله إلى أبيدوس لدرجة أنه بحلول السنة الخامسة من فترة حكمه، اضطر هذا الملك إلى إصدار مرسوم يقضي بمنع أية عمليات أخرى لاقتلاع الحجارة، وقد تم نقل أحجار الجرانيت الأحمر الجميلة من أسفل الشلال الأول عبر تلك الرحلة الطويلة حتى يصل إلى وادي الدلتا، وكان هذا النوع من الحجر مفضلاً بشكل خاص في أعمال إعادة البناء هذه، ويمكننا أن نرى اليوم هذه المنطقة وقد غطتها قطع من الحجر الجيري الأحمر والأسود التي تم تلميعها وصقلها بشكل جميل، والتي تم أيضاً ملأها بالرسوم البارزة والنقوش، وتثبت الآثار المتبقية من المباني أنه قد تم تشييد معابد ضخمة تضاهي تلك التي أنشأها ملوك الأسرة الثامنة عشرة.

ولم يتبقَّ من هذه الثروة من المباني سوى قطع متفرقة، ولكن حتى هذه القطع تعد كثيرة للغاية بحيث لا يكمن وصفها بتفصيل دقيق، حيث إن

سيبينيتوس العاصمة يمكنها أن تتفاخر بأحد الأضرحة الذي تم بناؤه من حجر الشست، أما مدينة بوباستيس Bubastis فتظهر فيها قاعة كبيرة من الكوارتزيت، وأضرحة من الجرانيت الأحمر والأسود، وتمثال من الشست الأسود يحمل نصوصاً سحرية وأشكالاً للآلهة، أما بالنسبة لباهبيت Bahbit -والتي من المحتمل أنها كانت مكان ميلاد الملك- فكان بها معبد ضخم للإلهة إيزيس، وتشير كتل السقف الهائلة الموجودة في مدينة فارباثوس إلى أنها كانت تحتوي على معبد آخر أكبر حجماً والذي تعرض للتدمير، وقد تم تكريم باست في بلبيس بإنشاء معبد له، وضريح من الجرانيت الأسود، وتم تكريم ثوث Thoth هو الآخر بتشييد مسلتين له في هليوبوليس، وقد وجد عمود أزرق من الحجر الجيري في تل المسخوطة والذي يحمل مشاهد تقديم القرابين إلى أتوم، وتمت تغطية أحد جانبي هذا العمود بطبقة رقيقة من الذهب، وتحتوي منف العاصمة القديمة لمصر على اثنين من المسلات الجديدة، وقام الملك خلال السنة الثانية من فترة حكمه بتشييد معبد للإله أبيس الحي، ويخبرنا عن مقدار الذهب والبخور وشراب الشعير الذي تم منحه لهذا الإله، وقد تم دفن العجل أبيس بجميع مظاهر الأبهة التي تليق به مرة خلال السنة الثانية ومرة ثانية خلال السنة الثامنة، وتم إعطاء تونا ضريحاً من الجرانيت الوردي، وتحتوي ميت رهينة على مبنى آخر، ويوجد بإهناسيا ضريح من الجرانيت الأحمر، وهناك مسلة من الجرانيت البني في كوبتوس، وقد حفظت أبيسدوس لنا مجموعة من التماثيل التي أمر بنحتها ملوك الأسرة الثامنة عشرة.

وزعم الإطار الزخرفي الموجود في معبد الكرنك والذي يحمل اسمه -بشكل غير صادق- أن أميراتوس الثاني هو الذي أضاف البوابة إلى معبد مونتو، على الرغم من أن معابد خونسو وموت قد تم ترميمها وصيانتها، وكانت إدفو تتمتع بضريح من الجرانيت فائق الجمال لدرجة أنه

ظل مستخدماً خلال عهد البطالمة، وقد تم تزويد المعبد الموجود في الكاب بكورنيش، وتم أيضاً إنشاء معبد للإلهة خانوم في فيلة، ويجب أن يجوب الواحد منا وادي النيل من أقصاه إلى أقصاه حتى يدرك كيف أن هذا الفيض الأخير من المباني المصرية التي شيدها أحد آخر الفراعنة قد زين الأراضي المصرية بكاملها.

وقد تكررت هذه القصة نفسها في الصحراء الغربية، فلقد تم بناء بوابة كبيرة جديدة في الواحدة الكبيرة، وفي ضريح آمون الأكثر شهرة -والذي سيقوم الإسكندر بزيارته بعد ذلك بفترة قصيرة- قام أمير الواحة وين آمون ببناء معبد الوادي «أومابيدا» من أجل نخت-هار-هيبي «الذي أراح قلوب الآلهة وقام بوضع القوانين المحلية»، ونحن لم نسمع شيئاً عن تكاليف كل أعمال البناء هذه، ولكن يبدو على الأقل أن مصر كانت في حالة رخاء خلال تلك الفترة، كما أنه من الأفضل كثيراً أن تذهب أموال الضرائب إلى أعمال البناء والتشييد المحلية من أن تذهب إلى خزانة ملك أجنبي يقيم على بعد آلاف الأميال، وقد استحق نخت-هار-هيبي ذلك التابوت الحجري المصنوع من أحجار البريشة الخضراء، والذي يوضح الأقسام الاثني عشر من الدوات Duat ، كما أنها توضح أيضاً 37 صورة من الصور السبعين للإله رع، على الرغم من أنه لم يكن من المقرر مطلقاً أن يكون هذا التابوت هو مرقده ومكان دفنه.

وهناك أدلة أخرى على هذا الاهتمام المتجدد بالمصادر والكتابات القديمة، وقد وصلت إلينا نسخة من كتاب الموتى الشهير تعود إلى عهده، كما وصلت إلينا أيضاً مجموعة من البلاطات الحجرية التي تعود إلى تلك الفترة، والتي تشتهر بنصوصها السحرية ومشاهدها التصويرية، وقد تم تصوير التقاليد الجنائزية التي كانت متبعة خلال هذه الفترة على مقبرة دجدهور Diedhor وأسرته في أبيدوس، ودجدهور هذا الذي توفي عندما كان أوخوس يبدأ غزوه الأخير، كان رجلاً جديداً لأن والديه لم يكونا

يحملان أية ألقاب، أما هو فقد جمع العديد من الألقاب، حيث إنه أمير بالوراثة، والصديق الوحيد المحبوب والمشرف على مصر السفلى، والمفتش على الأراضي والمشرف على الأرض، والذي عظمه الملك ورفع من شأنه لحكمته، والذي جعل سيد الأراضين غنيًّا، وقد عينه الملك كبيراً للنساخ وللكتبة، وهو رجل يحسب ويعامل كل شيء بطريقة رسمية، في الوقت الذي ملأ فيه أذني حورس بالحقيقة، وعندما توفى في السنة الخامسة عشرة، اقترح الكاتب الملكي الخاص بالغرب (مدينة الموتى «المقبرة») من خلال قائد الحامية في سيلي Selle -وهو دليل جيد على أن الملك كان يقود حملة على الجبهة الآسيوية في عام 344- أنه يجب أن يتم إضفاء القداسة على كبير الكتبة في العالم الآخر، وأنهم يجب أن يقوموا بجميع الاستعدادات التي كان يتمناها من أجل تحقيق الخلود، ولقد تم دفن قزمه معه، والذي كان يسمى دجدهور هو الآخر، والذي رقص في يوم عيد الآخرة، وفي يوم عيد موتي أبيس منف سيرابيوم بالقرب من بحيرة هليوبوليس المقدسة.

ضريح هاليكارناسوس:

في حين أن خط المعابد الذي يمتد على طول الجزء السفلي من مجرى النيل بأكمله يعكس فترة الازدهار الأخيرة للفن المصري المحلي الخالص، إلا أن البناء الضخم الذي تم تشييده في هاليكارناسوس بأمر من أرتميسيا Artemesia لتكريم زوجها-أخوها يستشرف مراحل أخرى من الحضارة الهلينية القادمة، والمهندسان اللذان صمما ونفذا هذا البناء هما ساتيروس Satyrus وتلاه بايثيس Pytheas الذي ألف كتاباً حول بناء هذا الصرح وعملية تشييده، ولقد كان هذا البناء شكليًّا هو مقبرة جنوبي غرب آسيا الصغرى القائمة بمفردها، والتي تم بناؤها تبعاً للأساليب القديمة على قاعدة مربعة الشكل، وتتكون من ثلاثة طوابق، وتوجد على قمتها عربة

النصر الخاصة بماوسولوس والتي تشدها أربعة أحصنة، وقد كان الطابق الثاني هو ما جعل ذلك الضريح الموجود في هاليكارناسوس أحد عجائب الدنيا السبع التي كانت موجودة في العالم القديم، والذي جعل اسمها أحد الأسماء الشائعة للأجيال التالية؛ لأنه كان يوجد بين أروقته المعمدة تماثيل قام بنحتها أشهر النحاتين الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت، فلقد عُهد إلى سكوباس Scopas بصنع التماثيل الموجودة في الجهة الشرقية، وعُهد إلى بريا برياكسيس Bryaxis بصنع تلك التماثيل الموجودة في الجهة الشمالية، وإلى ليوخاريس Leochares بتلك الموجودة في الجهة الغربية من الضريح وإلى تيموثيوس Timotheus بالتماثيل الموجودة في الناحية الجنوبية.

ولقد تم الاحتفاء بهذا الضريح المخصص لماوسولوس أيضاً بعقد مسابقات لجميع الألعاب الرياضية التي تربط الهلينيين، وقام ثيودكتيس المنتمي إلى فاساليس Theodectes of Phasaelis بعرض مسرحية تراجيدية تحمل اسم الملك المتوفى، وتم -بالإضافة إلى ما سبق- عقد مسابقة لكتابة الخطبة الجنائزية التي سيتم إلقاؤها تكريماً للملك القوي المتوفى، ويقول البعض أن من فاز بالجائزة هو المؤرخ ثيوبومبوس Theopompus ، بينما يقول آخرون أن من فاز بها هو نوكراتيس المنتمي إلى اريثراي Naucrates of Erythrae .

فشل الحملة المصرية الأولى:

كان أوخوس يعمل خلال هذه الأثناء على بناء جيش هائل في إصرار على غزو مصر، وعلى أمل الحصول على مرتزقة في المستقبل، قام أوخوس بمنح معونة لأهل بلدة طيبة لإنهاء حربهم المقدسة ضد الفوقيين، ولقد حصل نخت-هار-هيبي Nekht-har-hebi هو الآخر على عدد جديد من المرتزقة اليونانيين تحت قيادة الأثيني ديوفانتوس

Drophantus والإسبرطيان لاميوس Lamius وجاسترون Gastron ، ولقد حقق أوخوس بعض النجاح في البداية، ونجح في الاستيلاء على فينيقيا، ولقد تعرض ستراتو حاكم صيدا لهذا المصير بسبب تحالفه مع مصر، وتبعاً لمنظور الفرس ورواياتهم فقد أصر على الانتحار، ولكن مظاهر الرفاهية اليونانية التي كان يعيشها قد أضعفت شجاعته، وكانت زوجته هي التي استبقت المصير المخيف الذي واجهه هو وقتلت نفسها، وتم تعيين تينيس Tennes خلفاً له، وتظهر صورته على العملات التي أصدرها وهو يمشي على قدميه خلف عربة سيده في خنوع واستسلام.

ولكن غزو مصر وفتحها لم يكن بهذه البساطة، ونحن نسمع عن أحد المشاهد من هذه الحملة وهو أن جاسترون Gastron قد قام بتبادل للأسلحة بين المصريين واليونانيين حتى يقوم الفرس بالقتال بشجاعة أمام اليونانيين، وكيف أنهم فروا أمام الجنود المحلين المسلحين بأسلحة يونانية، وأخيراً وبعد حملة استمرت عاماً كاملاً 350-351 اضطر أوخوس إلى التراجع، ولقد أمر خورس في عاصمته بإنشاء تمثال له يقف بين قدمي صقر عملاق يمثل الإله حورس، ويفخر نخت-هار-هيبي في النقش المصاحب للتمثال بأنه هو حامي حمى مصر الذي صد القوات الغازية المرسلة من الأمم الأجنبية وضرب الأقواس التسعة.

أرتميسيا Artemesia ملكة هاليكارناسوس:

على الرغم من أن إدريوس Idrieus بوصفه مرزبان كاريا قد احتكر عملية سك العملات، إلا أن أرتميسيا نفسها كانت هي الحاكمة الفعلية لهذه البلاد، كما أنها حظيت باعتراف جميع معاصريها كحاكمة على كاريا، ولقد كان حكمها يتسم بالقوة والشدة، فقد تمكنت من استعادة سيطرتها مرة أخرى على مدينة هيراقليا الواقعة على جزيرة لاتموس Latmus ، وذلك من خلال جنود مختبئين في الوقت الذي تدفق سكان

المدينة بأكملهم لمشاهدة الملكة التي كان يصاحبها خصيانها، والنساء، والزمارين، والضاجين الذين كانوا يسيرون في موكب متجهين نحو بستان أم الإلهة الذي يبعد عن هذه المدينة بميل واحد.

ويبدو أن تولي امرأة الحكم في هاليكارناسوس قد صور لقادة رودس أنه لا يستطيعون فقط استعادة حريتهم، ولكن أيضاً أنه بإمكانهم الاستيلاء على هاليكارناسوس نفسها، ولقد التمسوا المساعدة من أثينا التي صارت مؤخراً عدوة لهم، وقد لبى ديموستينيس Demosthenes طلبهم وتبنى قضيتهم، فقد قام بعد تراجع أوخوس عن غزو مصر بفترة قصيرة بالظهور أمام المجلس في أثينا، وألقى خطبة عبر فيها عن تعجبه ودهشته من المنظر الغريب لأولئك الرجال المتلهفين لمحاربة الفرس بالنيابة عن مصر، وقيامهم بعد ذلك برفض تقديم المساعدة لرودس، ونتيجة لأن الملك الأكبر قد فشل في الاستيلاء على مصر، فإن أرتميسيا لن تحاول غزو رودس.

وقد قام ديموستينيس بالسخرية من هؤلاء الرجال الذي كانوا متلهفين للغاية لمحاربة الفرس في مصر، ثم رفضوا مساعدة رودس عندما عادوا، ولكن أرسطو فكر بطريقة مختلفة، وكمثال نموذجي على المنطق السليم، استشهد بهذه المناقشة: «يجب أن نستعد لمحاربة الملك الأكبر ومنعه من الاستيلاء على مصر، لأن دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) لم يقوما بمهاجمة اليونان إلا بعد أن استتبت لهم الأوضاع في مصر؛ ولذلك فإنه إذا تمكن أوخوس من غزو مصر، فسوف يقوم هو الآخر بمهاجمة اليونانيين»، وتكشف هذه الحجة بشكل كامل عن الاستنباط الخفي المختبئ في هذه الخطبة، والشيء الذي كان قاتلاً وخطيراً بدرجة أكبر هو أن ديموستينيس لم يكن يعرف أرتميسيا، وعندما وصل جنود رودس الذين كانوا مفرطي الثقة بالنفس أمام هاليكارناسوس أمرت أرتميسيا السكان بالتظاهر بالاستسلام، وكانت

سفن رودس قد رست بالفعل ونزل منها الجنود وأخذوا يقومون بنهب السوق، عندما ظهر الأسطول الكاري المخبأ من أحد القنوات الصناعية المؤدية للمرفأ السري، حيث قام هذا الأسطول بالاستيلاء على الأسطول الروديسي الخالي من رجاله، وفي خلال ذلك قام الرماة بإطلاق وابل من سهامهم من على الأسوار الممتدة على طول الواجهة البحرية على الغزاة فأردوهم قتلى، ثم أبحرت أرتميسيا في سفن أسطول رودس التي تشغلها أطقم كارية والمكللة بأكاليل الغار تعبيراً عن النصر، وقد دخلت هذه السفن إلى الميناء قبل أن يتم اكتشاف الخدعة، وقامت أرتميسيا بإعدام قادة الجزيرة وصنعت تمثالين: واحد لها والآخر لرودس موسومة بعلامة العبودية.

ثورة صيدا:

أدت تلك الانتكاسة التي تعرض لها أوخوس إلى اندلاع موجة واسعة النطاق من الثورات، وقد كانت صيدا مقر القوات الغازية قد تعرضت لكثير من المضايقات والتصرفات الوقحة من الجنود الفرس، وقد قام تينيس الآن بمعاقبة المسيئين، وطرد أفراد الحامية، وقام بحرق إمدادات الفرسان المكومة تحسباً لأية محاولة غزو جديدة، كما قام تينيس Tennes أيضاً بقطع الأشجار الموجودة في «الضيعة» الملكية التي تقع على المنحدرات الشرقية حول أحد القصور، والذي لا زالت تيجان أعمدته الضخمة التي تم نحتها محليًّا موجودة حتى الآن.

ولقد قام الأركاديون مؤخراً بتأسيس وإنشاء مدينة ميجالوبولس لتكون عاصمة لرابطتهم الفيدرالية، والشيء المثير للدهشة هو أنهم قاموا بإنشاء مقاطعة فيدرالية جديدة ليلتقي فيها ممثلوهم، ولقد قامت مدن أرفاد، صيدا، وصور الفينيقية قبل ذلك بكثير بدمج ثلاث قرى صغيرة مع بعضها (والتي كان يعرفها الآشوريون بمهالاتا، مايسا، كايسا)

لتشكيل مدينة أرثار Arthar التي كان يسميها اليونانيون ترايبولس (طرابلس)، وفي هذه المدينة أيضاً كانت تلتقي وفود المدن الفينيقية، ومن الواضح أن هذه الكلمة اليونانية (ترايبولس) قد أصبحت تطلق الآن على سانبدرين، حيث إن اليهود أصبحوا يطلقون عليها هذا الاسم فيما بعد.

ولقد التقى الآن نواب المدن الفينيقية في ترايبولس وقرروا القيام بثورة، ولقد تمكن أهل صيدا بالاستعانة بثرواتهم الهائلة من جمع عدد كبير من السفن ثلاثية المجاديف واستأجروا قوة كبيرة من المرتزقة، وقد تعرض نيكوكليس Nicocles للقتل في مملكة سلاميس المجاورة، ومن المفترض أن أخيه إيفاجوراس الثاني كان هو المسؤول عن ذلك، فلقد أصبح خليفة له، ولقد ظل إيفاجوراس طوال أربعة سنوات يسك عملات تحمل اسمه مكتوباً بصورة مختصرة باللغة الفينيقية، ولقد كانت تصميمات هذه العملات تشتمل على المُدافِع، والنجم، أو الملك الأكبر وهو يقاتل أحد الأسود أو راكباً عربته الملكية أمام إيفاجوراس عاري الرأس، ثم قام فرد آخر من أفراد العائلة وهو بنيتاجوراس Pnytagoras بطرده من سلاميس ومطاردته حتى لجأ إلى كاريا، ولقد حذا ملوك مدن قبرص التسعة حذو الفينيقيين وأعلنوا استقلالهم عن بلاد فارس، كما اشتركت أيضاً أجزاء من كيليكيا في هذه الثورة.

الملك فيليب الثاني ملك مقدونيا:

لقد ظل أروندااس مستمراً في ثورته ضد الملك الأكبر، ولقد كرمته أثينا في عام 349 بأن جعلته أحد مواطنيها، كما أعطته أيضاً تاجاً من الذهب؛ وذلك لأن هذه المدينة (أثينا) قد عقدت معه اتفاقية تجارية تصب في مصلحتها كثيراً، ولقد كان يوبولس Eubulus حاكم إشوس يملك خصيّاً اسمه هرمياس Hermeias والذي قام بإرساله إلى أثينا ليتعلم

الفلسفة على يد كل من أرسطو وأفلاطون، وعقب عودة هذا الخصي من أثينا، قام برد إحسان سيده إليه بأن ذبحه وحكم إشوس مكانه، ولم يجد أرسطو -معلم الاسكندر ابن فيليب الثاني- أي عيب في أن يلتمس كرم الضيافة في بلاط هذا الخصي، وانتهى به الأمر إلى أن تزوج من ابنة أخي هذا المرزبان، وقد وصل أيضاً فيلسوف آخر وهو زينوقراط Xenocrates يشارك في الاستفادة من كرم وعطايا هذا الوالي.

وفي أوائل عام 346، تم عقد هدنة بين الأطراف المتحاربة في القارة اليونانية من خلال سلام فيلوكراتيس Philocrates ، ولقد تم الاعتراف بفيليب كالملك الأبرز من بين جميع ملوك الجزء الأوروبي من بلاد اليونان، ولقد أسرع إيسوقراط Isocrates إلى نشر كتابه أو خطبته المعنونة بـ«فيليبوس» والتي حث فيها الملك المقدوني على مواصلة فتوحات وغزوات شعوب موطنه من خلال قيادة حملة طال انتظارها ضد الجيش البربري، كما أعلن أيضاً أن الوقت مناسب جدًّا لتنفيذ هذا الأمر، فقد كانت مصر لم يتم فتحها بعد، هذا بالإضافة إلى أن كلاً من قبرص وفينيقيا وكيليكيا كانوا في حالة ثورة ضد الفرس، والآن وبعد أن ماتت أرتميسيا يمكن أن يتم إقلاع إدريوس (350-344 Idrieus) بتغيير ولائه للفرس وهو الولاء الذي كان مشكوكاً فيه، ولقد كان هذا الرجل هو الأكثر غِنى من بين جميع ملوك القارة، ولقد دفع هذا المؤلف الخبير بالشؤون العامة إلى أن يسجل هذه الملاحظة التي يقول فيها بمرارة شديدة إنه كان من العار أن نلاحظ كيف أن آسيا كانت أفضل حالاً في النواحي المادية من أوروبا، وكيف أن البرابرة الفرس كانت ظروفهم الاقتصادية أكثر ازدهاراً من اليونانيين.

ولقد أصبح إدريوس في الوقت الحالي بالفعل صديقاً لليونانيين الذين يعيشون في الجزء الأوروبي من بلاد اليونان، وفي تلك السنة -وللمرة الأولى منذ أن تم تحرير دلفي من أعمال النهب التي كان يقوم

بها الفوقيون، وأصبحت مفتوحة مرة أخرى لاستقبال الهدايا من العالم الخارجي- قام الملطيون بإهداء تماثيل من البرونز إلى هيكل أبوللو البيثيادي، وهذه التماثيل هي لسيدهم الأعلى إدريوس وأخته-زوجته أدا، والتي نحتها لهم النحات البارع ساتيروس، بالإضافة إلى تماثيلهم وأسمائهم توجد أيضاً صورة بارزة للإله زيوس إله أرميس تم إرسالها من قبل لابروندا، ولقد تم صنعها في تيجيا.

ولقد كان فيليب يفكر فعلاً وبجدية كاملة في توحيد اليونانيين الأوروبيين ضد العدو المشترك لهم، ولكنه كان حريصاً كل الحرص على ألا يكشف أمر هذه الحملة قبل أن يقترب من تحقيق هذه الوحدة في بلاد اليونان، وعلى الرغم من ذلك فلقد قدم إشارات واضحة عما كان يعتزم فعله عندما قام بإنشاء فيليوم في أولمبيا تكريماً لشخصه، فاستدعى جميع الفنانين المشهورين لتزيينه وزخرفته، والذين كانوا قد وجدوا عملاً مربحاً لهم في كاريا، ومن المحتمل أن إدريوس لم يكن راضياً عن فقدان هؤلاء الفنانين، وعلى العكس من إيسوقراط، فإن أندروتيون Androtion لم يكن واثقاً في الكاريين، حيث إنه كأحد الخاضعين لبلاد فارس، كان إدريوس ككلب تم تحريره من السلاسل، وكما ينقض الكلب على رجل ويعضه، فإن هذا هو ما فعله إدريوس عندما تم تحريره من قيود الفرس حيث أصبح خطيراً، ولقد كان أدروتيون محقاً، حيث إنه قبل أن ينتهي هذا العام، كان إدريوس قد استجاب ليس إلى إغراء فيليب ولكن إلى أوامر سيده، فلقد أحضر معه إلى سيده أربعين من السفن الكارية ثلاثية المجاديف وثمانية آلاف من المرتزقة يقودهم فوسيان الأثيني! وهكذا أصبح هناك الآن قادة أثينيون عن كلا الطرفين المتحاربين! ولقد نعمت ممالك جزيرة قبرص المتمردة بالسلام لبعض الوقت، ويتوقع أيضاً أن هذه الممالك قد حصلت على غنائم كثيرة، وسرعان ما تضاعف عدد المرتزقة، والشخصية النموذجية

التي تصور حال قبرص خلال هذه الفترة هو بطل مسرحية أثينفانيس «الجندي» حيث إنه يتفاخر بأنه كان في قبرص بطول فترة الحرب، وقيل إنه كان يعيش في رغد ورفاهية وفي بافوس.

إعادة غزو فينيقيا:

في بداية عام 345، قام أوخوس بحشد جيش هائل في بابل وزحف باتجاه صيدا، ولقد قام سكان مدينة Tke بإرسال أموالهم إلى خارج المدينة، وقاموا بحفر خندق ثلاثي حول مدينتهم زادوا من ارتفاع الأسوار، ولقد قام أهل صيدا بجمع ما يزيد على المائة سفينة ليس فقط من السفن ثلاثية المجاديف، ولكن أيضاً من السفن خماسية المجاديف التي تم اختراعها حديثاً، والتي تحتوي على خمسة صفوف من المجاديف، ولكن تآمر كل من منتور وتينيس لخيانة المدينة، بينما كان يقوم أهل المدينة بإخراج كبار المدينة وإرسالهم مجموعة تلو الأخرى ليقوم الفرس المنتظرون خارج المدينة بذبحهم، ولكن عندما هرب تينيس نفسه ليحصل على جائزته التي كان ينتظرها، لم يجد سوى العقاب الذي ينتظر كل خائن منبوذ، ولقد قام أهل فينيقيا الذين تعرضوا للخيانة بحرق سفنهم وحبسوا أسرهم في منازلهم وقاموا بإحراقهم، وهكذا فإن أوخوس لم يجد سوى ما تبقى من أطلال وركام هذه المباني ليبيعه للمضاربين الذين دفعوا له العديد من الطوالي في مقابل الحصول على حق التنقيب والبحث من الذهب والفضة المصهورين، ولقد وصلنا أحد الألواح البابلية ينص على: «في السنة الرابعة عشر من حكم الإمبراطور أخوس، والذي كان يحمل الاسم الملكي أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، وفي شهر أكتوبر من ذلك العام دخل السجناء الذين أسرهم الملك في صيدا- إلى كل من بابل وصوصا، وفي ذلك الشهر، دخل في اليوم الثالث عشر (23 أكتوبر من عام 345) عدد من الجنود

الأسرى إلى بابل، وفي اليوم السادس عشر دخلت النساء العديدات اللاتي قد أرسلهن الملك إلى بابل-إلى قصر الملك»، ويقدم هذا اللوح وصفاً حيًّا للمعاناة التي كانت تتعرض لها النساء في ظل الترحيل القديم، حيث إن هؤلاء السيدات قد دخلن القصر ليس للتكريم ولكن كعبيد.

ولقد قام أوخوس Ochus بعد ذلك بإعطاء منصب المرزبان في فينيقيا إلى مازيوس، وأضاف إليه أيضاً مرزبانية كيليكيا، ولقد قام مازيوس باستبدال نماذج الأشكال السابقة التي كانت مستخدمة على عملاته الكيليكية بشكل فرس يوناني يلتهمه أسد آسيوي أو ثور، ويتضمن أحد الأشكال الأخرى جداران ذوي شرفات منفرجة يظهر من كل واحد منهما أربعة أبراج، ولقد قيل إنهما هما البوابات الكيليكية، ولكن يرجح أنهما يمثلان طرسوس نفسها، وتقول النقوش الموجودة على القطع النقدية «مازداي الذي تولى أمر أبارنهارا وهيليك»، ولقد تم إصدار بعض العملات التي تحمل نقوشاً مكتوبة باللغة الآرامية في كل من طرسوس وإشوس ومالو، ولكن تمت إضافة نقوش يونانية لتلك العملات التي تم سكها في مالوس، ولقد قام مازيوس باستخدام صورة السفينة الشراعية التي تتميز بها صيدا والتي استخدمها ملوك صيدا السابقون من السنة السادسة عشرة (343) وحتى نهاية فترة حكم أوخوس.

نهاية الإمبراطورية المصرية الأخيرة:

لقد ظهر مبعوثو أوخوس في الدويلات اليونانية الرئيسة مطالبين باستئجار المرتزقة، ولقد رفضت كل من أثينا وإسبرطة -اللتين كانتا لا يزال قادتهما في مصر- تقديم المساعدة، ولكن أثينا قد أعقبت رفضها بأنها ترغب في أن تظل في حالة سلام مع الملك الأكبر بشرط ألا يقوم بمهاجمة المدن اليونانية، ولكن بلدة طيبة قامت بإرسال ألف جندي تحت قيادة لاكراتيس Lacrates ، كما قامت أرجوس بإرسال ثلاثة آلاف رجل

تحت قيادة نيكوستراتوس Nicostratus في حين جمع الملك الأكبر ستة آلاف رجل من مدن آسيا الصغرى اليونانية وكان يقودهم الخائن منتور 344) Mentor)، ولقد كان يقود القوات الفارسية روساسيس Rosaces الذي ينحدر من نسل أحد السبعة، والذي كان يشغل في ذلك الوقت منصب مرزبان أيونيا وليديا، كما كان يقود الفرس أيضاً أرمنازانيس Aristazanes ، ولقد عمل باجوس Bagoas -كبير الخصيان- كالقائد الأعلى للجيش، ولقد كان أوخوس يقوم شخصيًّا بتوجيه ذلك الجيش.

وبعد أن فقد الملك الأكبر جزءاً كبيراً من جيشه في باراثرا، وصل أخيراً إلى بيلوسيوم Pelusium والتي وجد أن فيلوفون Philophon متأهب للدفاع عنها على رأس خمسة عشر ألفاً من اليونانيين، وعندما عجز أوخوس عن السيطرة على هذا المعقل في اليوم الأول من القتال، قام بتقسيم القوات الغازية، حيث ترك فرقة تحت قيادة كل من لاكراتيس Lacrates وروساسيس لتقوم بمحاصرة هذا الحصن الحدودي، كما وضع نيكوستراتوس وأرستازانيس Aristazanes على رأس فرقة أخرى، وظل الجسم الرئيس للجيش تحت قيادة منتور وباجوس Mentor & Bagoas ، ولمواجهة الفرس، قام نخت-هار-هيبي بحشد عشرين ألفاً من اليونانيين، والعدد نفسه تقريباً من الليبيين، وستين ألفاً من المصريين، كما قام أيضاً بحشد أسطول ضخم من القوارب في النيل والذي كانت تمتد على طول ضفته الغربية سلسلة من الحصون، وكانت المقاومة قوية للغاية، ومن المؤكد أنها نجحت -كما حدث في الماضي- في صد الغزاة ووقف تقدمهم، ولكن كل هذا كان بلا فائدة؛ لأن قادة المرتزقة -الأثيني ديوفانتوس Diophantus والإسبرطي لاميوس Lamius عجزا عن إقناع الفرعون المصري بتكتيكاتهما المقترحة، فعلى العكس من نصيحتهما التي تدعو إلى المبادرة بشن الهجوم على الفور، صمم نخت-هار-هيبي على الانتظار حتى تغرق مياه الفيضان الدلتا، حيث إنه كان واثقاً من أن

المنسوب المتزايد للمياه سوف يجبر العدو على التراجع عن أراضي الدلتا المغمورة بمياه الفيضان كما حدث في المرة السابقة.

والسبب وراء هذه الثقة هو وعد من إله الحرب أونوريس بأنه سوف ينقذ مصر المهددة بخطر الغزو، وقد أشارت إليه إحدى القصص الشعبية التي لم تصلنا سوى من خلال الترجمة اليونانية الموجودة على إحدى أوراق البردي والتي تعود إلى تاريخ تالٍ لهذه الفترة، ونحن نعرف من هذه البردية أنه في ليلة الثالث والعشرين من شهر فارموثي- وهي ليلة اكتمال القمر- قام الملك نكتانيبو الذي يقيم في منف بتقديم قربان، وطلب من الآلهة أن تكشف له المستقبل، وتثبت الجداول الفلكية الحديثة أنه خلال هذه السنة من حكم نخت-هار-هيبي كان اكتمال القمر في شهر فارموثي يقابل الخامس من يوليو عام 343، وهكذا فإننا قد حصلنا ليس فقط على تاريخ هذه السلسلة المحددة من الأحداث ولكن في الواقع قد حصلنا على المفتاح للوصول إلى التقويم الشامل والتواريخ المحددة للأحداث التي وقعت خلال الفترة التي استقلت فيها مصر عن إمبراطورية فارس في القرن الرابع ق.م، وتمضي تلك القصة الفولكلورية لتخبرنا أنه -في الحلم الذي راوده كإجابة على طلبه- رأى نكتانيبو Nectanebo طوقاً أو عوامة من البردي والتي تسمى في مصر رومبس تبعاً للمفردة التي استخدمها المترجم، وأن هذا الطوق رسى في منف، وعلى هذا الطوق كان يوجد عرش كبير تجلس عليه الإلهة إيزيس الجديرة، المانحة للفواكه، سيدة الآلهة، وقد كان جميع الآلهة يقفون بجوارها، على اليمين وعلى اليسار، وتقدم أحد الآلهة والذي كان يبلغ طوله 20 ذراعاً إلى المنتصف، وقد ذكر اسمه باللغة المصرية أونوريس Onuris ، أما باللغة اليونانية فقد تم استخدام الاسم مارس، ولقد استلقى هذا الإله على بطنه وقال ما يلي: «تعالى إليّ يا إلهة الآلهة، أنت يا من تملكين القوة الأعظم ويا من تحكمين هؤلاء الموجودين في الكون وتمنحين الحياة

لجميع الآلهة، ارحميني يا إيزيس واستمعي إليّ! فلقد قمت برعاية أرض مصر كما أمرت بدون تقصير، وقمت بعمل كل ما يحتاجه نكتانيبو الملك ساموس الذي قمت بتنصيبه ملكاً على مصر، ولكنه أهمل معبدي، ولم يلتزم بأوامري، وبدون معبدي سوف أكون أنا والأعمال الإنشائية في قدس الأقداس المسمى فيرسو (بيرشو «بيت شو»)، سوف نكون غير مكتملين بسبب شر هذا الحاكم» ولم ترد الإلهة على ما قاله.

ولقد استيقظ نكتانيبو وسارع باستدعاء الكاهن الأكبر والمتنبئ الخاص بأنوريس من منطقة سيبينتوس الداخلية، والتي كانت لا تزال تحت سيطرة مصر في هذا اليوم وهو يوم 6 يوليو من عام 343، وقد أخبروه أن الوضع لم يكن بهذا القدر من السوء الذي بدا عليه في الحلم، حيث إن كل شيء قد تم الانتهاء من تنفيذه باستثناء نقش الحروف المقدسة (الحروف الهيروغليفية) على الجدران الحجرية، وحتى الآن فمن الواضح أنه لدينا استرجاع لحلم فعلي أو وحي وعد أونوريس من خلاله بمساعدة مصر، ولكن يبدو أنه قد تم توقع الكارثة القادمة بالفعل في الرؤية الحالية، ولقد دخلنا الآن إلى عالم من القصص الفولكلورية الخالصة، فلقد قام الملك في عجلة بالكتابة لاستدعاء هؤلاء الفنانين الذين يتسمون بالمهارة في حفر النقوش المقدسة، وحينما وصلوا إلى بلاطه، سألهم نكتانيبو عمن يستطيع إنهاء هذه المهمة في أسرع وقت ممكن، وقد وقف بيتسيوس Petesius -ابن إرجيوس Ergaeus والمنتمي إلى مدينة أفروديتوبولس- وأعلن بتواضع أنه قادر على إكمال هذه المهمة في أيام معدودة، ولقد أجمع رفاقه بالكامل على أنه قادر فعلاً على تنفيذ ذلك، حيث إنه لم يكن هناك في بر مصر كله من يضاهيه أو حتى يقترب منه في المهارة؛ ولذلك قام نكتانيبو بإعطاء بيتيسيوس Petesius الكثير من المال، وغادر بيتيسيوس متجهاً لسيبينيتوس.

ونظراً لأن بيتيسيوس كان مدمناً للخمر بطبيعته، فقد قرر أنه يتعين

عليه أن يستمتع قليلاً قبل أن يبدأ في تنفيذ هذا العمل، وهكذا فقد تصادف أنه بينما كان يمشي حول الأجزاء الجنوبية من المعبد، قابل ابنة أحد صناع الخمور والتي كانت أجمل فتاة وقعت عليها عيناه، وعند هذه النقطة أحس التلميذ الناسخ الذي كان ينسخ هذه القصة بالتعب والملل، وبدلاً من أن يرضي فضولنا المتزايد فيما يتعلق بالتطورات التي تلت ذلك في القصة الرومانسية للنحات، اكتفى برسم صورة ساخرة لبطلنا هذا، هل تعزو هذه القصة الفولكلورية نفور إله الحرب المحلي ورفضه الذي تلى ذلك لحماية مصر فقط إلى هذه العلاقة العاطفية البائسة للنحات وعدم تمكنه من إكمال النقوش الهيروغليفية في الوقت المحدد؟ لا نستطيع تحديد ذلك، ولكن من المؤكد أن تأخير نخت-هار-هيبي لغمر الدلتا بالمياه كان خطأً قاتلاً، حيث إنه قبل أن تبلغ مياه الفيضان الدلتا والتي كانت ستنقذ مصر من هذا الغزو، كان نيكوستراتوس مع ثمانين من السفن ثلاثية المجاديف قد شق طريقه إلى مؤخره الجيش المصري، وقام سيلينياس Cleinias بمهاجمة هذه القوة التي كانت تطوق الجيش المصري، ولكنه لقي مصرعه ومعه خمسة آلاف من اليونانيين، وقد قام نخت-هار-هيبي بالتخلي عن الدلتا والتراجع إلى منف، ووعد منتور جنود حامية بيلوسيوم -الذين صاروا وحيدين الآن- باستسلام يحفظ لهم كرامتهم إذا تخلوا عن القتال لكنه هددهم بمصير صيدا إذا استمروا في المقاومة، وقد نشأ صراع بين المصريين واليونانيين حول مسألة الاستسلام وانتهى بأن تخلي المرتزقة لليونانيين عن التزاماتهم نحو الرجل الذي يدفع أجورهم والذي أخذ يتقهقر بقواته، وأسرعوا إلى الموافقة على شروط الاستسلام السخية.

وقد تصارع الفرس واليونانيون حول الغنائم، وعقب تسريح بوباستيس Bubastis ، وصل المرتزقة اليونانيون إلى أن قاموا بسجن باجوس Bagoas نفسه والذي لم يتمكن من النجاة إلا بتدخل من منتور

شخصيًّا، ولكن قامت المدن شيئاً فشيئاً بعقد اتفاقيات للاستسلام مع الفرس، وقام نخت-هار-هيبي محملاً بكل ما يمكن نقله من ثروات -بالهروب إلى أعالي النيل، واختبأ في أثيوبيا، وهكذا انتهت آخر الإمبراطوريات المصرية، ولم يعد الجزء السفلي من وادي النيل محكوماً من قبل أحد أبناء الجنس الذي يقيم على أرضه.

ولقد تم الصفح عن المرتزقة اليونانيين الذين كانوا يعملون لحساب المصريين وتم إرسالهم إلى وطنهم، في حين أن هؤلاء الذي كانوا يحاربون في صف الفرس تمت مكافأتهم بسخاء، ولقد تم تعيين باجوس وزيراً، أما منتور فقد عهد إليه الملك الأكبر بالإشراف على ساحل بحر إيجة، ولقد واجهت مصر عقاباً قاسياً بسبب ثورتها وتمردها والذي كان التمرد الأول بعد مرور قرن تقريباً على آخر تمرد مشابه، وقام الفرس بتدمير أسوار المدن ونهب معابدها، وقام أوخوس بيديه بطعن الثور المقدس أبيس، وقام بتنصيب جحش مكانه في سخرية لاذعة، وأجبر السكان المحليين على أن يعبدوه، كما تم أيضاً ذبح كبش مقدس Mendes والذي كان على الدرجة نفسها من القداسة مثل العجل أبيس، ومن ضمن الأشياء النفيسة التي اشتملت عليها عملية نهب المعابد كانت اللفافات المقدسة والتي قام باجوس فيما بعد ببيعها بسعر باهظ جدًّا للكهنة، ولقد عاد أوخوس إلى بلاد فارس في نهاية عام 343، حيث قام بتوطين القادة المصريين الذين حملهم معه كمنفيين، ولقد ترك فيريينداتيس خلفه كمرزبان على مصر.

لكن المصريين رفضوا الاعتراف بأخوس كملك شرعي، وقد احتفظ نخت-هار-هيبي Nekht-har-hebi -من منفاه في إثيوبيا- بسيطرته على مصر العليا، وكان لا يزال يعترف به كملك في إدفو خلال السنة الثامنة عشرة من فترة حكمه عام 341، حيث إنه قد قام بتقديم منحة من الأراضي لمعبد الإله حورس الموجود هناك، ولقد اعترف البطالمة فيما بعد بصحة

واستمرار سريان هذه المنحة للمعبد، وفي عهد هؤلاء البطالمة أيضاً تمت بالمثل كتابة ما يعرف بالتقويم الديموطيقي والذي نسب إلى نخت-هار-هيبي في فترة حكم دامت ثمانية عشر عاماً.

وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك بعض الأفراد من طبقة النبلاء المحليين الذين لم يستحوا من العمل في خدمة الأجانب المكروهين من قبل جميع طوائف المحليين بشكل عام، فعلى سبيل المثال قام سامتوتفناخت المنتمي إلى هراقليبوليس الكبرى بدخول القصر بعد أن سمح له إلهه هيريشف بذلك، وهناك خدم نخت-هار-هيبي، لقد كان قلب الإله الطيب (الملك نخت-هار-هيبي) راضياً عن كلماته، ولكن عندما رفع هيريشيف -إله الحرب المحلي- حمايته عن مصر كما تجلى ذلك من خلال انتصار أخوس على نخت-هار-هيبي، قام سامتوتفناخت Samtutefnakht بمسالمة الملك الجديد، ولقد أعلى الإله هيريشيف من شأنه في القصر، وجعل منزلته تسمو على جميع منازل الأشخاص الآخرين الموجودين في القصر، وجعل حبه يزداد في قلب الحاكم الجديد، وهو حاكم «سيتين» (الاسم القديم لقارة آسيا) - والذي قام رفاقه الملكيون بتقديم مجاملات مقيتة لهذا المرتد لما تحويه من رياء، وقد تمت ترقيته إلى المنصب الذي كان يشغله عمه نخت-هينيب وهو كبير كهنة الإله سِخمت في جميع أجزاء مصر العليا والسفلى، ولقد صار بيتوسيرس Petosiris كبيراً للعائلة الأهم والأكبر في هرموبولس في عام 339، أي بعد مرور أقل من أربع سنوات على الفتح الفارسي لمصر، وقام هو الآخر بمسالمة ومداهنة السلطات الفارسية التي كانت تحكم مصر في ذلك الوقت، ولكنه -وخلال فترة حكم فيليب أرهيديوس المقدوني- كان لديه الكثير ليقوله عن مظاهر سوء الإدارة التي اتسمت بها فترة الحكم الفارسي، حيث كتب يقول: «لقد أمضيت سبع سنوات كمدير لمعبد هذا الإله «توث» Toth ، ولقد قمت خلال هذه الفترة بإدارة

سلعة دون أن يجدوا خطأً واحداً ورائي، على الرغم من أن الذي كان يحكم مصر في هذه الفترة هو ملك أجنبي، ولم يبقِ أحداً في وظيفته التي كان يشغلها في مصر؛ وذلك بسبب الصراعات التي نشأت في قلبها (وسطها)، ولقد كان جنوب مصر في حالة فوضى، أما الشمال فكان ثائراً، ولقد كان المواطنون يسافرون وهم خائفون، ولم يبق شيء في المعبد تحت تصرف الذين يستحقونه، حيث إن الكهنة كانوا بعيدين للغاية وغافلين تماماً عما يجري على أرض الواقع، ولقد قمت بأداء مهام وظيفتي كمدير لمعبد ثوت سيد خومونو، وخلال هذه السنوات السبعة كان يحكم مصر رجال قدموا من بلاد أجنبية، ولقد قمت بإدارة كل شيء بشكل جيد في معبده خلال الفترة التي كان يحكم فيها مصر هؤلاء الأجانب، ولم يتم تنفيذ أية أعمال أو إنشاءات جديدة (في المعبد) منذ أن قام هؤلاء الأجانب بغزو مصر».

مكان ودور المينائيين في التاريخ:

لقد تم ذكر هذه الحرب بين ميديا ومصر في أحد النقوش التي تم اكتشافها في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، والذي حسم أخيراً السؤال الذي دار حوله جدل طويل والذي يتعلق بمدى قدم السجلات المينائية، وفي بداية القرن الرابع تقريباً عندما قام المؤلف اليهودي لـ«التواريخ» باستبدال الأسماء السابقة للقبائل باسم «ماينيم» في تاريخه المعدل، كان هذا هو أول ظهور للأبجدية العربية الشمالية المشتقة من أبجدية شبه جزيرة سيناء، والجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، ولقد أخبرتنا الوثائق المسمارية منذ بداية القرن الثامن عن ملوك سبأ الذين قامو بتقديم «الجزية» إلى الملوك الآشوريين، ولكن عندما تتكلم الآثار المحلية عن نفسها، فإنها ستخبرنا بأن هذا الركن من شبة الجزيرة العربية كان يسيطر عليه المينائيين، ولدق كانت هذه الأرض

تسمى بلغتهم الأصلية «مين» أما سكانها فكانوا يسمون «مينوم» وكانت عاصمتها هي «فارناوو»، أما «ياتوبيل» فقد كانت هي العاصمة الثانوية، ومن خلال تمركزهم في شمال سبأ، تمكن المينائيون من السيطرة على الطريق الكبير للتجارة الشمالية، والذي كان يؤدي إلى البحر المتوسط، وإلى الشرق من هذه الأرض وعلى طول الساحل كانت تقع حضرموت والتي كان أهلها يستخدمون لهجة مختلفة، وكانت لهم أبجدية مختلفة اختلافاً طفيفاً، وكانت حروف أبجديتهم ذات أشكال جيدة لدرجة أنه من المؤكد أن بعض الوقت قد مر منذ أن تم تحويل وتعديل النقوش العربية الشمالية لتصبح اللغة الخاصة بالجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، والتي تختلف كثيراً عن لغة الجزء الشمالي لدرجة أنها يجب أن تعتبر لغة منفصلة وليست مجرد لهجة أخرى، ولا شيء على الدرجة نفسها من العظمة في المستوى المختلف للثقافة، حيث إن المينائيين لم يعودوا بدواً كما كانوا في السابق، ولكنهم أصبحوا شعباً شديد التحضر، وكان أساس حياتهم هو الزراعة، وعلى الرغم من أنه توجد بعض البقاع شديدة الخصوبة في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، إلا أنه كان سيتواجد في هذه الأراضي عدد ضئيل جدًّا من السكان لولا وجود ذلك النظام الأكثر تعقيداً لري هذه الأراضي، وتوجد بالفعل مجموعة من المدن ذات الأحجام الكبيرة نسبيًّا، والتي تحتوي على مبانٍ ضخمة ومهيبة وتحميها أسوار قوية يمكننا أن نقوم بوصف عمارتها بتفصيل شديد، ونحن نعرف بعض المعلومات عن المعابد التي كانت موجودة في هذه المنطقة، وتوجد لدينا معلومات أكثر عن آلهتهم وطقوسهم، كما كان يوجد أيضاً نظام معقد لتأجير الأرض والذي كان يقوم على العبودية وليس على الحرية كما في الواحات الموجودة في الصحراء، وتتجلى أصولهم البدوية بوضوح في اهتمامهم الشديد بسلسلة الأنساب، والأبوة والأسرة والعلاقات القبلية، ومن خلال

سلاسل النسب الخاصة بهم ومن خلال عدد من الأحداث المتزامنة، فإنه من الممكن أن نروي بتفصيلات مفاجئة تعقيدات العلاقات السياسية تنازليًّا ابتداءً من القرن الرابع ق.م، ولقد صرنا -في حوالي عام 400 ق.م أو قبل ذلك بقليل- على معرفة بأول ملوك «مين» المعروفين وهو «إليافا ياتهي»، والذي قام -في تقليد سوف يصبح معتاداً بعد ذلك- بالظهور في صحبة أبيه «أبيادا ياتهي»، ولقد قام يادهكريل -في ظل حكمهما المشترك- بإنشاء مدينته المسماة «يافوش» ومبانيها وبلاطها المضيء وشرفته، في الخشب وفي الحجارة المنحوتة، كما أنه قام بتقديم بعض القرابين وتخصيص بعض المباني والأشياء للآلهة، وقد قام «معاد كاريب» وابنه «هماثات» بتقديم قرابين وبناء معابد مشابهة في ياتهيل، ولقد تم تخصيص مذبح بخور للإله «ماتابناتيان» من خلال السيد «معاد كاريب رايدان» Maadkarib Raidan وهاتاراثات Hawtarathat ملك هاريمون، وعندما حكم أبيادا Abiyada بمفرده، أقام اتفاق أخوة مع معاد كاريب Maadkarib الذي ظهر الآن كملك على حضرموت، وأن اتفاق الأخوة هذا كان في الواقع تحالفاً، وهو أمر تم إثباته من خلال حقيقة أنه على الرغم من أن معاد كاريب قام بإنشاء هذا النقش في العاصمة المينائية، إلا أنه احتفظ بالكتابة واللـهجة الخاصة ببلدة حضرموت، ولقد أخبرنا في هذا النقش أيضاً كيف أنه قد قام بتخصيص برج لهيكل الإله أثتار دهو قابديم Athtar dhu Qabdim والذي كان قد بناه عمه شاه هاروم آلان Shahharum Allan ابن ساديكيل Sadiqil ملك حضرموت والذي يمكننا تصوره أنه كان أحد الملوك المستقلين الأكبر سنًّا والذين كانوا معاصرين للملك «إليافا ياتهي Ilyafa Yathi ».

ويخبرنا أحد نقوش الملك أبيادا الآخرين عن نظام الإدارة المينائي، فلقد كان ألمان Alman ابن أمي-كاريب Ammikarib المنتسب إلى أسرة هدهار وقبيلة جابسان -صديقاً لأبيادا ياتهي ملك «مين»، ولقد قام هذا

الرجل بنذر وبناء وتخصيص المبنى بأكمله والدعائم الخاصة بالستة أبراج والجدران الستة التي تربط بين هذه الأبراج، والتي توجد ضمن أسوار فارنادة، حيث قام بتخصيص كل ذلك للآلهة أثناء دهو قابديم Athtar dhu Qabdim و«واد» Wadd ونيكارهوم Nikarhum ، ولقد تم ذكر الموقع بالتحديد، وهو كما يلي: بجوار قناة حي رامساوو، ومن البرج الذي شيده «أبناء سائلي الأرواح» (وهو شكل من أشكال المجالس) إلى «التقاطع الذي تلتقي عنده الطرق الثلاثة» في داخل المدينة، ولقد قام ألمان Alman بتشييد هذا البناء وجعل له سقفاً من الخشب والحجارة المقطوعة (المنحوتة) وشطب الجدار المغطى بانحدار شديد، وتم تنفيذ أعمال التشييد هذه من عائدات الضرائب التي فرضها أثناء دهو قابديم وأيضاً من الأموال التي أضافها ألمان من ثروته الخاصة، ولقد تم حرق قرابين البخور تقرباً من الإله واد Wadd ، كما تم أيضاً ذبح القرابين وتقديمها لكل من الإله واد والإله أثتار دهو قابديم في البهو الأمامي للمعبد، والسبب وراء تقديم هذه القرابين هو أن أبيادات ياتهي قد منح ألمان من خلال المجلس الكبير لمملكة مين الإدارة والسيطرة على ما تم تحديده من القرابين في كل من السلم والحرب لإلهه ولراعيه القبلي ولملكه وقبيلته، وبالإضافة إلى ذلك فقد أوكل إليه الملك مهمة إدارة الأراضي التي يتم شراؤها من إيرادات مصانع الغزل الملكية والتي تبلغ مساحتها 47×14 ذراعاً، هذا بالإضافة إلى إدارة أقوات العاملين بها تبعاً لقانون مين.

ولقد تم بعد ذلك وصف الحدود بشكل دقيق تبعاً لاتجاهات البوصلة وتبعاً للقنوات المائية التي كانت تروي أراضيها، وتم نقش كل شيء وفقاً لإحدى الوثائق المكتوبة السابقة، ولقد قام أثتار وهو واقف بحلف اليمين، وأقسم بثالوت يتكون من آلهة أثتار دهو قابديم، واد، ولنكارهوم، وأقسم بجميع آلهة مين وياتهيل، وبقبائلهم مين وياتهيل،

ولحماية هذا البناء والنقش الذي يؤيده ويعززه من أي عابث قد يحاول تغييره على مدار الدهر تم وضع هذا البناء بأكمله تحت حماية الآلهة.

وعلى الرغم من ذلك، فإن النقش الأكثر أهمية وبفارق كبير هو نقش أميساديق Ammisadiq ابن هماثات وابن أسرة يافان ونقش سعد Saad ابن واليج Walig المنتسب إلى أسرة الدهافجان، ولقد كان كل من هذين الرجلين يشغلان منصب كبير المسؤولين في منطقتي مُسران Musran ومعان مُسران Maan Musran وهما المنطقة «المصرية» التي تقع بالقرب من ديدان والمدينة الشمالية التي تم تعيينها وتحديدها للمينائيين، والذين قد برز نفوذهم وتأثيرهم -الذي كان يتقدم نحو الشمال بشكل متزايد- في ديدان والتي أظهرت فيها بعض النقوش الهلينية Lihyanian اللاحقة آثاراً للحروف المينائية، وسرعان ما تمكن المينائيون من السيطرة على هذه الواحة.

وقد كان غرض أميساديق Ammisadiq وسعد Saad هو تكريس ممر اسمه تانون يربط البرجين الموجودين على سور المدينة للإله أثتار دهو قابديم، ولقد قاما بتزيين الواجهة بالخشب والحجر المقطوع، والشيء الأكثر أهمية وإثارة بالنسبة لنا هو السبب الذي ذكره مؤلفنا وراء قيامهم بتكريس مثل هذا الممر: عندما قامت آلهتهم أثتار دهو قابديم، واد، ونكارهوم بإنقاذ بضاعتهم وجمالهم خلال إحدى الرحلات إلى مصر وآشور وإبر نهران «عبر النهرين» (والتي نرى فيها وبشكل واضح إشارة لمصر وآشور وعبر الفرات) من الهجوم الذي شنته عليهم سبأ وخولان، فإنهما قاما ببناء هذا الممر شكراً لهم، وقد وقعت هذه الحادثة أثناء الرحلة من مين إلى رجماتوم، والتي كانت خلال الحرب بين الميديين (مادهاي) ومصر، وكانت هذه الحرب هي إحدى الهجمات التي شنها أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني أو الثالث على مصر، ومن المؤكد أن تاريخ هذا الهجوم على القافلة لم يزد عن عام 343، ومن المحتمل

أنه كان قبل ذلك بكثير، ولكننا تمكنا الآن على الأقل من تحديد نطاق زمني يبلغ النصف قرن، هذه الأسرة الحاكمة المبكرة جدًّا في مين، ولقد أعادتهم آلهتهم في أمن وسلامة إلى أرض مدينة قارناوو Qarnawu ، ولقد أشار الإله أثتار إلى أنه كان راضياً عن القربان الذي قدموه له، وقام كبيرا المسؤولين هذين ومدينة «معان مسرات» بوضع سلعهم ووثائقهم التجارية تحت حماية الآلهة والملك، ولقد قام أميساديق Ammisadiq برحلة مشابهة وعاد منها بسلام إلى موطنه، ولقد قام المسؤولان الكبيران مرة أخرى بالمساعدة في بناء جسور المدينة، وقاما أيضاً بإخبارنا عن تشييدهم لبيوتهم ومدنهم وحفرهم للآبار وحفرهم لخزاناتهم الخاصة.

وتبعاً للتقليد المتبع والسائد، قام أبيادا ياتهي Abiyadavathi قرابة نهاية فترة حكمه بربط ابنه واكاهيل ريام Waqahil Riyam به، وقد شغل سعد Saad رفيق أميساديق في الرحلة منصب كبير المسؤولين في معان مُسرات مرتين، وعندما قام كل من الملوك ومجلس مين بوضع ثقتهم فيه وكلفوه بإدارة المساهمات التي تم تحديدها للآلهة، وشيوخ القبائل والملكيين، وقام هو وابنه هاوفاثات بتخصيص بعض من عائدات رسومه التي يفرضها على ممر للإله أثتار إله قابديم، قام الملكان بتكريس ممر عندما شرعا في بناء قصرهما «ياجور» في مدينة ياثيل، وإذا كانت هذه المغامرة الشهيرة قد حدثت خلال السنة الأخيرة للاستقلال المصري، فإن الإسكندر (Alexander) كان يقوم بغزو بلاد فارس بحلول ذلك الوقت، والشيء المحتمل بدرجة أكبر هو أننا يجب أن نحدد فترة حكم الملوك الباقين قبل هذا التاريخ، والذين تم تحديد مكانهم في الأسرة الحاكمة من خلال تسلسل دقيق للنسب ، وفي الوقت المناسب حكم وقاهيق Waqahiq بمفرده، ثم حكم بعد ذلك بالاشتراك مع ابنه هوفنساديق (Hufnsadiq) ، والذي حكم هو الآخر بمفرده بعد ذلك، ثم مع

ابنه إليافا يافوش Ilyafa Yafush ، والذي كانت فترة حكمه منفرداً هي نهاية تاريخنا المتصل عن هذه المملكة، ويمكن التعرف على ملوك تاليين من هذه الأسرة الحاكمة، ولكن مصر التي زارها تجارهم كانت خاضعة لحكم البطالمة.

الفصل الحادي والثلاثون

العلم يصيب ويخطئ

سقراط (Socrates) ، أفلاطون (Plato) ، والعلوم الشرقية:

لقد كان سقراط (Socrates) تلميذاً من تلامذة أرخيلوس Archelaus -الذي كان بدوره تلميذاً لأناكساجوراس Anaxagoras - ولقد أظهر سقراط (Socrates) في سنوات عمره المبكرة اهتماماً شديداً بعلوم الفلك والفيزياء، وقد كان سقراط (Socrates) هذا هو الشخص نفسه الذي قلده أرسطوفانيس Aristophanes ، واقتبس منه في عام 423 في المشهد المشهور الذي يستهل به مسرحية السحب Clouds ، وحتى بعد تخليه علناً عن معتقداته، اتهم ميليتوس هذا الفيلسوف الكبير في المحاكمة التي حُكم عليه فيها بالموت بأنه لا يؤمن بآلهة الأجداد، ولقد أعلن ميليتوس أن سقراط (Socrates) قام بدراسة الأشياء الموجودة في الهواء، وتلك الموجودة تحت الأرض -وقد كتب ديموقريطوس Democritus كتاباً حول هؤلاء الذين في مثوى الأموات»- ويقول إن الشمس هي حجر، وأن القمر هو كوكب مثل الأرض التي نعيش عليها، وبالحديث بهذه الطريقة، نجده يشبه كثيراً كتب أناكساجوراس Anaxagoras التي تمتلئ بمثل هذه الأفكار والآراء، ونحن يجب أن نكون آخر من يندم على أن سقراط (Socrates) قد قام في أواخر عمره -وعندما اقترب من شيخوخته- بتغيير موقفه بشكل كامل؛ وذلك لأن الفكر الأوروبي كان يصبح أفقر بدرجة

كبيرة إذا لم يفعل ذلك، ولكن وفيما يتعلق بالعلم، فقد كانت النتيجة كارثية، وحتى ذلك الوقت كان الفلاسفة الأيونيون وخلفاؤهم لا يزالون علميين بصورة محدودة في اهتماماتهم، كما أنهم لم يكونوا علميين دائماً في الأساليب التي ينتهجونها، ولقد قام سقراط (Socrates) الآن بتحدي وجهة النظر العلمية بالكامل، واستهل فترة من الصراع، والصراع هذه المرة ليس بين العلم والدين ولكن بين العلم والفلسفة، حيث إنه لم يعد يرى أية فائدة من وراء دراسة الفلك، أو تعلم مسار الأجرام السماوية، والكواكب والمذنبات، وبعدهم عن الأرض، ومدد دورانهم، وفي الواقع فقد وصل سقراط (Socrates) بشكل غير متوقع في دفاعه عن المعتقدات التقليدية إلى حد أنه أعلن أنه من عدم الورع أو التقوى أن يقوم الإنسان بالتحقيق في الأشياء التي لم يرد عملها أو يقدر للإنسان معرفتها، وأن أناكساجوراس كان مجنوناً عندما حاول تفسير آلية عمل الآلهة، وفي مثل هذا المناخ المعادي للعلم، أصبح أفلاطون (Plato) تلميذاً لسقراط (Socrates) ذلك الشيخ المسن، وفي الواقع فقد كان أفلاطون (Plato) كفيلسوف من ضمن الفلاسفة العظام على مر التاريخ، ولقد كان هو أيضاً أستاذاً لطريقة رائعة في الفلسفة، ولكن مثل هذا العبقري نادراً ما نزل إلى مستوى الأعمال المبتذلة التي تتطلبها العلوم، ولكنه -ومثل أستاذه- قد تأثر كثيراً بالمبادئ الفيثاغورثية، وأصبح من التقليدي -في تلك المدرسة- أن ينظر إلى الأعداد على أنها ذات قيمة خفية وشبه علمية أيضاً، والتي كانت واضحة بشكل خاص في السماوات وفي تقسيمات الوقت التي كنا نعرفها عن طريق الأجرام السماوية.

وبالتأكيد، فنحن نبحث بلا جدوى عن أي أثر لعلم شرقي جاد في فلسفة أفلاطون (Plato) ، وفي أحسن الأحوال نستشعر بين الحين والآخر المصطلحات الفلكية التقنية، وإذا قام أحد الكهنة البابليين المتخصصين في دراسة علم الفلك، والذين كانوا معاصرين لأفلاطون (Plato) بقراءة

المقال الأخير له وهو «تيميوس Timaeus »، فإنه سوف يوافق أحياناً على بعض النقاط، ولكنه في الغالب سيقوم برفض آراء أفلاطون (Plato) مبدياً دهشته، وكان سيصدق على ويبدي تأييده للمعتقد الذي عبر عنه سقراط (Socrates) وأفلاطون (Plato) ، والذي يقول بأن الأجرام السماوية هي آلهة تستحق أن تقام لها الطقوس لعبادتها في حد ذاتها، وذلك في مواجهة وجهة النظر التي عبر عنها الملحدون، ولقد كان سيصر -وعلى العكس مما قاله سقراط (Socrates) - على أنه من واجبه -الذي يشير إلى مدى تقواه- أن يقوم بتفسير آلية عمل هذه الآلهة، ومثل كل الباحثين الذين كانوا في عصره، كان سيقبل ويسلم بالفكرة القائلة بأن كوكب الأرض الذي يعيش عليه هو بمثابة مركز الكون، ويأخذها على أنها حقيقة بديهية، ولكنه لم يكن ليوافق على التصريح الإضافي الذي يقول بأن كوكب الأرض هو كرة كاملة الاستدارة، ولقد كان يعلم جيداً أن مدارات الكواكب كانت تشكل دائرة كاملة الاستدارة، حيث إن ملاحظاته وحساباته أثبتت أن الشمس -على الأقل- (ويفترض كذلك أيضاً القمر والكواكب الأخرى) تدور في قطع ناقص مسطح بعض الشيء، لقد كانت تلك الأجرام السماوية تقدم نبوءات، فقد قدمت العديد من الألواح أدلة -لمن يستطيع قراءة تلك الكتابة التي تعمد كاتبها استخدام الرموز- على أن علم التنجيم كان علماً يشكل جزءاً مستقلاً بذاته من علم الفلك، وكانت هذه الأجرام تقدم أيضاً «وسائل لقياس الوقت»، ولكن الشرقيون سوف يُصدموا عندما يكتشفون أن هذا المؤرخ اليوناني كان لا يزال في هذا الوقت المتأخر متأخراً كثيراً عن عصره فيما يتعلق بالاعتقاد بأن السنة كانت تتكون من 360 يوماً فقط، ويبدو أن أفلاطون (Plato) لم يكن قد أدرك بعد أن بزوغ الفجر هو مجرد ظهور لكوكب الزهرة كنجم المساء، كما أنه لم يكن يعلم أيضاً أن ترتيبه للكواكب الذي هو بداية من كوكب الأرض المركزي: القمر، الشمس، جالبة

الفجر، هرميس، مارس، جوبيتر، وزحل، لا يمكن التوفيق بينه وبين الأدلة التي قدمتها تقويماته الفلكية التي لاحظها، والتي تم فحصها والتأكد من صحتها من خلال تقويمات فلكية أخرى تم حسابها مقدماً.

وبعد مجابهة بعض الصعوبات، كان سيكتشف باحثنا الشرقي أنه من خلال الفكرة العقلية القائلة بأن «دائرة الشيء ذاته ودائرة الآخر» يتقاطعان قطريًّا، كان يقصد أفلاطون (Plato) فقط الدوائر الشائعة المتمثلة في خط الاعتدال السماوي والكسوفي، لكن ما الذي كان يقصده من أن مدارات الكواكب تتساوى مع مدار الشمس؟ ولكنها عكسه في الاتجاه، بحيث تلحق الشمس، والقمر، ونجم هرميس، ونجم الصباح، وتتخطى بصورة منتظمة بعضها البعض، وسوف يهز رأسه عندما يقرأ الآتي: «ولكن دوران هذه الآلهة نفسها وتقابلها مع بعضها البعض والطريقة التي تعود بها مداراتهم إلى التباعد واقترابها من بعضها البعض، وأي من هذه الآلهة تتقابل مع بعضها البعض عند نقاط تقابل المدارات، وأي منها تدور في مدارات متعاكسة، وهنا وفي النهاية وصل أخيراً إلى مفردات يمكنه فهمها، وما الترتيب الذي تدور فيه أمامنا وأمام بعضها البعض؟ وكذلك أيضاً الأوقات التي يختفون فيها ثم يعاودون الظهور، كل هذه الأمور ترسل لهؤلاء الذين لا يستطيعون حساب حركاتهم، وأيضاً وبالدرجة نفسها لهؤلاء الذين يستطيعون حسابها أفكار تثير الرعب ونذر ونبوءات عن أشياء ستحدث، والقيام بتوضيح كل هذه الأمور بدون نماذج مرئية لحركات الكواكب هذه سوف تكون مضيعة للوقت».

ويستطيع عالمنا شرح العديد من هذه الصعوبات، حيث إنه يستطيع الإشارة إلى الكتب والألواح التي يسهل الحصول عليها، ولكن نتيجة لارتباكه من جراء هذه التصريحات المزعومة، فإنه من المحتمل أنه قد سأل نفسه -كما فعل العديد من المعلقين القدماء والمعاصرين من أيام أفلاطون (Plato) - عما إذا كان هذا الفيلسوف الكبير لم يتمكن من فهم

هذا الموضوع بشكل جيد عندما غامر بالخوض في مجال علم الفلك الصعب.

ولحسن الحظ، فإنه توجد العديد من الأسباب التي تدفع الباحث الشرقي إلى فحص وتمحيص الصفحات العديدة التي تشتمل عليها كتابات أفلاطون (Plato) ، فبعد إدانة سيده، لم يكن من الممكن محو هذه الوصمة التي دنست سمعة أثينا؛ ولذلك غادر أفلاطون (Plato) متجهاً إلى مصر، والتي عمل فيها كبائع للزيت لتغطية نفقاته، كما أنه انتهز الفرصة لزيارة هؤلاء الذين قاموا بترجمة إرادة الآلهة، ومن المؤكد أن المنجمين كانوا من بين هؤلاء الأشخاص، ومن المحتمل أنه كان يفكر في خبرته الخاصة عندما أخبرنا عن نداء سولون الرسمي على الملك أماسيس في موطنه في سيس التي أسستها الإلهة نيث Neith (وبالنسبة لليونانيين أثينا) في دلتا مصر، وهي المكان الذي ينقسم فيه النيل إلى فرعين، لقد قام سولون -من قبل Hecataeus - بالظهور في طيبة بعرض النظرية اليونانية حول نشأة الكون، ولكن أحد الكهنة قد تمكن من دحض حجة هذا البربري تماماً مثلما حدث مع زميله الذي ظهر في طيبة خلال الجيل التالي، وقد كان تعليقه الوحيد هو: «يا سولون! إنكم تكونون أطفالاً دائماً أيها اليونانيين، ولا يوجد إغريقي عجوز أو قديم!»، ثم قام بتوبيخ سولون قائلاً: «أنتم لا يوجد عندكم معتقد قديم أو علم واحد قديم»، وفي وجه مثل هذه الإدعاءات بالأصول الضاربة في القدم التي احتجت بها الثقافات الأخرى، كان أفلاطون (Plato) -مثل هيكاتيوس Hecataeus وهيرودوت (Herodotus) من قبله- متواضعاً بشكل يثير الدهشة، ولقد كرر الكلمات التي قالها معلمه، لقد قام ثويث Theuth إله نوكراتيس القديم -والذي يرمز إليه بطائر أبو منجل- باختراع الحساب والهندسة والفلك، بالإضافة إلى ألعاب الداما والنرد وأيضاً حروف الكتابة، ولقد كان ثاموس في ذلك الوقت هو ملك مصر كلها، وكان يحكم المدينة

العظيمة الموجودة في مصر العليا -والتي كان يسميها الإغريق مدينة طيبة المصرية- ولقد وفد إليه ثويس متباهياً ومتفاخراً باختراعاته، وطلب منه أن يتم إخبار باقي المصريين عنها، ولقد قام الملك بمدح أو ذم كل اختراع من هذه الاختراعات حتى وصل إلى الحروف التي قال عنها لثويث Theuth إنها سوف تدمر ذاكرتهم، ومنذ بداية الأِشياء وبشهادة من المصريين أنفسهم، فقد قاموا بدراسة المبادئ الأولى، ولقد شرعوا في استخدام العرافة والطب، وقاموا للمرة الأولى باستخدام الخوذات والدروع، ويقال إن إيزيس قد قامت بنفسها بتأليف جميع الألحان المصرية -حيث إن أفلاطون (Plato) كان مهتماً بدرجة كبيرة بالموسيقى- وقد تم وصف هذه الألحان والأوضاع التي يتم بها تأديتها في المعابد، ولقد مُنع الرسامون والنحاتون من إدخال أية تغييرات عليها، ويصر أفلاطون (Plato) -وهو يعني ذلك حرفيًّا- على أن التماثيل التي يبلغ عمرها عشرة آلاف عام هي مطابقة تماماً لتلك التماثيل التي تُنحت اليوم.

ولقد كان يعرف عن فن التحنيط المصري، وعن الفصل بين الطوائف الاجتماعية، وعن محميات الأسماء الموجودة في النيل والمستنقعات الملكية، وأن المصريين كانوا يطردون الغرباء والغزاة من خلال تقديم الطعام والأضحيات للآلهة، وأن الأطفال المصريين يتعلمون الرياضيات والحروف، وبعد سرد كل هذه العجائب، فإننا لا نفاجأ عندما نجد أن أفلاطون (Plato) قد قدم فيدروس Phaedrus على أنه يتهم سقراط (Socrates) بتزوير قصص عن المصريين، ولكن يظهر تقييمه الأخير أنه ما زال يونانيًّا يكتب بصورة واعية عن البربريين، حيث إنه يقول إن التعليم لم يجعل من المصريين والفينيقيين حكماء، ولكنه بدلاً من ذلك جعل منهم أوغاداً.

ولقد قام هيرودوت (Herodotus) بتقديم الرواية المصرية عن حرب طروادة وأسبابها، ولكن أفلاطون (Plato) يعرف سبباً آخر وراء اندلاع هذه

الحرب، حيث يقول: لقد بدأ الطرواديون هذه الحرب اعتماداً على قوة الآشوريين، كما تجلى ذلك في عهد حاكمهم نينوس Ninus ، حيث إن طروادة كانت جزءاً من الإمبراطورية الآشورية، والتي كانت مهيبة الجانب في ذلك الوقت بالدرجة نفسها التي يخشى بها اليونانيون في أيام أفلاطون (Plato) الملك الأكبر الفارسي، وفي أيام سفره الأولى، كان أفلاطون (Plato) يعتزم زيارة الكهنة المجوس، ولكن حال بينه وبين ذلك حروب التحرير التي كان يخوضها الإسبرطيون في آسيا، ولكن على الأقل كان بإمكانه الحديث مع الزوار الفرس الوافدين إلى أثينا، أو ربما يقرأ أحد الأبحاث التي كتبها ديموقريطوس Democritus حول موضوع الممارسات التي يقوم بها الكهنة المجوس، وتدور أحداث الكتاب الأول لأفلاطون (Plato) وهو «ألسيبياديس الأول» في عهد أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول (والذي أرجع إلى فتره حكمه الملكة الأم أمستريس Amestris أرملة كسركسيس (Xerxes))، ويظهر هذه الكتاب مستوى معقولاً من المعرفة بالعادات والديانة الفارسية، ويقول أفلاطون (Plato) إن الملوك الفرس ينحدرون من نسل أخمينيس الذي يقول عنه أفلاطون (Plato) كيوناني أنه هو ابن فرساوس Perseus ابن زيوس كبير الآلهة Zeus ، ولقد كان أفلاطون (Plato) يعرف أيضاً بعض المعلومات عن نظم الإدارة الفارسية، حيث تحدث عن بقعة خصبة من الأرض يبلغ عرضه مسيرة يوم، والذي يسمى «حزام زوجة الملك»، وهناك قطعة أرض أخرى تسمى «حجاب زوجة الملك» ويوجد المزيد من قطع الأراضي هذه، والتي تحمل أسماء مشابهة.

ولقد كان أفلاطون (Plato) مهتماً بالتعليم الفارسي بالدرجة نفسها التي أبداها هيرودوت (Herodotus) وزينوفون (Xenophon) الذي كان أحد معاصريه، فعندما كان يبلغ ولي العهد سن السابعة، كان يتم إعطاؤه الخيل، ويُدرب على ركوبها والمطاردة باستخدامها، وعند سن الرابعة

عشرة كان يتم تخصيص أربعة من المربين الملكيين له، وقد كان يقوم أحكمهم بتعليمه التعاليم المجوسية التي وضعها زرادشت Zoraster ابن أوروماسديس Oromasdes ، والتي تدعو إلى عبادة الآلهة والملوك، أما المعلم الأكثر عدلاً فكان يقوم بتعليم ولي العهد وتدريبه على قول الحقيقة طوال حياته، وكان يقوم أكثرهم اعتدالاً بتدريبه على التحكم والسيطرة على النفس، وأخيراً كان يقوم الأكثر شجاعة بتدريبه على ألا يجبن، ولقد كان اهتمام أفلاطون (Plato) بالأديان الشرقية الأخرى فيما عدا الديانات المصرية والفارسية محدوداً وضئيلاً للغاية، ولقد أقسم ثيودوروس المنتمي إلى جزيرة ثيرا «بإلهه» آمون، وذلك لتأسيس أو إعادة تنظيم إحدى المدن، ولقد كان يُنظر إلى هيكل آمون على أنه أدنى في المنزلة فقط من هيكلي دلفي ودورونا، ولقد سمع أفلاطون (Plato) عن بذر إحدى البذور في منتصف الصيف في حديقة أدونيس، وكيف أن النباتات قد ظهرت بعد مرور 8 أيام فقط، وهو يعرف أيضاً أن اليونانيين -وخاصة هؤلاء الذين يعيشون في ظل حكم البربريين- قد قاموا بأخذ واستعارة الكثير من الكلمات منهم، وفي الواقع لم يكن أفلاطون (Plato) مهتماً بالعلوم الشرقية، ولكنه زار الشرق وتعلم الكثير منه، هل كان لذلك تأثير أعمق عليه؟ يقول البعض بأن تلك الازدواجية الكامنة الموجودة في كتابات أفلاطون (Plato) كان مصدرها في الأساس الصراع الأبدي بين الخير والشر الذي كان ينادي به ذرادشت.

الابتكارات والتقدم الطبي الذي حدث:

لقد كان هومر Homer يعلم بالطب المصري، وقد أعرب هيرودوت (Herodotus) عن دهشته وانبهاره بالأطباء المتخصصين المصريين، ولقد بدأ أبوقراط Hippocrates خلال هذه الفترة بنشر الأسلوب العلمي في دراسة الطب بين اليونانيين، وظلت مدينة كوس

Cos -التي كانت مسقط رأسه- ظلت ولفترة طويلة مقراً لرابطة الأسكليبياداي Asclepiadae التي كانت عبارة عن اتحاد يضم الأطباء الذين كانوا يعملون تحت رعاية أسكليبيوس Asclepius إله الطب عند الإغريق، ولقد كان أبوقراط معاصراً لأفلاطون (Plato) ، وسرعان ما أصبح الجميع يعترفون به كالطبيب الأعظم على مدار جميع العصور القديمة، ومن المؤكد أن بعض الكتابات التي تم جمعها تحت اسمه لم تكن بخط يده هو، ولكنها جاءت من مدرسته، حيث قام تلاميذه بنسخها، وسوف يفيدنا كثيراً القيام بإجراء مقارنة بين هذه الكتابات وبين الكتابات الطبية الشرقية السابقة، ولقد أبهرنا أحد الأبحاث الجراحية المصرية الذي تم نشره على الأقل قبل ذلك بخمسة عشر قرناً بتقسيمه للحالات في واقعية شديدة إلى حالات من المؤكد أنها قابلة للشفاء، أو حالات يحتمل شفاؤها، أو حالات ميئوس منها، ويوجد هذا التقسيم الواقعي نفسه في بحث أبوقراط المعنون «طب البشرة»، في حين يذكرنا بحث آخر عنوانه: «في الجراحة» في شكله ومضمونه بالبحث المصري السابق، وعلى الرغم من ذلك، فإننا نجد في الغالب أن الاختلاف بين العلاجات المصرية واليونانية هو أكثر وضحاً من التشابهات التي توجد بينها، ولم تكن دول الشرق القديم غافلة عن مبادئ الصحة العامة، ولكن الاعتماد الرئيس كان ينصب على العقاقير والأدوات الطبية، وقد كان العديد من هذه الأدوات الجراحية والطبية هي السلف البدائي للأدوات التي ما زالت موجودة حتى الآن، في حين أن الأسماء البابلية المستخدمة لتسمية العقاقير ظهرت في الكتابات الطبية خلال القرون التالية إلى أن تم استبدال مجموعة الأدوية المعاصرة بمشتقات قار الفحم، والشيء الذي يثير دهشتنا في الأبحاث والرسائل الطبية التي تم نشرها خلال القرن الرابع ق.م هو الغياب شبه الكامل للعقاقير والأدوات الجراحية، والإصرار على استخدام الأنظمة الغذائية كوسيلة للعلاج.

وقد كانت الأبحاث الطبية البابلية منطقية بطريقتها الخاصة، حيث كانت تصف الأمراض العديدة التي تصيب أعضاء الجسم من الرأس إلى القدم، وقد قام أبوقراط بالتعبير عن ازدرائه لهذه الطريقة العملية، وعبر عن تفضيله للمنطق اليوناني، وقد ظل الأطباء الشرقيون يعتمدون حتى النهاية على السحر، ولكنهم كانوا يسمحون لنا بين الحين والآخر بالاعتقاد بأنهم كانوا يستخدمونه لتأثيره النفسي تماماً، كما يقوم الأطباء المعاصرون باستخدام حبوب الخبز مع الصغار، أما الطب اليوناني -وحتى في ظل رعاية الإله إسكليبوس، وبقدر ما تهتم به الكتابات التي كتبها أبوقراط- قد ابتعد عن الأشياء الخارقة للعادة والخرافات، ومن المحتمل أن المؤلف الطبي الأكثر إثارة للفضول من بين المؤلفات الطبية الإغريقية المبكرة هو ذلك المؤلف المعنون بـ«حول عناصر الهواء، عناصر الماء، والأماكن»، وقد قام المؤلف -سواء أكان هو أبوقراط أم لا- بتكرار الاختلافات بين الآسيويين والأوروبيين، وذكر أن هذه الاختلافات ترجع إلى الاختلاف بين مناخ البيئتين، ولكنه كان صادقاً، حيث أقر بأن المؤسسات الموجودة هي أحد الأسباب التي أسهمت في وجود هذه الاختلافات، لأن الآسيويين الأحرار الذين كانوا يعملون بدافع من مصالحهم الخاصة -وعلى الرغم من أن الرجال قد تم ترويضهم من خلال الاستبداد والطغيان- كانوا الشعب الأكثر ولعاً بالقتال.

الاكتشافات الفلكية:

عندما نصل إلى القرن الرابع ق.م في دراستنا لعلم الفلك البابلي، سوف نجد أن بعض التقويمات الأكثر تفصيلاً لكل كوكب من الكواكب قد أصبحت شائعة، وكتوضيح، سوف نأخذ «فترة ظهور كوكب مولو-babar (المشتري)، والذي بداية من العام الثامن عشر 387 من فترة حكم

الملك أرشو Arshu الذي كان يلقب بـ«أرتاكشاتسو» (أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني)، وحتى نهاية السنة الثالثة عشرة 345 من فترة حكم الملك أوماسو Umasu الذي كان يسمى بـ«أرتاكشاتسو» (أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثالث)، كما سنجد أيضاً نسخة من الألواح الطينية والألواح الخشبية وملاحظات عن الأعياد التي كتبها ابن جيميل Gimil ، كما سنجد أيضاً لوحاً من الطين لابن ماردوك-باكيدزر.

وتقول إحدى الفقرات النموذجية أنه: «في السنة العشرين (385)، وفي يوم 14 مايو، اختفى هذا الكوكب على رأس كوكبة (مجموعة نجوم) مولمولو، وفي ليلة الثاني من شهر يونيو وعند الفجر، كان يعلو اللوح بذراعين وستة أصابع، ومع حلول يوم العاشر من سبتمبر، وصل إلى نقطة الوقوف، حيث توقف على بعد ذراع وثلثي الذراع خلف وجه الثور الذي يقود عربة النجم الشمالي، وفي الثامن من شهر نوفمبر، تم تسجيل آخر ظهور له، وفي ليلة الخامس عشر من نوفمبر، وعند المساء، كان الكوكب فوق اللوح بذراع وعشرين إصبعاً عند عودته، وفي الأول من يناير عام 384، وقف هذا الكوكب ساكناً ناحية الغرب، وفي اليوم العاشر بدأ في العودة، وفي يوم 10 فبراير كان يعلو اللوح عقب عودته في المساء بذراع وثلثي الذراع، وفي شهر أبريل، وفي الليلة السابعة عشرة عند المساء، كان المشتري أسفل ثور العربة بذراعين، وفي السنة الحادية والعشرين، وفي يوم 14 مايو، دخل هذا الكوكب (المشتري) خلف العربة»، لقد قامت جداول الكوكب وبصورة مشابهة لهذه بتعقب كل جسم ضوئي خلال دورة صعوده بالقرب من الشمس وحتى النقاط التي «يقف سكاناً» عندها في مكان التقاطعات والتعاكسات، وحتى «يبدأ» في الاختفاء، ولقد تم تحديد مكان كل نقطة في مسار تنقلاته عبر دائرة البروج باستخدام الأذرع والأصابع بالإشارة إلى مجموعات النجوم التي لا تزال تتكون من مجموعات من النجوم، ولم تتحول بعد إلى مجرد علامات للأبراج.

ويعطينا أحد الألواح الذي يعود إلى عام 379 المزيد من المعلومات لتحديد تقدم وحركة هذا الكوكب على طول دائرة البروج: «لقد ظهر القمر في اليوم الخامس والعشرين من نوفمبر، وقبل غروب الشمس بثمانية وخمسين دقيقة ظهر القمر الجديد، وفي ليلة السادس والعشرين من هذا الشهر، تحول كوكب «أنو» (المريخ) ناحية الغرب عقب عودته أسفل النجم الأول من كوكبة «كو»، ولقد كان إله القمر «سين» أسفل النجم الأخير في رأس كوكبة «كو» بذراعين وعشرة أصابع، وفي ليلة اليوم الخامس، وفي بداية الليل، كان إله القمر «سين» يوجد أمام النجم المسمى مات-شا-ريكيس (في السمكة)، وفي ليلة اليوم السابع، كان منتصف «سين» محاطاً بحظيرة للعتمة، ولقد وقف آنو في المنتصف»، وهنا نبدأ مثالنا الأول عن النماذج والتداخل مع الملاحظات الجوية؛ لأنه -وكما رأينا- كانت دراسة الظواهر الجوية بالنسبة للبابليين مجرد فرع من علم الفلك، ويوجد عنصر تنجيمي في هذه الألواح أيضاً: ظهور الكوكب الأحمر في داخل هالة (الحمر هو لون الحداد والموت) كان ينذر بوجود خطر يهدد «الملك وابن الملك من جانب بيت الحكومة»، وخاصة «لأن الأرض كانت مغطاة بالضباب».

«وفي ليلة اليوم التاسع، وقبل غروب الشمس بثمانية وثلاثين دقيقة في مساء ذلك اليوم، كان إله القمر «سين» خلف اللوح بثلثي ذراع، وأيضاً في اليوم التاسع، وبعد الفجر بثماني عشرة دقيقة غرب القمر واختفى، وفي اليوم الحادي عشر ظهر كوكب «مولوبابار» في برج العقرب، ولقد تمت رؤيته في الشرق لمدة ستة وأربعين دقيقة، وفي ليلة اليوم الثاني عشر، وعند الفجر، كان «سين» أسفل التوأمين وخلفهم بذراع واحد، وفي ليلة اليوم الثالث عشر، وعند الفجر، كان خلف رأس برج الأسد بثلثي ذراع سحب الطحاف، وفي ليلة اليوم الخامس عشر، وعند الفجر، كان «سين» خلف الملك (الملك الصغير، وهو الاسم الذي لا

نزال نطلقه على النجم الأكثر إشراقاً في برج الأسد) بذراع ونصف الذراع سحب الطحاف، وفي ليلة السابع عشر من ذلك الشهر، وعند الفجر، كان «سين» فوق كايمانو (كوكب زحل) بذراعين ونصف الذراع، ولقد وقف ساكناً جهة الشرق، وفي اليوم السابع عشر قام كوكب الثور المشرق (عطارد) بالظهور في الصباح في برج الرامي، وفي حوالي اليوم السابع عشر، كان آنو في مكان توقفه الغربي، وفي ليلة اليوم التاسع عشر، وعند الفجر، كان الكوكب «سين» خلف ينبوع برج العذراء بذراع وثلثي الذراع، وفي ليلة الحادي والعشرين، وعند الفجر، كان سين أمام نجم «كابلو» -الذي يوجد في رأس برج العقرب- بذراعين، وأمام وجه كوكب «دلبات» (الزهرة)، قطع ثلاثة أذرع من أجل الدخول».

وهذا ليس حساباً ولكنه ملاحظة، كما أثبتنا من خلال الظروف الجوية المستخدمة في علم التنجيم التطبيقي، وتعني هذه الإشارة إلى ابن الملك أن العلم ما زال مقتصراً على تقديم بعض التوقعات لأفراد الأسرة المالكة، وأن الاستفادة من الأبراج ومن نتائج علم التنجيم وتعميم فوائده على جميع الأشخاص كان لا يزال أمراً مستقبليًّا لم يتحقق بعد، ولقد كان الشبه بين هذه الأوصاف وبين تلك التي ترجمها ديموقريطوس كبيراً جدًّا، لدرجة أن الألواح تظهر في شكل أبسط، ولكن على الرغم من ذلك تشبه تماماً الألواح الأصلية، ولا بد أنها كانت متوافرة، وهناك اختلاف واحد بين هذه النسخة المبسطة والألواح الأصلية، حيث أضاف عالم الفلك أنه في شهر أكتوبر تم بيع 15 «قا» من السمسم مقابل شيكل واحد، وأنه في نوفمبر تم بيع 52.5 من الشعير مقابل السعر نفسه.

كيدينو (سيديناس)، فلكي فوق العادة:

لقد مهدت مثل هذه الملاحظات والحسابات الطريق لأعظم الفلكيين البابليين وهو «كيدينو» الذي كان مشهوراً عند الإغريق باسم سيديناس، ولقد تم إرجاع تاريخ نظامه إلى عام 379 أو 373 اعتماداً على الأسس الفلكية، ويوجد سبب وجيه يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه كان هو المسؤول عن التغيير الطفيف الذي تم في الدورة التي تستغرق 19 عاماً، والتي تم وضعها في عام 367 ق.م، والتي ما زالت تتكرر حتى يومنا هذا دورة دورة حتى عام 45 م.! ويسمح لنا «لوح القمر الجديد الذي كتبه كينيدو»، والذي تم نسخه في عام 145 ق.م في سيبار -التي يحتمل إلى حد كبير أنها كانت مسقط رأسه- بإلقاء نظرة على نظامه الفلكي، ولقد بدأ كيدينو نظامه بعمود يحدد المواقع المتغيرة للشمس من هلال أو بدر إلى الذي يليه، وعن طريق إضافة أو طرح 18 درجة، نجد أن الأرقام تتبع متوالية حسابية حتى حد أقصى يبلغ 95ً 1َ 30 ^{0} وحتى حد أدنى 40ً 39ً 10َ 28 ^{0}، ومن هذا العمود نبني الأعمدة التالية لتحديد موقع القمر بين علامات الأبراج، ولقد بدأ شباتو -على سبيل المثال- بالموقع 20 ً 58ً 17َ 21 ^{0} الذي يمثل برج السمكة، وعند إضافة هذه القيمة من العمود الأول للشهر التالي (أدارو) والتي تقدر بـ85ً 71ً 57َ 28 ^{0} ستكون النتيجة هي 18ً 16ً 15َ 50 ^{0}، والقمر الآن في العلامة التي تشير إلى البرج التالي، ولذلك قم بطرح 30 ^{0} فيكون مكان القمر هو 18ً 16ً 15َ 20 ^{0} في برج الجدي.

ولقد قام نابو-ريماني Nabu-rimanni بتحديد مكان نقاط التحول للفصول عند 10 ^{0} من العلامات المتتالية للأبراج، أما كيدينو فحددها عند 15َ 8 ^{0}، وهذا المكان بعيد عن الموقع الملائم 14َ 3 ^{0} الذي ينشأ من الحركة للخلف باتجاه الغرب لدائرة البروج نفسها، ولكن التغير قد حدث، وتم بعد ذلك ببعض الوقت تصحيح الموقع 15َ 8 ^{0} إلى 30ً 0َ 8 ^{0}، وحيث إن هذا التعديل كان غير ملائم، فإنه سيكون من الصعب

مقاومة الاعتقاد بأن هذه التصحيحات تم إجراؤها خلال تعريف غير أكيد أو قوي على الظاهرة التي يسميها توالي الاعتدالين، ولا نحتاج إلى أن نذكر أن كيدينو Kidinnu لم تساوره أية شكوك على الإطلاق حول السبب الحقيقي لهذه الظاهرة تماماً، مثلما كان الحال مع هيبارخوس Hipparchus (الذي ينسب إليه هذا الاكتشاف دائماً)، وتظهر ألواح أخرى بعد نقطة عن الأرض في مدار القمر عن طريق أبطأ سرعة للحركة الواضحة للقمر، والتي يحدد موقعها بـ 20 ^{0} من برج الرامي، أما أقرب نقطة من الأرض في مدار القمر فيتم تحديدها من خلال أكبر سرعة تحرك للقمر أثناء دورانه وهي عند 20 ^{0} من برج الجوزاء، وهو موقع خاطئ يفرق بينه وبين الموقع الصحيح 10ژ0، وبالنسبة لكيدينو Kidinnu ، فإن مدار القمر هو دائرة تامة، والتي تتسارع سرعة القمر على طولها بدرجة متجانسة حتى تصل إلى أقصى درجة، ثم تتراجع حتى تبلغ الحد الأدنى، ومتوسط هذا العمود هو 20ً 91ً 6َ 29 ^{0} مقسوماً على 29.53059413 (وهو الشهر الاقتراني الرئيس عند كيدينو) سوف يعطينا التراجع اليومي للشمس كـ74ً 63ً 9ً 8ً 59َ، وهو أكثر دقة من رقم نابو-ريماني Nabu-rimanni بـ18ً 1َ، وأقل من الحساب الحالي بـ9ً 75ً 1َ، وهو خطأ قدره أقل من واحد على الثلاثين من الثانية من القوس، وسوف يبدو رقيقاً بدرجة كافية لمعظم الأشخاص غير المتخصصين في علم الفلك!

ويعطي هذا التحول للسنة النجمية 365 يوماً، 6 ساعات، 13 دقيقة، 43.4 ثانية، أي 105 دقيقة أقرب من الفترة التي حددها نابو-ريماني، ولكن لا زال هناك فارق 4 دقائق، 32.65 ثانية وهو يعد فارقاً كبيراً جدًّا، ولقد كانت السنة الشمسية -ابتداءً من أبعد نقطة أو أقرب نقطة للكوكب أثناء دورانه حول الشمس- بالضبط هي 365 يوماً و6 ساعات و25 دقيقة و46 ثانية، وهو صحيح تماماً تبعاً للفلكيين الجدد، وأبعد حركة له يوميًّا عن الشمس هي 56 و19ً 1َ 1 ^{0}، أي بفارق 0.34 من

الثانية، وهو فارق ضئيل جدًّا، وهذا يعني أن الشهر النجمي الذي يتكون من 27 يوماً و7 ساعات و43 دقيقة و14 ثانية هو أطول بثلاث ثوانٍ، وحركته النجمية للقمر والتي تقدر بـ3ً 15ً 34ً 10َ 13 ^{0} هي أقل بـ6ً 1َ، وهذا الرقم الأخير هو خطأ يحدث بمعدل واحد في العشرة مليون، ويمكن فقط من خلال تقديم هذه الأرقام أن نقدر المقدرة الرياضية غير العادية لهذا العبقري البارز، ويعطينا العمود الثالث طول اليوم بوحدات تمثل 4 ساعات، 4 دقائق، 4 ثواني، ومن المفترض أن الاعتدال الربيعي يأتي عند 15َ 8 ^{0} من برج الجدي، حيث يتم تحديد طول هذه الأيام باستخدام ثلاث وحدات أو مدة مقدارها 12 ساعة، ونضيف لكل درجة تالية 36 أو دقيقتين و24 ثانية، وفي أول يوم من السنة الجديدة (6 نيسان) يكون القمر عند 38ً 45ً 25َ 0 ^{0} من برج الثور طول اليوم هو 314 أو 12 ساعة و56 دقيقة، ونستمر في ضرب عدد الدرجات في طول 36 حتى نصل إلى 15ً 10 ^{0}، وبعد ذلك في 24، وبإضافة الناتج إلى 314، نحصل على 326، حيث تقع بداية الفترات الاثنى عشرة عند 125َ 8 ^{0} من كل علامة، والسلسلة هي 36، 24، 12 موجب 12، 24، 36 سالب، 36، 24، 12 سالب، 12، 24، 36 موجب، واستمر نظام نابو-ريماني لـ8، 24، 40.

وقد أصبح العمود الرابع مطلوباً الآن (وهو العمود الذي يتحدث عن طول نصف الليل)، حيث إن كيدينو Kidinnu قد قام بالتخلي عن غروب الشمس المتغير كبداية لليوم العادي، وبدأ يوم الفلكي عند منتصف الليل، وقد تم طرح العدد الموجود في العمود الثالث من 6 لنظيره البابلي لـ24 ساعة، وتم تنصيف الناتج، وعلى سبيل المثال، فاليوم الأول من شهر أدارو وطول اليوم هو 256، 6 ناقص 256 تساوي 4ً 3َ، وعند قسمتها على اثنين يكون الناتج هو 132 أو 6 ساعات و8 دقائق، وهي المدة من غروب الشمس وحتى منتصف الليل، ويعطينا العمود الخامس موقع

الهلال والبدر، حيث إن كيدينو قد اكتشف أنه كلما اقترب مسار القمر من دائرة المدة التي يعود بعدها القمر إلى نقطة الالتقاء نفسها بين المدارين، وهي ما يعرف بشهر التنين، وتتحرك الأرقام في الجدول من بار (الصفر)، وهو المكان الذي عنده القمر عند نقطة التقاء دائرة البروج متجهاً إلى أعلى أو لأسفل، ويعبر ذلك -على حسب كلمة «أعلى» أو «أسفل» التي يتم إلحاقها بالرقم- بحد أقصى 15ً 52َ 9 0، 7ً 56َ 4 0، 5 إما بالسالب أو الموجب، والاختلاف المعتاد هو 40ً 52َ 3ژ0 مقسمة بالطبع بشكل غير متساوٍ، عندما تمر السلسلة المتناقصة أو المتزايدة بالصفر، وتوجد عملية تصحيح منتظمة بعد نقطة الصفر: 30ً 52َ بدلاً من 30ً 52َ 3ژ0، وتظهر الحسابات أن الشهور الاقترانية تساوي 5.923 من شهور التنين، وهكذا فإن شهر التنين الخاص بكيدنيو يتكون من 27 يوماً، و5 ساعات، و5 دقائق، 35.81 ثانية، وهو بذلك يماثل شهرنا تماماً.

أما في العمود السادس، فتوجد الحركة اليومية للشمس، والاختلاف المعتاد هو 0.36، ويبلغ أقصى قدر له عند أقرب نقطة في مدارها والتي تقدر بـ53ً 16َ 15 0، وأدنى قدر له عن أبعد نقطة في مدارها والتي تقدر بـ5ً 5َ 11 0، وهذا سوف يعني قيمة متوسطة مقدارها 35ً 10َ 13 0 ولكن أحد اليونانيين -الذي قد استخدم بوضوح أحد الكتب المفقودة- قام بإعطائنا القيمة «الخالدية» بشكل أكثر دقة كـ6ً 3ً 51ً 34ً 10َ 13 0، وهي القيمة التي تقل عن المتوسط بمقدار 4ً 38ً 1ً، ومن دراسة الحد الأقصى والأدنى، سوف نجد أن 251 شهراً اقترانيًّا تعادل 269 شهراً Anomalistic ، ويعطينا العمود السادس الذي يجب أن نضيفه إلى الأيام التسعة والعشرين حتى يتمكن المجموع من تحديد أطول وأقصر الشهور الاقترانية، والاختلاف هو 30ً 22َ، والحد الأقصى هو 5ً 27ً 29َ 4 0، والحد الأدنى هو 35ً 34ً 52َ 1 0، وهذا يجعل شهر كيدينو الاقتراني يتكون من 29 يوماً و12 ساعة و44 دقيقة وثلاثة وثلث

الثانية، أما الشهر Anomalistic فيتكون من 27 يوماً و13 ساعة و18 دقيقة و34.7 ثانية، أي 1.9 ثانية أقل من الشهر الحديث.

ويفترض هذا العمود أن حركة الشمس مستمرة، ولكن العمود التالي قد صحح طول الشهر الاقتراني بالنسبة للحركة الشاذة للشمس، والحد الأقصى وهو 21 أو ساعة و24 دقيقة، وفي هذه الحالة يكون القمر عند أقرب نقطة أثناء دورانه حول الشمس، ويكون عندما تدور الشمس بسرعة أكبر، ويأخذ القمر وقتاً أكبر للتلاقي معها؛ ولذلك فإن إشارات الأبراج تكون إيجابية لمدة 6 أشهر، ويصل الحد الأدنى إلى ذروته عندما يكون العكس صحيحاً، وبينما تتحرك الأبراج بين القيم السالبة أو الموجبة، فإننا نقوم بإضافة أو طرح ما هو في هذا العمود من الموجود في السطر السابق، ونضع الناتج في العمود التالي لنحصل في ذلك العمود على تصحيح طول الشهر الاقتراني كما هو مذكور في العمود السابع بافتراض ثبات سرعة حركة الشمس، والحد الأقصى لطول الشهر الاقتراني هو الآن إما موجب أو سالب 28 32 أو ساعتين و9 دقائق و52 ثانية، والذي يسمح بتغير محتمل في طول الشهر الاقتراني من خلال سرعة الدوران غير الثابتة للشمس، ومقدار هذا التغير هو 4 ساعات و19 دقيقة و44 ثانية.

وتوضع بالعمود العاشر فواصل حقيقية بين تلاقيين أو تباعدين، والتي نحصل عليها من العمود السابع عن طريق إضافة أو طرح البيانات الموجودة في العمود التاسع، وعن طريق إضافة بيانات المسار التالي الموجودة في العمود السابق إلى بيانات المسار الأخير الذي تم تحديده له نحصل في العمود الحادي عشر على تاريخ الهلال الفلكي الجديد، وحيث إن العمود السابع يعطينا الشهر الاقتراني الصحيح، ولكن ليس المسار الشاذ للقمر أو طول الشهر، ونتيجة لأن العمود التاسع لا يتبع بدقة كافية المسار الشاذ للشمس، فإن التاريخ المحسوب يختلف عن

التقدير الذي نفترضه بمدة $\frac{1}{2}$ إلى $2\frac{1}{2}$ ساعة، ويفسر هذا أيضاً الاختلافات التي تقع في الوقت المحسوب لحدوث عمليات الكسوف.

وتقوم ستة أعمدة أخرى بحساب الوقت الحقيقي للهلال الجديد، إلا أنه لم يقم أحد بدراستها بشكل صحيح حتى الآن، حيث إنه لا يزال يتم تحديد الشهر عمليًّا بظهور الهلال، وهكذا فإن نظام كيدينو Kidinnu يظل غير مكتمل بالنسبة إلينا، وبالإضافة إلى ذلك، فإن حساباتنا يجب أن تكون قائمة على الرؤية التقريبية لما هو موجود في الألواح، حيث إن كتاب كيدينو -على خلاف نصوص نابو-ريماني- لم يصل إلينا، ويثبت المقتطف اليوناني الذي وصلنا منه أنه كان دقيقاً بدرجة أكبر بكثير، ولكن حتى بدون عرضه الذي يغلب عليه الطابع النظري بدرجة أكبر، فلقد نجح هذا الفلكي في نيل شهرة كبيرة، وإذا كانت دقة حسابات نابو-ريماني تبدو مذهلة بالنسبة لنا، فإن دقة حسابات كيدينو لا تكاد تصدق، حيث إن العلاقة بين القمر والشمس هي أكبر فقط بـ1ً، ونقطة اللقاء بالنسبة للشمس هي 0.5ً ، أما بالنسبة للقمر فهي 1.5ً ، أما العلاقة بين القمر وأقرب نقطة في مدار القمر من الشمس فهي 9.7ً ، وبالنسبة إلى الاعتدال الشمسي 15ً ، والعلاقة بين أقرب نقطة في مدار الشمس والاعتدال 18ً ، والعلاقة بين الشمس وأقرب نقطة في مسار الشمس هي أقل بـ3ً، وتظهر عظمته الحقيقية في أفضل صورة عندما نقارنه بالفلكيين المعاصرين، فقد قام هانسن Hansen -وهو أشهر الفلكيين المتخصصين في دراسة القمر- في عام 1857 بتحديد قيمة الحركة السنوية للشمس والقمر بزيادة قدرها 0.3ً عن كيدنيو، ولقد كان خطأ كيدينو أكبر بثلاث مرات، وقام أوبولتزر في عام 1887 بوضع القاعدة التي نستخدمها بصورة منتظمة لتحديد تاريخ حالات الكسوف القديمة، ولقد أصبح معروفاً ومتعارفاً عليه الآن أن قيمته لحركة الشمس من نقطة التلاقي كانت 0.7ً أقل في السنة من القيمة الحالية، وفي الحقيقة، فقد كان كيدينو أقرب إلى

الحقيقة، حيث كان معدل الخطأ في حسابه هو 0.5ً أكبر من القيمة الحقيقية، ووصول كيدينو إلى هذا المستوى من الدقة في حساباته بدون أن يكون لديه تلسكوبات أو ساعات أو الأدوات الميكانيكية التي لا حصر لها، والتي تعج بها مراصدنا الفلكية، وبدون الرياضيات العليا التي توجد لدينا، يبدو ذلك غير معقول بالنسبة إلينا حتى نتذكر أن كيدينو كانت لديه وتحت تصرفه سلسلة من حالات الكسوف التي تمت ملاحظتها بدقة، والظواهر الفلكية الأخرى التي كانت أطول وأكثر من تلك المتوفرة اليوم لخلفائه المعاصرين.

يودوكسوس Eudoxus المنتمي إلى سنيدوس سلف إقليدس Euclid :

بدأ بودوكسوس المنتمي إلى منيدوس حياته كطبيب، وقد زار أثينا، ورأى هناك في أفلاطون (Plato) معلماً له، والذي عقب عودته من مصر بدأ العمل بالفلسفة، ثم قام يودوكسوس بعد ذلك بالحصول على رسالة تقديم من أجيسيلوس إلى الملك نخت-هار-هيبي وأبحر متجهاً إلى مصر بعد ذلك بفترة قصيرة، ولقد أمضى هناك 16 شهراً حلق فيها لحيته وحواجبه، وكان تحت رعاية كونوفيس Chonuphis المنتسب إلى منف، والذي كان يستخدم مرصده الموجود بين هليوبوليس وسرسيسورا -الذي كان عبارة عن برج- في أخذ ملاحظات عن الأجرام السماوية، ولا يزال يشار إلى هذا المرصد بعد مرور ثلاثة قرون على ذلك الوقت.

والقصص التي يتم سردها حول يودوكسوس هي في معظمها قصص صبيانية ومضللة إلى حد كبير، ولكنها ضرورية لأن يودوكسوس كان رجلاً عظيماً في حد ذاته، ويمتدح الباحثون المعاصرون أعماله واصفين إياها بأنها تمثل «بداية دراسة علم الفلك بأسلوب علمي» ونشأة وانتشار مثل هذا الاعتقاد هو أثر يسهل فهمه، فعلى الرغم من أن مؤلف يودوكسوس

«فاينومينا» نفسه قد فقد، إلا أن الأفكار الأساسية التي كان يحتوي عليها ما زالت موجودة في النسخة الشعرية التي أصدرها أراتوس Aratus ، وهذا هو أول بحث يوناني في علم الفلك يتم حفظه ويصل إلينا، ولكن اللقب نفسه وهو «فاينومينا» قد تمت استعارته من ديموقريطوس، ولقد علمنا بالفعل من الخالدين ما الأفكار والمعلومات التي من المؤكد أن هذا الكتاب كان يحتوي عليها؟ ومن المؤكد أن صورة السماوات الموجودة في مؤلف أراتوس تقوم على كتاب يودوكسوس، ولكن هذه الصورة هي في الأساس تلك الصورة التي قام ديموقريطوس Democritus باستعارتها من نابو-ريماني وزملائه، وعلى خلاف ذلك، فإن يودوكسوس لم يقم بزيارة بابل، ولا يوجد أي دليل يثبت أنه كان يعرف أي شيء عن التحسينات التي أدخلها الفلكي البابلي كيدينو -الذي كان معاصراً له- على علم الفلك.

ومن المؤكد أن يودوكسوس يستحق كل الثناء الذي حصل عليه مقابل مخططه البارع، ولكن المعقد جدًّا هو وجود 27 جرماً سماويًّا تدور في مدارات متحدة المركز؛ وذلك لشرح الحركات الخارجية الواضحة لكل من الشمس، القمر، الكواكب، والنجوم الثابتة، ولكن يكفي فقط إلقاء نظرة بسيطة على هذا التوضيح، وأنه لا يقوم على ملاحظاته الخاصة في الأساس، ولكن على المنطق الرياضي، كما أننا نجد أن جميع المصطلحات التي استخدمها نابو-ريماني -والتي نقلها عنه ديموقريطيس- كانت موجودة في هذا الكتاب، وهي: الكواكب، المدارات، دائرة البروج، الميل، خط الاعتدال السماوي، الأقطاب، الحركة الدائرية، المدارات، أماكن السكون، التراجعات، وأعلى مدى شمالي وجنوبي للقمر، ولقد قام يودوكسوس بحل المشكلات التي أثارتها معرفة نابو-ريماني بأن حركات الأجرام السماوية تقل، ثم تتسارع في أجزاء مختلفة من مداراتها، وذلك من خلال عدد كبير جدًّا من الدورات

الدائرية الفردية التي يتم ربطها مع بعضها البعض بواسطة أقطاب فردية تدور على طول محاور ذات ميول متعددة، وقد نحكم على هذا النظام من خلال نتيجته، فمع مواجهة مشكلات جديدة تتراكم أفلاك التدوير واحداً على الآخر حتى تم الوصول إلى النظام البطلمي الذي كان مستخدماً خلال العصور الوسطى مع كل التعقيدات التي يحتوي عليها، ولقد كان نظام نابو-ريماني دقيقاً فيما وصل إليه؛ لأنه كان يقوم على ملاحظات صحيحة ودقيقة، ومتصلة على مدار فترة طويلة، يساعدها في ذلك نظام رياضي على المستوى نفسه من الكفاءة مثل نظيره اليوناني، على الرغم من أنه كان مختلفاً في الأسلوب الذي استخدمه في كثير من الجوانب، وفي النهاية فقد قام أحد خلفاء نابو-ريماني -وهو سلوقس من مدينة سلوقية التي تقع بالقرب من الخليج الفارسي- باكتشاف أن كل هذه الدوائر وأفلاك التدوير كانت غير ضرورية بمجرد أن اكتشف أن الأرض هي التي تدور حول الشمس.

وإذا لم يكن يودوكسوس بعظمة ديموقريطيس نفسها في علم الفلك، إلا أن شهرته راسخة؛ لأنه كان السلف المباشر لإقليدس، ومن الصعب تحديد إلى أي مدى سبقه المصريون أو حتى البابليون، حيث إن اكتشافنا للرياضيين الشرقيين ما زال حديثاً لدرجة أننا لازلنا في حالة دهشة من الإنجازات الكبيرة التي حققوها، ويجب أن يتم تناول وعرض تاريخ علماء الرياضيات الشرقيين بصورة جيدة في المستقبل، حيث إن هذا لن يكون سوى تقييماً بسيطاً لمساهماتهم التي قدموها لليونانيين، وقد كان يودوكسوس موسوعيًّا مثلما كان الحال مع ديموقريطوس من قبله، حيث كان ينظر إلى جميع أوجه المعرفة على أنها حقل تخصصه، ولقد قام هذا الرجل بتمهيد الطريق للعبقرية العلمية البارزة التي لمعت خلال العصور القديمة، وهي شخصية أرسطو (Aristotle) ، بالإضافة إلى قيامه -من خلال كتاباته وكتابات تلاميذه- بتلخيص جميع المعارف التي توصل إليها العلماء

السابقون، والمساهمة الأعظم التي قدمها أرسطو (Aristotle) للعلم هي الأساس الصلب الذي وضعه للاكتشافات الأكثر أهمية، والتي ستحدث فيما بعد خلال أوائل العصر الهليني.

الفصل الثاني والثلاثون

الأديان تموت وتحيا

التوفيق بين المعتقدات الدينية:

يستحق كل من نابور-ريماني وكيدينو المنزلة الأولى في تاريخ العلم الخالص، ولكننا يجب أن ننسب لهم «فلسفة علمية» معاصرة، ولقد كان مثل هذا الاتجاه ممكناً فقط لدى الفلاسفة اليونانيين الذين يؤمنون بالقضاء والقدر، والذين كانوا -على الرغم من ذلك- سابقين لعصورهم، وكرد فعل على ذلك قامت أثينا المحافظة بإجبار أناكساجوراس على تدريس علم الفلك، ولقد أعلن سقراط -في تحول مفاجئ وقوي عن بدعه وآرائه السابقة- أن المعلومات الفلكية لا طائل من ورائها، وأنه من عدم التقوى القيام بالبحث والتحقيق في الأمور التي لم يرد الإله للإنسان أن يفهمها، وأن أية محاولة لشرح وتفسير آلية عمل الآلهة هي ضرب من الجنون، ولقد كانت بابل أكثر تحفظاً من اليونانيين، حيث كانت شديدة التحفظ في الحقيقة لدرجة أنه من المحتمل أن صراعاً قد نشب بين العلم والدين، ولقد كان كل من نابو-ريماني وكيدينو كهنة أولاً وقبل كل شيء، وقد كانت حياتهم مكرسة لخدمة إله القمر، وإله الشمس، أو آلهة أخرى مجسدة في صورة الأجرام السماوية، وقد كانوا يعبدون هذه الآلهة من خلال أحد الطقوس الذي تم وصفه وتحديده في الماضي القديم للأجداد، وعندما تحولا إلى المشكلات الأكثر عملية،

والمتمثلة في دراسة الظواهر الفلكية «بأسلوب علمي» كانا -على الأقل- غير مدركين تماماً كون هذا العمل ينطوي على عدم ورع، حيث إن غرضهما الوحيد كان يتمثل في تفسير هذه الآلية التي تعمل بها الآلهة، والتي أدانها سقراط، وهكذا فإنه كان يتمثل حرفيًّا في تبرير «الطرق» التي تعمل بها الآلهة للبشر.

وعلى الرغم من هذا التقدم العظيم الذي حدث في علم الفلك البابلي، إلا أن الديانة البابلية ظلت يغلب عليها الجمود بشكل واضح، حيث تظهر لنا الرسائل والمراسيم الإدارية والوثائق التجارية أن المعابد قد استمرت في اتباع النظام نفسه الذي تسير عليه دون تغيير، ولكنها واجهت بعض المشكلات فقط نتيجة السيطرة المتزايدة للحكومة على ممتلكاتها، ولقد قام النُسَّاخ الموجودون في المعابد بنسخ الكتابات الدينية القديمة بشكل حرفي ودون أي تغيير، وقد احتفظ الإله بل-ماردوك بتشريفاته وألقابه القديمة حتى قام كسركسيس بتدمير إساجيلا بسبب الثورات التي قامت بها بابل، وقد تمت استعادة عبادة الإله ماردوك خلال جيل واحد ولكن بمصادر أقل، وتم تكريم آنو وسيده أوروك الشماس المنتسب إلى لارسا وسيبار، وإنليك إله نيبور، ونابو إله بورسيبا، وتم تكريم هذه الآلهة ببعض من مظاهر الفخامة والروعة التي كان يتم تكريمها بها في السابق، ولقد تم التضرع إلى هذه الآلهة نفسها باستخدام الصيغ نفسها في أسماء العائلات الكبيرة التي يتم تكرارها بصورة مملة.

ويتكشف وادي النيل عن هذه الصورة نفسها، والشيء الوحيد الذي جعلها أشد هو حقيقة أن مصر كانت مستقلة سياسيًّا لفترة أطول، وأن الحكام المصريين كانوا متشوقين وقادرين على إعادة بناء المعابد، واستعادة عبادة الآلهة، وقد استمرت الاتجاهات القديمة التي ظهرت للمرة الأولى في عهد فراعنة أسرة سيتي، حيث استعادت الآلهة التي كانت مهملة حتى ذلك الوقت -مثل نيث إلهة سيس- المكانة والتكريم

الذي تستحقه، وتشير المزيد من الملاحظات المتفرقة حول أجزاء الإمبراطورية الأخرى إلى فكرة غير مريحة، وهي أن هذه الصورة الجامدة بشكل واضح ترجع فقط إلى جهلنا، وأننا لم نتعرف بعد على الإشارات إلى الحركات الجديدة التي تعمل بشكل خفي، والتي سرعان ما ستظهر، وستترك بصمتها على عالم آخر سيأتي لاحقاً، ونستطيع أن نستخلص بعض المعلومات من الأسماء الشخصية حول التطورات التي حدثت في التوفيق بين المعتقدات، حيث نجد بعض الوثائق البابلية التي تعود إلى عهد أرتاكسركسيس الأول، والتي تظهر لنا العديد من السكان وهم يكرمون آلهة غريبة، والتي كان من بينها الآلهة الفارسية ميثرا وباجا، والآرامية شيميش، واليهودية يهوه، والمصرية إيزيس وهارماخيس، وفي أغلب الحالات فإنه من المؤكد أن هذه الآلهة كانت تصاحب عبادها الذين تم ترحيلهم، ولكن هناك حالات أخرى تم فيها اقتراح حدوث بعض التغيرات الدينية، فعندما يقوم تاجر يهودي باستبدال الإله نابو أو ماردوك مكان الإله يهوه، فإن هذا قد يكون مجرد توفيق بين المعتقدات، ويقصد بذلك التوحيد بين إلهين، ولكن عندما يحدث هذا بشكل متكرر، أو عندما يقوم أب مصري يعبد الإله هارماخوس بتسمية ابنه باسم إله بابلي، فإن هذا يبدأ في الظهور كما لو كان اهتداء، وتحول لاعتناق دين آخر، ومرة أخرى هناك أب يعترف بالإله يهوه، أما ابنه فيعبد إلهاً بابليًّا، ويحمل الحفيد اسماً إيرانيًّا لا يشير إلى التزامه بأي دين، وهنا يوجد دليل كافٍ على الطريقة التي تم بها المزج بين الأديان.

ولا توجد أية إشارة في مصر تدل على أن المصريين كانوا قد تخلوا بحلول ذلك الوقت عن آلهة أجدادهم، ولكنهم قاموا بالزواج من الفرس، فعندما قام آشور -على سبيل المثال- باتخاذ الوريثة اليهودية الغنية «مبتاهيه» زوجة له كان من المتوقع أن تترك أهلها وتقسم بآلهة زوجها، ولكن من المؤكد أنها قامت فيما بعد بتطليق آشور وعادت إلى قومها،

وقامت أيضاً في ذلك الوقت بنقل ثروتها إلى رجل آخر هو زوجها الثاني والذي كان يهوديًا مثلها، وفي كل مكان من وادي النيل نجد برديات وشواهد حجرية لقبور التجار السوريين، ولقد سمع هيرودوت عن معسكر السوريين الذي كان يقع بالقرب من معبد هيفستيوس (والذي كما سماه «بتاح») في منف، وتذكر الوثائق التالية الكثير من آشور، وهو المصطلح الذي يتم استخدامه في العادة للتعبير عن السوريين مثل جزيرتهم ومقاطعتهم، وتكشف الأسماء الشخصية لهؤلاء التجار عن التوفيق بين المعتقدات التي كانت تتميز به هذه الفترة، فمثلاً يكشف اسم «حداد-إزر» أن صاحبه لا يزال يعبد إله الريش السوري، بينما يشير اسم «حوري» إلى تقديس الإله المصري «حورس»، على الرغم من أن الأب الذي أطلق عليه هذا الاسم كان يحمل اللقب الفارسي الحسن «باجاباجا»، وهناك تاجر آخر يسمى باجادات، وقد تم إثبات أن هؤلاء التجار الآراميين قد تحولوا بالفعل إلى اعتناق الديانات المصرية ليس فقط من خلال الأسماء، فعلى الرغم من أن عنان بن عليشة كان مواطناً من المدينة السورية التي تمت تسميتها على اسم الإله السامي «بعل»، إلا أنه قد أصبح كاهناً للإله إيزيس، ولقد كان شيل أو سول -الذي كان موطنه الأصلي هو سين- كاهناً للإله البابلي نيبو، وكان حريم شيزاب كاهناً هو الآخر ربما للإله حريم-شيزاب الذي يحمل اسمه، ولذلك فإذا كانت لدينا أسماء أخرى تخلد ذكرى الإلهة آنات (الإلهة السورية العظيمة، أشيما، بيثل، أو الإله البابلي ماردوك، فإننا قد نتوقع أن نجد في يوم من الأيام كهنة ومعابد لهذه الآلهة على طول وادي نهر النيل.

وقد اكتشفت كل هذه الأسماء الأخيرة في المقبرة الخاصة بالآراميين، والتي كانت توجد جنوب غرب منف، حيث تم دفنهم في الطين، أو بنسبة أقل كثيراً في توابيت حجرية أو خشبية مصنوعة على شكل الإنسان، والتي كان يستخدمها السكان المحليون، وقد كانت

الجثث في الغالب محنطة، ولكن التحنيط كان رديئاً، كما أن الأحشاء كانت ملفوفة وموضوعة في لفة صغيرة (والتي كان يتم أحياناً وضعها في صندوق خشبي مرسوم عليه الأشخاص التقليديين الذين يحضرون مراسم الجنازة) وموضوعة فوق الجثة، أما الأسماء وأسماء الآباء والألقاب فقد كانت تتم كتابيتها بالحبر، أو يتم نقشها بشكل غير متقن، وبعد ذلك ربما كانت تتم إحاطة أو بناء قوس حول التابوت باستخدام قوالب الطوب، أما الآراميون الأكثر ثراءً الذين تم دفنهم هنا أو حول مقبرة أوزيريس في أبيدوس، فقد قاموا بتشييد أو وضع شواهد حجرية لقبورهم، والتي تثبت بشكل كامل أن هؤلاء المتحولين الجدد إلى الديانة المصرية كانوا ملتزمين بالدفن في الأرض باستخدام طقوس أوزيريس الصحيحة، وقد يكشف هذا الأسلوب عن لمسة بربرية غير عملية، وهذا ينطبق أيضاً على النقوش الهيروغليفية المصاحبة لهذه الشواهد، وقد كان يتم في العادة الاحتفاظ بالزي الفارسي، ولكن تم تصوير طقس الدفن الخاص بالإله أوزيريس في المشاهد المصاحبة، كما أنه يتجلى لنا بوضوح من خلال الترجمة الآرامية، وهذا صحيح رغم أن الخمر القديم لعقيدة الإله أوزيريس قد تم سكبه وصبه في زجاجات جديدة من الشعر الآرامي:

مباركة هي طابا .. ابنة تاهابي ..

العابدة المخلصة للإله أوزيريس ..

يا من لم ترتكبي أي سوء على الإطلاق ..

ويا من لم تتكلمي بالسوء في حق أي إنسان ..

كوني مباركة هناك أمام أوزيريس ..

وخذي الماء من أمام أوزيريس ..

وتعود شواهد القبور الأكثر تعقيداً من بين هذه الشواهد إلى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الثالث، وتظهر قبولاً تاماً للمعتقدات الخاصة

بعبادة الإله أوزيريس، وأحد الشواهد التي تعود إلى فترة سابقة على ذلك (482)، ويبدو غريباً بعض الشيء، حيث يظهر الرجل المتوفى وزوجته يصليان أمام الآلهة أوزيريس وإيزيس ونفتيس وهما واقفين أسفل قرص مجنح، ونقرأ في لغة مصرية فظة: «قربان ملكي، قدمه أوزيريس، أول الغربيين، الإله العظيم، سيد أبيدوس، وهو يمنح جنازة لائقة ومكان دفن جيد في المقبرة وسمعة حسنة على الأرض التي هي مع الإله العظيم، سيد السماء، إلى السيدة المكرمة أختوبو»، ولكن يظهر هذا الرجل المتوفى وزوجته وكذلك أيضاً المشيعون، وهم مرتدين أغطية سورية للرأس، كما أن الجرار المستخدمة في المراسم هي سورية وليست مصرية، ويبدو أيضاً أن الكهنة ليسوا من المصريين، ومن الأشياء الأجنبية أيضاً العربات الجنائزية التي تأخذ شكل أسد بذيل مرفوع، ويمسك بهذه العربات شخص يقف بينها، والذي يبدو غريباً هو الآخر، وقد بدأنا نشك في أن التوفيق لم يكن بين الآلهة فقط، ولكنه كان أيضاً بين الطقوس.

الدين الغامض الأول:

اتضح مؤخراً أن شكوكنا كانت أكثر من مبررة بسبب حل وتفسير البرديات الديموطيقية التي تعود إلى القرن الرابع، على الرغم من أن ذلك لا يزال في بدايته، وعلى الرغم من أن الحروف المستخدمة هي حروف ديموطيقية، والتي هي في غالبها حروف أبجدية، ولكنها تحتوي على مجموعة لا بأس بها من المحددات والصور، إلا أن امتدادات الحروف قد أظهرت لمسة أجنبية، وقد تبين أن اللغة المخبأة بهذه الطريقة هي ما يجب أن نتوقعه، ويقصد بذلك اللغة العالمية المستخدمة في جميع أرجاء الإمبراطورية ألا وهي اللغة الآرامية، ولقد واجهتنا صعوبات نتيجة لفقر الأبجدية الديموطيقية المستخدمة لكتابة هذه النصوص، وكذلك أيضاً نتيجة للعلامات العديدة الأخرى المستخدمة كأيدوجرامات كاملة أو

كالمقابل الصوتي لها، وكتعويض عن ذلك حصلنا على بعض المساعدة من مقسمات أو مجموعات الكلمات، أو من المحددات المستخدمة مع الآلهة لتحديد جنسها (مذكر - مؤنث)، أو بلدها، أو من المكملات الصوتية التي تتم إضافتها إلى الرموز لتوضيح الطريقة التي تنتهي بها عندما نقرؤها ككلمات آرامية، ونحن متأكدين بالفعل من أن اللغة المخبأة بهذه الطريقة هي اللغة الآرامية القديمة كما كانت مستخدمة في القرن الرابع خلال فترة حكم الأخمينيين.

وللمرة الأولى يمكننا قراءة هذه المرحلة القديمة من اللغة بنطقها الصحيح تقريباً، وقد تمت إضافة الصوتين الساكنين (يا) و(وا) هنا وهناك -تماماً كما هو الحال مع مخطوطات الكتاب المقدس العبرية الموجودة لدينا- وذلك للإشارة إلى أنه سيتم نطق الأصوات المتحركة وهي الفتحة والضمة والكسرة، وتتم إضافة علامة ثنائية لجميع المرات التي يأتي فيها صوت الفتحة /أ/ لتحديد -والذي يتكرر كثيراً في اللغة الآرامية لتحديد ما إذا كان سينطق أم لا.

ولقد تمت ترجمة قدر كافٍ في هذا السياق للحصول على هذه النتائج المفاجئة، حيث إن المقتطف الطويل الذي وصل إلينا -والذي يحتوي على واحد وعشرين عموداً بإجمالي يتعدى الألفي كلمة- يخفي طقساً تعبديًا سريًا، حيث يعطي الشارح بعض التوجيهات حول المسرحية الأعاجيبية، ثم تتم تأدية الأحداث الغريبة، ويمكننا أن نكتشف التركيب الشعري (كل من «تجانس الأعضاء» والإيقاع الفعلي) ويذكرنا كل من المحتوى والكلمات بشكل متكرر بالكتابات الأكثر قدماً المشابهة لها، والتي تم اكتشافها حديثاً في رأس الشمرا، ولكنها مكتوبة من أعلى إلى أسفل باستخدام الأبجدية المسمارية.

ويغطي النص بأكمله جو جنائزي كئيب، يلطف من حدة الأمل الراسخ في الفوز بالرحمة في الحياة المستقبلية، ولقد رأينا بالفعل كيف

أن العديد من المبعدين الآراميين إلى وادي النيل قد تخلوا عن نظرتهم السامية حول وجود جو كئيب ولا أمل فيه بعد الموت، وتبنوا تلك النظرة الخاصة بالإله أوزيريس حول حياة يحصل المتوفى فيها على الرحمة والنعيم، ومن المهم أن المؤلف الذي كتب عن هذا الطقس قد اقتبس مشهد الحساب المألوف أمام الإله أوزيريس فقط ليحوله إلى استخدام «سيد كه» أنات.

والتوفيق بين الآلهة بصورة كاملة موجود في كل مكان، وفي حين أن الأبطال العظام الذين يتم الاحتفاء بهم هم هذه السيدة أنات، والإله بعل، فإن الموت هو العدو، حيث إن الانتصار المؤقت للموت على الإله بعل، وقيام أنات باستعادة محبوبها وإعادة الحياة والقوة إليه هو موضوع هذه المسرحية الأعاجيبية، وأحد الآلهة الآخرين الذي تم ذكر اسمه بشكل متكرر هو الإله بعل شامين السوري، والذي تتم ترجمة اسمه كـ«إله السموات»، وقد ظهر ذات مرة ثالوث من الآلهة مترافقين مع بعضهم البعض، وهم: الإله بعل سافون (إله الشمال)، والإلهة باردي التي تتحدث عنها نصوص رأس الشمرا، الإله البابلي «بل»، وسيدة شنجال (إيساجيلا)، الإله نابو إله بورسيبا (بارساب)، والإلهة نانا إلهة إينا (أياكو)، وقد أضيف إلى كل من هذه الآلهة عبارة التعزية: «هو/ هي سوف يـ/ ترحمك».

وعلى الرغم من التشابه الكبير مع القصائد الطقسية الموجودة في رأس الشمرا، إلا أن هناك اختلافاً بارزاً واحداً، هذه هي عبارة «أجنبية» في أرض غريبة، وهذا الطقس هو طقس «سري»، ويمكن لأي شخص متعلم بدرجة كافية لتهجي هذه الكتابات أن يفهم الطقس البابلي أو المصري، ولكن أسرار المعارف العملية فقط مثل علم الفلك أو العرافة باستخدام الكبد -التي كانت مخصصة لاستخدام الأسرة المالكة، فكانت تتم كتابتها باستخدام قيم غير عادية تعبر عن الحروف الرئيسة، وكان يضاف إليها

تحذير ينهى عن نقل هذه الأسرار إلى أي شخص لا يعرف هذه اللغة السرية، أما بالنسبة لأوراق البردي الفرعونية فقد كانت تتم كتابتها باستخدام ألغاز ورموز معقدة، والتي لم يكن بإمكان الكاتب المصري أو زميله البابلي قد فك شفرتها دون مواجهة صعوبات يستحيل التغلب عليها إلا بمعرفة المفتاح لحل هذه الرموز، وهنا نقابل أول مثال معروف على «دين سري» حقيقي.

تطور الدين فيما بين اليهود:

قد نلحظ بعض التحركات الخفية أسفل هذا السطح الذي يبدو هادئاً بشكل واضح فيما بين شعوب أخرى في الشرق القديم، ولكن ذلك كان فيما بين ثلاثة شعوب فقط، وهم: الفرس، واليونانيون، واليهود، وهي الشعوب الثلاثة الوحيدة التي يمكننا أن نتتبع حدوث تطورات دينية محددة لديها، فقد احتفظت ممالك يهودا وإسرائيل بشيء من الاستقلال خلال سنوات استقلالها المتزعزع فقط عن طريق إثارة جارتها مصر ضد آشور أو ضد الخالديين فيما بعد، ولقد كان اليهود ثقافيًّا جزءاً -فجزءاً مستقلاً بذاته- من الحضارة العالمية التي كانت توجد على حد سواء على ضفاف النيل ودجلة والفرات، هذا بالإضافة إلى الدويلات الأقل أهمية، والتي تقع على أطراف الإمبراطوريات الكبرى، ولقد أظهر اليهود ميولاً خاصة فيما يتعلق بمسألة الدين خلال السنوات الأخيرة، وفي البداية، بدأ وصول الإيرانيين هناك كما لو لم يحدث أي فرق، حيث إن الثقافة الفارسية كانت في معظمها تقوم على ثقافة الإمبراطورية الأكثر قدماً، ولقد كانت الديانة الإيرانية في الأساس ديانة توحيدية، ولا بد أن الإيرانيين قد شعروا بالتعاطف مع ديانة أحد الشعوب الصغيرة الذي كان يؤمن مثلهم بإله واحد، ومن المحتمل أن تدخل الفرس في مرات عديدة بالنيابة عن المعتقدات التقليدية اليهودية لم يكن راجعاً لاعتبارات سياسية فقط، ولقد

كانت بلاد فارس متسامحة مع الشعوب الأخرى فيما يتعلق بالأمور الدينية، حتى إنها تفوقت على الإمبراطوريات السابقة فيما يتعلق بهذه النقطة، فلم يكن هناك أي اضطهاد للديانات الغريبة، إلا إذا ارتبطت وترافقت مع تهديدات وطنية بالثورة، والنتيجة الطبيعية لذلك هو أن المفاهيم الجديدة قد دخلت بسهولة واستقرت حتى في الدوائر اليهودية الأكثر تحفظاً.

ولكن وعلى الرغم من التسامح الفارسي، فقد تم فرض وحدة ثقافية دينية متزايدة من خلال الموقف السياسي، حيث إنه في ظل الحكم الأخميني، اقترب العالم المتحضر من أن يكون تحت سيطرة سلطة سياسية واحدة أكثر من أي وقت مضى أو أكثر من أية دولة أخرى قامت منذ ذلك الوقت، وفي حالة اليهود، اعترف الشرق القديم بأكمله -الذي كان اليهود متفرقين فيه بدرجة كبيرة -بسيد واحد، ولا يمكننا المبالغة في تقدير أهمية هذا العامل في التطور الديني لليهود، ومنذ ذلك الحين بدأ اليهود في التشتت في الأرجاء المختلفة للمعمورة، وقد نبدأ بفلسطين نفسها، فقد كان نصف هذا البلد محتلاً من قبل شعوب مختلفة تماماً هم: الفلسطينيون القدماء الذين أعطوا اسمهم لفلسطين، والفينيقيون الذين كان يمتد ساحلهم البحري لمسافة طويلة جنوباً تتجاوز كثيراً أرض بني إسرائيل، والآراميون الذين يتوسعون جنوباً قادمين من الشمال، والعرب من الشرق والإيدوميون من الجنوب، ولقد قام المستعمرون الذين رحلهم الملوك الآشوريون باحتلال عواصم الممالك الإسرائيلية، ولقد قاموا بشكل طبيعي بعبادة «إله هذه البلاد»، بالإضافة إلى آلهتهم الأصلية (بلاد ما بين النهرين) وأرادوا أن يكونوا جزءاً معترفاً به من المجتمع اليهودي بعد أن تمت استعادته، وعندما تم رفضهم نتيجة لتأثير النبي زكريا Zechariah وقيام نيهيمياه برفضهم بازدراء وبشكل قاطع، قام هؤلاء المستعمرون هم أيضاً بالانضمام إلى الأعداء الآخرين للشعب اليهودي الذي يحاول استعادة وجوده.

ولقد انصرف معظم اليهود -والذين كانوا من الفلاحين- عن تأييد ملكهم نتيجة «الإصلاحات» التي أدخلها جوسياه Josiah وخاصة إصراره على جعل هيكل شرعي واحد، ولقد تم عزلهم من خلال النفي عن قادتهم، كما أنهم عارضوا المطالب الصهيونية، وتمسكوا بتقاليدهم المتصلة بالزراعة، وقاموا غالباً بعبادة الآلهة الكنعانية التي كانت تشبه إلى حد ما تلك الآلهة التي يعبدها جيرانهم الوثنيون، وعندما وجدوا أن الصهاينة العائدين لم يتورعوا عن الاستفادة من الضرائب المتزايدة -على الرغم من أنهم لقبوا الفلاحين باستخفاف «الأشخاص المنتمون إلى الأرض» قام عدد أكبر كثيراً من هؤلاء الفلاحين بالارتداد إلى الوثنية الصريحة، ولقد وجد العديد من اليهود ملاذاً آمناً في مصر، وقاموا طوعاً خلال الفترة الأخمينية بالعمل كمرتزقة لحساب الفرس؛ ولذلك فإنهم لم يتمكنوا من الفوز بحب المصريين، وفي خلال فترات التمرد الطويلة والناجحة للمصريين ضد الفرس، من المؤكد أن مصير هؤلاء المرتزقة لم يكن سعيداً، ولم تكن القدس تقدم أية مساعدة لهؤلاء اليهود؛ لأنهم كانوا غير ملتزمين بالقواعد التقليدية (راشدين)، ولمقابلة تأثير ذلك المعبد الوحيد الذي نصت عليه إصلاحات جوسياه Josiah قام هؤلاء اليهود بإنشاء معبد آخر في فيلة ليكون منافساً لمعبد القدس وعبدوا آلهة غير يهوه.

ومن ناحية أخرى فإن اليهود الذين كانوا في «الأسر» في بابل كانوا أكثر رشاداً وأكثر التزاماً بقواعد الدين السليمة من القدس نفسها، والتي كانت تجد نفسها مضطرة بين الحين والآخر وتحت إلحاح رجال مثل عذرا ونيهيمياه إلى الاعتراف بالخطأ، ولكن فيما يتعلق بهذه النقطة، كان عدد قليل من اليهود البابليين ملتزماً فعلاً بتعاليم الدين الرشيد، وفي بابل -كما هو الحال في مصر- كان اليهود الأثرياء يتزوجون من غير اليهود، وكانوا يطلقون على أبنائهم أسماء تمجد وتكرم آلهة أجنبية، وفي فلسطين لم يكن

يتردد أصحاب البنوك في سرقة إخوانهم من اليهود وهم واقفين مباشرة تحت ظل المدينة المقدسة، ومثل هذه الآمال في الوحدة الوطنية التي نجت من اختفاء زيروبابل يجب أن تتركز حول كبير الكهنة، ولكنه أصبح منشغلاً بالأمور الدنيوية بصورة أكبر بعد أن قبلته السلطات كممثل وحيد لشعبهم، ولقد كان على الدرجة نفسها من الانشغال بالدنيا كبار الكهنة الذين اكتفوا بممارسة الشعائر عبر الطرق السابقة.

سيطرت عناصر اليهودية هذه على المستقبل، فمصير اليهود سيكون مماثلاً لمصير الجماعات العرقية الأخرى، لكن ولحسن الحظ كانت المحفزات الروحية نفسها التي تسببت في إحياء الاهتمام بالديانة الزرادشتية فيما بين الفرس، وفي جلب اليونانيين فيما بعد لبعض العبادات الغامضة والخفية من الشرق، كانت موجودة ولكن بدرجة أكبر عند مجموعة محددة من اليهود الذين كانوا يتمتعون بالإخلاص الروحي، ولقد لعب الأحبار وأصحاب الأعمال اليهود دورهم في التاريخ الاقتصادي والسياسي للأيام التي تلت سقوط الحكم الأخميني، ولكن التاريخ اليهودي كان يصبح تاريخاً للوثنيين لو لم يتم تشكيل أحزاب جديدة، ويمكننا أن نرى أن هذه الأحزاب تمثل ثلاثة مبادئ شديدة الاختلاف فيما بينها، والتي لم يكن يتم التمييز بينها بشكل واضح في أواخر الفترة الأخمينية، فمن ناحية كان هناك «الأتقياء»، شديدو التدين، الذين كانوا أوفياء لخدمة المعبد، ولكنهم كانوا في صميم قلوبهم مهتمين بدرجة أكبر بالالتزام بقانون موسى الذي أدخله عذرا، والذي كان الخلاص بالنسبة له ممكناً فقط من خلال الفصل التام (والذي اشتق منه اسمهم الذي تم إطلاقه عليهم فيما بعد وهو «المفصولون أو المعزولون « وفاريسيس) لهم عن كل من لا يوافق على عقائدهم سواء من الكهنة فاتري الهمة أو «أشخاص الأرض»، والزواج من الوثنيين كان شيئاً بغيضاً يتسبب في اللعنة لصاحبه، ولقد قام الكتبة بتعلم القانون مثلما أمرهم عذرا، وكان

انتصارهم يتمثل في الرجوع ثانية عقب تدمير المعبد الثاني، ولقد مثل جناح آخر من اليهود الكنسية العريضة، ولقد كان أعضاء هذه الطائفة -وبطريقتهم الخاصة- وعلى الدرجة نفسها من التدين مثل أفراد تلك الطائفة المسماة بالأتقياء، ولربما كانوا أكثر إخلاصاً للمعبد وطقوسه وكل ما يعتبروه من المبادئ القويمة والسليمة لليهودية، وفي تقابل واضح مع طائفة «المعزولين» فإنهم سوف يقومون بمد وتوسيع نطاق هذه الامتيازات لتشمل العالم بأسره.

وفي حين أن طائفة الأتقياء كانوا يتسمون بأنهم ميالون إلى السلم دائماً وأنهم لم يقوموا مطلقاً بمقاومة الحكام الأجانب طالما منحت لهم الحرية الدينية، فقد تجلت نزعة وطنية على الدرجة نفسها من الوضوح عن كل من الهاجاي، زكريا، وملاكي Malachi ، وقد ظهرت الرؤيا للمرة الأولى بين اليهود في كتابات زكريا، ولكن زيروبابل قد اختفت ولم يكن هناك خليفة لملاكي، ولقد صرفت الضرائب الفارسية تفكير اليهود عن جميع المشكلات التي يواجهونها إلى شيء واحد فقط وهو مجرد البقاء على قيد الحياة، ولقد بدت النزعة الوطنية والرؤيا كما لو كانت قد ماتت فيما بين اليهود، ولكن وكما يحدث غالباً فإن المظاهر كانت خادعة!

الديانات الشرقية فيما بين اليونانيين:

قبل أن تبدأ هذه الحركات الدينية في النشوء والتطور في الشرق بفترة طويلة، وقبل أن تبدأ حركة معاكسة في الانتقال ببطء من الأراضي اليونانية نحو الشرق قام الفكر الديني الشرقي بالتأثير بقوة في اليونانيين، وسوف نبدأ مع هسيود Hesiod الذي عرف في هذا الوقت المبكر أن أدونيس Adonis هو ابن العنقاء «الفينيقيين» ومن بين قطع الكتابات المتجزئة التي كتبها سافو Sappho نقرأ: «الويل والأسفاه على أدونيس!» «أدونيس الرقيق يموت بأفروديت، ماذا عسانا أن نفعل؟ اضربن أثدائكن أيتها العذارى

ببعضها لبعض ومزقن ثيابكن» «وأسفاه على أدونيس وعلى الأشهر الأربعة التي سيقيمها في العالم السفلي»، ويخبرنا تيموكريون Timocreon المنتمي إلى رودس وهو مؤلف كوميدي كان العدو اللدود لثمستوكليس وسيمونيديس Simonides & Themistocles كيف أن القبارصة - بعد تكريم أفروديت Aphrodite لأدونيس في مراسم جنازته- قد استمروا في إلقاء يمامات حية في المحرقة التي يحرق عليه جسده والتي حاولت الطيران مبتعدة ولكنها سقطت في محرقة ثانية وماتت، وتبعاً لترانيم براكسيلا Praxilla المنتمية إلى سسيون، فعندما سُئل أدونيس من قبل ظله عن أجمل شيء تركه وراءه أجاب قائلاً: «إن أجمل شيء خلفته ورائي هو ضوء الشمس، ثم تليه النجوم الساطعة، ووجه القمر، ثم الخيار الناضج، والتفاح الناضج، والكمثرى الناضجة»، ولقد علم أنيماخوس Antimachus أن أدونيس كان يحكم قبرص.

وقبل نهاية القرن الخامس بفترة كافية، قام أشخاص من أصل فينيقي بإدخال عبارة أدونيس إلى أتيكا، ولقد قام أرسطوفانيس Aristophnes بجمع أسرار ديميتر Demeter إله إلويسيس، زيوس Zeus إله أوليمبيا Olympia وأدونيس Adenis مع بعضها البعض، وقد تحدث طقوس سابازيوس Sabazius وطقوس أدونيس Adonis التي تم عملها على الأسطح عندما كانت الجملة الأثينية المشئومة على جزيرة صقلية على وشك الإبحار، ولقد وجد المؤلفون فيما بعد أن تلك المراسم الجنائزية التي تمت إقامتها لأدونيس والتي تم خلالها الطواف عبر البريوس Piraeus في وسط النساء المنتحبات الباكيات -كانت مشئومة ومنذرة بالسوء- حيث إنها قد تزامنت مع رحيل الشباب الأثينيين مع هذه الحملة، وهؤلاء هم الشباب الذين لم يرجع منهم سوى عدد قليل.

وقد تراكمت الإشارات إلى أودونيس بعد ذلك خلال القرن الرابع، ولم يقبل كراتينوس Cratinus بأن تتحول بطانته إلى كورس، حتى ولو كان

ذلك من أجل مهرجان أودونيس، وعلى الرغم من ذلك قام ديونيسيوس Dionysius -حاكم سيراكوز- بتأليف مسرحية تراجيدية تحمل اسم هذا الإله، وكتب فيريكراتيس Pherecrates يقول: «سوف نقوم بمواصلة عمل هذه الطقوس للتعبير عن أسفنا على ما حل بأودونيس»، وقد قام أنتيفانيس بتأليف مسرحية اسمها أودونيس، وفي مسرحيته المسماة «السيدات الكورنثيات» أخبرنا هذا المؤلف عن بجعة تم تكريسها للإلهة أفروديت في قبرص، ويشرح لنا يوبولس Eubulus لماذا يعتبر الخس غذاءً للموتى، وفيها قام Cypris بقتل أودونيس المنتمى إلى أراروس، حيث سخر من هذا الإله الأجنبى لأنه -وكما يقول: «أدار أنفه الطويل نحونا»، وقد قام فيليتروس Philetaerus بتقديم إحدى المسرحيات الأدونيازوساي، وهى مسرحيات تتناول الأعضاء الإناث في إحدى العبادات المخصصة لتقديس وتكريم أودونيس، في حين قام فيليسكوس Philiscus بالاحتفال بـ«زواج أودونيس»، ويخبرنا ديفليوس Diphilus في مسرحيته المسماة زوجرافوس عن مومسات ساموس اللاتي كن يحتفلن بعيد أودونيس Adonis في المواخير، ولقد أعطى المؤلف الكوميدي أفلاطون في مسرحيته المسماة «أودونيس» نبوءة إلى سينيراس ملك القبارصة مفادها إن أفروديت وديونيسيوس سوف يقومان بتدمير ابنه، ولقد أشار ريموستين نفسه إلى أودونيس، ولا توجد لدينا إشارة بهذه الكثرة عن أي إله شرقي آخر، كما أننا لم نفاجأ عندما علمنا أنه تم أخيراً في عام 333 السماح لكهنة سيتيوم Citium بتشييد معبد لإلهتهم أفروديت، كما أن استقبال أتيس Attis وعشيقته -أم الآلهة الفريجية، والمسماة سيبيب أو سيبيل Cybele or Cybele كان مبكراً هو الآخر- فقد تحدث عنها هيبوناكس Hipponax المنتمي إلى إيفيسوس عنها مستخدماً اسم سيبيلس Cybelis ، وبعد انتهاء الحرب الفارسية الكبرى بفترة قصيرة، ظهرت عبارة هذه الإلهه الأم في أثينا، حيث إن هيكل أبوللو

دعا المواطنين إلى تهدئة غضبها، وقاموا ببناء مترون لها بالقرب من الساحة العامة، وبظهرها التمثال الموجود لها في الداخل -وهو من صنع أججوراسيتوس Agoracitus تلميذ فيدياس Pheidias - وهي جالسة على عرشها وبجوارها الأسود وفي يديها طبلة، كما أنها ظهرت أيضاً في إحدى الصور البارزة التي تم صنعها في ذلك الوقت، ولقد قام بندار Pindar بتخصيص ضريح لها تحت اسم دنديمين Dindymene ، ولقد قام النحاتان المنتميان إلى مدينة طيبة - أرسطوميديس Aristomedes وسقراط Socrates - بنحت تمثالها وعرشها من الخام البنتلي، وقد شاهد بوسانياس Pausanias -مؤلف الدليل اليوناني- ضريحها بالقرب من أطلال منزل بندار، وربط يوريبيديس Euripides بين طقوس الاحتفال بمهرجان باخوس وبين الطقوس العربية التي تقام للأم العظيمة سيبيل Cybele ، وقد سار على نهجه بصورة واضحة في ذلك ديجونيس المنتمي إلى أثينا، وذلك في مسرحيته المسماة Semele والتي أشار فيها إلى سيبيل Cybele ، فريجيا، ليديا، تمولس، نهر The Halys ، باكتريا، والقانون الفارسي، وقد كان هناك مترون في أوليمبيا في بدايات القرن الرابع، ويقول ثيوبومبوس في مسرحيته كابيليدس: «أنا أمجد زوجك الإله أتيس أيضاً»، ولكن عندما طلب كاهن سيبيل الصدقات رد أنتستينيس Antisthenes قائلاً «أنا لست مسؤولاً عن إعالة أم الآلهة لان الآلهة أنفسهم هم المسؤولين عن فعل ذلك، وقد تعامل أنتيفانيس Antiphanes في مؤلفه «متراجاتيس» مع أحد كهنة الإلهة سيبيل الذي جاء يطلب الصدقات، والتي تمكنت إحدى الشخصيات من شراء المرهم من هذه الإلهة من خلاله.

ولقد جاء مع أتيس وسيبيل سبازيوس Sabazius وزوجته كوريبانتس Corybants ، ولقد قام أرسطوفان Aristophanes في مسرحيته «الساعات» بمحاكمة عازف الفلوت الفريجي سبازيوس مع المعبودات الأجنبية

الأخرى، ونفاهم من أثينا، وقد وضع سوسيثيوس Sositheus مشهد مسرحيته دافنيس Daphnis أو لترسيس Lityerses في سيليناي مدينة ميداس القديمة، كما أن سافو قد تغنى بـ«لينوس Linus » وأودونيس، ولقد كان الإله آمون هو أحد الآلهة التي تم إدخالها مؤخراً بعض الشيء عبر اليونانيين الذين كانوا يعيشون في ليبيا، وبعد أن قام بندار بمدح هذه الإلهة من خلال رعاته الليبيين عبدة آمون، قام بتخصيص معبد لها في مدينة طيبة الأوروبية، هذا بالإضافة إلى تمثال قام بنحته كالاميس Calamis ، ولقد عرف يوريبيديس بالمقر الجاف الذي كان يقع به معبد آمون، والذي كان يشتاق إلى ماء المطر، ولقد وضع أرسطوفان -الذي لم يكن ساخراً هذه المرة- هيكل الإله آمون في منزلة تلي مباشرة منزلة هيكل دلفي، وعندما قامت أثينا بإرسال بعثة رسمية إلى معبد الإله آمون، والتي كان من آثارها قيام هيلانيكوس Hellanicus بكتابة «دليل إرشادي» أو (حملة عسكرية) حول الطريق المؤدي إلى ضريحه، ولقد سار ليساندر Lysander الإسبرطي على نهج الأثينيين، وقام هو أيضاً بزيارة ذلك الهيكل، ولا يوجد أدنى أثر لأي شكل من أشكال الإساءة إلى الإله آمون في أعمال المؤلفين الكوميديين اليونانيين.

وهذا هو الأمر الأكثر بروزاً؛ لأن المؤلفين الكوميديين كانوا بالتأكيد معادين للديانات التي تم جلبها من بلاد الشرق، ولقد لام أرسطوفان النساء لأنهن قمن بتبني بعض أشكال الديانات الأجنبية، وقد سخر في مسرحيته المعنونة بـ«التلمسيين» من الخرافات التي كان كهنة هذه الديانات مشهورين بترويجها، وبحلول عام 355 قام إسوقراط بالمقارنة بين روعة وفخامة الاحتفالات التي كانت تقام لتكريم الآلهة الأجنبية والإهمال الذي كانت تواجهه الآلهة المحلية.

تخفيف الزرادشتيه:

لقد نشأ دارا (Darius) الأول في ظل تأثير زرادشت، ويبدو أنه قد استشهد بواحدة من الجاثات A Gatha في النقوش الموجودة في مقبرته، وتظهر بعض الكتابات الأخرى آثاراً واضحة على فكر ولغة زرادشت، ومن المحتمل إلى حد ما أنه لم يكن قد فهمها بشكل صحيح، حيث إنه لم يقم فقط هو وخلفاؤه بالابتهال إلى آلهة أجنبية -حيث إن ذلك قد يكون بداعي السياسة في البلاد التي تعبد هذه الآلهة- ولكن النقوش الرسمية التي كانت تعبر عن الإمبراطورية بأكملها لم تتحدث حتى عن أهورا-مازدا كإله وحيد للإمبراطورية، ولكنه بدلاً من ذلك كان «الإله الأعظم من بين جميع الآلهة»، وقاموا إلى جانبه بمناجاة الآلهة الأخرى الموجودة».

وقد ظل الإله «ميثرا» متربعاً في قلوب الناس على الرغم من أن زرادشت قد نهى الناس عن عبادته، حيث نجد أسماءً شخصية -في معظم لغات الإمبراطورية ومن فترات حكم جميع الملوك الفرس- تثبت كيف أن العديد من الآباء الفرس قد وضعوا أبناءهم تحت حماية إله الشمس ذلك الإله الوثني القديم، ولقد ذكرنا من قبل بعض الإشارات التي تشير إلى عبادته، وبحلول عهد أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول تم وضع «ميثرا» رسميًّا في منزلة تلي مباشرة منزلة الإله أهورا-مازدا من حيث التكريم والتقديس، ولقد كان أحد الابتهالات للإله «ميثرا» لا يزال محفوظاً منذ أيام الجهل الوثني، وقد تم إحياؤه في ذلك الوقت، ولكن بلهجة لم يستخدمها الرسول زرادشت، ولقد خضع هذا الابتهال للمراجعة مرة أخرى في الفتره البارثية، وتم حفظه في شكله لاحق ليستخدم في الطقس البارثي الحالي.

ولقد كان أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني مخلصاً للإلهة أناهيتا

بشكل خاص «النقية الطاهرة»، والتي ينظر إليها اليونانيون على أنها الإلهة أرتميس إلهة القنص والقمر عندهم، ولقد كان أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني هو أول من قام من الملوك الفرس بتشييد تماثيل للإلهة أناهيتا، وقام بوضع هذه التماثيل في بابل، صوصا، إكباتانا، فارس، باكتريا، دمشق، وسارديس، ومن الواضح أن هذا التمثال هو الأساس الذي كان يقوم عليه وصف هذه الإلهة الموجودة في الياشت The Yasht ، والتي كانت تغنى تكريماً لها.

وفي هذه الأغنية ينظر المخلصون من عبدة أناهيتا إليها كفتاة جميلة، قوية للغاية، ناضجة، ذات مشهد مرتفع، نبيلة، ومن أصل كريم، ولقد ربطت تاجاً ذهبيًّا ترتديه على رأسها به مائة نجمة تنتظم في ثمانية أشعة -نجمة للإلهة البابلية عشتار- مع عصابات للرأس تنساب نحو الخارج، كما كانت ترتدي أقراطاً ذهبية مربعة الشكل في أذنيها، وكان هناك عقد ذهبي حول رقبتها الجميلة، وكان يغطي جسدها ثوب مطرز بالذهب، ولكن لباسها التحتي كان يتكون من فرو القندس الناعم الذي تم جمعه من 300 حيوان، والذين قد أنجب كل واحد منهم أربعة صغار (لأن الأحزمة تكون عند ذلك في أجود صورة)، كما أن وسطها قد تم شده بحزام محكم، مما جعل صدرها يتخذ شكلاً جيداً، وتمسك في يدها الباريسما، والتي هي عبارة عن حزمة الأغصان المقدسة، وترتدي في قدميها حذاءً براقاً مكسوًّا بقشرة من الذهب.

وهكذا قام أهورا-مازدا باستدعاء أناهيتا من منطقة النجوم «انزلي يا أردفي سورا أناهيتا من النجوم الموجودة بالأعلى إلى الأرض التي خلقها الـلـه، وهناك سوف يعبدك الحكام الأقوياء أسياد الأرض هم وأبناؤهم، وسوف يطلب منك الرجال الأقوياء أصحاب الشجاعة سرعة الخيول والمجد الغامر، وسوف يلتمس منك الكهنة و Arthravans في تلاوتهم المعرفة والحكمة، وسوف ترجوكِ العذارى التي لم تنجب أرحامهن بعد

أن ترسلي إليهن سيداً ليكون زوجاً قويًّا لهن، أما النساء اللاتي على وشك الإنجاب فسوف يدعونك لكي تسهلي عليهن عملية الولادة، وسوف تقومين بمنحهن كل هذا يا أردفي سورا أناهيتا، حيث إن هذا في مقدورك».

ولقد نزلت أناهيتا بناءً على نداء الخالق، وجميلة هي أذرعها البيضاء التي تبدو ممتلئة مثل كتف الحصان، وتحتاج أناهيتا إلى كل قوتها؛ لأن أهورا-مازدا قد خلق لها (4) أحصنة، كما خلق لها أيضاً الرياح، المطر، السحب، والثلوج، وتقود أناهيتا العربة ممسكة باللجام، فتسحق خيولها هؤلاء الذين يكرهون المؤمنين سواء أكانوا من الديفايين أو الرجال أو الياتويين والبابريكايين.

وقد قفزت أناهيتا من قمة هوكاريا التي تحيط بها أجراف من الذهب يبلغ ارتفاعها ضعف طول الإنسان بمائة مرة، ثم أصبحت النهر الجبار الذي يجلب الماء في كل من الشتاء والصيف لينشره في مناطق العالم السبعة (كاشفاريس)، كما أنها تقوم أثناء الليل وأثناء النهار بإرسال فيض من المياه يعادل في حجمه حجم المياه التي تجري في جميع أنهار الأرض بأكملها.

وتمتلك أناهيتا مائة ممر ضيق، ومائة قناة مائية يبلغ طول كل منها سفر (40) يوماً على ظهر جواد قوي، ويوجد بيت بجوار كل قناة، هذا البيت يحصل على الضوء من مائة نافذة، كما أنه قد تم بناؤه جيداً باستخدام ألف عمود، كما تم جعله صلباً باستخدام (10 آلاف) دعامة أفقية، وتم أيضاً وضع سرير مرتب بصورة جيدة، وتم تعطيره وتزويده بالوسائد، ثم تدفقت إلى بحر فوركاشا -وهو المحيط الذي يلتف حول الأرض- وتأخذ جميع شواطىء البحر في الغليان عندما يهبط تيارها المائي إلى أسفل.

وتوجـد مهـام أخـرى لأناهيتـا عـلى الأرض، حيـث إنهـا تعـد السـائل

المنوى الخاص بالرجال ونتاج الأرحام لجميع السيدات المستعدات للإنجاب، كما أنها تجعل جميع النساء يحملن في أمان وسلامة، وتضع اللبن في أثدائهن بالكميات الكافية، وفى الوقت المناسب، وتقوم بالإضافة إلى ذلك بمنح الإنسان الصحة، وتزيد من عدد القنوات المائية التي لديه، ومن عدد حقوله وقطعانه وممتلكاته وأراضيه، وتكره أناهيتا الديفايين -الذين كانوا شركاءها ذات مرة- وتطيع مفاهيم ومدركات الإله أهورا.

وقد تم تقديم صورة مختلفة إلى حد ما عن التطور الديني من خلال بعض الكتابات الأخرى التي تم دمجها الآن في الأفستا (الكتاب المقدس للزرادشتيين)، وخاصة تلك المسماة باليسنا سباعية الأجزاء (هابتانجهاتي)، والتي تم حفظها مثلها مثل الكلمات الأصلية لزرادشت باللهجة الجاثية، ولكن في صورة نثرية، وربما نجد فيها ذلك الطقس الخاص بالإمبراطورية الأخمينية، على الأقل لا توجد إشارة واحدة مباشرة، كما أن التعاليم ليست هي نفسها تعاليم الرسول زرادشت، ونقرأ كمقدمة: «نحن نعبد الإله المقدس أهورا-مازدا، سيد الصواب، ونحن نعبد أميشا سبنتاس التي تحكم بالعدل وتقرر مصائرنا بكل عدل وإنصاف، نحن نعبد كل ما هو صواب بشقيه المادي والروحي، وذلك تبعاً لطقوس الديانة «المازدياسنية» الصحيحة، ولقد ظهر المصطلح الثاني في وقت مبكر؛ لأن رئيس المجتمع المحيى اليهودي في فيلة، والمسمى جيدونياه Jedoniah قد أبلغ مراسله قبل عام 410 بقليل أن المسؤول الذي تم تعيينه رئيساً لنوم «نو» أو «طيبة» هو «مازدياسني».

ويبدأ الآن ياسنا نفسه في التحدث فيقول: «يجب أن نختار أهورا-مازدا والصلاح والاستقامة حتى نفكر ونقول ونفعل الأعمال الأفضل لجميع العوالم، ونحن نسعى للحصول على جائزة الأعمال المثالية، وحتى يتم الحفاظ على الأمن والطعام وتوفيرهما لجميع الناس سواء

كانوا متعلمين أم غير متعلمين، وسواء كانوا حكاماً أم محكومين، ونحن نعطي المملكة لأفضل الحكام؛ لأننا نسبنا المملكة إلى أهورا-مازدا وإلى الصلاح والاستقامة، وعندما يعرف رجل أو امرأة ما هو الصواب، دعه ينفذ ما هو صحيح بحماسه وعزم لنفسه، ولكل من يستطيع أن يوصل إليه هذه الفكرة، حيث إنني أعتقد أن أهورا-مازدا قد منحك المدح والتبجيل، ومنح الطعام لبقية الكائنات وهو الشيء الأفضل، وسوف نعمل من أجلك، وسنوصل هذا الفهم للآخرين، وفى صحبة الصواب والاستقامة، ولقد كشف هذا يا أهورا-مازدا عن الكلمات مع تأملات أفضل حول الصواب، ولكن سوف نسلم أنفسنا لك كمعلميهم وآمريهم، وبالرغبة في الصواب والاستقامة والفكر الحسن سوف يتراكم لك يا أهورا-مازدا المدح فوق المدح والحكم فوق الحكم والصلاة فوق الصلاة».

ولقد أخذت هنا الصور المجردة التي كان يقدمها زرادشت عن الآلهة شكل البشر، وقد أصبح هؤلاء هم أبرز الآلهة، والذين كانت لهم عبادة خاصة به، ولكن عادت مرة أخرى عبادة بعض الآلهة الهندية الأوروبية القديمة، وأصبحوا معبودات مقبولة أدنى في المنزلة بقليل من أهورا-مازدا نفسه.

وفى بداية هذه الآلهة نجد أتار Atar -إله النار- الذي كان يتم تكريمه من خلال صلاة كاملة نصها كالتالي: «نحن نتقرب أولاً منك يا أهورا من خلال عمل إله النار هذا، من خلال روحك المقدسة، كما أنه يمثل أيضاً العذاب لذلك الذي عجلت له العذاب، كما أنك قد تأتي لنا بالفرح الأكبر يا أهورا-مازدا، مع السعادة الأكثر سعادة، ومع التكريم الأكثر تكريماً لمواجهة أشد المحن، وكنار أنت فرح وسعادة أهورا-مازدا، وكروح مقدسة أنت فرحه وسعادته، أي أن من أسمائك الاسم الأكثر تبشيراً بالخير، بماذا يمكننا التقرب منك، هل سيكون بإمكاننا التقرب إليك من

خلال التفكير الطيب مع الاستقامة والأعمال الحسنة والكلمات الطيبة التي تعبر عن حسن العقيدة، نحن نطيع أوامرك، نحن نشكرك يا أهورا-مازدا، نحن نتقرب إليك عن طريق جميع الأفكار الحسنة، وبجميع الكلمات الطيبة، ومن خلال جميع الأفعال الحميدة، نحن نخاطبك يا أجمل الكائنات الذي يسمى الشمس، ولقد قام دارا (Darius) بتكريم الإله «الذي خلق هذه الأرض، والذي خلق السماء الأكثر بعداً، والذي خلق الإنسان، والذي خلق الرفاهية للإنسان»، إن منشد ابتهالنا يعبد أهورا-مازدا الذي خلق الكائنات، وخلق الماء والأشجار الطيبة، والضوء، والأرض، وكل ما هو طيب وحسن من أجل قوته وعظمته وأعماله الخيرة، وسوف يقوم ناظم الترانيم والابتهالات بعبادتك بمجموعة من الصلوات التي تتناول المخلوقات بأقدس الأسماء المشتقة من اسمك والتي تسرك.

وبالنسبة لأرواح الأسلاف -والتي يتم تبجيلها واحترامها منذ العصور السابقة- قام زرادشت باستبدال مفهوم الأنفس الأكثر روحانية، وعاد الاعتقاد الأكثر قدماً في الفرافاشيات: «نحن نعبد الفرافاشيات الخاصة بهؤلاء الذين يؤمنون بالصواب والاستقامة، الرجال منهم والسيدات»، الفكر الطيب، المملكة الطيبة، والوجود الصالح، والمكافأة الصالحة والتقوى، وهناك المزيد من مظاهر عبادة الطبيعة القديمة التي تظهر في الياشنا التالية: «نحن نعبد هذه الأرض التي تحملنا وتحمل زوجاتكم بشكل ممتاز من خلال الصواب، حماستنا للدين، نشاطنا، استقلالنا، تقوانا، بالإضافة إلى الرحمة، الرغبة الحسنة، التنفيذ الحسن، الشخصية الحسنة، والترف، والرفاهية الحميدة، نحن نعبد المياه المتدفقة والمتجمعة، والتي -لأنها جاءت من عند أهورا- أصبحت مياه أهورا التي تقوم بالأفعال الحميدة، والتي يسهل خوضها، كما أنها صالحة للسباحة والاستحمام، وهى مكافأة للعاملين،

ومع الأسماء التي منحها أهورا-مازدا لك -كمانحة للخير- هو خلقك، ونحن نعبدك معهم، نحن نلتمس عطفك وإحسانك ونحن نطيعك ونشكرك معهم، وكالبقرات الحلوب اللاتي يعطفن على الفقراء ويرضعن الجميع.

ولقد أصبح أهورا-مازدا ذلك الإله المتجهم الذي يقف بعيداً، والذي يدعو إليه زرادشت، مرةً أخرى ملكاً شرقيًا يمتلئ جناح الحريم في قصره بالإلهات، ولم يعد الثور أحد أتباع أهورا-مازدا، حيث إنه قد أصبح أيضاً أحد المعبودات، ونحن الآن نضحي لروح Kine ، ولجسدها الذي تجلت فيه، ونحن نضحي أيضاً لأرواح الأبقار التي تصلح للعيش، وهذا ليس كل شيء: «نحن نعبد أرواح تلك الحيوانات التي تم ترويضها واستئناسها، وأرواح الأعشاب البرية، وأرواح البشر المقدسين أينما ولدوا، وسواء أكانوا رجالاً أم نساءً التي تنتصر ضمائرهم الطيبة في الصراع ضد الشياطين، ونحن نعبد الخالدين الأسخياء الذكور منهم والإناث، وهكذا فإننا نتقرب منك نحن والصالحون من أقاربنا من خلال الاستقامة، والقانون الصحيح المتمثل في الاقتصاد والطاقة والورع والعقل المستعد.

ويتذكر أهورا-مازدا عند كل هذه التخصيصات، ويوافق على طلبنا الذي أمرت به كمكافأة للأنفس مثل نفسي، امنحيها لي في هذه الحياة، وفي الحياة الروحية بعد الموت حتى نتبعك ونتبع طريق الصلاح للأبد، أنعم علينا بأن يكون المحاربون تواقين للاستقامة، وأن يكون مربُو القطعان صالحين لمواصلة اتباعك، وأن يخدمونا بشجاعة وإخلاص! وهكذا قد يتمكن النبلاء والفلاحون والكهنة الذين نتبعهم ونحن معهم من إقناع أهورا-مازدا بمنحنا ما نريد.

الفصل الثالث والثلاثون

النسمات العطرة من الغرب

هبت رياح جديدة فوق كافة أرجاء الإمبراطورية الأخمينية، تلك الرياح جاءت من أراضي الإغريق، وقد كان الأكثر تأثيراً هو التغيرات التي حدثت في اللغة، إن محاولة كتابة اللغة الرسمية الفارسية بالحروف الأبجدية المخروطية قد باءت بالفشل، ولم يقم أي ملك بعد دارا (Darius) المعظم بمحاولة كتابته تعبير مطول، فهو على أكثر تقدير في السيرة الذاتية.

إن لغة كسركسيس Xerxes عبارة عن مجموعة من النقوش التي توضح بداية التحلل اللغوي أو التردي اللغوي، وإن المكاتبات الرسمية النادرة المسجلة من القرن الرابع تدل على تجاهل كامل تقريباً للقواعد النحوية في الكتابة الفارسية المخروطية (المسمارية) والتي كان نادراً ما يتم ضبطها من أجل الكتابة على الألواح وذلك لم يكن أبداً بعد دارا (Darius) الأول.

ومنذ أمد بعيد قبل قورش (Cyrus) كانت الترانيم للآلهة الآدية تتكون من لهجات أخرى، ولبعض الوقت كانت تعزي إلى زورستر Zoroaster وأعيدت صياغتها إلى الآن مرة ثالثة، وكلها كانت تلوذ بالتأييد الملكي للآلهة القديمة، وكذلك صلواتهم وترانيمهم على الرغم من أن الآخرين من الأتقياء والورعين استمروا في مراجعة وفاء وإخلاص زورستر في اللـهجة الخاصة، ولكن الآن أصبحت في المقدمة فقط.

في بداية القرن الخامس كانت الكتابة المخروطية لإيلام يتم توظيفها ليس فقط كواحدة من ثلاث لغات رسمية للنقوش الملكية، ولكن كذلك المحادثة العادية في مستندات ووثائق الأعمال في الوطن، وكذلك السجلات والمحفوظات في برسيبوليس نفسها، فلقد أصبحت اللغة الثلاثية في إيلام في هذا القرن تكاثراً غير ذي معنى للغة الأصلية في فارس.

وفي بابل فقط من بين كل الشعوب في غرب آسيا كانت هناك استمرارية في استخدام الكتابة المخروطية على مدى واسع، ولكن حدث انقسام كامل تقريباً في سلسلة الوثائق الإدارية ووثائق الأعمال، وذلك في منتصف القرن الرابع والذي يدل على أن استخدامهما كان مخصصاً أكثر وأكثر للتعلم، كذلك فقد كان هناك ميل نحو عدم استخدام الهيروغليفية والهيريطيقية والديموطيقية والذي كان نوعاً من إحياء الاستقلال المصري.

إن سيادة الحروف الأبجدية كانت قد اكتملت تقريباً بعد قرون عندما كانت السيناوية تُرى فقط في المخطوطات العادية من الواحات العربية الشمالية، فجأة تفتحت وبدأت من الآن فصاعداً تكون موجودة في النقوش البديعة والرائعة من الثقافات العالية من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، إن الأبجدية الأم على الجانب الآخر ذات الأصول الفينيقية كانت تستخدم بانتظام في النقوش وفي العملات الوطنية في قبرص ووجدت حياة جديدة في قرطاج Carthage وكذلك بين المستعمرات الغربية الأخرى.

في بداية حقبتنا فإن اليهود لا زالوا يكتبون عبرية ممتازة، وفي نهاية تلك الحقبة لم تعد اللغة العبرية مستخدمة في حياتنا اليومية، وقد تم بذل الجهد من أجل إعادة إنتاجها واستخدامها كلغة مقدسة، وذلك منذ أن أصبحت موضوعات الإنشاء تكتب أو تقدم بالكلمات الآرامية الكثيرة وكذلك في أساليب الكلام.

وفي الحقيقة فإن مستقبل الحروف الأبجدية الفينيقية كما أوضح أراميانيس Aramaens ، وبالنسبة للغة الآرامية نفسها منذ أيام قورش (Cyrus) وما بعدها فإن المراسم والقرارات الرسمية من قاضي القضاة الفرس وما في مستواه الدبلوماسي كانت بصفة عامة باللغة الآرامية، مئات الألواح من بيرسيبوليس مميزة بالحبر تشهد على استخدامها الأرشيفي في قلب الإمبراطورية، فلقد وجدت مكتوبة بقلم على ألواح من الطين المحزز برموز بابلية، وكانت تستخدم كعناوين سهلة القراءة للكتابة المخروطية الأكثر صعوبة، إن النقوش باللغة الآرامية منتشرة بكثرة في شمال سوريا وفي كيليكيا، وتم العثور عليها بدرجة أقل في كابدوكيا Cappadocia بافلاجونيا، ميسيا، ليديا وبامفيليا Paphlagonia, Mysia, Lydia, Pamphylia .

إن المرتزقة الإغريق كان يقبلون العملات التي تحمل الشعار الآرامي، كذلك عندما كان الملك المعظم يكتب بالإغريقية فإن خطاباته كانت لا بد أن تترجم من اللغة الرسمية المعتادة، ولفترة من الزمن فإن اللغة الآرامية كانت تهدد مصر ولكن إحياء القومية المصرية وقف ضد هذا المد، وعندما ماتت الحروف الأبجدية المخروطية في بارسا نفسها، فإن الترانيم والصلوات صارت مقتصرة على الكتابة، وقد كانت الرموز المستخدمة تختلف عن الرموز الآرامية، إن الكتب المقدسة المبكرة والتي شُرع في كتابتها قبل مجيء الإسكندر Alexender قد تمت إعادتها من جديد وهي تحمل شعاراً يقول «إن الغازي قد أحرق الرقائق الأصلية أو الأساسية».

اللغة الإغريقية (اليونانية) والفن في الشرق:

إن الآرامية لم تستطع أبداً أن تسود آسيا الصغرى، بينما -كما في مصر- فإن الشعور بالقومية حافظ على الحروف الليدية Lydian والليسية

Lycian واللغات المستخدمة في النقوش، ولكن زيادة استخدام الإغريق قد أذن بقدوم العالم الهليني Hellenistic ، فقد اختفى الكاريون Carian وفقدوا عطف وتأييد الإغريق.

إن المقبرة الليسية تسجل الآن وتصنف لاحقاً طبعة إغريقية مختصرة، العملات التي كان يتم سكها بواسطة ولاة الفرس للمرتزقة الإغريق والتي في بعض الأحيان كانت تحمل فقط شعارات إغريقية، إن مصر المستقلة تحت السلالة الحاكمة العظيمة الأخيرة لا تزال متحررة من أي أثر واضح لتأثير الفن الإغريقي، كذلك الحال بالنسبة لفلسطين اللـهم إلا من بعض الكسرات من الأواني الإغريقية التي كان يتم استيرادها للخمور والزيوت بواسطة المرتزقة وهي لا تعطي دليلاً على عكس ذلك، إن ستراتو Strato من سيدون Sidon كان معجباً بالإغريق، ونحن لن نندهش عندما نكشف الغطاء عن القرد شبيه الإنسان آكل اللحوم الذي تعتبر رأسه نسخة مكررة من الأصول الإغريقية التي ترجع إلى الستينيات وما قبلها بالرغم من أن البعض الآخر من التاريخ نفسه من مصر، إن العملات المعدنية من غرب آسيا تقريباً ودون استثناء كان يتم ضربها بواسطة صناع النرد من الإغريق مثل الشعارات الشرقية غير المضبوطة والتي تجعلنا نشعر بعدم الرضا.

إن الفكرة الرئيسة في هذه الأعمال الفنية في الواقع إغريقية خالصة دونما استثناء، وذلك عندما يتم التعامل مع الشرق بطريقة أو بخط إغريقي فإن الآلهة التي هي من أصل شرقي دون شك لا يمكن أن يتم التمييز بينها وبين المحيط الإغريقي الذي تظهر فيه، وكذلك فإن الصفات الشرقية القليلة تعطي على الأقل مسحة إغريقية، من النظرة الأولى على سبيل المثال نجد أن الإله المحلي (البعل) في طرسوس Tarsus يبدو أنه إله هليني حقيقي، بالرغم من أصله الأناضولي Anatolian واسمه الآرامي، وملكارت Mewlqart الصوري Tyrian قد تطور إلى هيرقليز (هرقل)

الإغريقي، وأهورا-مازدا ربما عاد إلى شكله أو طبيعته البرسيبولية ولكن المعالجات كلها معالجات إغريقية.

إن الساحل الغربي لآسيا الصغرى كان سطحيًّا ذا طابع هليني، إن الفن الليسياني LYcian قد حفظ أدلة بسيطة عن خواصه الأصلية في قطع الصخور، ولكن النحاتين الإغريق أو تلاميذهم قد أنتجوا فناً رفيعاً لدرجة أنه قَبِل دفن هيلين دونما سؤال، والأضرحة الضخمة في هاليكارناسوس Halicarnassus تم تزيينها عن طريق أربعة من أشهر النحاتين في زمانهم يمثلون قمة الفن قبل الهليني، وعلى النقيض فإنه وللمرة الأولى تظهر المناطق الإيرانية اهتماماً متزايداً بالفن الشعبي الحقيقي، وخلال تلك السنوات الأخيرة ظل الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى على نحو لا يمكن إنكاره جزءاً من الإمبراطورية الأخمينية.

وقد ذكرت لنا مصادرنا أن الولايات والموظفين الرسميين كذلك، بالإضافة إلى قادة المرتزقة، وكذلك الولاة المستبدون، وعلى الرغم من أنهم يتحدثون غالباً عن المشكلات الداخلية وعن الغارات إلا أن ذلك يجب ألا يضللنا، فالمدن الإغريقية في آسيا قد انتعشت تحت حكم الفرس، وحتى يمكننا أن نستوثق من هذا فنحن نحتاج إلى أن ننظر ليس إلى أبعد من المعابد، والإنشاءات العظيمة خلال تلك الحقبة كانت هي معبد أرتميس Artemis في إيفيسوس ERphesus ، فبعدما تم التدبير لإحراقه جيداً على يد هيروستراتوس Herostratus عام 365 تمت إعادة بنائه بروعة بواسطة المواطنين خلال ازدهار عملية البيع بالنسبة للأعمدة القديمة ولزينة النساء، إن المغامرين كانا هما ديمتريوس Demetrius وبابيونيوس Paeonius .

والمذبح بالكامل كان ممتلئاً بالتماثيل وبالنقوش البارزة التي صنفها براكستيليس Praxiteles ، وثراسون Thrason قام بعمل مصلى صغير أو كنيسة صغيرة في هيكات Hecate وعمل صورة شمعية لبنيلوب Penelope

وأوريسليا Eurycleia المرأة العجوز، لقد كان هناك العديد من الأغوات ممن يحملون الاسم الفارسي ميجابيس Megabyzi ومعهم رفيقاتهم من العذارى يخدمون العديد من الآلهة.

إن للمعبد الشهير داديمين أبولو في ميليتوس Didyamen Apollo Miletus قد تم تدميره بواسطة دارا (Darius) الأول وذلك بعد الثورة اللونية، وقد عاد مرة أخرى من الرماد عن طريق عمال إيفسين Ephesian بابونيس Paeonius ، وكذلك فإن دافتيس Daphnis الأصلي بايثيوس Pythius قد بنى ضريح أثينا في برين Priene والذي لا تزال هناك بقايا قائمة فعلاً منه من مبانٍ أخرى مماثلة تظهر الثراء والحياة الرغدة للإغريق في آخر أيام الحكم الفارسي، وإن البرابرة الإغريق الآسيويين والهلينيين كانوا هم أنصار الفنون الرفيعة، مثل ماسولوس Maussollus)) من كاريا الذي قابلناه بالفعل كالنحاتين العظام الذين قاموا بتزيين المباني الضخمة المستخدمة للأضرحة، كذلك يقال إن سكوباس (Scophs) قام بعمل التماثيل الأخرى في كاريا وفي لونيا، إضافة إلى ذلك، فقد ذكرنا إله الشعر أبولو سمينثيوس (Smintheus) في كريس Chryse)) ، وكذلك فإن هناك أخرى لتو Leto وممرضتها في مقبرة أورتيجيا Ortygia بالقرب من إيفيسوس.

لقد قام براكيتلس Praxiteles بنحت إلهة الحب والجمال أفروديت لمدينة غير معروفة في كاريا والتي عُرفت فيما بعد باسم الإسكندرية من خلال لاتموس Latmos ، وفي باتارا Patara أقام برياكسيس Bryaxis مجموعة من التماثيل لزيوس كبير الآلهة وأبولو إله الشعر وكذلك الأسود، إن ستينيس Sthennis من أولينيثوس Olynthus قام بعمل شكل لأوتوكليكوس AAutolycus البطل الذي وجد لسينوب Sinope وكل هؤلاء كانوا أوربيين يعملون في آسيا، كان منهم النحاتون الأصليون ماراكس Pharax من إيفيسوس ومياجروس Myagrus من فوكايا

Phocaea الذي تخصص في أعمال التماثيل البرونزية الرياضية، والنحاتون الأوروبيون كذلك كانوا مطالبين بأن يقوموا بتخصيص أماكن أوروبية.

لقد قام أهل ميلسيا Milesians بتوظيف ساتيروس Satyrus البيرونس Parian عندما قاموا بإقامة تماثيل إدريوس Idrieus وآدا في دلفي Delphi ، وأحد الحواريين (التابعين) غير المعروفين من سكوباس Scopas قام بنحت نقوش بارزة لحكام تيجيا نفسها Tegea ميثراداتش Mithradates الفارسي ابن رودوتاتيس Rodotates كان مختصاً بعمل صور لموسى من أجل وضعها على التماثيل في بلاتو Plato التي صنعها سيلانيون Silanion .

وتبعاً لنحت منقول (مكرر)، فإن الأب كان من المحتمل أنه حاكم الولاية أورونتوباتسي Orontobates ، وقد تم التخصيص في أكاديمية في أثينا المدينة الأصلية لسيلانيون Silanion ، كذلك فإن الفنون الجلدية لم تكن مهملة، فبينما كانت الأراضي الإيرانية تنتج الأصص الرائعة من البرونز، فإن الإغريق كفقراء كانوا يعملون غالباً بالطين، ولقد تغلبت موهبتهم الفنية على فقرهم، وكانوا يعتبرون كل زهرية منفردة كأنها كنز يجب الاحتفاظ به.

إن المؤرخين المهذبين لم يتعرضوا لأسماء هؤلاء الفنانين العظام، والتي يجب أن تتجمع من توقيعاتهم الموجودة على المنتجات المختلفة، وحتى في ذلك فإن هناك العديد من الفنانين رفيعو المستوى لا يزالون مجهولين وغير معروفين، وللأمانة، فإن قطعاً مكسورة من رسام للزهريات (الأصص) من شيكاغو قد وجدت في فلسطين بالرغم من أنه لا يزال قاصراً على الأراضي الإغريقية من أن الزهريات -كانت في بعض الأحيان- يتم تصديرها، وقد ساعدت في تأريخ الأماكن الأجنبية واحدة من المجموعات من بداية القرن لها أهمية خاصة، هذه المجموعة يطلق عليها بصفة عامة مجموعة كيرتش Kertsch ؛ لأن العديد منهم قد وجد في (بانتيكابيوم القديمة Panticapaeum) في كريميا الشرقية Crimea .

ولكن الأمثلة التي تحمل نظامها الخاص قد تم الكشف عنها عبر البحر المتوسط؛ لأن واحدة من تلك الزهريات موقعة من قبل زينوفونتس الأثيني Xenophontus ؛ لذلك يعتقد أن المدرسة الرئيسة والمقر الرئيس لها يقع في أثينا، وأن ما يميز تلك المجموعة هو اهتمامها بالفرس.

إن هناك زهرية طويلة وعظيمة تحمل صورة لدارا (Darius) وبلاطه الملكي بصفة عامة، فرسوم الزهريات من بدايات القرن الرابع توضح الآلية والأجواء التي بدأت في توظيف التباهي والتفاخر والشرف، ولم يكن رسامو الزهريات هم فقط الفنانين الإغريق الذين يناصرهم الأمراء من سيثيان Scythian الذين كانوا أغنياء جدًّا بالذهب، والعديد من زهرياتهم، والكثير من المجوهرات تدل على اللمسة الإغريقية، ولكن بالرغم من ذلك، فإن الأفكار الرئيسة جميعها تقريباً إيرانية، والجزء الأكبر قد تم عمله عن طريق مواطنين أصليين من سيثسي Scythes بما لهم من أصول عرقية خاصة، ولقد وجدت مجوهرات إيرانية حقيقية في الأنحاء المختلفة للإمبراطورية.

إن هناك العديد من الأمثلة التي قدمت من مصر، وهناك القليل من قبرص، وهناك أجزاء متناثر من بلدان أخرى، وهناك مجموعة من هذه المرحلة المميزة من الفن الإيراني ما زالت تحت الإنشاء، إن أعظم رسام في العصور القديمة يقال إنه أبيلس Apelles من إيفيسوس، ومن القصص التي تقال عنه أنه أخذ معه موظفاً فارسيًّا كبيراً اسمه ميجابيزوس إلى أسفل، والذي كان يزور الاستوديو الخاص به (المرسم الخاص به) وحاول أن يتكلم بطريقة تنم عن علمه عن الضوء والظلال مشيراً إلى صبية يقومون بحن الألوان، وعلق أبيلس مشيراً إلى أنهم مبهورين بشدة من الرداء الجميل لهذا النبيل ذي اللون البنفسجي، ولكنهم الآن يضحكون منه لأنه يحاول أن يتحدث عن شيء أو عن موضوع يجهله، وبالقدر

نفسه، وبالعظمة نفسها كان هناك كذلك رسام آخر اسمه بارهاسوس Parrhasius من إيفسوس، وهناك أيضاً رسامون آخرون مثل أندروسيدس Androcydes المنافس لأولند زيوكسيس Zeuxis ، وكذلك بوليكلس Polycles من سيزكيوس Cyzicus ، وكذلك ثيون Theon من ماغنيسيا الذي رسم جنون أورستيس Orestes .

الكتاب الإغريق في عالم الشرق:

من بين المؤرخين كان هناك إيفوريس Ephorus من سايم في إيوليسن Aeolian cyme ، وكذلك أناكسمينس Anaximenes من لامباسكوس Lampsacus ، وأيضاً هناك دينون Deinon من كولوفون Colophon وهيراكليدز Heracleides من سايم كما ذكر المؤرخون الفرس، إن التاريخ في ليديا قد كتب بالإغريقية بواسطة زانثوس Xanthus ، ولكنه كان من المواطنين الأصليين من المداخل، كذلك فيليسكس Philiscus من ميلتوس miletus تلميذ سقراط Isocrates كتب قصة رومانسية من ميلسيا Milesian في إجابة على سقراط أعد أمفيكتونيكيوس Amphyctioncius فن البلاغة Rhetorical أرستيبوس Aristippus صاحب فلسفة المتعة في سايريفاكس Cyrenaics ، والذي عاش في آسيا وكان سجيناً عند حاكم الولاية أرتافيرنيس Artaphernes ، هناك أيضاً إيوبيوليدس Eubulides من ميلبوس miletus تلميذ أبو قليدس Euclides والذي يقال أيضاً أنه كان معلماً لديموثينس وكان معارضاً لأرسطو (Aristotle) ، لقد استمتع بالشرف المشكوك فيه من خلال تقديمه للعديد من أسئلة الخداع في اللـهجة والتي ساعدت كثيراً في عمل الفلسفات العقيمة الأخيرة مثل الكذاب، المخادع في إلكترا، الشكل المحدب، القياس المتسلسل، المبجل والرأس والأصابع ، لكن المراجع الإغريق كانت تأتي مكتوبة بواسطة البرابرة، من خلال الحدود الإغريقية

أتى تيودكتس Theodectes من فاساليس Phasaelis تلميذ سقراط وصديق أرسطو (Aristotle) ، والذي بدأ ككاتب للمحادثات، وقد تخرج في التراجيديات التي كتبت فيها ما يزيد عن الخمسين، وكان من بينها الضريح Mausolis لكي تتم روايتها في جنازة الأمير الكاري Carian ، كذلك فقد كتب في فن النثر وعمل على أجزاء المحادثة، تلميذ آخر لسقراط هو ميدس البلاغة من كراتسي Crates والذي جاء من الداخل من تراليس Tralleis ، إن الكتابات لهؤلاء الكتاب المميزين قد فقدت جميعاً ما عدا القليل من الكلمات، وبالنسبة إلى مسامعنا، فإن قائمة أسمائهم تتضمن القليل من الرسومات، النقوش والتماثيل التي صنعها الفنانون، وهي كذلك قد فقدت، ولقد تم الكشف عن البعض مما تم حفظه من خلال الأعمال الأخيرة لمن قاموا بالنسخ، ولكن التماثيل الأخرى تم الكشف عنها في حطام المعابد والمباني العامة، إن ما تم حفظه كان كافياً للكشف عن أن تلك الفترة من العالم الأخميني، والتي كانت تشكل تربة مهمة لدرجة كبيرة، وذلك قبل مباشرة بزوغ فجر الحقبة الهلينية.

الفصل الرابع والثلاثون

فيليب (Philip) وبداية الحملات العسكرية التنويرية

عدم كفاءة الإدارة الفارسية:

إن إعادة الغزو الفارسي لفينيقيا ومصر كان صدمة هائلة بالنسبة لمقدونيا وكذلك للإغريق في أوروبا، والسفن الفينيقية والمصرية ثلاثية المجاديف قد أعطت القيادة للفرس بالنسبة للبحر، وكذلك فإن ثرواتهم الهائلة كانت مرة أخرى في متناول أيدي دبلوماسييها، والذين كانوا يعرفون جيداً كيف يستخدمونها، وبكل المظاهر فقد كانت الإمبراطورية أقوى مما كانت عليه لقرن كامل، وقد كان فيليب (Philip) يتلاعب بفكرة العسكرية التنويرية التي بشر بها إيسوقراط Isocrates والفكرة كانت للحظة ما متروكة جانباً، وكان فيليب (Philip) ينوي أن يرسل رسلاً بالأوامر من أجل المفاوضة في سبيل عقد اتفاقية صداقة وولاء مع الملك المعظم.

إن الملك الثائر في قبرص مع هيروميس Hermeias من إشوس، وكذلك الثائرين الآخرين الذين كانوا يعتمدون على مساعدة مقدونيا لم يكونوا قادرين على كبح جماح أنفسهم والتخلي عن موقفهم لتجنب انتقام القصر؛ لهذا فلم يكن هناك شيء متروك للقبارصة إلا الاستسلام للقوة والذي زاد فجأة بالنسبة لأسيادهم السابقين.

وفي خلال عام بعد غزو مصر، فإن كل المدن في قبرص باستثناء

سلاميس Salamis -حيث لا يزال بيتاجورس Pnytogoras يقيم حصاره- قد صنعوا سلامهم، لقد تم استدعاء إيفاجوراس الثاني Evagoras من منفاه في كاريا، ومنحه لوغد يأخذ عرش أبيه الخالي عندما يتم الاستيلاء على سلاميس، ولكن سرعان ما تم اتهامه من قبل الملك، وأصبح لا يحظى برضاء الملك؛ لذا فيما بعد ترك بيتاجوراس في سلام.

لقد تم تعويض مينتور Mentor عن خزائنه في سيدون Sidon ، وكذلك من أجل المساعدة التي قدمها أبناؤه في غزو مصر، وقد تم إعطاؤه هدية عبارة عن مائة تالنت، وكذلك أصبح حاكماً لشاطئ أجيان Aegean في آسيا الصغرى، وبسبب تدخله تم العفو عن أخيه ممنون Memnon وزوج أخته أرتابازوس Artabazus وتم استدعاؤهما من ملجئهما في بلاط فيليب (Philip) في الوقت نفسه الذي أقام فيه الصداقة المزعومة مع أوخيوس Ochus .

أما بالنسبة لهيرميس، فقد كان متهماً بخدعه السابقة التي ارتكبها؛ لذلك فقد تم وضع فخ له، وتم استدعاؤه إلى اجتماع، وخلال ذلك قبض عليه، ثم صُلب سنة 341، أما أرسطو Aristotle فقد هرب، وقام بتمجيد مضيفه الأخير، وذلك عن طريق كتابته لأنشودة شكر، وكذلك نقشاً على التمثال الذي أقامه هيرميس في ديلفي Delphi بحروف مصاغة تحمل خاتمه، وقد أمن مينتور مدينة هيرميس، إن الموظفين الرسميين كان يسمح لهم بملازمة مكاتبهم حتى استراحوا وشعروا بالأمان، فقاموا بإخراج ما قد أخفوه أو أرسلوه إلى أماكن أخرى، بعد ذلك قام مينتور بالقبض عليهم، وأخذ كل شيء منهم بعد ذلك بفترة قصيرة، ومينتور الذي كان ناجحاً بسبب أخيه ممنون Memnon ، وقد تزوج بارسيان Barsian من ابنة أرتابانيوس Artabanus .

وقبض ممنون على لامباساكوس Lampsacus ، وقد وجد نفسه في حاجة إلى المال، فقام بإرغام المواطنين من الأغنياء على دفع الجزية،

وأمرهم بأن يعوضوا ذلك ممن هم أقل ثراءً منهم، والذين هم بدورهم قد وعدوا بأن يتم تعويضهم في وقت لاحق مستقبلاً، ومن أجل جزية أخرى كان ممنون يقوم بوضع رهن من خلال الضمانات الحكومية، وحينما يحل موعد الرهان فإنه كان يقوم بإعطاء وعد بالدفع في المستقبل من خلال نقل الرهن بكل بساطة، فيقل الرهن ويتم ترحيله للمستقبل.

إنه حتى كان يخدع المرتزقة الذين يعملون لديه، حيث كان يمنع عنهم راتب الشهر، وذلك من خلال رفضه إعطائهم أجورهم، أو حتى جزءاً منها في الأيام الناقصة، وذلك في الشهور المكونة من تسعة وعشرين يوماً، كذلك فهناك قائد المرتزقة ستابل بيوس Stabelbius الذي كان جنرالاً للميسيين Mysians والذي وجد نفسه مديناً لجنوده؛ لذلك لجأ إلى خدعة ما، وهي أنه قد وعد ضباطه بمرتباتهم إذا تخلوا عن رجالهم، وقاموا بترقية لاونيين جدد بدلاً منهم، ولكنه بعد ذلك قام بإبعاد الضباط كذلك.

ومن خلال تلك الخدع والألاعيب المالية التي كانت تمارس ضد الرعية وكذلك ضد المرتزقة، فإن الشرق الأدنى كان مستعداً لتقبل أي من الغزاة الذين يكون لديهم إدارة صارمة ذات كفاءة، وبعد موت إدريوس Idrieus قامت أخت زوجته آدا Ada بحكم هاليكارناسوس Halicarnassus حتى تم طردها عن طريق أخيها الأصغر بيكوداروس 345-341 Pixodarus ، ومما سبق، فإن لدينا قراراً ثنائي اللغة في زانثوس Xanthus يختص بالعُشر بالنسبة لبعض الضرائب للرجال في زانثوس Xanthus ، وهم تلوس Tlos وبينارا Pinara وكانديدا Candayda .

المعاهدة مع أثينا ضد فيليب (Philip) المقدوني:

في بدايات عام 341 كان ديموثينيس Demothenes يلح على الأثينيين كي يرسلوا مبعوثين إلى أوخيوس Ochus ، ولكن معارضيه ادعوا أنه بذلك

وبهذا التعقل يخون الإغريق، ولكن هل كانوا مهتمين فعلاً بما يهتم به الإغريق الذين يعيشون في آسيا؟ إن كل قائد أثيني كان يجمع الأموال من هؤلاء المواطنين، ويجبرهم على دفع الإتاوات والجزية تحت مسمى الكرماء والخيرين، ولكن ماذا الذي كان هؤلاء الإغريق بالفعل يدفعون من أجله؟ لقد كانوا يدفعون من أجل حماية أمراء التجارة من السرقة في أعالي البحار! إن الأتراك Thraciams الذين يثق فيهم الملك كانوا يحاربون ضد فيليب (Philip) .

ووكيل فيليب (Philip) الذي كان يخطط مع هيرميس قد قُبض عليه، والآن فإن الملك يعرف ما يخطط له فيليب (Philip) ، وكذلك فقد جعل السفير الذي من المفترض أن يتم إرساله يلح على أوخيوس Ochus كي يتخذ فعلاً موقفاً عامًّا ضده، ويلاحظ أوخيوس أنه بعد أن استولى فيليب (Philip) على أثينا، فإن مميزاته -مقارنة بالملك- سوف تكون أقل صعوبة.

لينسي «البرابرة» غباءهم المشترك لكل الإغريق، ويواجهون الحقائق، إنهم يدعون أنهم يخشون رجلاً يعيش بعيداً في صوصا Susa أو إكباتنا Echbatna ؛ لأنه كان يخطط للشر ضدهم، وفي الحقيقة، لقد استعاد ولمرة واحدة القوة الأثينية والآن هو مقدم على فعل ذلك ثانية إذا ما صوت الأثينيون على ألا يقبلوا مساعدته، فإن ذلك ليس خطأ الملك أو غلطته، ولكن في الحقيقة إنه تفكير الأثينيين في أنه ليست هناك خطورة من فيليب (Philip) الذي كان يخاف من إرسال السفارة، وتم الإلحاح على أوخيوس ليقطع معاهدة الصداقة ويعلن الحرب على فيليب (Philip) .

إن الملك المعظم نفسه كان منشغلاً بإخماد ثورة أخرى في كادوسيا Cadusian ، ولكن أريسيتيس Arsites أرسل مرتزقة من فويجيا Phygia تحت قيادة أبولودورس الأثيني Apollodorus ؛ ولهذا فإن فيليب (Philip) قد أبعد عن برينثوس Perinthus سنة 340، وتم إثباته من خلال

كلام ديموثينس Demosthenes ، وقد اشتكى فيليب (Philip) للأثينيين من أن فعلهم كان غريباً، وقد أوضح أنه بما أن أثينا حديثاً قد أبرمت قراراً أو مرسوماً تدعو فيه مقدونيا Maqcedonia ، لكي تتحد مع الإغريق الآخرين، وذلك في منع أوخيوس من استعادة فينيقيا ومصر.

رد ديموسنس Demosthenes مذكراً سامعيه بأن الولايات الآسيوية قد أرسلت مرتزقتها من أجل حماية فيليب (Philip) الذي هو عدو لمدينتهم، خارج برنثوس Perinthus حتى لو بعد هذا فلا بد أن يغزو (Philip) بيزنطة Byzantium بعد ذلك فإن أصدقاءه يمكن أن يطلبوا الدعم المالي من أخيوس، حيث إنه أكثرهم غنى على الإطلاق، ولكن حتى لو كان الملك المعظم يقف بجوار أثينا فإنه سوف يكون من السهل عليه أن يهزم المقدونيين.

فيليب (Philip) وبداية الحروب العسكرية التنويرية:

منشآت أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثالث:

لقد أقام أوخيوس بعمل الأعمدة الصخرية لصالة المشاهدين في إكباتانا Ecbatana تحت حماية ميثرا، وفي صوصا أكمل الواجهة الأمامية والواجهة الخلفية لقصر دارا (Darius) والذي تم البدء في إعادته إلى ما كان عليه على يد والده، ولا يبدو أن أي أخميني قد أنشأ أو أقام منشآت محكمة في بيرسيبوليس منذ أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الأول، إنه حتى ليس من المؤكد أن أحداً منهم منذ وقت طويل لم يقطن تلك المباني المهجورة في العاصمة القديمة، ولن نندهش إذا ما كانت المباني المهجورة المتناثرة تدعو إلى عبوس أوخيوس الذي يبدو أنه قد أقام قصره الخاص فوق أعلى نقطة على الشرفة، حيث يمكنه من تلك النقطة أن يرى كل المشهد بالنسبة للحطام والدمار.

غزو فيليب (Philip) :

علو منزلة أرسيس Arses :

بمجرد أن قام فيليب (Philip) بتدمير الاستقلال الإغريقي في شارونيا Charoneia سنة 338، أعطى أوامره بإعطاء السم لأتوكيوس على يد طبيبة بناءً على أوامر الأغا باجوس، ويبدو أنه قد دفن في منحدر صخري خلف رصيف برسيبوليس شمال قصر أبيه، وقد كانت هناك أمام قصره شرفات من الحجارة الخشنة كي تحمي الملك الميت، حيث يرقد فوق الأنقاض التي أحبها من العامة السوقة، وكان أوخيوس متعطشاً للدماء كما أظهر نفسه، فقد كان حاكماً قادراً وقويًّا، وليس من الخطأ أن نقول إنه وباغتياله فإن باجوس Bagoas قد دمر الإمبراطورية الفارسية.

إن الأغا صانع الملوك قد وضع أرسيس على العرش وهو ابن أوخيوس من أتوبيسا Atossa ، والذي يظهر على العملات المعدنية بأنفه الكبير ووجهه العريض ولحيته الطويلة الحادة، واغتيال أوخيوس قد غير الموقف الدولي كاملاً، فعندما سنحت الفرصة مرة أخرى لتجديد فكرة الحروب العسكرية التنويرية فإن فيليب (Philip) لم يكن هو الرجل الذي لا يغتنم هذه الفرصة بسرعة، ويحصل على تلك الميزة، ومؤخراً في عام 338 كان هناك شعار إغريقي قد تم عمله في كرونيس Corinth ، وطلب فيليب (Philip) تعويضاً عن المساعدة التي قدمها لبرينثوس Perinthus .

وقد رفض أرسيس اعتبار هذا الطلب سبباً للحرب، وبالقرب من نهاية عام 377 تم اختيار فيليب (Philip) قائداً عاماً للحرب العسكرية التنويرية، وفي العام ذاته كذلك، فإن ثيموثيس 345-334 كان متبوعاً بأخيه ديونيسيوس Dionysius (337-305) وذلك في هيراكليا Heracleia ، وكذلك فقد نجح أريوبارزاتس Ariobarzanes (365-337) في سيوس Cius بواسطة ميثريداتس Mithridates (337-302).

وقد بدأت الحملة العسكرية التنويرية لفيليب (Philip) في الحال، بعشرة آلاف مقدوني يقودهم أتالوس Attalus وبارمينون Parmenion ، ويدعمهم الأسطول، وكان ذلك مبكراً في عام 336 في آسيا، وتم إعلان أنهم كانت لديهم أوامر بتحرير كل المدن الإغريقية التي تقع تحت حكم الفرس، وقد وجدوا ترحيباً واستقبالاً حاراً في سايزيكس Cyzicus ، وكذلك في إيفيسوس Ephesus ، والآن وتحت إشراف هيروتبينس Heropythes أُقيم تمثال لفيليب (Philip) في مكان السوق، ولقد افترض بكسوداروس Pixodarus أن الغزو صار حقيقة تامة (لا مفر منها)، ولكي يحمي نفسه وهب ابنته آدا Ada عن طريق أفيتش Aphenis الكابيدوني كي تتزوج أرهيديوس Arrhidaeus ابن فيليب (Philip) الذكي، وكان الإسكندر (Alexander) الوريث الشرعي يشم رائحة مؤامرة، والتي يمكن أن تؤدي إلى فقده الرضا قبل الملك، مسرعاً إلى الشاعر المأساوي تيسالوس Thessalus لكي يعتبر نفسه زوج الابنة المفضل.

إن الكاريني Carian كان مسروراً بهذا العرض الأفضل، ولكن فيليب (Philip) لم يكن ينوي أن يوقف الحملات العسكرية التنويرية من خلال هذه المصاهرة مع أمير فارس المغمور الذي لم يكن وقتها ملائماً، ووضع حدًّا لهذه الخدعة أو المكيدة، وكان الإسكندر (Alexander) خارج التأييد والعطف الملكي.

علو منزلة دارا (Darius) الثالث:

إن أرسيس قد اعترض على هذا التحكم المستبد للأغا صانع الملوك، وحاول أن يدس له السم، ولكنه هو نفسه سقط ضحية الاغتيال بعد أن حكم لأقل من عامين كاملين (من يونيو 336 إلى نوفمبر 338)، فقد تم ذبح أطفاله كلهم، وقام باجوس بتقديم العرش الخالي إلى دارا (Darius) ذي الخمسة والأربعين عاماً، وذلك حيث إنه كان فقط ابناً

لأرساميس Arsames وابناً لأوستانس Ostanes أخو أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني، وهذا يوضح كيف أن الخط الأساسي للبيت الملكي بالكامل قد تم محوه على يد أوخيوس وباجوس، وقد أظهر الملك الجديد قدرته العسكرية من خلال هزيمته ودحره لمتمرد من كادوسيا Cadusian في منافسة منفردة، ولهذا القتال البطولي فقد تمت مكافأته وإعطاؤه ولاية أرمينيا الصعبة.

وعملاته كانت تحمل وجهاً قويًّا ناضجاً، وأنفاً معقوفاً، ولحية قصيرة، وربما قد أثبت وأقام حكماً جيداً، حيث كانت الأحوال جيدة، وبسرعة كبيرة وجد فرصة لكي يظهر حماسة وجلده كشخص معين تعييناً جديداً، ولقد حاول باجوس أن يتخلص منه ويضيفه إلى قائمة من قام بقتلهم بالسم، ولكن دارا (Darius) أجبر الأغا نفسه على الشرب من الكأس المميت.

مشكلات الإسكندر (Alexander) :

بعد فترة قصيرة، وفي يوليو من عام 336 تم اغتيال فيليب (Philip) ، وبعض الأفكار لا تدلنا على المذنب بالنسبة إلى الإسكندر (Alexander) في هذا المحرج، أو بالنسبة إلى أمه أوليمبياس المتقدة، إن الملك الشاب نفسه كان يلوم على وكلاء دارا (Darius) بالنسبة لعميلة الاغتيال، والذين كانوا يتفاخرون بهذا الصنيع أو العمل في خطاباتهم، ومهما كان هذا التفاخر حقيقيًّا أم لا، فإن بعض المتآمرين لجأوا إلى الفرس.

ولقد وجد الإسكندر (Alexander) ذو العشرين عاماً نفسه ليس في مكانة تسمح له بتكملة الحروب العسكرية التنويرية فوراً، فقد كانت اليونان تهدد برفع حالة العصيان، وكان هناك خطر محدق من هجوم البرابرة من الشمال، ومهما كانت الأمور تجري بصورة جيدة مع القوات المقدونية في آسيا، فقد أصبح ممنون الآن أدميرالاً في الأسطول

الفارسي، وقد هزم المقدونيين في معركة ضارية بالقرب من ماغنيسيا، وبالاتفاق مع القلة الحاكمة دخل إلى إيفيسوس، وقد تم الاستيلاء على المعبد العظيم لأرتميس Artemis ، وتم تحطيم تمثال فيليب (Philip) ، وتم نبش مقبرة المتحرر هيروبثيس Heropythes التي في السوق.

لقد حقق بارمينون Parmenion نجاحاً سريعاً عندما تم القبض على جريثيوم Gryneium حيث كان يعبر الخليج من بيتان Pitane ، وتم بيع المواطنين الذين معه كعبيد، ولكنه -أي بارمينوم- عندما حاول حصار بيتان نفسها، فإن ممنون أجبره على إخلائها، وبعد ذلك تم استدعاء بارمينوم من أجل القتال في أوروبا.

لقد فشل ممنون في محاولة احتلال سيزيكوس Cyzicus متظاهراً بأنه خليفة بارمنيوم كالاس Calas ، ولكنه هزم كالاس نفسه في طروادة Troas وأجبره على التراجع إلى روتيوم Rhoeteum ، وكان بكوداروس Pixodarus واثقاً من أن فارس يمكن أن تكون هي المنتصرة، حيث إنه قد تزوج آدا Ada ، والتي تمت هبتها لأرهيديوس ولحاكم الولاية أورنتوباتس Orontobates كعلامة على رجوعه إلى ولائه للدولة الفارسية.

هزيمة فارس وإعادة احتلال مصر:

بينما كان قيام باجوس باغتيال باوكيوس سبباً في رد فعل سريع في مصر، -كما أخبرنا بتيوسيرس Petoseris - فبينما كان الجنوب في حالة من الفوضى كان الشمال في حالة ثورة، وقد ظهر رجل يدعى كاباباشا Khababasha والذي يدل اسمه على أنه من أصل أثيوبي، وذلك في أواخر عام 337 في الجنوب، وكان ذلك هو عامه الأول (البداية في 14 يناير سنة 336) وهو تاريخ عقد زواج مع تيوس Teos من معبد آمون بالكرنك في غرب طيبة.

إن تلك الوثيقة تتكامل مع الشواهد الأخرى -من الذين كتبوا

توقعاتهم المخطوطة- قذيفة تحمل الاسم العامي كاباباشا وجدت بين حطام القصر في أبريس Apries في ممفيس، هذه القذيفة تقترح أن الثوار قد أخذوا العاصمة القديمة بالاغتصاب، وكانت ممفيس تعامل جيداً، فقد خصص كاباباشا موارد كافية من أجل إعداد الألواح الهائلة من الجرانيت الأسود اللامع من أجل عمل أبيس الذي مات بالكلية في العام الملكي الثاني خلال الشهر الذي يبدأ في الثاني عشر من يناير عام 335، ثم تم دفنه في سيرابيوم Serapeum المجاورة.

ولقد زار كاباباشا الدلتا، ومن أجل أن يمنع الأسطول الآسيوي Asiatic من دخول مصر قام بتفتيش كل فروع النيل التي تؤدي إلى البحر، وخلال تلك الزيارة وصل إلى بي دب Pe Dep ، وبعدها بوبتو، ثم أتى إلى أراضي السنجة أو المستنقعات التي يقال لها أرض بوتو Buto ، ثم قال جلالته للحضور: «أخبروني عن تلك المستنقعات»، والآن هم يقفون أمام جلالته ويقولون: «هذه المستنقعات يقال لها أرض بوتو، وهي تخص آلهة بي-دب منذ القدم وقبل أن يقوم خشريش Khshrish الشرير بمصادرتها».

وفي الحقيقة كان أرتاكسركسيس (Artaxerxes) وأوخيوس (Ochus) وليس كسركسيس (Xerxes) ، وكان لا يقيم فيها أية قرابين لآلهة بي-دب، بعد ذلك قال جلالته: «أحضروا الكهنة وأكبر الرجال من بي دب»، وقد تم إحضارهم إليه سريعاً، ثم قال جلالته: «دعوني أعرف ماذا فعلت أرواح آلهة بي دب للرجل الشرير بناءً على شره، والذي أرجعوه إلى أن كسركسيس (Xerxes) الشرير تصرف بشر ضد بي دب، حيث إنه قد استولى على ممتلكاتها»، عندئذٍ قالوا -وهم بين يدي جلالته: «الأمير حورس سيدنا Horus ابن إيزيس Isis وابن أوزيريس Osiris أمير الأمراء، ملك الملوك لمصر العليا ومصر السفلى، المنتقم والآخذ بالثأر لأبيه، سيد بي، بداية ونهاية الآلهة، الذي لا يشبهه أي ملك، ولقد قام بطرد الشرير

كسركسيس (Xerxes) من قصره ومعه ابنه الأكبر»، لقد أصبح ذلك اليوم معروفاً في سايس Sais ومدينة نيس Neith بجوار أم الإله»، وقد وصلت الأخبار إلى الدلتا، وذلك في ربيع عام 336 من أن أرسيس Arses تبع أوكيوس في موته، وأن أفعال باجوس تعزو إلى حنق وغيظ الملك الإله في مصر.

لكن الملك لاحظ أنه ليس حورس في الحقيقة: «أوه أنت الإله المبجل من بين كل الآلهة الأخرى، الذي لا يشبهه ملك، قدني وخذ بيدي في طريق جلالته هاريندوتس Harendotes ، والذي ربما أنني أعيش من أجله»، ثم قال الكهنة العظام لبي دب: «نرجو جلالتك أن تأمر بأن تتم تسمية أرض المستنقعات باسم أرض بوتو، وأن تتم إعادتها إلى آلهة بي دب مع الخبز والمشروبات والثيران والإوز وكل الأشياء الطيبة».

«ملك مصر العليا والسفلى، شبيه الإله تينين Tenen ، اختيار بتاح Ptah ابن كاباباشا، عاش للأبد، قدم أرض المستنقعات إلى الآلهة، إلى أرواح بوتو Buto ، ومعها الكثير من الهدايا الملكية»، وبينما كان الإسكندر (Alexander) يقوم بتهدئة القبائل على الحدود الشمالية، وبينما كانت كل من طيبة وأثينا تخططان للثورة، كان دارا (Darius) يشرع في إعادة غزو مصر، وقد بحث كاباباشا في كيفية حماية الدلتا ضد الأسطول الآسيوي، كل ذلك كان عقيماً بالرغم من أن دارا (Darius) قد تمت مبايعته كملك على مصر قبل الرابع عشر من يناير عام 334 عندما كانت هناك وثيقة باللغة الشعبية تشهد باسمه لتغيير وتبادل الممتلكات، وكذلك فإن كاباباشا اختفى من التاريخ.

ومن المؤكد أنه أول بطلمي يمكن أن يعرف بأنه حاكم شرعي، ولكن مانتو Manetho كتبه تحت مسمى البطلمي الثاني، ورفض أن يدخل اسمه في القائمة الملكية، وكذلك فقد كان بالفعل غير معروف للإغريقيين أو اليونانيين، وأول حكام الولايات الذي تم اختياره كان

ساباسيس Sabaces الذي أصدر أمراً بسك عملة كبيرة للولاية؛ وذلك من أجل التحضير لقرب حدوث الغزو المقدوني لمصر.

النشاط المعماري لدارا (Darius) الثالث في برسيبوليس:

في لحظة نفوذه وسلطانه، عاد دارا (Darius) إلى برسيبوليس، حيث إنه على الأقل قد بدأ في بناء مقبرته، وظاهريًّا قد شيد نوعاً ما من القصور، والقصر الأخير الذي أقامه في البقعة الوحيدة الخالية على الشرفة في القطاع المحيط في الشمال بقصر دارا (Darius) الأول، وإلى الشرق من كسركسيس (Xerxes) وإلى الغرب والجنوب من حافة الشرفة العليا.

وفي الخطة الأصلية، فإن قصره يشبه قصر كسركسيس (Xerxes) ، ولكن هناك بعض التغيرات المؤثرة، حيث إنه كان الأصغر، وكذلك فبدلاً من السلالم العظيمة المزدوجة إلى الشمال كان له فقط مدخل قصير وضيق به مجموعة متواصلة من السلالم في الركن الشمالي الغربي خلف حائط الفناء، هذه السلالم تؤدي إلى البهو الشمالي ذي الأعمدة مثلما هو في قصر كسركسيس (Xerxes) ، ولكن تم استبدال حائط الفناء بالسلالم المزدوجة التي تقطع المنظر الأمامي الفخم.

وليس هناك أي فراغ للمداخل مركزية المرتبة التي بناها أسلافه من قبل؛ ولهذا فإن حجرة الاستقبال التي تقع إلى الجنوب ممتلئة بستة عشر عموداً لا تعمل على اتزان الحجرتين الصغيرتين المتراجعتين إلى الشرق بكل منهما أربعة أعمدة فقط، وكانت النقوش تزين حائط الفناء على طول الواجهة بالنسبة للبهو الشمالي كذلك، بالإضافة إلى الأجزاء الأخرى في أقصى الفناء الغربي يثبتان اختفاء الكمال الفني الجديد في تلك البقعة، حيث إنهم كانوا قد نقلوا من مكان آخر، كذلك إعادة استخدام البلوكات المنحوتة على الزوايا الملاصقة إلى الشرق أمام مداخل السلالم الممتدة، والتي تصل الفناء في المقدمة بالفناء الموجود بين

قصري دارا (Darius) الأول ودارا (Darius) الثالث، وهذه الأشكال توضح ما الذي فقدناه من الفن الذي لا يزال حيًّا في غنائم دارا (Darius) الثالث في بيرسيبوليس.

وبالمثل -كما في النقوش البارزة على المقبرة التي أقامها إلى الجنوب- فهي خشنة وغير مستوية حتى إذا ما حاولنا أن نتغاضى عن أنها بارزة للخارج فحسب، فإنها تميز نهاية الفن الأخميني الرائع.

الفصل الخامس والثلاثون

الإسكندر (Alexander)
ويث الحملات العسكرية الأوروبية

بداية الحملات العسكرية الأوروبية:

طلبت أثينا من الملك العظيم دعماً ماليًّا من أجل الثورة المقترحة ضد الإسكندر (Alexander) ، لكن دارا (Darius) كان واثقاً من تلاشي خطر القائد المقدوني الشاب، وخاصة بعد استعادة مصر وضمها إلى الحظيرة الفارسية؛ ولذلك أجاب: «لن آمركم بالذهب؛ لذلك لا تطلبوه مني، لأنكم لو فعلتم فلن تحصلوا عليه»، وقد عاد الإسكندر (Alexander) منتصراً من الشمال، حيث تم إخماد هذه الثورة، وسويت مدينة ثيبيس Thebes بوحشية بالأرض كعقاب لها، ومع ذلك، فقد فوض الفاتح الشاب من قبل التحالف لمواصلة الحملات العسكرية الأوروبية، تلك التي كانت تحت مسمى القوات الإغريقية المتحضرة ضد فارس البربرية، وكان رد فعل دارا (Darius) متأخراً جدًّا، حيث أرسل ثلاثمائة تالنت إلى بلاد الإغريق، وقد رفضت أثينا الهبة رسميًّا بالرغم من أن ديموسيثينيس (Democethynius) أخذ سبعين منها لنفسه، وكانت إسبرطة أقل تردداً، وكتب الخطيب العظيم أيضاً للقواد العسكريين في آسيا مطلقاً على الإسكندر (Alexander) لقب الطفل الغبي، وبعد ذلك هرب الخطيب -وهو كاريديموس (Caridemus) -إلى حماية دارا (Darius) .

وسيراً على نهج والده، كان الإسكندر (Alexander) في ذاك الوقت خليفة له أيضاً في قيادة الحملة العسكرية العظيمة، وكانت جيوشه تشمل حلفاء من المرتزقة الإغريق، حيث كان تحت إمرته حوالي خمسة وثلاثين ألفاً من القوات العسكرية، لكن كانت رأس حربة جيشه مؤلفة من الفيلق المقدوني، وكان أهم عناصرها الفعالة من المشاة الوطنيين، وكانت الثقافة الإغريقية ممثلة في صدارة الحملة العسكرية، حيث شملت هذه القوات إضافة إلى الجند كل من عناصر الكتبة والنواب الخاصة به، وكذلك المؤرخين مثل يومينيه من كاريا وديودورس (Diodorus) من إيريثراس، وقد استطاعوا تكملة ملحمة تسجل يوميات المعركة وانتصاراته حيث كانت تتناول مسيرته اليومية في أثناء هذه الحملة، وقد كان هناك مؤرخون محترفون أيضاً مثل كاليسثينيدز ابن أخو أرسطو (Aristotle) ، وكذلك أونيسيكريتوس أحد تلامذة ديوجينيز الذي كان قد ألف مبحثاً عن تعليم الإسكندر (Alexander) الذي كان يلازمه ومستعداً بتزيين كل التقارير العسكرية المملة التي ترد من الخطوط الأمامية للقتال باستخدام كل ما لديه من أساليب خطابية وفصاحة، كما يتطلب الأمر عند كتابة السير الذاتية في عصرنا الحالي، وكانت الطرق التي تقطع بواسطة التقدم العسكري تقاس من قبل المستكشفين وهم بايتون وديوجينتوس وفيلونيديس وأمينتوس وعلماء النبات والجغرافيين، وكل العلماء الآخرين الذين كانوا ضمن أفراد حملته العسكرية.

وفي عام 334، وبعد وقت قصير من إعادة غزو دارا (Darius) لمصر بدأت الحملة العسكرية بالمراسم التقليدية، وكان هدف حملة كسركسيس (Xerxes) هو حرب طروادة لكن في اتجاه معاكس، أي محاربة الإغريق وليس الانتصار لها، أما الإسكندر (Alexander) فقد كان هو الذي قاد الحملة الموسعة العكسية باتجاه الشرق، وكان كسركسيس (Xerxes) قد قام بعبور الجسر الواقع عند سيستوس، فإن بارمينون (Parmynon) كان مع

قواته المحمولة في حراسة 150 سفينة كانت مهمته المحددة له من قبل الإسكندر (Alexander) هي حمل الجيش عبر البحر من سيستوس إلى هيليزبونت، ومنها إلى أبيدوس، وكان كسركسيس (Xerxes) قد قدم القرابين وذبح تقرباً عند عبور المجرى المائي، وكذلك فعل الإسكندر (Alexander) بأن نحر ثوراً تقرباً إلى المعبود بوسيدون، ومن إناء آخر قام بسكب الدماء تقرباً إلى آلهة البحر، وكان تقدمه قد أعيق في لامبسكوس التي ظلت موالية لسيدها الفارسي، وفي مقابل هذا العمل المعادي للهلينية هدد الإسكندر (Alexander) بالدمار الشامل، إلا أن قاطنيها أرسلوا المؤرخ أناكسيمينيس كسفير لهم، وهو الذي تمكن من خداع الغازي والحصول منه على العفو عن المدينة.

وكانت إليوم غارقة في الفقر إلى درجة جعلتها مجرد مدينة تحوي معبداً فقيراً، وكانت أولى نقاط توقفه، وكما كان المجوس في جيش كسركسيس (Xerxes) يصبون السوائل في البوتقة المقدسة للتقرب إلى الآلهة، قام جنود الإسكندر (Alexander) بإراقة السوائل تمجيداً لذكرى أبطال حرب طروادة، وقام الإسكندر (Alexander) بالجري عارياً حول القبر التقليدي لأعظم قادة الإغريق أخيلا (Achillus) ، وقدمت التضحيات والقرابين مرة أخرى إلى أثينا المعبودة المحلية، وفي معبدها أهدى الإسكندر (Alexander) درعه الخاصة لهذه المعبودة، وأخذ مقابل ذلك من هذا المعبد أيضاً، وهو أحد الدروع الذي يقال إنه كان ملكاً لأبطال الإغريق المنتصرين، لكن تقديم القرابين لم يتم لبريام من أجل تجنب كراهيته وغضبه وعقابه لأحد المنحدرين من نيوبتوليموس، وهو الإسكندر (Alexander) الفاتح، وبهذه المراسيم تم إبلاغ العالم كله أن هذه الحرب كانت هي حرب طروادة الثانية، ومثل الحرب الأولى فهي تمثل الحملة الكبرى لبلاد الإغريق وأوروبا المستنيرة ضد بلاد آسيا البربرية.

وقد كان هناك قادة مشهورون يقودون الجيش الفارسي مثل أرساميس (Arcames) وريومثيريس وبيتينيس ونيفاتيس، وكان هذا الجيش تعاونه الرسوم التي فرضت على السكان المحليين، وبعض من هذه جاءت من قبل الوالي سبيثراتيس، وهو والي ليديا وأيونيا وأخو الوالي السابق رويزاسيس (الذي كانت عملاته يتم سكها في لامبساكونس وسايم)، وهناك قوات أخرى في الجانب الفارسي تحت قيادة أريستيس (Arestes) الذي كان قائداً لقوات المشاة في هيلزبونت في ولاية فريجيا، وقد بلغت زيادة هذه القوات حوالي 120 ألفاً إضافية من قوات المشاة من الفرس، وكذلك العدد نفسه من المرتزقة الإغريق تحت قيادة ممنون (Memnon) ، وقد تجمعت تلك القوات الضخمة قرب زيليا التي تبعد عدة أميال قليلة عن سيزيكوس.

وكانت نصيحة ممنون (Memnon) الحكيمة هي التراجع وحرق المدن والمحاصيل، لكن القائد أرستيس (Arestes) قال بصلف شديد إنه لن يسمح بحرق منزل واحد في إمارته، وكان الفرس وهم يشكون في كون ممنون (Memnon) إغريقيًّا قد استجابوا إلى سياسة أرستيس (Arestes) ، وبعد ذلك اتجه الجيش شرقاً إلى جرانيكوس حيث قبعت القوات العسكرية خلف التلال العالية.

وكانت المعركة العاجلة هي كل ما تأمله الاستراتيجية العسكرية لمقدونيا، وفي شهر مايو زحف الإسكندر (Alexander) بجنوده لمجابهة عدوه، وبالرغم من أن القوات الفارسية لم تكن تفوق قوات الإسكندر (Alexander) عدداً بدرجة ساحقة إلا أن المحاولة الأولى للجيش المغير قد باءت بالفشل، حيث لم تتمكن قوات الإسكندر (Alexander) في البداية من عبور الجسر، لكن الإسكندر (Alexander) استجمع شجاعته وخاض البحر معرضاً نفسه لهجوم الفرس من كل جانب، وقد حطم نبلاؤهم خوذته ونجا بأعجوبة من الموت على يد سبيثريداتيميس، وأدت

شجاعته الخارقة إلى قلب الموقف رأساً على عقب، ويشهد على تلك الأحداث القائمة قتلى الفرس، ومنهم القادة العسكريون نيفاتيس وبيتينيس والولاة سبيثريداتيس وميثروبارزانيس، وكذلك النبلاء أربوباليس وميثريداتيس وفارناسيس الذي يعتبر ابناً وزوج ابنة لدارا (Darius) على التوالي، وهناك أيضاً أوماريس قائد المرتزقة المحليين الذي أظهر كيف أن الفرس ما زالوا يستطيعون التضحية بأنفسهم من أجل ملكهم، وإقراراً بتحمله المسئولية عن الكارثة قام قائد الجيش أريستيس (Arestes) بقتل نفسه.

ولم يبذل جهد كبير للقيام بتعقب المشاة الوطنيين من الفرس، بل سمح لمن سلم نفسه من الفرس بالعودة إلى وطنهم، وبدلاً من ذلك صب الإسكندر (Alexander) جام غضبه وانتقامه على المرتزقة تعيسي الحظ من الإغريق الذين جندوا أنفسهم لمحاربة جيش بلادهم، حيث كانوا في نظر الفاتح المنتصر خونة لقضية الحضارة الهلينية؛ لأنه لم يقبل أن يقوموا بالقتال إلى جانب البرابرة ضد أهلهم من الإغريق، وبالرغم من توسلهم للإسكندر (Alexander) لقبول نسبة الربع في القتل إلا أنه قام بذبح تسعة من كل عشرة منهم تاركاً ألفين منهم يدفعون ثمن آثامهم بكونهم عبيداً لولايات أثينا، ولم ينسَ أقارب القتلى والعبيد في بلاد الإغريق -الذين ظلوا على قيد الحياة في بلاد الفرس- بخطورة هذا الإنذار، فكان السبيل الوحيد أمامهم هو قتال الإسكندر (Alexander) حتى الموت.

تبني الأساليب الفارسية في الآدارة (Adae) :

كان التظاهر بالفكر الإغريقي وبريقه الذي قدمه أرسطو (Aristotle) قد بدأ في الأفول، وأدرك الإسكندر (Alexander) أن رعاياه سوف يكون منهم الشرقيون، بالإضافة إلى مواطني مقدونيا والإغريق، وفور انتهاء معركة جرانيكوس استهل سياسة جديدة بدأت معالمها في الظهور بمرور الزمن،

فقد كانت إليوم بلداً غريباً بالنسبة إلى المنظور الفكري الإغريقي، ومن ثم أصبحت مدينة حرة تنعم بالديمقراطية، حيث استغل المبلغ المدفوع للفرس في الجزية في إقامة المباني الجديدة التي تخلد أمجادها القديمة وأهميتها المكتسبة حديثاً، حيث إن الإسكندر (Alexander) بنفسه قد خصص هذه المباني قرباناً لأثينابوليس، وكانت هذه أولى المدن العديدة التي قصد بها إعلاء شأن المدينة الإغريقية ومؤسساتها وثقافتها بالنسبة إلى المواطنين الذين يسكنون هذه المدن.

ومع استمرار مسيرة صبغ العالم بالثقافة الإغريقية تم تبني الأسلوب الفارسي في الآدارة (Adae) خاصة تقسيم الولايات في كل أنحاء الإمبراطورية، فمثلاً كالاس (Callus) قد تم تعيينه والياً، وصدر إليه الأمر بأن يجمع الأموال نفسها كضرائب، تلك التي كانت تقدم للفرس باعتبارها جزية، كما احتل بارمينون (Parmynon) إمارة داسيليوم المهجورة ذات العاصمة زيليا، وتم إصدار العفو عنهم، حيث لم يكن لهم ناقة ولا جمل في وقائع الحرب، وقد آتت هذه الرحمة ثمارها، ففي أثناء زحف جيشه قابل الإسكندر (Alexander) ميثرينيس قائد حامية عاصمة سارديس في طليعة شعب هذه المدينة الوافدين للترحيب بالإسكندر (Alexander) آملين في وعده بأن يسمح لهم بممارسة شعائرهم التقليدية مسلماً إياهم الكنوز المكدسة في القلعة الموجودة في المدينة، وقد كان وجود عاصفة رعدية هبت على قصور ملوك ليديا فألاً حسناً لإعادة ترميم معبد آلهتهم المحليين مثل زيوس وأوليمبيا، وفي هذه القلعة وجدت أيضاً كنوز عديدة مثل سجل المراسلات -تلك التي كانت بين القواد التابعين للملك الفارسي والخطيب ديموسثيرتيس- وتظهر كم تقاضى منهم للدعية للملك الفارسي.

وبتنظيم ولاية ليديا، اتخذ الإسكندر (Alexander) خطوة إضافية في محاكاة النمط الفارسي في الآدارة (Adae) ، حيث عين ساندار ابن

فيلاتوس المقدوني والياً، وعكس كالاس (Callus) ، لم يسمح له بتحصيل ضرائب أو مساهمات أو جزية، بل خولت هذه المهمة إلى الإغريقي نيسياس، واتباعاً أيضاً للنمط الفارسي عين المقدوني بوزانياس قائداً لقلعة ساردیس، وهكذا سار على النهج الفارسي بتقسيم السلطة بين ثلاثة مسئولين يتبع كل منهم الملك مباشرة، ولكن الجديد هنا هو الاحتفاظ بالمعاملات المالية في الولايات في يد الإغريق.

وكانت ثانية المدن التي وضع الإسكندر (Alexander) حجر الأساس لها هي سميرنا التي كانت مهجورة منذ أمد بعيد، وفرّ المرتزقة الإغريق من مدينة إيفسيوس القريبة منها، وتم استرجاع المنفيين وعادت حكومتها للنهج الديمقراطي، وتم إخماد الشغب الذي ساد ضد رموز الحكم الفارسي من أجل استقرار الأمور، وتم صدور الأمر بإعادة بناء معبد أرتيميس من الضرائب التي كان يدفعها المواطنون للمحتلين الفرس السابقين، وقيل إن الإسكندر (Alexander) عرض دفع كل تكاليف البناء لو وضع في المعبد نقش يدل على مدى كرمه، وبطريقة دبلوماسية رد السكان أن الإله لا يقبل معونة من إله آخر يقصدون به الإسكندر (Alexander) نفسه، وبناءً على ذلك قام الإسكندر (Alexander) بتوسيع نطاق الحرم الآمن المستخدم كمأوى حول المعبد بسياج، وقدم بنفسه قرباناً إلى أرتيميس، وواصل التقدم بقواته في مسيرته المقدسة.

غزو منطقة بحر إيجة:

أرسل بارمينون (Parmynon) لتسلم مفاتيح ماجنيسيا إعلاناً باستسلامها في مايندار وترايليس، وتقدم القائد ليسيماكوس إلى مدن أبوليان وأيونيا حاملاً معه أوامر باستعادة الديمقراطية وترسيخ القوانين القديمة لكن بشرط وحيد هو دفع الضرائب القديمة، وعرض المرتزقة في حامية ميليتوس الاستسلام عند وصول نيكانور من لادي بمصاحبة

مائة وستين سفينة، وبعدها بثلاثة أيام وصل الأسطول الفارسي الذي يفوق هذه القوة البحرية من ميكالي، وتغير الموقف كلية، حيث إن هيجيستراتوس كان قد سلم المدينة بخطاب منه، لكن عند وصول الأسطول الفارسي استعد الأول للتعاون مع هذه القوة البحرية؛ ولذلك غير رأيه وقرر القتال دفاعاً عن المدينة، وعند بزوغ الفجر كان الإسكندر (Alexander) قد هدم كل أسوارها، وكمن انتظاراً لوصول القوة الفارسية، ومرة أخرى قام بذبح معظم المرتزقة الإغريق العاملين مع قوات الفرس، إلا أن ذلك جعل من لم يذبح يقاتل حتى آخر رمق في حياته، وفر القليل منهم إلى الجزيرة المجاورة، وقد أدرك الإسكندر (Alexander) خطأه بالذبح المفرط الذي أدى إلى شراسة المدافعين؛ ولذلك أصدر أمره بتجنيد اللاجئين إلى الجزيرة ضمن قواته، وهكذا تراجع أحد مُثُل هذه الحملة في مقابل الضرورة الملحة، وبعد ذلك عرض الإسكندر (Alexander) نفسه لمخاطرة شديدة عندما تنحى عن أسطوله، وكان مبرره أنه لم يملك النفقات الكافية للاحتفاظ بالقوة البحرية باهظة النفقات، حيث كان متأكداً أنه بالسيطرة على الموانئ البحرية فسوف تكون السفن الفارسية صيداً سهلاً، وتكون الفرصة سانحة للاستيلاء على أسطول ممنون (Memnon) ، وكانت هي ميليتوس، وتمت مكافأة عراف أبوللو على صمته الطويل وهو كامن في برانكيداي، حيث تم إعفاء منطقة برين من الإسهامات المالية، وتم كذلك إعفاء أريثراي من الجزية.

وعلى الجانب الفارسي، كان بيكسوداروس قد مات، وتم الأمر الملكي لزوج ابنته أوروتوبانيس بأن يتولى مسئولية هاليكارناسوس، وكان ادعاؤه للأحقية في ولاية حكمها يستند على زواجه بآدا (Adae) ابنة بيكسوداروس، ولكن قاومته آدا (Adae) أخرى، وهي أرملة إدريوس التي تتولى قلعة قوية في أليندا التابعة لكاريا جنوب ألاباند، وفي طريقه قابلت آدا (Adae) هذه الإسكندر (Alexander) وتبنته كابن لها.

وكانت مدينة هايكارناسوس فائقة التحصين بواسطة ممنون (Memnon) ، وتزخر بالجنود من الفرس والمرتزقة، وقد باءت محاولة الهجوم على ميندوس والعرض المقدم لها بقبول الاستسلام بالفشل، إلا أن الإسكندر (Alexander) عاد إلى حصارها، وقاوم أورنتوباتيس وممنون (Memnon) بإشعال الحريق فيها والتراجع داخل القلعة، وقام الإسكندر (Alexander) من ناحية بالإجهاز على المدينة المنكوبة مخلفاً وراءه ثلاثة آلاف جندي من المرتزقة لحراسة كاريا التي منحها إلى آدا (Adae) مع لقب الملكة، وبعدها بوقت قصير استطاعت الملكة الحصول على استسلام القلعة.

وفي هذه الأثناء كان الشتاء على الأبواب، واستعد الإسكندر (Alexander) للتقليل من قدر تهديد القبائل شبه المحاربة التي تسكن التلال، واستولى في البداية على هايبارنا مانحاً مرة أخرى شروطاً ميسرة للمرتزقة بها تبعها استسلام تلميسوس وزانثوس وبينارا وباتارا، ويرجع السبب لدينا إلى شخصية من ليسيا، وهذا مثبت في أحدث النقوش التي نمتلكها بلغة ليسيا المحلية، وهذه الشخصية هي إيكوا ابن إبيكاسيدا، وهو منحدر من أصل معروف في أرتومبارا من ميديا، وهو قائد عسكري في جيش ليسيا تحت إمارة الإنسانترا الذي نعرفه باسم الإسكندر (Alexander) .

وبالنسبة إلى مدينة ميلياس، فقد دمرت وتم تدنيسها، وكانت الأراضي التابعة لها قد ضمت إلى إمارة ليسيا رغم انتمائها السابق إلى إمارة فريجيا الموسعة، وتم الاستيلاء على مارماريس الصخرية شديدة التحصين، والتي تعد في قلب الكتلة الأرضية، وأرسل قائدها فاسيليس إلى الإسكندر (Alexander) تاجاً ذهبيًّا، إلا أن الإسكندر (Alexander) قد أغار على البرج الخارجي الذي يهدد منطقة ليسيا، وبالتالي تم استسلام كل المنطقة الغربية والجنوبية الغربية، وحينئذٍ تم فهم تبرير تخلي الإسكندر

(Alexander) عن الأسطول لأنه عن طريق البر وما حوله تمكن الإسكندر (Alexander) من الاستيلاء على كل القواعد البحرية من جهة الهجوم الأرضي، واضطرت البحرية الفارسية إلى التخلي عن منطقة بحر إيجة.

وفي لقطة أخرى على الجانب الفارسي، كان أمينتاس الذي أوى إلى الملك الفارسي قد جلب له خطاباً من أحد الأفراد الذي يسمي نفسه بالإسكندر (Alexander) ابن أيروباس الذي شارك إخوته في اغتيال فيليب (Philip) وأمر دارا (Darius) سيسينيس أن يذهب إلى أتيزيس وإلى فريجيا، ومن خلاله يبلغ مسمع الإسكندر (Alexander) أنه لو استطاع اغتيال سميه، فإنه سوف يرتقي عرش مقدونيا مع هبة تصل إلى عشرة آلاف تالنت من الذهب، وبطريقة أو بأخرى تمكن بارمينون (Parmynon) من القبض على سيسينيس وعلم بالمؤامرة، وتم في أعقاب ذلك القبض على المنافس على الملك.

الزحف برًّا إلى فريجيا:

بعد الاطمئنان على منطقة بحر إيجة، استطاع الإسكندر (Alexander) مواصلة زحفه صوب بيرجا مصحوباً برياح قاسية أدت إلى المسير عبر الشاطئ فيما يشبه الدوامة المائية التي جعلته وقواته يخوضوا في الماء الذي يصل إلى الصدر، وقد وعده سفير من أسبيندوس باستسلام المدينة طالباً توفير حماية لها من قوات الإسكندر (Alexander) ، وفي المقابل تمت الموافقة على الطلب مقابل خمسين تالنت من أجل دعم الجيش ونقل الخيول التي تربى لصالح الملك المعظم.

وعلى طول الساحل واصل مسيرته وصولاً إلى سيدي، وبعدها توجه إلى الأرض الداخلية، حيث أغار على سيليام بلا فائدة، وعندها تأكد من عزم أهل أسبيزاس على مواصلة القتال للنهاية تخلى عن مواصلة الإغارة عليها مكتفياً بحصارها، ثم اتجه بعد ذلك صعوداً إلى التل المنحدر

المشرف على يوريميدون، وعند عودته إلى المدينة السابق حصارها عرض أهلها الاستسلام على أساس الشروط التي كان قد عرضها عليهم، لكنه رفض طلبهم، ووجدوا أن عليهم دفع تعويض يبلغ 100 تالنت بدلاً من الخمسين التي كانوا قد رفضوها، وأن يلتزموا بالطاعة لواليه عليها، وأن يواصلوا دفع الجزية بانتظام، وأن يتم إجراء التحقيق في مسألة الأراضي التي يقول جيرانهم إنهم قاموا بسرقتها اقتطاعاً من أراضيهم.

وبغرض الوصول إلى فريجيا، اتجه الإسكندر (Alexander) ثانية صوب الشمال، ووجد أن قوات تيلميسيا قد سدت الطريق بين كلا المرتفعين الذي كانت على أحد جوانبه المدينة المقصودة، وعندما أقام الإسكندر (Alexander) معسكره ترك الجيش المعسكر من أجل الانتشار وتأمين الطريق، ووصل رسول من سيلجيا وقوات أخرى من البيسيديان المعادية لتيلميسيا، حيث تم منحهم صداقة الإسكندر (Alexander) ، أما تيلميسيا نفسها فكانت مهجورة تماماً، وتراجع سكانها إلى ساجالاسوس التي كان يحتلها شبه العسكريين من البيسيديان، وبعد دحر قواتها المشتركة تم الاستيلاء عليها من قبل القوات المقدونية، كما تم الاستيلاء على المدن الأخرى التابعة للبيسيديان، وكان الإسكندر (Alexander) أكثر حظاً من سابقيه الفرس، حيث استطاع -مؤقتاً- ترويض أهلها المعتادين على الحرب والمتحصنين بالجبال.

وبمحاذاة بحيرة إسكانيا -الشهيرة باستخراج الملح- تمكن الإسكندر (Alexander) من بلوغ سيلان التي كانت تحرس عاصمتها حامية عسكرية من قبل والي فريجيا، وتم احتلال المدينة، أما الحامية العسكرية التي هجرتها فقد وعدت بقبول استسلامها في موعد أقصاه يوماً واحداً، وبعد ذلك خلف أنتيجونوس ابن فيليب (Philip) لمراقبة تحرك الوالي الفارسي، وكان يرافقه مائة جندي، حيث وعد أنتيجونوس بولاية هذا الإقليم.

هزيمة عارضة على ساحل بحر إيجة:

في الوقت نفسه حدث تحول في مجرى الحرب مرة أخرى في منطقة إيجة، حيث أصبح الأسطول الفارسي فاقد الفعالية باستيلاء الإسكندر (Alexander) على قواعده البحرية من جهة الأرض، لكنه كان يعتقد أن قواته كان بمقدورها السيطرة على كل الاتصالات بدرجة كاملة، أما الآن فقد ثبت أن هذا الاعتقاد كان خاطئاً كلية، فقد استولى ممنون (Memnon) على كيوس بدلاً من الارتداد إلى قبرص أو فينيقيا، وتم هذا الاستيلاء عن طريق خيانة ما ومنها احتل ساحل ليبوس ما عدا ميتيلين التي كانت تحت الحصار، وكانت العديد من الجزر ترسل له السفراء كسباً لصداقته، وفي أوروبا تلقت إسبرطة بسعادة عطاياه الذهبية، ومن استيلائه على هذه القواعد الجديدة التي شهدت بدايات حياة الإسكندر (Alexander) كانت هناك خطورة أكبر على قواته من ناحية إمكانية قطع الاتصالات بين قواته، خاصة أنه الآن لا يملك قوة بحرية تسانده.

لكن الحظ أو القدر الذي طالما تعلقت حياته به لم يتخلى عنه هذه المرة أيضاً، ففي هذه اللحظة الحاسمة فاضت روح ممنون (Memnon) ، وفقدت مهاراته العسكرية الاستراتيجية، وكانت خسارة فادحة لدارا (Darius) بالرغم من كون هذه الخسارة لم تتضح سريعاً حينئذٍ، واستمر كل من أوتوفراداتيس (Aotuphradates) وابن أخو ممنون (Memnon) -فارنابازوس (Pharnabazus) - في الحصار على ميتيلين التي استسلمت في النهاية بناءً على شروط، وهي إزالة الأعمدة التي نقشت عليها المعاهدة مع الإسكندر (Alexander) ، وأنه تجب استعادة المنفيين (مما يعني أن مؤيدي الفرس سيعودون ثانية إلى مراكز السلطة)، وأن يقدموا نصف ممتلكاتهم السابقة، وعودة قادتهم إلى شروط السلام الملكي، وتولى ليكوموديس -من رودس- قيادة الحامية العسكرية المخلوعة،

وأصبح المنفي ديوجينيس حاكماً عليها، ووجب على الغني أن يدفع الغرامة، وعلى الفرد العادي أن يدفع الضريبة.

وقام فارنابازوس (Pharnabazus) بنقل المرتزقة إلى ليسيا بغرض استعادة ما استولى عليه الإسكندر (Alexander) ، أما أوتوفراداتيس (Aotuphradates) فقد استولى على بعض من الجزر التي كانت لا تزال تدين بالولاء للإسكندر (Alexander) ، وكان غزوات الإسكندر (Alexander) تواجه خطر الخسارة المؤكدة عندما قام الملك دارا (Darius) بخطأٍ جسيم، حيث أرسل ابن ممنون (Memnon) -ثيمونداس- لتولي قيادة قوات المرتزقة بدلاً من فارنابازوس (Pharnabazus) ، وأوكل إليه أيضاً أن يتولى مهمة إعادتهم للوطن، وبالرغم من أن فارنابازوس (Pharnabazus) قد منح رسميًّا صلاحيات ممنون (Memnon) إلى فارنابازوس (Pharnabazus) ، فإن ترحيل المرتزقة قد أضعف إلى أقصى حد قدرته على عزل الإسكندر (Alexander) عن مقدونيا والحيلولة، دون وصول القوات المدعمة له، حيث يصبح معزولاً برًّا وبحراً، ومع ذلك، انضم فارنابازوس (Pharnabazus) إلى أوتوفراداتيس (Aotuphradates) واستولى على تينيدوس، وأصبح قريباً من الإسكندر (Alexander) وقاعدته العسكرية، ومن أجل تقويض أركان المعاهدة وفرض السلام الملكي تم إرسال داماتيس إلى سيكلاديس، لكن بروتيس انتصر عليه بسبب تفوق سفنه عدديًّا، وقام بطرده، وهكذا فشلت خطة ممنون (Memnon) عندما لم يعد يوجد العقل المخطط ذو الفكر الاستراتيجي، ولم يعد يوجد من له المقدرة نفسها على المناورة، وهكذا نجد أن الحظ قد تدخل مرة أخرى لصالح الإسكندر (Alexander) .

استمرار الزحف وصولاً إلى صقلية:

في ربيع عام 333، حل الإسكندر (Alexander) بجورديوم غير مبالٍ بالخطر الذي تتعرض له حملته العسكرية، وكانت جورديوم هي العاصمة القديمة لفريجيا، وفي معبد زيوس في العاصمة قام بسيفه بقطع العقدة التي تربط عربة ميداس، وهكذا تبعاً للمعتقدات التقليدية فاز حسب التقاليد والممارسة المتحررة بسيادة آسيا، وعند أنسيرا وفد إليه سفير من بافلاجونيا عارضاً عليه الاستسلام شريطة ألا يدخل أرضهم بجيشه، وقد أصروا أن يكونوا موالين لكالاس (Callus) ولفريجيا، مع عدم فرض الجزية عليهم، وكذلك خضعت كابادوكيا له من مسافة غير قريبة، ووضعت تحت ولاية سابيكتاس، ولا يوجد أي ذكر في هذا الوقت لأرياراثيس الذي كان خليفة لأبدسوسيم كوالٍ فارسي في العام السابق، لكن بعد استمرار الإسكندر (Alexander) في مسيرته عاد مرة أخرى، وقبل دخوله صقلية تم إمداد الإسكندر (Alexander) بخمسة آلاف من المشاة، وثمانمائة من قوات الفرسان من مقدونيا، وكان هذا يعني أن شريان الحياة ما زال ينبض من الوطن الأم، وتم احتلال بوابات مقدونيا، وفر من يقومون بحمايتها إلى جزر قريبة منها، وفتح عنق الزجاجة الذي كان صعب المنال، وكان من ضمن ما انتشر أن والي صقلية الفارسي أرساميس كان يعتزم نهب طرسوس والتخلي عنها، ومن ثم سمح لقوات الفرسان والمشاة الخفيفة بالاندفاع داخل صقلية لمنع هذه الكارثة السابق ذكرها، أما التقدم من طرسوس فقد تأخر بسبب مرض خطير أصيب به الإسكندر (Alexander) عندما لم يقاوم الإغراء بالاستحمام بالماء المثلج في سيدنوس.

وقد أسرع بارمينون (Parmynon) بالاتجاه شرقاً من أجل احتلال البوابات السورية، بينما كان الإسكندر (Alexander) في فترة راحة في زيارة مقبرة لساردانابالوس في أنشيلاي، حيث غرم سولي (Soli) -

المؤيد للفرس- بمبلغ 200 تالنت، وتم طرد من احتلوا المرتفعات من سكان صقلية، كما وردت الأخبار أن هاليكارناسوس قد استسلمت في النهاية، وتم إنهاء الانقسامات الداخلية في المدينتين ودفع الجزية، وكانت مالوس مستعمرة تابعة للأرجيف، وأعلن بها الإسكندر (Alexander) أنه ينحدر من هيراكليداي من أصل الأرجيف، وبعدها عين الإسكندر (Alexander) بالاكروس ابن نيكانور والياً على صقلية، وقام بتغريم الرهائن كفدية، وفرضت غرامة قدرها خمسون تالنت على سولي (Soli) .

وكان الإسكندر (Alexander) في هذا الوقت قد عبر آسيا الصغرى بطريقة عرضية، وكانت طرقه المتعرجة قد ذكرتها كتب التاريخ بطريقة تفصيلية؛ لأنها تقدم لمحة أخيرة كاملة للبلاد التي تقع تحت حكم الإمبراطورية الفارسية، وكذلك تقدم هذه التفاصيل صورة مماثلة للعصر الهليني القادم الذي لا يقل أهمية عن سابقه.

معركة إيشوس:

عند مالوس: علم الإسكندر (Alexander) للمرة الأولى بتجمع جيش ضخم في بابل تحت قيادة دارا (Darius) الذي كان في ذلك الوقت في سوشي شمال سوريا على مسيرة يومين من بوابات أمانوس، وبينما كان دارا (Darius) يعبر هذه البوابات كان الإسكندر (Alexander) يتبع بارمينون (Parmynon) عبر البوابات السورية على بعد أميال قليلة صوب الجنوب، ومنها تقدم باتجاه الشرق نحو سوشي، وهكذا عندما وصل دارا (Darius) بنفسه إلى بوابات الخروج في أمانوس اكتشف أنه قد أصبح في وسط مسيرة جيش الإسكندر (Alexander) تماماً، والذي كان في طريقه للتراجع، وكان باستطاعته إما مهاجمة الإسكندر (Alexander) من مؤخرة جيشه، أو يقوم بقطع خطوط الاتصال والتواصل مع الوطن الأم وبالتالي

حصاره، إلا أن أمينتاس -المقدوني الهارب- قد نصح دارا (Darius) بصدق أن يظل عند هذه النقطة انتظاراً لما تسفر عنه الأحداث.

لكن العجيب أن حظ الإسكندر (Alexander) كان يلازمه، وحلق نجم الشر -الذي أودى بالملك كسركسيس (Xerxes) وقادته العسكريين- كذلك على دارا (Darius) ، حيث استمع إلى أفراد بلاطه الغامضين الذين أخبروه بأن الإسكندر (Alexander) كان يبطئ المسير في صقلية بسبب خوفه، ووصل الخبر نفسه إلى قادة أثينا أن الملك دارا (Darius) قد حل بساحل البحر بكل ثقل قواته، وأن الإسكندر (Alexander) كان محاصراً في صقلية، وكان في حاجة ماسة إلى كل عون، وبالتالي قام دارا (Darius) بالاستيلاء على المدن التي خلفها الإسكندر (Alexander) ، واستولى على إيشوس، وقام بقتل وتشويه الجرحى المقدونيين الذين تخلفوا في المعسكر، وكان المعسكر الفارسي متمركزاً في بيناروس، وهو موقع رائع، حيث كان السهل يتسع بمقدار ميل وثلاثة أرباع الميل من جهة البحر، ويمكن منه عبور بيناروس بسهولة بطريقة عرضية حتى لو نزولاً من فوق المنحدرات، بينما كانت الجهة العليا صعبة الوصول لها لوعورة المرتفعات وصعوبة ارتقائها.

ووصل الإسكندر (Alexander) في طريق ارتداده عبر البوابات السورية، وسار متجاوزاً لها بنحو اثني عشر ميلاً، وكانت قوته الضاربة في المقدمة يتبعها الفرسان، وفي المؤخرة توجد قافلة المتاع، وفور وصوله إلى السهل في ضوء النهار نشر قوته الضاربة، حيث كان الخط الأول للمواجهة ذو عمق يبلغ 32، ثم خط مقاتل آخر بعمق ستة عشر، ثم ثمانية، كما كون دارا (Darius) خط القتال استعدآدا (Adae) للمعركة في المعسكر الذي يتخذ من موقع بيناروس الحصن الواقي، وعلى امتداد البحر اصطفت قواته المكونة من ثلاثين ألفاً من الفرسان، وعدد مماثل

عبر النهر من قوات المرتزقة الإغريق مع القوات خفيفة الحركة والتسليح من المشاة على طول التلال.

وكان المشاة أول من هاجموا، وكان دارا (Darius) في موقع متوسط في قواته، واستدعى المرتزقة لمعاونته من جناحهم، وهاجمت قوات فرسان ميمنته قوات الفرسان المقدونية، الذين قاموا بهجوم مضاد، وقد استمرت قوات المرتزقة طويلاً في المقاومة حتى لاذ دارا (Darius) بالفرار تاركاً أمه وزوجته -الأخت- ستاتيرا ودريبيتيس وابنه الوليد أوكاس، إضافة إلى عربته الملكية وقوسه ودرعه وعباءته، وكان ضمن القتلى أرساميس (Arcames) ويوباسيس وساباسيس الوالي على مصر، وكانت المعركة قد جرت بخطوط قتالية معكوسة، ويبقى الموقف دائماً في هذه الحروب قاتلاً للمهزوم، وتم قتل الجزء الأكبر من الفرس أثناء تراجعهم وهروبهم عبر المجاري المائية ذات الانحدارات الخطيرة المنحدرة من فوق التلال.

الفصل السادس والثلاثون

الملك الإله الشرقي

غزو فينيقيا:

كانت موقعة إشوس Issus تعني أن الغرب قد استحوذ على نصف الإمبراطورية، وكانت الخطوة التالية هي احتلال سورية ومصر، وكان ممنون Menon ابن سيردتي Cerdimmas يشغل منصب والي كويلين-سورية Colee-Syria ، وكان الإغريقي الهارب قد فر إلى طرابلس، ثم نقله قورش Cyrus إلى ممفيس، وهناك قتل على يد مازاسيس Mazaces -الوالي المصري الجديد- كما كان جيروستراتوس Gerostratus ملك أرفاد Arvad قد انتقل بصحبة الآخرين من فينيقيا والقبارصة إلى الخدمة تحت قيادة الأسطول الفارسي الذي كان على رأسه أوتوفراداتيس Autophradates ، إلا أنهم كانوا معزولين عن وطنهم في ذلك الوقت، وقام ابنه ستراتون Straton بلقاء الإسكندر (Alexander) ، فقدما له تاجاً ذهبيًّا، بالإضافة إلى تسليمه مقاليد الجزيرة، وأيضاً المدن التابعة لها في البروهي ماراثوس Marathus وسايجون Saigon وماريامني Mariamne .

وفي مدينـة مـاراثوس Marathus -وهـي مدينـة مزدهـرة غنيـة- تسـلم الإسكندر (Alexander) رسالة من دارا Darius ، وفيها ذكـره بالصـداقة التـي كانت قائمة بين الراحـل فيليـب Philip وأرتاكسركسـيس Artaxerxes ، ونشـأ

في ظلها التحالف بينهم، وبمدى الحرص من قبلهم على ذلك، وفي الوقت الذي تولى فيه أرسيس Arses الملك، كان فيليب (Philip) هو الذي استهل أولى خطواته العدائية، وعندما ارتقى دارا (Darius) العرش، لم يرسل الإسكندر (Alexander) أي سفير له من أجل تجديد الصداقة أو التحالف، والإسكندر (Alexander) هو الذي قام بغزو بلاد دارا (Darius) ، ودارا (Darius) نفسه قد حارب دفاعاً عن ملكه، وبناءً على طلب من ملك لملك، فإن الإسكندر (Alexander) كان عليه أن يعيد لدارا (Darius) أفراد عائلته الذين في حوزته، وأن يحرص على ترسيخ عرى الصداقة والتحالف التي كانت بينهم.

ورجعوا إلى التاريخ الأبعد من ذلك، حيث لم ينس الإسكندر (Alexander) أن الملوك السابقين لدارا (Darius) هم الذين غزوا بلاد الإغريق وبشراسة، وباعتباره القائم بقيادة قوات الإغريق، فإن الإسكندر (Alexander) كان عاقداً عزمه على الثأر منهم عن طريق حملته العسكرية، ووصولاً إلى الوقت الحاضر، فإن دارا (Darius) نفسه هو الذي بادر بإثارة القلاقل، وذلك بانحيازه إلى صف برينيثوس Perinthus الذي أصاب فيليب (Philip) ، وأرسل قوات جيشه إلى ثراس Thrace المقدونية، وقد اغتيل فيليب (Philip) بفعل مؤامرة حاكها دارا (Darius) ، وكان هو نفسه يفاخر في خطاباته بذلك، وقام عن طريق معاونة باجواس Bagoas بذبح أرسيس Arses ، واغتصب العرش بدون أدنى حق، وقام بحث الإغريق على شن الحرب على الإسكندر (Alexander) ، وقدم الأموال لإسبرطة، وهم قد قبلوا بذلك في حين رفضها غيرهم، وبناءً على ذلك، فإن دارا (Darius) كان عليه خطابه باعتبار أن الإسكندر (Alexander) ملكاً لآسيا.

وكان دارا (Darius) قد أرسل كنوزه إلى دمشق تحت رعاية كوفين Cophen ابن أرتابانوس Artabanus ، لكنها وقعت في أيدي بارمنيون Parmenion الذي تسجل رسائله للإسكندر (Alexander) ما حوته هذه

الكنوز التي اعتبرت غنيمة حرب، وفي قائمته، ذكر كئوس الذهب التي تزن (طبقاً لموازين فارس البابلية) 73 تالنت، و52 ميناس، أي حوالي 4500 رطلاً، وكئوساً أخرى مرصعة بالأحجار الكريمة التي تزن 56 تالنت و34 ميناس، أي ما يناهز 3400 رطلاً، وقد تم القبض على السفراء الوافدين إلى الملك من طيبة وإسبرطة وأثينا، واقتيدوا كأسرى، وهي علامة ممتازة تعطي لمحة عن الحملة العسكرية التنويرية في إطار المنظور الإغريقي لها، وكذلك ذكر إلقاء القبض على بارسين Barsine ابنة ارتابازوس Artabazus وأرملة ممنون Memnon التي استحوذ جمالها وتعليمها الإغريقي على الملك الشاب، حتى قيل إنه قد اتخذها محظية له، وأنجبت ابنه الذي أسماه هيركليس Heracles .

وحال تقدمه من ماراثوس Marathus استقبل الإسكندر (Alexander) تسليم بيبلوس Byblus ودعوة من أهل صيدا المناهضين للفرس لزيارتها من قبل ستراتو Strato -الذي حل محل المرشح الفارسي في حكمها- وقد منح أبدالومينوس Abdalonynos ملكها، كما وعد ملوك قبرص وسفراء صور بالولاء له؛ ولأنه كان غير متيقن من أمانة هؤلاء السفراء -الذين ازدهرت مدينتهم بعد قيام أوكاس Ochus بهدم صيدا- أعلن الإسكندر (Alexander) عن نواياه لزيارة جزيرتهم، وتقديم القرابين من أجل معبودهم هيركليس، وكان ردهم هو تفضيل تقديم القرابين في المعبد القديم لبارميلكارت Barlmelqart في المدينة القديمة المواجهة للجزيرة في صور القديمة، وعند إصراره على زيارة مدينتهم، أعلنوا أنهم لن يسمحوا بوجود أي من المقدونيين أو الفرس في مدينتهم.

وبذلك عقد الإسكندر (Alexander) العزم على حصارها، حيث إنه بالاستيلاء على هذا الموقع الاستراتيجي سوف يتم قطع الإمداد الفارسي عن آخر قاعدة لهم في بلاد فينيقيا، واستهل ذلك ببناء برج عالٍ، وقامت بوارج من صور بحرقه إلا أن الإسكندر (Alexander) حصل على مدد من

السفن الإضافية من صيدا المنافسة لها، حيث وصلت أنباء إلى جيروستراتوس في أرادوس Aradus وإينيلوس Enylos من بيبلوس Byblus باستيلاء الإسكندر (Alexander) على كل مدنها وفرار القائد الفارسي أوتوفراداتيس Autophradates وعودته إلى الوطن، وفور ورود هذه الأخبار من إشوس Issus ، قام ملوك قبرص بتقديم قواتهم البحرية إلى الإسكندر (Alexander) المنتصر، وكان قوامها مائة وعشرون سفينة، وكذلك وردت ثمانون سفينة أخرى من صيدا، وعشرة من رودس Rhodes ، كما كانت أيضاً مدن سولي Soli وليسيا Lycia تحت طوع الملك، وذلك باستثناء بنيتاجوراس Pnytagoras الذي أعان صور.

وفي غضون تشديد الحصار على صور، قام الإسكندر (Alexander) بجولة في الجزيرة العربية إلى جبل أنتيبانوس Antibanus ، حيث يشق العديد من الجماعات العربية طريقهم إلى الأرض الزراعية، وكانت العديد من الأقطار بها قد استسلمت طواعية، وتم الاستيلاء على الباقي كراهية بقوة السلاح، ولم يمكث هناك سوى عشرة أيام عاد بعدها، مع وجود التهديد العربي قائماً إلى مدى بعيد، وفي أثناء الحصار وصل رسل آخرون من قبل الملك دارا (Darius) ، الذي عرض فدية مقدارها عشرة آلاف تالنت من أجل إطلاق سراح عائلته والتنازل عن الإمبراطورية الواقعة على غرب نهر الفرات، كما عرض عليه الزواج من ابنة الملك مقابل توثيق الصداقة والتحالف، وكان من الطبيعي أن يرفض الإسكندر (Alexander) هذا العرض للمرة الثانية.

وبقوة قوامها مائتان وعشرة سفن، استطاع الإسكندر (Alexander) عزل صور من ناحية البحر، أما في البر فقد فشل أهلها في كسر طوق الحصار، وقد لاذ ملكها أزيملخوس Azemilchus بالفرار إلى معبد هيركليس طلباً للحماية، وتم العفو عنه، وتم بيع باقي سكانها البالغين ثلاثين ألفاً كعبيد، وأخيراً تمكن الإسكندر (Alexander) من تقديم

القرابين في هذه الجزيرة العنيدة البعيدة عن وطنه إلى معبوده هيراكليس، ومن ذلك سار بجيشه واستعرض قواته العسكرية والبحرية حتى يراهم المعبود، كما أقام سباقات حمل المشاعل والألعاب تأكيداً على البعد الحضاري للحملة العسكرية في الحرم المقدس لمعبد بالميلكوارت Baalmelqart ، وكانت هذه الطقوس تسير تماماً على النسق الهليني، كما أهدى له آلته التي استطاع بها كسر الأسوار وخلع القداسة على السفن التي استولى عليها في سبيله لدخول هذا الحرم، ولكن لم يتمكن المستعبدون من أهل هذه المدينة من إدراك الفارق بين الإسكندر (Alexander) الهليني والمعاملة الوحشية التي تعرضت لها صيدا على يد البربري أوخاس Ochus .

وقد عين أبدالونيموس Abdalomus ملك صيدا ملكاً أيضاً على صور التي اعتبر غزوها في عام 332 حجر الزاوية لاستهلال عصر جديد للإسكندر (Alexander) في بلاد فينيقيا، كما تمت إعادة بنيتاجوراس Pnytagoras إلى موطنه، وفي الصيف التالي كانت سالاميس Salamis تحت حكم خليفته نيكوتريون (311-331 Nicocoreon).

وتم استسلام كل من فلسطين وسورية ما عدا غزة التي كانت محصنة بواسطة المخصي باتيس Batis ، ويقوم بحراستها المرتزقة العرب؛ ولأن غزة كانت المقصد البحري لتجارة التوابل في بيترا Petra النبطية، وكانت تقع أراضيها على مسافة ميلين ونصف الميل، وتنفصل عن الشاطئ بالرمال العميقة المتحركة، وكانت مدينة كبيرة ذات سور أمان بعيد، وفي بداية الأمر أمر الإسكندر (Alexander) ببناء سور مقابل للمدينة من الناحية الجنوبية؛ وذلك من أجل الهجوم عليها، وبعد أن أصيب الإسكندر (Alexander) ، تم استكمال الإحاطة بها بالأسوار، وكان عرضه ربع ميل، وارتفاعه بلغ 250 قدماً، ولم تفلح المعدات ولا الأنفاق الدفاعية، وتم في النهاية ارتقاء الأسوار وفتح الأبواب من الداخل، وكانت الحامية

العسكرية بها لم تزل تقاتل، حيث قتلوا جميعاً وهم متمركزون في مواقعهم، وتمت معاملة المدينة بالبربرية المعتادة، حيث تم بيع النساء والأطفال كعبيد، وتم التخلي عن الموقع، واستوطن فيه المجاورون من القبائل، لكن غزة نفسها ظلت غير مأهولة، وقد أخذت منها الغنائم الوفيرة التي تبلغ مئات من عملة التالنت من قيمة مختلف البضائع، وكانت تلك بمثابة خسارة فادحة للتجار النبطيين.

تمرد في آسيا الصغرى:

في تلك الفترة التي شهدت هدوءاً نسبيًّا كان الفرس الذين هربوا من إشوس Issus قد تراجعوا صوب الشمال، واستردوا بافلاجونيا Paphlagonia وكابادوكيا Cappadocia على مضيق بونتيك Pontic ، وكان على رأسهم الوالي القديم أريوارات Ariuarat الذي كان قد وضع اسمه باللغة الآرامية على عملات تقلد عروس البحر ليسننوبي Sinope ، والنسر قابضاً على الحوت بين مخالبه، وهو إطار فني متكرر سبق أن استخدمه من سبقه -وهو أبدسوسنيم Abdsusim -وبعد مرور الإسكندر (Alexander) بقواته كرر أريورات Ariuarat على العملات صورة التنين الشرقية يلتهم الغزال الإغريقي، وبناءً على استجماع شجاعته قام بالتقدم تجاه طوروس Taurus ، حيث أضاف جنوب كابادوكيا Cappadocia إلى مملكته، ووقعت في يده بعض العملات التي تم سكها حديثاً في طرطوس، ومن التصميم الموجود عليها اقتبس الرموز الإغريقية مثل زيوس Zeus شبه العاري من أجل معبود مدينة جازيورا Gazuira التي كان ينوي اتخاذها عاصمة خاصة به لمملكة كابادوكيا بعد زوال ملك سيده السابق دارا (Darius) .

ومما جعل أريوارات جديراً بالتنويه عنه هو كونه أول من أسس الأسرة المالكة الإيرانية في كابادوكيا، والذين استطاعوا الحفاظ على استقلال هذا القطر على طوال العهد الهليني وبعد استقراره في المملكة،

وبمصاحبة الولاة الفارسيين الباقين الذين لجأوا إليه، قام بمهاجمة القائد العسكري التابع للإسكندر (Alexander) أنتيجونوس Antigonous في فريجيا، لكنهم هزموا، وتمكن أنتيجونوس Antigonus من استعادة الهدوء مرة أخرى في لاكونيا Lacaonia ، وشهد القتال في هذه المنطقة تغيراً في الموازين من طرف إلى آخر.

أما كالاس Calas في فريجيا Phrygia -الذي كان في هذا الوقت والياً على هيليس بونتين Hellespontine -فقد استولى على بافلاجونيا Paphlagonia مؤقتاً إلى أن تم طرده بواسطة أحد الشرقيين الآخرين وهو باس Bas -الملك الأناضولي على بثينيا Bithynia -ومرة أخرى كانت هذه الأخبار تعد نذير شؤم للمستقبل.

وبتجاهل علامات الانشقاق التي كانت في مؤخرة جيشه، واصل الإسكندر (Alexander) تشديد حملته العسكرية، وواصل تقدمه بعد مخاوف غزة -بوابة الصحراء- التي تركت في حالة هدم شديد، وبعد مسيرة سبعة أيام كان قد حل بييلوسيام Pelusium ، حيث انضم له الأسطول الفينيقي، وكانت بيلوسيام Pelusium تتمتع بحراسة قوية، وجاوزها عن طريق هليوبوليس Heliopolis حتى وصل إلى ممفيس، وكان قد مر عامان منذ استرداد دارا (Darius) لمصر، ورغم قصر المدة إلا أن دفاعاتها كانت جيدة التنظيم، وكان ساباسيز Sabaces قد سقط قتيلاً في إشوس Issus ، ولم يقم خليفته مازاسيس Mazaces إلا بالترحيب بالإسكندر (Alexander) وتسليمه القصر وثمانمائة تالنت، حيث كان الإغريق منذ زمن طويل في تحالفات مع مصر المتمردة على الفرس بالرغم من أن معونتهم المالية لم تلقَ دائماً كل التقدير والشكر، فقد مر ما يقارب العقد (عشر سنوات) منذ أن صادر أوخاس Ochaus الأدوات المقدسة للمعبد، وقتل الحيوانات المقدسة به، واستهل بذلك عصراً بالغ الفظاعة؛ ولذلك لم يكن من المدهش أن يكن المصريون كل هذه

الكراهية للفرس، وأن يقوموا بالترحيب بالإسكندر (Alexander) بهذه الحرارة وهذا الحماس، وفي وقت قصير كان الوطنيون يفاخرون بأن الملك الجديد الإسكندر (Alexander) كان بالفعل ابناً حقيقيًّا لنيكتانيبو Nectanebo الذي قام بزيارة أمه أوليمبياس Olympias على هيئة ثعبان، وبناءً على ما تقدم، تُوج الإسكندر (Alexander) في ممفيس كفرعون بكل الطقوس القديمة، حيث كان بالنسبة إلى الوطنيين يعبد عجل أبيس المقدس لديهم، بالإضافة إلى كل آلهتهم، لكنه من ناحيته أقام المسابقات الرياضية بصورة حرفية لتلك المسابقات والبطولات التي وفد إليها كل الأبطال الرياضيون من بلاد الإغريق، وقد شرع الإسكندر (Alexander) في بناء مدينته التي تحمل اسمه من أجل أن تحتل مكانة صور كمركز تجاري عظيم في شرق البحر المتوسط، وكان مقصده هو إنشاء عاصمة جديدة، حين لم تكن العاصمة القديمة نوكراتيس Naucratis تناسب هذا الغرض، وقد اكتشف موقعاً أفضل يقع إلى الغرب قليلاً من مصب فرع النيل الغربي في الدلتا، ذلك الذي ظل منذ أيام أبطال الإغريق المدخل الطبيعي للتجارة البحرية من قرى أو سواحل مقابلاً لبلاد الإغريق وبلاد فينيقيا، وتقيم به كل الجنسيات وكل الحرفيين، وكان يقع على حافة من الحجر الجيري بين جزيرة فاروس Pharos والبحر وبحيرة مريوط Mareotis ؛ ولذلك فقد كان جافاً وصحيًّا، وكانت جزيرة فاروس التي يبلغ طولها ثلاثة أميال تعد مصيداً للرياح الجارفة الخطيرة على السفن؛ ولذلك يعد الموقع خلفها موقعاً ممتازاً كميناء، وتمدها قناة صغيرة بالماء العذب من النيل، وتعد حلقة وصل رائعة مع النهر، وكان الطريق البحري -الذي يعد أقصر الطرق المباشرة من الإسكندرية عبر البحر واصلاً من مصر وبلاد الإغريق، ليس فقط للإغريق في آسيا لكن أيضاً إلى بلاد الإغريق الأم في القارة الأوروبية، وحتى مستعمرات الغرب التي كانت تشهد بداية أزهى فترات ازدهارها.

كان دينوقراطيس Deinocrates المعماري من رودس الذي يشيد معبد أرتيميس في إيفيسوس Ephesus تابعاً للإسكندر (Alexander) ، وقد أمر أن يصمم الموقع الطويل الضيق للإسكندرية، وقد طبق في هذا التصميم أسلوب رقعة الشطرنج الذي استعان به حديثاً هيبوداموس Hippodamus من ميليتاس Miletus من بلاد الشرق، وكان اتجاه مبانيه من جهة الشرق إلى الغرب هو المبرر لكي يعطي الصبغة الإغريقية لهذا الإنشاء، حيث قام بتصميم خط السور والحوائط والسوق وموقع لمعابد آلهة الإغريق وموقع متميز للمعبودة المصرية إيزيس، وفي احتفال يرجع إلى 30 يناير من عام 331 تم تدشين الإسكندرية، وفي أثناء ذلك تواردت الأنباء أن تينيدوس Tenedos قد استسلم، وأن القائد الفارسي فارنابازوس; Pharnabazus قد ألقى القبض عليه في كيوس Chios ، وقد أصبحت مدن ليسبوس Lesbos وكوس Cos مدناً مقدونية.

الإسكندر (Alexander) وواحة آمون:

أثناء القرون التي سبقت هذه الأحداث، كان عراف آمون في واحة سيوة الليبية قد أقام -على الأقل في نظر الأجانب- المعبد القديم ذي المائة باب في طيبة، وكان كرويسوس Croesus من ليديا Lydia أول من استشار هذا العراف من الأجانب بالرغم من ذكر الأساطير الإغريقية لروايات مماثلة عن بيرسيوس Perseus وهيراكليس Heracles ، وكان قمبيز Cambyses قد فشل في الإغارة على هذه الواحة، ولكن الإغريق في ليبيا قد نسبوا العراف إليهم، ومن خلالهم عرف المعبود آمون في كل الأراضي المترامية حولها، وكان بيندار Pindar قد خصص له أحد المعابد في بويوتيان Boeotian في طيبة في القرن الثاني من هذه الحقبة التاريخية، وما زال يمكن للقارئ زيارة تمثاله الذي أقامه النحات الأشهر كالاميس Calamis ، وكان تقليديًّا لعبدة آمون في ليبيا أن يرتحلوا

إلى معبد آمون من أجل طلب المشورة -كما بين ذلك يوريبيديس Euripides -حيث اصطحبهم إلى المقعد الصحراوي لـ«آمون» لاستشارته، بينما كان يعتبره مواطنو سيرين Cyrene إلههم، وكان أريستوفانيس Aristophnes يعتبر هذا العراف الثاني في العالم بعد عراف ديلفي Delphi ، وفي أثناء حروب البيلونيسيان Peloponnesian ، أرسل قادة أثينا لآمون بعثة رسمية طلباً لمعونته، أما إسبرطة المنافسة لها، فقد أرسلت له قائدها ليسادار Lysander بنفسه من أجـل الغرض نفسه، ومن جهة أخرى قـام هيلانيكوس Hellanicus بإعداد خط للرحلة ويوميات لها، وقد أسماها «رحلة عبر الصحراء إلى حرم الواحة المقدس»، وقبيل ذلك كانت أثينا تدفع القليل لهذه المعابد، إلا أنهم أطلقوا على سفينتهم المقدسة اسم سالاميس أمونياس نسبة إلى آمون، ومما تقدم وجد الإسكندر (Alexander) أسباباً قوية للإعلان عن عزمه على زيارة هذا المعبد، خاصة أن هذا المعبد قد تمت زيارته بواسطة سابقيه بيرسيوس Perseus وهيراكليس Heracles ، وكان في استطاعته أن يعلن أنه سليل آمون.

وفي كامل قواته، ووسط جحافل جيشه، قاد الإسكندر (Alexander) قواته العسكرية على طول الساحل القحل إلى بارايتونيام Paraetonium -التي قيل فيما بعد أن الإسكندر (Alexander) كان هو الذي أسسها- ومن هناك شق طريقه جنوباً متبعاً الطرق الصحراوية التي كان يستخدمها أهل سيرين Cyrene حتى وصل إلى الواحة، وقد هطلت الأمطار في غير موعدها، مما أطفأ ظمأ جنود جيشه، ويقال إن بقرتين واثنين من الثعابين قد حدثوه وأرشدوه مع جيشه في مسيرته للمعبد -طبقاً للرواية- وفي أوسع مناطقها كانت واحة آمون تتسع فقط لمسافة خمسة أميال، وتعيش هذه الواحة بسبب جوها الربيعي الدائم الذي تتغير درجة حرارته على مدار الساعة طوال اليوم -تبعاً للرواية- وكان الملح هو المنتج الوحيد الذي

تصدره الواحة، وكان يحمل عبر نهر النيل في سلال من أوراق النخيل؛ لأنه كان أكثر نقاءً من الملح المستخرج من البحر.

وبين أشجار الزيتون والنخيل رأى الإسكندر (Alexander) تلاً معزولاً يقام عليه المعبد الشهير المقام داخل بهو مربع الشكل مبني من الحجر، وكان حجمه 50×48 ياردة، وقد أمر الحاضرين بأن يخلعوا ملابسهم توقيراً لهذا المحراب المقدس، وأن يتجردوا من كل زينتهم في الفناء والقاعات المسقوفة التي تحملها الأعمدة الضخمة، بينما دخل هو وحده مرتدياً ملابسه العادية داخل هذا الحرم الذي يقع في أقصى أطراف البهو المحيط بالمعبد، وكان اتساعه فقط 13×30 قدماً، وتحت سقف مبني بالمكعبات العملاقة، مزدان برسومات غريبة، وأغرب منها كانت الكتابات باللغة الهيروغليفية، وعلى ضوء خافت شاهد المذبح المغطى بالصفائح الذهبية المرصعة بمختلف الأحجار الكريمة، والتمثال المقدس الذي تكونه هذه الأحجار، وبناءً على استلهام ما يقوله المعبود، قام عراف المعبد بجعل صورة المعبود تقول ما نقله الإله له، وذلك بالإيماء ولغة الإشارة، وهكذا نقل للإسكندر (Alexander) أنه هو ابن الإله.

وعن طريق هذا العراف، حيا آمون الإسكندر (Alexander) كما يحيي الأب ابنه الذي يعرفه جيداً، أما الإسكندر (Alexander) فقاده سوء الفهم إلى أن يعتقد أن أباه فيليب (Philip) هو الذي كان يتكلم، وسأله إذا كان -الإسكندر (Alexander) -قد أتم انتقامه من كل الذين تآمروا على حياة أبيه، وإذا كان أحد منهم ما زال هارباً من انتقامه، وقد حذره العراف مراراً من تكرار هذه الـلـهجة في حضرة الإله، إذ أن أباه الحقيقي لم يكن ليموت، وأنه كان على الإسكندر (Alexander) أن يغير من صيغة السؤال، ونقل إليه مقتطفات من رسائل أمه أوليمبياس، حتى إنه قد تلقى استجابات سرية عما يريد سؤالها عنه في هذا المكان، وكان يرد عليها وترد عليه، وهناك شك في أن هذه الرسائل واقعية أو خيالية، ولكن لا مجال للشك في

أنه قد قيل له إنه بن زيوس-آمون، ونقل أيضاً سؤاله إذا كان مقدراً له أن يكون سيداً على كل بني البشر، وقد أجابه الإله بأنه سوف يمنح هذه المكانة، حيث روى «الفيلسوف» المحلي له واسمه بسامون Psammon أن الإله كان مسيطراً على كل البشر، وهذا أيضاً ما كان يؤمن به الإغريق، وأن كل البشر رعايا في مملكة الإله، إذ أن زيوس-آمون كان الحاكم على البشر، وهو الذي وهب ملكهم لابنه الذي عاد له أخيراً.

ومن ثم تم الاعتراف بالإسكندر (Alexander) كفرعون شرعي، وبهذه الحالة كان الابن المرئي للإله، ويمكن رؤية مولده المقدس مرسوماً على حوائط المعابد حتى يراها الجميع إلى عصرنا هذا، وكان الفرعون دائماً ما يطلق عليه الإله الخير في شكله الأرضي، كما سمى الإسكندر (Alexander) «إله الشمال والجنوب، وابن الشمس، وسيد المخلوقات».

وبالرغم من أن الإسكندر (Alexander) لم يقم بزيارة طيبة بنفسه، فقد كانت تماثيله مألوفة لسكانها، وفي محراب الأقصر تمت إزالة أربعة أعمدة بالرغم من ترك صور إيمحوتب الثالث Amenhotop III المحفورة على الجدران، وقد تم فتح مصلى في موضع هذه الأعمدة في كل من طرفيها الجنوبي والشمالي، وأقيم هذا المصلى من أجل عبادة آمون طيبة، وتم ملء المداخل والمخارج لهذا المعبد بتماثيل الإسكندر (Alexander) التي تقف أمام تماثيل باقي الآلهة في طيبة، وتم -باسم الإسكندر (Alexander)- ترميم باب العمود الرابع الضخم، وعن يمين المحراب الداخلي، تم بناء مصلى بواسطة تحوتمس الثالث Thutmose III ، وهناك عدة رسومات بارزة تمثل الملك في حالة تقديم قرابين للآلهة، وتمت تغطية الجوانب التي كانت متروكة بدون رسومات بمشاهد مماثلة للإسكندر (Alexander) نفسه وهو يتم تقليده مكانه الآلهة، وتنفيذ هذه الرسومات يعد عملاً فنيًّا رائعاً، حيث كان فنانو الأسرة الثلاثين

ما زالوا حاضرين، والألوان المتألقة ما زالت جيدة الحفظ إلى يومنا هذا، وقد تمت أعمال ترميم مماثلة لمعبد خنصو Khonsu ، ولا مجال للشك في أن الإسكندر (Alexander) نفسه قد اعتنق هذه المعتقدات، حيث فقد نفسه في ممفيس والدلتا أي أنه تخلى عن هدف حملته العسكرية الحضارية معتنقاً المفهوم الفرعوني للملك الإله، وقد اعترف الإسكندر (Alexander) للمواطنين المصريين بأنه من البديهي أن يكون الملك الحكم هو الإله الذي يجب معاملته بناءً على ذلك المفهوم، وكذلك افتراض معونة الإله له على ذلك، وأصبح من السهل عليه أن يصبح مدركاً تماماً بمملكته المقدسة، وبهذه الطريقة دخلت عبادة الملك على الطريقة المصرية إلى العالم الإغريقي.

الفصل السابع والثلاثون

بيرسيبوليس ونهاية الحملة العسكرية التنويرية

تنظيم الولايات في غرب آسيا:

بعد أن تم الاحتفال به باعتباره ابنا لزيوس آمون Zeus-Ammon ، عاد الإسكندر (Alexander) قاطعاً صحراء النطرون إلى ممفيس، حيث أقيم احتفال رياضي وأدبي؛ حتى يثبت أنه لم ينسَ حملة التنوير العسكرية الهلينية، ولكنه لم يستطع تجاهل قوة وادي النيل الغني بموارده، والمعزول عن باقي العالم، وقد أدرك أنه من غير المطمئن وضع أرض بهذه القوة تحت حكم فرد واحد، مهما بلغ هذا الفرد، ومن ثم قام بترقية اثنين من الحكام القدامى، وهما دولوأسبيس (Doloaspis) وبيتيستيس (Petistis) ، حيث تم تقسيم الأمور المدنية بينهما، بينما ترك باقي الحكام في إماراتهم التي كانوا قائمين عليها، وفي الوقت نفسه عين كليومينيس (Cleominis) -وهو إغريقي المولد- حاكماً على الجزيرة العربية ذات الموقع الاستراتيجي بالنسبة إلى هليوبوليس، وبالإضافة إلى ذلك كان هو الجابي لكل الجزية من سائر الحكام والأمراء في مصر، أما أبولونيوس (Appollonius) ابن كارينوس (Charinus) ، فقد أوكلت إليه مهمة الإشراف على ليبيا، وبالرغم من إعطاء أهل مصر نصيب كبير في إدارة الأمور المدنية، فإن القوة العسكرية الهائلة للسيطرة على مقاليد هذه

الإمارة القوية المهمة كانت دائماً ما تقع مسؤوليتها على عاتق قادة مقدونيين أو إغريق، بينما كان بوليمون (Polemon) ابن ثيرامينيس (Theramenes) قائداً للأسطول، وقد قسمت قيادة الجيش بين بيوسيستاس (Peusistas) ابن أمينتوس (Amyntus) ، كما عين بانتاليون (Pantaleon) -من بيدنا- قائداً لحامية ممفيس، وكذلك بوليمون (Polemon) ابن ميجاكليس (Megacles) في بيلوزيام، وكان ليساندر (Lysander) -من أركاديا قائداً لقوات الإغريق المرتزقة، كما كان الكاتب يوجنوستراس (Eugnostrus) ابن زينوفانتيس (Xenophantes) هو المشرف عليهم، إضافة إلى إيسكيلوس (Aeschylus) وإيفيبوس (Ephipus) -من كالسيس.

وفي أثناء انشغال الإسكندر (Alexander) بتقسيم الوظائف القيادية في مصر، قام أهل ساماريتان بحرق واليه على سوريا أندروماكوس (Andromachus) حيًّا، وفي ربيع عام 330 أسرع الإسكندر (Alexander) عائداً إلى سوريا، حيث قام بتأديب المتمردين، ونصب مينون (Menon) خليفة لأندروماكوس (Andromachus) ، وهناك في صور، أقام أيضاً احتفالات رياضية وأدبية.

وفي هذه الأثناء، تمت إعادة تجميع الولاة في تجمعات أكبر، وذلك من أجل أغراض تحصيل الجزية والضرائب تحت الإشراف العام لهاربالوس (Harpalus) -ابن ماخياتاس (Machiatas) - بالإضافة إلى كليومينيس (Cleominis) في مصر، كان كويرانوس (Coeranus) من بيرويا مسؤولاً عن جمع الضرائب من فينيقيا، كما كان فيلو (Philo) كسينوس (Philoxenus) يجمع الجزية في آسيا، وذلك في المنطقة التي تقع خلف جبل طوروس، أما ملوك قبرص، وهم نيكوكرون (Nicocreon) -من سالاميس- وباسيكراتيس (Pasicrates) -من سولي- فقد كانوا مخولين بجمع المكوس من البحارة، وأصبح نيركوس

(Nearchus) مسؤولاً عن إمارة ليسيا حتى جبال طوروس، كما أصبح ميناندر (Menander) والياً على ليديا، والسكلبيدودوراس (Alsclepidodorus) -ابن نيكوس (Eunicus) - والياً على سوريا، حيث حل محل مينون (Menon) الذي ثبت تراخيه في توفير الإمدادات للحملة الشرقية المنتظرة، وهكذا كان الإسكندر (Alexander) يتحسس طريق لتنظيم أكثر كفاءة لإمبراطوريته الجديدة.

معركة جاجاميلا:

كان مازايوس (Mazaeus) برفقة ثلاثة آلاف من سلاح الفرسان قد تمكن من منع استكمال اثنين من الجسور عبر نهر الفرات عند منطقة ثابساكوس، وعند وصول الإسكندر (Alexander) بقوة قوامها سبعة آلاف فارس، وأربعين ألفاً من المشاة.

وقد تراجع مازايوس (Mazaeus) مضحياً بالبلد التي أمامه، وبعبور النهر سار الجيش متبعاً منحدرات أرمينيا الجبلية، حيث كان الطقس أكثر برودة، مع إمكانية تأمين الكلأ بسهولة، ووردت الأخبار أن دارا (Darius) يكمن عند أقصى ضفة النهر، ولكن عند العبور الفعلي للنهر كانت العقبة الوحيدة التي واجهت الجيش هي سرعة التيار النهري.

ولأسباب لها وجاهتها، عقد دارا (Darius) العزم على عدم الخوض في مستنقعات نهر دجلة، وبدلاً من ذلك أقام معسكره في مواجهة أحد روافده وهو بومودوس، وهو على مسيرة أربعة أيام في اتجاه الشرق، حيث أمر بتسوية الأرض من أجل إقامة قواته الهائلة، وكان من الواضح تماماً أنه يجهل كل أساليب وفنون القتال والمناورات العسكرية، حيث توقع القضاء سريعاً على خصمه المقدوني عن طريق التفوق العددي.

أما بالنسبة إلى الإسكندر (Alexander) ، فقد سارت جيوشه بكل أمان على طول النهر الخالي من الحراسة، حيث كان جنوده يتطلعون بحزن إلى

الجبل العالي لنينفيه، وفيها المدينة التي يعلمون أنها بنيت بواسطة ساردانابالوس (Sardanabalus) ، كما وضح من خلال أحد الأعمدة الذي كان يحمل نقوشاً بلغة الكلدانيين، وبعد حصارها -في الماضي- قام مؤسسها قورش (Cyrus) بتدميرها، وواصل الجيش زحفه لمدة أربعة أيام، حيث كان نهر دجلة عن يمينهم، وجبال جورديان على اليسار، وسار الجيش مخترقاً أسيريا، حتى وصلت الأنباء من قوات الاستطلاع بأن العدد كان قريباً منهم؛ وذلك أمر الإسكندر (Alexander) باستراحة قواته لمدة أربعة أيام، وفي اليوم الخامس، سار منطلقاً في الفجر، وفي هذا اليوم كانت مسيرة الجيش في طرق متعرجة من أجل إخفاء التقدم عن عيونه حتى يفاجئ بهم العدو في عقر داره، وعندما صدر الأمر لهم، قامت قوات الجيش بإقامة المعسكر، وبذلك توفرت لهم راحة ليلة من عناء الزحف، بينما جعل دارا (Darius) قواته مستمرة في التأهب القتالي والحراسة تحت ثقل السلاح طوال الليل من أجل حراسة الأرض التي سواها الجيش تأهباً للمعركة الفاصلة، وقد كان هذا السهل نفسه يعرف بـ«جوجاميلا» -أي موقع رعي الجمل- بينما تقع على التل الممكن صعوده على الأقدام بسهولة البلدة التي تعرف الآن باسم «تل الجوميل»، تلك التي لا تزال حتى اليوم تحتفظ بآثار الدمار التي حلت بالمنطقة جراء هذه المعركة.

ولدينا صورة واضحة عن المعركة التي نشبت في اليوم الأول من شهر أكتوبر عام 331؛ لأن القوات المنتصرة قد استولت على سجلات الجيش المهزوم، وكذلك سجلات الأوامر التي صدرت من أجل الواجبات التي كانت تقع على عاتق مختلف وحدات الجيش من أجل القيام بها، وهي لا تختلف كثيراً عن سجلات الجيش منذ عهد كسركسيس (Xerxes) ، فكانت كل وحدة تابعة لإحدى الإمارات تحت قيادة واليها، فعلى أقصى اليسار كانت توجد قوات الفرسان من باكتريا

تحت قيادة بيسوس (Bessus) وداهاي (Dahae) -من سيثيا- ثم قوات الأراكوسيان وهنود الجبل تحت قيادة بارساينتيس (Barsaentes) ، وكانت قوات الفرسان والمشاة الفرس مختلطة بها، وبعد ذلك تمركزت قوات صوصا وكادوسيا، وهي منفصلة بطريقة واضحة عن قوادها.

وفي وسط الجيش، كان يوجد دارا (Darius) بنفسه محاطاً بحراسة أقاربه، وقوات الخالدين الذين كانت رماحهم المنتهية بالمقابض الذهبية تلمع تحت ضوء الشمس، بالإضافة إلى وحدات عسكرية أخرى مكونة من الهنود اللاجئين من كاريا، ورماة الأسهم من مارديا، وعلى جانبي الملك كان الفيلق الفارسي والفيلق المكون من المرتزقة الإغريق، وفي مؤخرة قلب الجيش كانت توجد القوات الاحتياطية المشكلة من الأوكسيان وقوات صوصا الذين كانوا تحت قيادة أوكسياثريس (Oxyathres) ابن أبوليتيس (Abulites) ، إضافة إلى قوات من بابل وسيتاسينيان تحت قيادة بوباريس (Bupares) (التي انفصلت عنها قوات كارديا)، وقوات من الخليج الفارسي تحت قيادة أوكوندوباتيس (Ocondobates) وأريوبارزانيس (Ariobarzanes) وأوتانيس (Otanes) .

وفي الجناح الأيمن للجيش كانت تتمركز على التوالي قوات من الألبان والساسانيين (الذين كانوا يجب أن يكونوا تحت قيادة أتروباتيس (Atropates) مثل قوات الكادوسيان)، ثم قوات تابوريان وهيركانيان بقيادة بارثيايوس (Parthyaeus) ، وقوات ميديا تحت قيادة حاكم ميديا أتروباتين (Atopatene) (والذين ينتمون بطريقة غير مباشرة إلى مدينة أدهوربياجان الحالية، والذين أخذوا هذا المسمى من الكتابات الهلينية)، ثم قوات من بارثيا وساكاي، ثم قوات أرض النهر السورية وأرض الصحراء التي جلبها مازايوس (Mazaeus) عند تراجعه.

وكان ذلك هو خط الجبهة القتالية قبل أن يتحول إلى نظام الفرسان الضارب في العمق كطابور موحد تحت قيادة فراتوفيرنيس

(Phratophernes) ، وعلى يسارهم كانت توجد قوات متحالفة من ساكاي، بالإضافة إلى القوات المحمولة رامية السهام تحت قيادة ماناسيس (Manaces) ، وقوات إضافية من باكتريا، وقوة من العربات المصفحة المحمية بالجلد المجفف، وفي الوسط كانت الأفيال التي تم إعدادها للقتال، إضافة إلى خمسين عربة قتالية أخرى احتياطية، وعلى اليمين كانت توجد خمسون عربة أخرى لمعاونة قوات أرمينيا تحت قيادة ميثروستيس (Mithraustes) -ابن أشهر الولاة الذين يحملون الاسم نفسه- وقوات من كابادوكيا، والذين تم سحبهم بواسطة أرياسيس (Ariaces) مثلما فعل مازايوس (Mazaeus) .

وكان العديد من هؤلاء الولاة يحملون أسماء شرفية أجدادهم العظام، وينتسبون إلى أسر معروفة منذ زمن بعيد، ولا يوجد أي دليل على أنهم كانوا لا يقلون شجاعة عن أجدادهم، إلا أنهم كانوا مفتقدين للأساليب العسكرية الحديثة في فن القتال والمناورات، وقد نجد بعض الدلائل على التخلي عن الموروث التقليدي في أساليب القتال لدى الولاة، ولكن ذلك لم يكن كافياً من أجل كسب المعارك الكبرى.

وبعكس درايتنا الكافية بترتيب المعركة، فإن معلوماتنا قليلة جدًّا عن سير هذا الصراع الدموي الذي نشب في أول أكتوبر من عام 331، فقد فشلت جهود دارا (Darius) في الانقضاض على جيش الإسكندر (Alexander) أو التفوق عليه، فلم تخف العربات المصفحة ولا حتى الأفيال أعداء دارا (Darius) كما كان يتوقع، وبدلاً من ذلك تمكن الإسكندر (Alexander) من اختراق الصفوف المواجهة له مباشرة في قلب جيش دارا (Darius) حتى أصبح أمام الملك الأكبر الذي فر هارباً إلى إيشوس، لكن أتباعه واصلوا القتال بشجاعة منقطعة النظير، حتى إن جيش الإسكندر (Alexander) كان في حرج بالغ، وكانت شجاعة الإسكندر (Alexander) وإقدامه هي ما احتاجه الإغريق من أجل الظفر في هذا اليوم،

حيث عبر رافوليكاس، وأقام معسكره هناك، بينما كان قائده بارمينيون (Parmenion) يقوم بتطهير معسكره من قوات الفرس.

وبحلول منتصف الليل، كان الإسكندر (Alexander) بنفسه يحث قوات الفرسان التابعة له على التقدم نحو أرابيا، متتبعاً دارا (Darius) لقتله، وعند وصوله إليها على بعد 75 ميلاً اكتشف أن دارا (Darius) قد هرب منه للمرة الثانية، تاركاً -كما هي العادة- في إيشوس عربته وأسلحته الشخصية، وبمصاحبة قوة الفرسان من باكتريا، وأقاربه، وقوات الخالدين تمكن من الفرار شمالاً متخذاً الطرق الجبلية في إكباتانا.

وهناك تصوير جيد للقتال الشرس الذي دار في أعقاب المعركة قدمه سميتوتيفناختي (Semtutfnekhte) ، وهو كاهن وطبيب مصري كان من خدم دارا (Darius) في ذلك الوقت، حيث شكر دارا (Darius) معبوده هاسافيس (Harsaphes) قائلاً: «أنت الذي قمت بحمايتي في معركة الإغريق عندما قمت بصد الآسيويين الذين قتلوا الكثير من حولي، ولكن أحداً منهم لم يرفع يده تجاهي، وقد رأيتك بعد ذلك في حلمي، حيث قلت جلالتك لي أسرع إلى إيهناس، انظر إنني إلى جانبك، ولقد واصلت مسيرتي في بلاد غريبة، وقد كنت وحيداً، ووصلت إلى البحر ولم أكن أخشى أي شيء، ووصلت إلى إيهناس ولم تمس شعرة مني بأذى».

وفي معبد إلهه في إيهناس، أقام له عموداً تذكاريًّا متمنياً أن يذكر قارئ هذه الكلمات المنقوش عليها اسم من كرسه للإله، وقام بتقديم الصلاة لهذا المعبود بطريقة لم يكن يحلم بها ذلك المصري الذي صاحب دارا (Darius) ، وفي عهد أحد أباطرة روما الأوائل تم نقل هذا العمود التذكاري إلى إيطاليا، واستخدم في بناء معبد إيزيس (Isis) في بومباي الشهير بتقديم الخبز الممزوج بالزنجبيل.

وبالفعل كانت معركة جوجاميلا هي المعركة الفاصلة، فدارا (Darius) بهروبه من أرض المعركة ومن مملكته قد تنازل عن أي ادعاء له

بأحقيته في العرش الفارسي، ومن المؤكد بعدها أن شهوراً قد مرت قبل أن يعلن عن موته، وأن يجد جثمانه مدفناً له، وليس في مقبرته التي لم يتم الانتهاء من تشييدها، حيث لم يتمكن من إتمامها في جنوب بيرسيبوليس، ولكن في أعلى المرتفعات التي رقد آباؤه في قبورها، كما مرت عدة أشهر أخرى كان فيها بيسوس (Bessus) ، والي كاريا لا زال يقاتل حتى يثبت جدارته بلقب أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الرابع، ومن هذه المعركة الفاصلة كذلك، وبعد مرور عدة سنوات تمت تهدئة الأمور في الهضبة الإيرانية، وأيقن الجميع أن الحرب الكبرى قد انتهت ووضعت أوزارها، وأن الإسكندر (Alexander) نفسه قبل -وكذلك كل رعاياه- أن يعتبر نفسه الملك الفارسي العظيم.

إلا أن مشهد النهاية لإعلان انتهاء الحملة العسكرية التنويرية كان لا يزال مطلوباً، وكانت أربيل عاصمة الإقليم الذي شهد هذه المعركة الفاصلة، أما جوجاميلا فلم تكن إلا بلدة صغيرة، وسمي الجبل القريب نيكاتوريام «أي جبل النصر»، ومن أربيل التي يقول عنها الإغريق أن اسمها قد اشتق من اسم مؤسسها الإغريقي أربيلوس (Arbelos) ابن أثمونيوس (Athmoneus) ، وقد اتخذ الجيش مساره نحو الجنوب، وقاموا بعبور نهر الزاب الأصغر، ووجدوا نافورة النفط في أرض أرتاسين، حيث كانت حقول البترول حتى وقتنا هذا موضعاً للخلاف، وكانت حقول البترول في ذلك الوقت قريبة من سطح الأرض، حتى إن خدشاً صغيراً بها كان يساعد على تدفق البترول في شكل نافورة، وهذا ما شاهده الجنود عند عبورهم، وبعد ذلك وصلوا إلى عرش أناهيتا (Anahita) وساندراكاس (Sandracase) التي كان بها قصر دارا (Darius) الأول، وبعدها وصلوا إلى سيباريسون، ثم قاموا بعبور ديالا في الطريق إلى بابل.

استسلام بابل وصوصا:

عند اقترابه من المدينة التي كانت قد عادت إلى ازدهارها بعد قيام كسركسيس (Xerxes) بتدميرها فيما مضى، تمت مقابلة الفاتح المقدوني بواسطة الكهنة والنبلاء الذين جلبوا الهدايا من أجل الترحيب به، وأعطيت إياه مع تسليم كنوز بابل، وبعد هذه التظاهرات التي تحمل طابع المودة، لم يجد الوالي الفارسي مازايوس (Mazaeus) بداً من الإقرار الرسمي بالاستسلام، الذي تم في الحال، كما خرج قائد الحامية باجوفانيس (Bagophanes) من قلعته التي كانت توجد بها الكنوز الملكية، وكان قد عهد إليه بحراستها، حيث أمر قائد الحامية بفرش الزهور في الشوارع، وتقديم التيجان للملك العظيم، كما تم حرق البخور وأنواع من العطور الفاخرة على المذابح الفضية، أما المجوس فقد تغنوا بالترانيم، وتبعهم في ذلك الكلدانيون والبابليون، ومما أسعد باقي السكان أن الإسكندر (Alexander) أمر جنوده بإعادة بناء المعابد التي سبق تدميرها، وأهمها معبد بيل-ماردوخ الذي ظل مهجوراً تماماً منذ أن قام كسركسيس (Xerxes) بتدميره.

وبناءً على السابقة التي استهلها في مصر، حيث تم تقسيم السلطة بين اثنين من الوطنيين يتقاسمان الأمور المدنية، وكافأ الإسكندر (Alexander) مازايوس (Mazaeus) على استسلامه السريع وذلك بتجديد مركزه كوالٍ، في حين استمر باجوفانيس (Bagophanes) في إشرافه على الكنوز، ومع ذلك ظل الحال بالنسبة إلى السيطرة العسكرية كما كان في مصر، حيث تركزت السلطة العسكرية في يد المقدونيين، وهم أبوللودوراس (Apollodorus) -من أمفيبوليس- ومينيتاس (Menetas) -من بيلا- كما جعل الأخير مراقباً عاماً على الولايات التي كانت تقع في الغرب وصولاً إلى صقلية، كمال عين أجاثون (Agathon) حارساً للقلعة، وفوض إسكليوبيودوراس (Ascleopiodorus) ابن فيلو (Philo) لجمع الضرائب،

كما عين ميثرينيس (Mithrines) الذي سبق أن قام بتسليم القلعة في ساردس كوالٍ لأرمينيا، ولكنه فيما يبدو لم يستطع أبداً أن يخضعها تحت السيطرة الكاملة.

كان معلم الإسكندر (Alexander) القديم أرسطو (Aristotle) قد طلب منه باعتباره تلميذاً له أن يرسل لمعلمه في الوطن أي شيء يستطيع أرسطو (Aristotle) أن يجد فيه قيمة علمية، وبالتالي أرسل كاليستينيس (Callsthenes) لعمه «الملاحظات الكونية» الكلدانية، تلك التي تناولت ملاحظات للسماء على مدار فترة واحد وثلاثين ألف عام، وهي فرضيات تمت بناءً على حسابات قام بها كيدينو (Kidinno) أو أفراد من مدرسته، وعلى أية حال يمكن لنا أن نقارن الواحد والثلاثين ألفاً من هذه الملاحظات مع ملاحظات مماثلة استغرقت فرضيًّا أربعة وثلاثين ألف عام، والتي كانت -طبقاً لقائمة الملك البابلية- من المفترض أن تكون قد انقضت منذ نهاية الفيضان الكوني، وكان العالم كاليبوس (Calippus) في رفقة أرسطو (Aristotle) ، حيث قام بالاستفادة من هذه «الملاحظات الكونية» من أجل أن يوسع من مداركه وملاحظاته هو في اشتقاق قيم لطول العام والشهر الشمسي، وبالرغم من وجود هذه المساعدة كان الشهر الشمسي أبعد ما يكون عن الحقيقة وأقل دقة من الحسابات التي تمت منذ ثلاثة قرون مضت، منذ زمن تحديد دورة الشمس في الكون (تلك التي تمت في بابل).

ومن بابل كان طريق سيرهين عبر السهول يؤدي إلى صوصا، وعلى الطريق عبر سيتاسين قابل الإسكندر (Alexander) ابن أبولوتيس (Abulotes) -والي صوصا- وتلقى خطاباً من فيلوكسينوس (Philoxenus) الذي كان قد أرسل ممهداً لزيارة الإسكندر (Alexander) ، مبلغاً إياه أن أهل المدينة قد استسلموا، وقدموا له المدينة بكل ما بها وما فيها من كنوز، وبعد مسيرة استمرت عشرين يوماً منذ خروجه من بابل وصل الإسكندر (Alexander)

بنفسه، وشاهد كنوز دارا (Darius) الأول بعينيه، حيث وجد أن الكنوز التي حواها القصر يبلغ مقدارها أربعين ألف تالنت من الفضة، وتسعة آلاف تالنت من الذهب في وحدات من عملة الداريك، وكان هذا القصر في ذلك الوقت مهجوراً (كما ثبت من الحفريات)، لكن قصر باجواس (Bagoas) كان قد سلم إلى بارمينيوم من أجل الإقامة فيه، وتم الإبقاء على أبوليتيس (Abulites) كوالٍ، ومازاروس (Mazarus) كقائد للحامية، لكن القائد العسكري كان أركيليوس (Archelaus) ابن ثيودورس (Theodorus) ، أما زينوفيلاس (Zenophilus) فقد كان قائماً على حراسة القلعة، كما كان كاليكراتيس (Callicrates) قائماً على الكنز، وفي تلك الأثناء أيضاً فوض مينيس (Menes) بإمارة سوريا الموحدة وفينيقيا وصقلية، وبعد توزيع المهام والمناصب تمت إقامة المسابقات الرياضية التي تمثل سباق حمل المشاعل، والذي يماثل سباق الماراثون حاليًّا، بالإضافة إلى تقديم القرابين إلى آلهة هذه المدن، وهكذا تعرفت صوصا على الحضارة الهلينية، وكان على الإسكندر (Alexander) أن يواصل تحركه إلى وجهة جديدة ببيرسيبوليس.

بعد أن تم عبور أنهار كوبراتيس وباسيتيجريس قام القادة المحليون للأوكياس -الذين كانوا خاضعين للفرس، والذين كانوا يسكنون سهول الأنهار المنخفضة- بالتسليم طواعية، إلا أن مدينة هيلمن كوسايا -التي كانت تحت حكم ميداتيس (Medates) - رفضت السماح بمرور القوات الغازية عبر أرضها إلا بناءً على شروط الملك وهي دفع رسوم عبور لأرضها كما اعتاد الملك نفسه فعل ذلك، حيث كان يدفع لهم مبلغاً قيماً كلما أراد المرور بأرضهم، أما الإسكندر (Alexander) فقد اعتبر ذلك ابتزازاً، ولا يتماشى مع كرامته، وبمعاونة قادة من صوصا تقدم في مسار غير معهود، مما شكل مفاجأة لأهل هذه القرية، ومن ثم قام بنهب قرى كوزايان التي كانت تطلب هذه الرسوم، وقتل الكثير من سكانها، ثم

تم له الاستيلاء على الممر الموصل إلى بيرسيبوليس، ثم عاد خصومه الهاربون عارضين دفع جزية سنوية له تقدر بمائة حصان وخمسمائة دابة للركوب وثلاثين ألفاً من الأغنام؛ وذلك لأنهم كانوا متأكدين بلا شك من أن الإسكندر (Alexander) لن يعود إليهم في العام التالي من أجل جمع هذه الغرامات، وقد كان لهم الحق في ذلك بسبب موت الإسكندر (Alexander) المفاجئ.

وقد تم إرسال بارمينيون (Parmenion) من خلال الطريق الرئيس الموصل إلى جهة الشرق، بينما اتخذ الإسكندر (Alexander) مساراً جبليًّا إلى بيرسيس، وكان الوالي عليها هو أريوبارزانيس (Ariobarzanes) ، فقد قام بسد «البوابات الفارسية» بالحوائط، لكن ساعد أحد مواطني ليسيا -الذي كان يعمل كمرشد للإسكندر (Alexander) ، ويجيد كلاًّ من اللغة الفارسية والإغريقية- قد ساعده على التقدم من خلال طريق آخر أكثر وعورة، وبينما كانت القوة الرئيسة المصاحبة للإسكندر (Alexander) أكثر عدداً، وتفوقت على قوة أريوبارزانيس (Ariobarzanes) ، ثم قامت باختراق الأسوار بعد الهجوم الشديد عليها، وبناءً على ذلك تم منع تراجع أريوبارزانيس (Ariobarzanes) بواسطة البوابات نفسها لحماية بيرسيبوليس، بل أرسل قائد الحامية المعين على بيرسيبوليس تيبريداتيس (Tibridates) للإسكندر (Alexander) يحثه على الإسراع إلى بيرسيبوليس للاستيلاء على كنوزها بدلاً من الوالي الفارسي أريوبارزانيس (Ariobarzanes) ، وكذلك قبل أن تدمر المدينة؛ ولذلك تم بناء أحد الجسور على عجل عبر نهر أراكسيس، وتدفق المقدونيون من أجل احتلال ونهب كنوز هذه المدينة بأنفسهم قبل أن يسبقهم أي شخص إليها، وقبل أن تقوم الحامية العسكرية القائمة عليها بالاستيلاء على كنوزها لأنفسهم، وكان أول من وصل إلى العاصمة في اليوم الأول من شهر فبراير عام 330.

ومنذ وقت طويل، بدا على القائد الفاتح أنه نسي في بلاد المشرق حملته التنويرية، حيث كان في كل موضع ينزل به يتخذ صورة الوريث الشرعي للإمبراطورية الأخمينية، حيث إن الولاة الفرس -مازايوس (Mazaeus) في بابل وأبوليتيس (Abulites) في صوصا- كانوا طوال الأشهر الماضية يحتفظون بمراكزهم السابقة، وعندما، وعندما استجدى تيريداتيس الإسكندر (Alexander) أن يسرع إلى احتلال بيرسيبوليس وإنقاذ كنوزها فقط، توقع أن تتم مكافأته مثل باجوفانيس (Bagophanes) في بابل بالإشراف على الكنوز، أو مثل مازاروس (Mazarus) في صوصا بالإذن له بالاحتفاظ بموقعه كقائد للحامية العسكرية.

لكن آماله التي كان لها ما يبررها لم تتحقق؛ لأنه في صوصا نسي الإسكندر (Alexander) الهدف من حملته التنويرية، وذلك بالتحديد عندما رأى الألوان الزاهية في القصر المشئوم الذي كان يقوم فيه الملك الفارسي أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني بحبك مؤامرة «سلام الملك»، وفي ذلك القصر أيضاً توافد سفراء المدن الإغريقية من أجل استطلاع ينوي الملك ويعزم عليه، وكذلك من أجل قبول دعمه لهم، ومن جهة أخرى، فإن بيرسيبوليس -المدينة الحصينة التي لم تحتل طوال القرن الماضي، ولم يكن اسمها مرتبطاً بأي من الأصول اللغوية الإغريقية، ولم ترتبط بأي من الأحداث التاريخية الإغريقية- يعتبر فتحها بهذه الطريقة عملاً مشيناً بالنسبة إلى أي إغريقي متحمس للحملة العسكرية التنويرية، حتى إن اسم هذه المدينة لم يكن معروفاً بالفعل في الجزء الغربي من الإمبراطورية، ومع ذلك، ففي بيرسيبوليس ذاتها انتهت حملة الإسكندر (Alexander) العسكرية التنويرية.

ومن المتوقع بالطبع أن الإسكندر (Alexander) قد قام بمصادرة هذا الكنز الضخم من الذهب والفضة، والذي يقدر بمائة وعشرين ألف تالنت، وكان من الطبيعي أن يستولي القائد المقدوني على هذه الكنوز؛

لوجود سوابق له تدل على ذلك، وكان من الطبيعي بدرجة مساوية أن يتم تفريغ ما في حجرة النوم الملكية التي كانت عبارة عن حجرة هائلة مليئة بخمسة آلاف تالنت من الذهب توجد عند رأس السرير الملكي، وكذلك الاستيلاء على مقعد القدم الملكي، وهو عبارة عن ثلاثة آلاف تالنت من الذهب، مكدسة بحيث يضع قدمه عليها حين يجلس، وقد تم تخصيص حجرة أصغر لهذا الغرض، وكان من السهل أن نتخيل نهب «الكرمة الذهبية»، وهي عبارة عن شكل ذهبي لشجرة العنب ذات عناقيد من أكثر الأحجار الكريمة قيمة وثمناً، ومن المجوهرات التي كان السفراء القادمون من عند الملك دوماً يقصون الروايات عنها تلك التي تمتد لتشمل كل سريره الهائل، كان ذلك كله طبيعيًّا ومتوقعاً، لكن لم يكن من الطبيعي أو المتوقع أن تسلم أرضية هذه القصور المستوطنة كاملة للجنود لنهلها، والحفر بها حتى الأساس الحجري بحثاً عن كنوز الذهب والمجوهرات.

كانت الغنيمة هائلة في بيرسيبوليس كما أوضحت وثائق تالية حيث نقلت أن هذه المدينة كانت أغنى المدن التي تقع تحت الشمس، وحتى المنازل الخاصة كانت زاخرة بكل ما هو ثمين وغالٍ، تلك الكنوز التي تكدست عبر عصور طويلة، وبعد أن تم نهب المدينة وتحطيم الجدران والتنقيب في أساساتها تم كذلك ذبح الرجال جميعاً بلا رحمة، وكان العذر لذلك هو وجود عدد كبير من المشوهين الإغريق المتواجدين بين الأسرى الذين أطلق سراحهم، وبالطبع تم استبعاد النساء، وقام المقدونيون بالاقتتال الشديد فيما بينهم من أجل عمليات النهب والسلب، ولو كانت مدينة بيرسيبوليس قد تم الاستيلاء عليها بالقوة بدلاً من تسليم حاميتها بكامل حريتهم، فإن هذه المدينة لم يكن سيتم معاملتها بطريقة أكثر وحشية وفظاعة، ومما أضاف إلى شهرة الإسكندر (Alexander) السيئة أنه كان يتفاخر في رسائله بكيفية إصدار أوامره بقتل الأسرى من الفرس في مذابح جماعية.

وفي أثناء إقامته في المدينة، قام الإسكندر (Alexander) بعمل جولة في مدينة باسارجاداي، وهناك مرة أخرى استولى على كنوزها كما لو كان ذلك هو حقه المشروع، وكانت هذه الكنوز متراكمة منذ أسلاف الملوك العظام من عهد قورش (Cyrus) الأكبر، وبعدها عين كوباريس (Chubares) والياً على هذه المدينة التي تعد أقدم المستوطنات الفارسية.

ولم يكتفِ مدعو حملة التنوير بالأعمال البربرية التي شهدتها هذه المدينة، بل عملوا عملاً يدل على التخريب المطلق، وهو حرق هذه القصور الرائعة الموجودة فوق الهضبة ذات المنصة العملاقة التي بنيت عليها هذه القصور، وعندما أعلن الإسكندر (Alexander) عن عزمه على تدمير كل هذه المباني العملاقة التابعة لكسركسيس (Xerxes) انتقاماً منه لقيام الأخير بتدمير أثينا وحرق معابدها، حاول بارمينون (Parmenon) إثناء الإسكندر (Alexander) عن ذلك؛ من أجل الاحتفاظ بها، حيث إنها صارت ملكة، ولم يكن يليق بالملك أن يدمر ممتلكاته، وقد ألح في ذلك مراراً على الإسكندر (Alexander) ، لكن لم تجد نصيحته آذاناً مصغية من جانب الأخير، كما أن هذا الفعل لن يتسامح فيه الآسيويون، ويجعلهم ذلك مترددين في الانضمام إليه، كما أوضح بارمينون (Parmenon) -بناءً على حكمته ونضجه- للإسكندر (Alexander) أن هذا العمل سوف يعطي الانطباع بأنه -أي الإسكندر (Alexander) - كان فاتحاً مسافراً في أرجاء آسيا فقط، ولا يعطي الانطباع بكونه الملك الذي يريد الاستمرار في السيادة عليها، وهذه النصائح توقفت لأن الإسكندر (Alexander) رفض حتى مجرد الاستماع لها.

وفيما بعد، حاول المؤرخون إيجاد العذر للإسكندر (Alexander) ، والتخفيف من وقع هذه الجريمة، حيث أعلن البعض منهم أن هذا الأمر كان أمراً تسرع فيه الإسكندر (Alexander) ، حيث ندم عليه بعد ذلك، وهذا يتضح بالأوامر التي صدرت للجنود بإخماد النيران، لكن كان ذلك بعد أن

سبق السيف العذل، وغالباً ما كان يرجع البعض الآخر من المؤرخين مبعث هذه الجريمة إلى مؤامرات النساء، والمقصود بها تحديداً امرأة تسمى ثايس (Thais) -عشيقة القائد الإغريقي بطلميوس (Ptolemy) - التي انتهزت فرصة سكر الإسكندر (Alexander) -كما روي- في أثناء أحد الاحتفالات، وأغرته بإلقاء الشعلة الأخيرة كما لو كانت الضربة القاضية للمدينة.

إلا أن قصة بيرسيبوليس لم تنتهِ بعد، إذ أن الأنقاض التي تخلفت عنها واصلت رواية القصة، حيث نرى الأعمدة الخشبية للأسقف المحترقة ما يزال أثرها متواجداً عبر درجات السلالم وأمام الأعمال النحتية، وتبقى أكوام الرماد المتخلفة عن إطارات الرسومات التي كانت مصنوعة من خشب الأرز، وكذلك الحوائط المبنية من الطوب اللبني والتي نزعت عنها الطبقات المغطية من فعل قوى النيرات، وهناك أيضاً الأسقف المحترقة المنهارة بفعل الحريق، والتي تتهاوى بفعل الأمطار في القاعات المنخفضة من الحفر الذي تم بحثاً عن الأموال والكنوز، أما السور المحيط ثلاثي الطبقات الذي كان مشيداً بالطوب اللبني فقد تفككت أوصاله، مخلفة الأساس الحجري الدال عليه، أما البوابات البرونزية التي كانت متواجدة في الجهات الأربعة فقد اختفت.

وكان البحث عن الغنائم والكنوز المخفية في الأرضيات والجدران يسير بدقة متناهية لدرجة أنه لم يتبقَّ لرجال الآثار سوى حفنة من العملات تم اكتشافها بواسطة القائمين على التنقيب، وهناك أيضاً بعض القشور الذهبية التي تم اكتشافها وتمثل ورقة من شجرة «الكرم الذهبية» - التي سبقت الإشارة إليها- أما باقي معادنها النفيسة وأحجارها الكريمة فقد كانت مكافأة لمن قاموا بنهبها، أما بالنسبة للأواني الأثرية التي كانت تزين بالرسومات والنقش فقد حملت إلى القاعات وتم تهميشها عن عمد، وهي التي كانت منحوتة بكل الأحجار المتنوعة والرسومات

الزاهية، كما يوجد تمثال رائع منحوت من الرخام لامرأة جميلة جالية تم نحته قبيل عصر نحاتي بارثينون، وكان قد تم نقله من فوكايا أو مدينة قريبة إلى بيرسيبوليس، وكان جزء من غنائم حملة إسبرطة التي قامت بها لتحرير آسيا، وقد تم نقله إلى متحف أقيم خصيصاً لمقتنيات كنوز بيرسيبوليس، وقد ظل في حالة جيدة حتى وقع الاحتلال الذي قام به الإسكندر (Alexander) للمدينة -بيرسيبوليس- ثم ألقاه الجنود المقدونيون أرضاً، وهشموا الرأس وألقوا بهذا التمثال النصفي في ممر قريب تاركين فقط يده مهشمة للدلالة على الحجرة التي كان بها التمثال في بادئ الأمر، وكان هذا التخريب هو أقصى ما يمكن فعله لافتضاح زعم الإسكندر (Alexander) القيام بالحملة التنويرية التي قال إنها تحمل طابعاً ثقافيًّا حضاريًّا، كما كان أسوأ دعاية ممكنة للثقافة الإغريقية.

وكان حرق بيرسيبوليس رمزاً للعالم أجمع بأن الحملة التنويرية الحضارية العظيمة قد وصلت إلى نهايتها المحتومة، ولسوء الحظ كانت الحملة ذاتها ورمزها متخلفين عن عصرهما، وولى زمانهما، حيث كانت الغزوات الأولى للإسكندر (Alexander) منظمة على أساس الأسلوب الفارسي في الإدارة من حيث الولاة وتقسيم الولايات كما كانت بالضبط أيام الإمبراطورية الفارسية، وفي مصر تعلم الإسكندر (Alexander) على الطريقة المصرية أنه هو الملك الإله، وأنه هو الملك الإله، وأنه هو نفسه الملك المقدس، وكلما أوغل في أراضي الشرق كلما تملكته حضارتها ومعتقداتها، وسرعان ما تعلم الأبهة والفخامة الفارسية، وفي نهاية الحملة كان يراوده حلم توحيد الشعوب والثقافات الفارسية والإغريقية كما كان ملوك الفرس يحلمون بالحلم نفسه تماماً عندما قاموا بغزو أوروبا، وفي الختام نجد أن القيم الشرقية قد انتصرت على الفاتح الشديد البأس.

ويبـدو أن حـظ أو قـدر الإسـكندر (Alexander) الـذي طالمـا لازمـه في

انتصاراته قد تخلى عنه حتى قبل موته المفاجئ، فبحروبهم التي لم تتوقف قضى أتباعه على الإمبراطورية الضخمة التي استولى عليها من دارا (Darius) الأخير بسبب أعماله الخرقاء، وحتى من خلفهم من الرومان لم يتمكنوا من الحفاظ عليها، وظل حلمه الذي راوده بتكامل وامتزاج الحضارات مجرد رؤية يحلم الجميع بتحقيقها ولو في المستقبل البعيد.

وبينما أكد المؤرخون بإصرار على أهمية العصر الهليني الذي تبع ذلك، فإن عصر الإسكندر (Alexander) قد ظل -كما هو- مقدمة لعصر جديد، وهي التوصيف الواقعي لحكمه، وفي عصرنا الحالي قل الاهتمام بسمات الإسكندر (Alexander) الشخصية مقابل تزايد الاهتمام بالمعالم المميزة للعصر الذي يليه، ولكن عصره لم يكن فقط يحمل نظرة مستقبلية، بل يحمل دلالة كذلك على الماضي، إذ أن عصره كان مثل العملة ذات الوجهين، فهو نهاية لفترة وبداية لحقبة أخرى من التاريخ، وكان حرق بيرسيبوليس نقطة فاصلة، فهي تعد بمثابة إيذان بنهاية عصر الإمبراطوريات الشرقية المستقلة.

ولم يتم احتلال بيرسيبوليس مرة أخرى، لكن القدر قدم لها تعويضاً لأن الدولة المقدونية للإسكندر (Alexander) قد اختفت وتوارت في طي الزمان بدون أثر باقٍ -في الأغلب الأعم- إلى الآن، وأصبحت عاصمة هذه الدولة -إيجاي- موبوءة بوباء الملاريا، ولم يكن لها في التاريخ أي ذكر سوى ذلك، وحتى عندما يذكر اسمها البديل -أديسا- فإن الذهن يتطرق على الفور إلى العاصمة العظيمة لمملكة ميسوبوتاميان، وذلك لدرجة أن مقابر حكام الإمبراطورية المقدونية التي اعتقد الإسكندر (Alexander) أنها تجمع أجداده لم تكتشف على الإطلاق، والآن عاصمته بيلا ليست إلا كتلة من الأنقاض، أما مدينة فيليبي التي أسسها أبوه فيليب (Philip) ، فلم تزدهر في عصره، بل عاشت أزهى عصورها تحت الاحتلال الروماني، وحتى في هذا العصر، فإن الآثار القائمة حتى الآن

بها لا ترجع إلى عصر فيليب، بل إلى عصر الدولة الرومانية تماماً، كما لم يبقَ أي شيء أصلي محفوظ بمدينة الإسكندر (Alexander) الإسكندرية كما كان أول الأمر، وأما مدينة خلفائه البطالمة فإنها لم تعد تحمل بصماتهم، ولم يتبقَّ شاهداً على حضارتها إلا بعض الأنقاض المتناثرة في الجبال المحيطة بها، ولا يوجد آثارها الدفينة في الواقع إلا كعلامات على الخرائط.

وعكس ذلك، لا تزال بيرسيبوليس قائمة حتى اليوم، وساعد على حفظها من الماضي حتى يومنا هذا الحرق الذي تعرضت له، ولا تزال قصور دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) شامخة تشرف على السهول التي تقع على جوانبها، وهي أعجوبة بالنسبة إلى عابر السبيل أو السائح حتى الآن، وحجراتها تكاد تكون مكتملة كما كانت لدرجة أن غروب الشمس في هذا المكان يكاد يوحي للناظر بالأشباح التي تنتقل في حجراته، والتي تجعل الماضي لا تزال الحياة نابضة فيه.

وبصرف النظر عن الدمار الذي حاق بها، فإن المحرقة المتعمدة التي قام بها الإسكندر (Alexander) قد ساعدت على حفظ هذه المدينة حتى اليوم، وساعدت النار على صلابة لوحاتها البارزة التي كانت مصنوعة من الطمي، وظلت هذه اللوحات بلا أدنى خدش يذكر، وبقيت على روعتها، كما كان جمالها يتفوق في النهاية على جمال اللوحات الإغريقية، أما الأواني الأثرية المتخذة كزينة -المحطمة عمداً- والتي كانت تحمل نقوشاً باسم كسركسيس (Xerxes) فقد تم تجميعها قطعة بقطعة، ووضعت كما كانت بواسطة الصبر الدؤوب والمثابرة من علماء الآثار، والذين قاموا أيضاً بجمع معلومات كثيرة تغطي كل جوانب الحياة اليومية في ذلك الوقت.

فإذا كانت نيران الإسكندر (Alexander) قد أتلفت كل الكتابات المنقوشة على الجلد، فإنها كانت سوف تتلف على أية حال بفعل

عوامل الزمن، رغم اعترافنا بأهمية ما بها من معلومات، إلا أن الإسكندر (Alexander) -بدون قصد- قد قدم خدمة جليلة لنا؛ وذلك لأن النيران التي أشعلها قد ساعدت على سرعة نضوج وتماسك اللوحات الفنية الرائعة التي كانت مرسومة على الطمي الخام انتظاراً لجفافه، والذي كان -بدون هذه النيران- سوف يتفكك في وقت قصير، وأما الكتل الحجرية التي لم تتأثر بالنيران، والتي تمت إزالة التراب عنها، فقد تم فك شفراتها وحل طلاسمها بواسطة علماء تاريخ اللغات والاشتقاقات، وثبت أنها تحوي السجلات الملكية، ففي عصرنا تمكن دارا (Darius) وأتباعه من أن يروا بأنفسهم قصصهم وأحوالهم بلغتهم الخاصة بهم.

وطوال حقبة الإمبراطورية كان كل من عالم الآثار وعالم تاريخ اللغات إلى جانب المؤرخ يقدمون له العون، وتماماً مثلما حدث في بيرسيبوليس، تم التنقيب في صوصا، وتم الكشف عن تاريخها المدون باللغة الإيلامية، ورغم ذلك ما زال جبل إكباتانا في انتظار الكشف عن أسراره، وقد قدمت لنا الوثائق المكتشفة في المدن البابلية آلافاً من المستندات الدالة على الصفقات التجارية وعالم رجال الأعمال، تلك التي ترجع إلى عصور ملوك الفرس، وتمكنا لأول مرة من رسم صورة وافية عن الحياة الاقتصادية في الإمبراطورية الفارسية، أما بالنسبة للمعابد المصرية التي أقامها ملوك الفرس، وكذلك أماكن العبادة العديدة بمصر التي بناها الحكام المحليون في فترات التمرد المتعاقبة ضد ملوك الفرس، فهي ما زالت حتى عصرنا هذا مقصداً للسائحين، وتم فك شفرة الكتابات والنقوش الهيروغليفية إضافة إلى الديموطيقية والآرامية من على جدران هذه المعابد والمحاريب وأوراق البردي، مما أضاف الكثير إلى معارفنا عن ذلك العصر إلى الحد الذي لم نعد فيه معتمدين على التأريخ «الكلاسيكي» التقليدي الإغريقي للعصر الفارسي، حتى في علاقة الإمبراطورية الفارسية بالعالم الغربي.

كما أظهرت حفريات جديدة في البلاد الإغريقية نفسها نقوشاً أثرية بالغة الأهمية للمهتمين بهذا العصر، حيث أظهرت هذه الآثار والنقوش إلى أي قدر من الغنى كانت عليه الإمبراطورية الفارسية، وكم كان رخاء آسيا الذي شهدته في أواخر أيام حكم الإمبراطورية الأخمينية، وبالنسبة إلى ما رواه الكتاب المقدس عن اليهود فيما سجل بهذه الكتابات الإنجيلية، فقد أصبحت هذه الحفريات والمكتشفات الأثرية تمثل تاريخاً موازياً لهم، فهي تشكل خلفية تاريخية لقصص الكتاب المقدس عنهم، وقد مضى من عمر الزمان ما يناهز ثلاثة وعشرون قرناً منذ أن أحرق الإسكندر (Alexander) مدينة بيرسيبوليس، إلا أنها بفضل الجهود المتكاملة لعلماء الآثار وعلماء تاريخ اللغات إضافة إلى المؤرخين لم تمت، بل ظلت تحت التراب حتى بعثت من جديد.

فهرس المحتويات